بهجة المجالس وأنس المجالس

وشحذ الذاهن والهاجس

تأليف

الإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر

النمري القرطبي

تحقيق

محمد مرسي الخولي

دار الكتب العلمية

بَهجة المَجالِس، وأُنسُ المُجالِس

وشحذ الذاهن والهاجس

بهجة المجالس، وأنس المجالس

وشحذ الذاهن والهاجس

تأليف

الإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي

٣٦٨ - ٤٦٣ هـ

المجلد الاول
من القسم الاول

تحقيق

محمد مرسي الخولي

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

يطلب من :
دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان / صندوق بريد ١١/٩٤٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

حينما قدّمت هذا الكتاب إلى جمهرة القراء ، كان كل ما وقر في ذهني منه أنه كتاب أدب كبير ، يتضمن الكثير من الكلمات الحكيمة والشعر الفاضل الذي يحمل كلاهما التجربة والعبرة ، وأنه من تأليف حافظ المغرب أبي عمر بن عبد البر القرطبي ، صاحب كتابي « التمهيد لما في الموطأ من الكتب و الأسانيد » ، « والإستيعاب في طبقات الأصحاب» (أي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، و كلاهما من الكتب الشهيرة المعتبرة ، وكتابه هذا في الأدب لن يقل عنهما قيمة واعتباراً بالقطع .

هذا ولقد ذكرت في مقدمتي للكتاب أنه يحوي قدراً طيباً من النصوص الأندلسية ، كما أنه يحوي جملة وافرة من شعر عدد من الشعراء يكفي لإخراج ديوان لكل منهم ، وهذا كل ما كنت قد قدرته لقيمة الكتاب وقتئذ .

والواقع أنني فوجئت بعد صدوره أنني لم أقدر الكتاب حق قدره ، وذلك لأن جمهرة الباحثين والعلماء قد رحبوا بالكتاب ، وانبروا للإستفادة منه ، والإعتداد به مرجعاً من المراجع المهمة في الشعر العربي ، فكان أن استخرجوا منه دواوين لبعض الشعراء ، مثل ديوان شعر محمود الوراق ،

وديوان منصور الفقيه ، وروجع عليه ديوان شعر أبي العتاهية الذي صنعه في الأصل ابن عبد البر وسماه « الإهتبال بما في شعر أبي العتاهية من الحكم والأمثال » ، ومن الطريف أن يكون كل هؤلاء الشعراء من الشعراء المشارقة الذين وجدوا من عناية عالم سحيق الدار منهم ما لم يجدوه من علماء بخلادهم في جمع شعرهم والحفاظ عليه وتدوينه .

على أن هناك ملاحظة تلاحظ على ما جمعه ابن عبد البر من هذا الشعر ، وهي أنه كله من الشعر العفيف ، الذي يمتلىء بالمثل الصالح والحكمة النافعة والقول الشريف ، ولا يمكنك مهما حاولت أن تعثر فيه على لفظ فاضح أو قول سفيف ، وذلك هو طابع ابن عبد البر في اختياراته ، وإذن فإنه يمكن أن يكون قد ضاع لهؤلاء الشعراء الذين جمع شعرهم شعر كثير مما لم يقع تحت شرطه ، وهو مما يعد من ناحية الأدب ثروة فنية وإنسانية ، ولكنها لم تكن كذلك في نظر ذلك المحدث الجليل حافظ المغرب أبي عمر بن عبد البر ، وحسب الأدب أن يكون الرجل قد احتفظ له بقدر عظيم من شعر هؤلاء لولاه هو لضاع ولعفى عليه الزمن .

ثمة فائدة أخرى حققها الكتاب للباحثين ، وهي احتفاظه بشعر عدد من الشعراء المقلين في الجاهلية والإسلام وفي المشرق والمغرب ، وهذا الشعر قد استفاد به جمهرة الأساتذة الذين تصدوا لجمع شعر الشعراء ممن ليس لهم دواوين ، وقد كثرت هذه الظاهرة وبخاصة لدى الإخوة العراقيين ، وهي ظاهرة طيبة تجمع الشعر المتفرق المتناثر في بطون الكتب لشاعر من الشعراء ثم تخرجه كله في ديوان تسميه شعر فلان ، ولا شك أن الشعر المجموع في صعيد واحد يؤدي خدمة كبيرة للباحث في دراسة الشاعر أو تخريج أبياته .

ولقد أدى ابن عبد البر خدمة جليلة لتلك الأعمال باحتفاظه بأشعار

ربما كان هو الوحيد الذي احتفظ بها ، ولهذا فقد استفاد منه معظم هؤلاء الباحثين ، وقلما تجد شعراً مجموعاً إلا ووجدت في مراجعه كتاب ابن عبد البر هذا .

أما الشعر الأندلسي في الكتاب فقد جمعه كله الدكتور إحسان عباس في كتابه عصر سيادة قرطبة .

وأخيراً فلقد كنت كتبت مقدمتي للطبعة الأولى للكتاب مستحدثاً فيه ترجمة لمؤلفه فيها الكثير من الإستنتاجات حين لم تسعفني المصادر بترجمة وافية لحياته .

ويبدو أن ما ذكرته من استنتاجات قد أدى بأحد الإخوة الباحثين إلى تتبع هذه الإستنتاجات وتبيين مدى ما فيها من دقة وصحة ، وذلك في رسالة أعدها لنيل درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة بعنوان « الحافظ ابن عبد البر مؤرخاً » وما زالت هذه الرسالة قيد العمل وهي بلا شك قد تضيف إلى الترجمة جديداً .

وما زالت الإستفادة من الكتاب مستمرة هنا وهناك ، وأنا أعتقد أن ذلك نتيجة لما بذله فيه مؤلفه من جهد ، وما عسى أن يكون قد صاحب فيه محققه من توفيق .

ونحن نسأل أن يظل الكتاب نبعاً ثراً للإفادة ، وأن يوفقنا الله لخدمة تراث العربية والإسلام بمنه وفضله ، فهو سبحانه أجل مأمول وأكرم مسئول .

وكتب

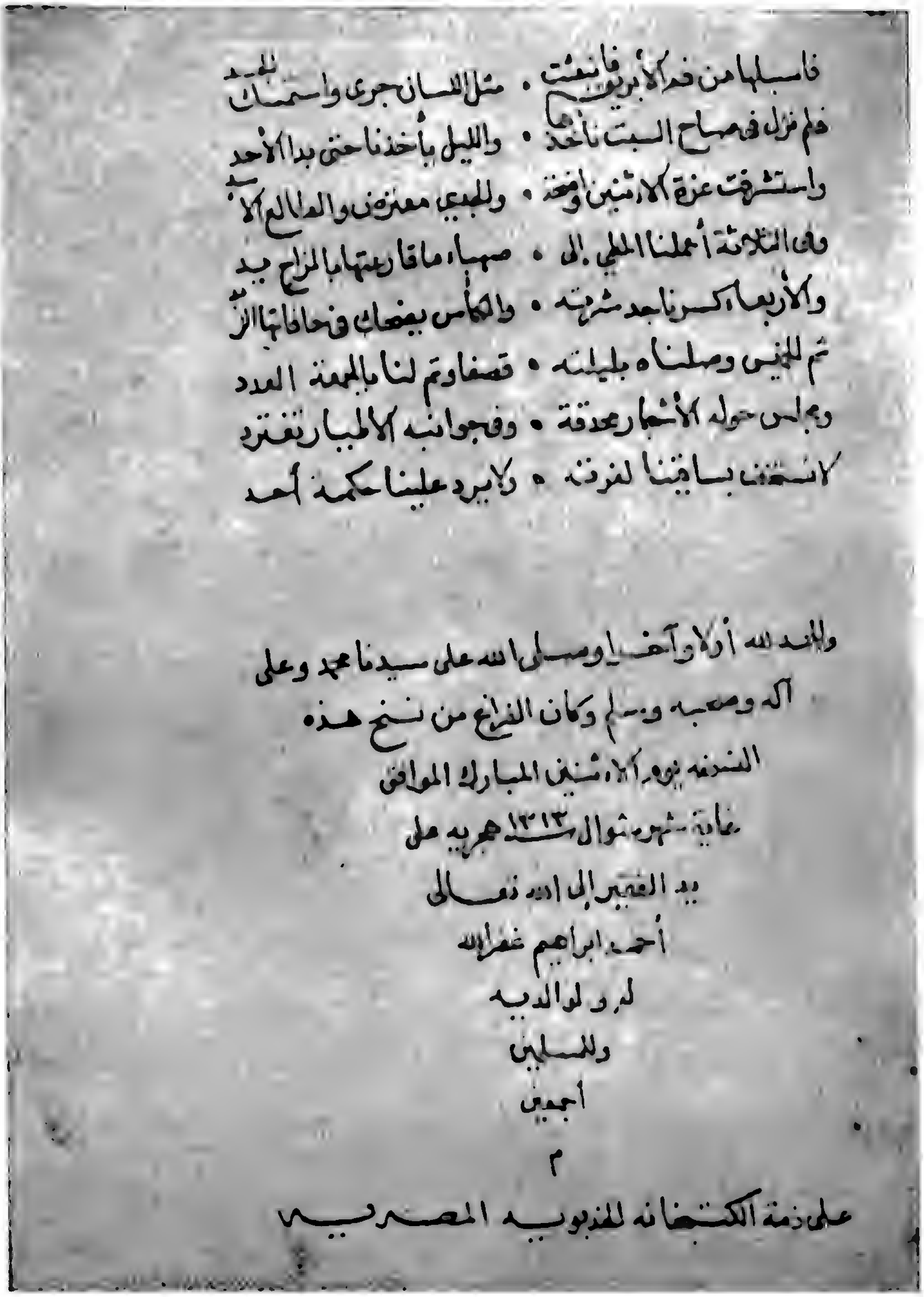
القاهرة في ٧/ ٢/ ١٩٨١ — د. محمد مرسي الخولي

وكيل معهد المخطوطات العربية


بسم الله الرحمن الرحيم وبه العون
وبعد فإن أولى ما أبتدئ به كتاب، وأفتتح به خطاب
حمد الله على جزيل آلائه، وشكره على جميل بلائه، ثم الصلاة
على خاتم أنبيائه، وعاقب رسله صلوات الله عليهم أجمعين
وسلام عليهم في العالمين وبركاته، والحمد لله الذي هدانا
للإسلام، وفضلنا على جميع الأنام، وجعلنا من أمة
محمد نبيه عليه الصلاة والسلام، وبعد فإن أولى ما
عني به الطالب، ورغب فيه الراغب، وصرف إليه
العاقل همه، وأكد فيه عزمه، بعد الوقوف على معاني
السنن والكتاب، مطالعة فنون الآداب، وما اشتملت
عليه وجوه الصواب، من أنواع الحكم التي تجلو النفس
والقلب، وتشحذ الذهن واللب، وتبعث على المكارم
وتنهى عن الدنايا والمحارم، ولا شيء أنظم لذلك كله
وأجمع لفنونه، وأهدى إلى عيونه، وأعقل لشارده، وآنس
لنادره، من تقييد الأمثال السائرة، والأبيات النادرة
والفصول الشريفة، والأخبار الطريفة من حكم الحكماء
وكلام البلغاء العقلاء، من أئمة السلف من سالف الخلف
الذين امتثلوا في أفعالهم وأقوالهم، أدب التنزيل ومعالم
سنن الرسول، ونوادر العرب وأمثالها وأجوبتها ومقا[illegible]
ومباديها وفصولها، وما حووه من حكم العجم وسائر الأمم
في تقييد أخبارهم، وحفظ مناقبهم، ما يبعث على

الصفحة الأولى من نسخة دار الكتب رقم ١٣٦٦ أدب

(معهد المخطوطات ٩٨ أدب)



فأسلها من فم الإبريق فانبعثت • مثل اللسان جرى واستمسك الجسد

فلم نزل في صباح السبت نأخذها • والليل يأخذنا حتى بدا الأحد

واستشرفت غرة الاثنين واضحة • وللجبين معترض والطالع الأسعد

وفي الثلاثاء أعملنا المطي إلى • صهباء ما قارنتها بالمزاج يد

والأربعاء كسرنا حد شرته • والكأس يضحك في حافاتها الزبد

ثم الخميس وصلناه بليلته • قصفا وتم لنا بالجمعة العدد

في مجلس حوله الأشجار محدقة • وفي جوانبه الأطيار تغترد

لا نستفيق بساقينا لنزفته • ولا يرد علينا حكمه أحد

والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم وكان الفراغ من نسخ هذه
النسخه يوم الاثنين المبارك الموافق
غاية شهر شوال سنة ١٣١٣ هجريه على
يد الفقير إلى الله تعالى
أحمد إبراهيم غفر الله
له ولوالديه
وللمسلمين
أجمعين
م

على ذمة الكتبخانه الخديويه المصريه

الصفحة الأخيرة من نسخة دار الكتب ١٣٦٦ أدب

(معهد المخطوطات رقم ٩٨ أدب)



فيهم عبرة

قال ابن المعتز

وجيران صدق لا يزاور بينهم على قرب بعض في المحلة من بعض

كأن خواتيما من الطين فوقهم فليس لها حتى القيامة من فض

وقال الخليل بن أحمد

كن كيف شئت فقصرك الموت لا مزحل عنه ولا فوت

بينا غنى بيت وبهجته زال الغنى وتقوض البيت

اسمع فقد اسمعك الصوت ان لم تبادر فهو الفوت

كل كأنما شئت وعش ناعما آخر هذا كله الموت

وقال آخر

اذا ما دعتك الحاجات بنكبة فلم يعرفوها ان تزلوها لمن حضر

نوائب كل ذي عفاف على بذر شغله ولا يعرفها للحمقى على ذا الا الغدر

باب العمل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا واعلموا ان خير اعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء الا مؤمن وقال عليه السلام لا تعمل شيئا رياء ولا تتركه حياء قال ابو ذر قلت يا رسول الله الرجل يعمل العمل لنفسه ويحبه الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن قال ابو الدرداء اعملوا ما شئتم ان تعملوا فانه لن يأجركم الله حتى تعملوا قال القاسم بن محمد لا

الصفحة رقم ١١١ من نسخة دار الكتب ٣٥ ؛ أدب

(معهد المخطوطات ٩٩ أدب)



الجزء الأول من كتاب بهجة المجالس

وأنس المجالس

وشحذ الذاهن والهاجس

تأليف الإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله

ابن عبد البر النمري رحمه الله عنه

برسم الخزانة السعيدة السلطانية

صفحة العنوان من نسخة مراد ملا رقم ١٤٨٧

(معهد المخطوطات رقم ١٠٠ أدب)



الصفحة الأولى من نسخة مراد ملا رقم ١٤٨٧

(معهد المخطوطات رقم ١٠٠ أدب)

بعد طيبة نفران انه تعهد تسلم اليه وقد وصف له ذواته تعلله به ثم خرج
وخرجت معه وجهه دمشق وقال خرجتم لا تعلمون بالدواء ما به الشفاء ثم مات
فقال لي ابو نواس بالله ما قال لك الشاعر فان زيارته لي عزلك فلمّا
عني ان تقول لنا فقال اقتربت عزلك الخبر حتى فاخبره فرفع عينيه الى السماء
وسالت دموعه على خديه وقال

يا رب مني لم أزل في مثل حال البحتري
حين اشتد داء العرب الذي كانوا كسرى
فما تموا فيما زروا نوائب البربره
ولم يكن مستشعر الايمان ما دام المعذره
ولا عذر فاني مثل أدنى منهم بالمغفره

ويروى ان آخر ما قاله محمود الوراق الذي مات فيه

إنّ طول غمر عفوك يا رب جميل وانت مالك أمري
صبت سري من الذنوب والاهل ضعفا وانت موضع سري
بلّه لي ما لا بد من السر فلا عرف به يوم نشري
ثم منك السوء عن جنب الغفله ما لي شبري

قال ابو عمر ولد انيا تعودانه زمانا ابواب هذا الكتاب والجزء
حفظه نشره له ومختصره رجاء ان ينفع الله به المطرفه والمتسرع اليه
وما الحقنا فيه من المقتصر عن بلوغ غاية المطلع وزهاد الخاضع للسرع ذلك غاية
الله لي عاده ولى الكمال بينهم زاد فزد به دونهم واعتذر عن ذلكما الذي
هذا الحساب الذي بعض حتى غابت حتى لم ما كان منها بعد ما استلحقه
في ظرفه وانحرفت من ذلك على عزيزه مع علمي بكثير فيهم اهل هذا الزمان
عن المطالعه ومخالف اذهانهم عن الرحله وانما صنفته لاي منهاله ومسطال
عن ان شاء الله تعالى نفعنا الله ممن يرد صوله وعمله وحفظه وخفي نسبه عن علم به
امين يا رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين السلام على اجمعين
ورضي الله عن الصحابه اجمعين والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

هذا الكتاب موسوعة أدبية لعالم أندلسى كبير ، اشتهر فى تاريخ الأدب الأندلسى كما اشتهر بين معاصريه : بالفقيه الحافظ المحدث ، ولكنه فى الواقع لم يكن كذلك فحسب ، بل كان إلى جانب ذلك رجلا موسوعى الثقافة ، وافر الاطلاع ، وهب حياته الطويلة للعلم وأخلص له ، ولم يفرق فى إخلاصه هذا بين نوع وآخر من العلوم ، فهو كما وعى حديث الرسول الكريم واستوعب أصول الفقه ومسائله ، وألف فيهما من المؤلفات ما تكاد تقطع عند قراءته بأنه لا يحسن غيرهما ، كذلك فعل بأنواع أخرى من العلوم ، كالأنساب والسير والتراجم والقراءات ، حتى الجغرافيا له فيها جميعاً مؤلفات قيمة ، يُعَدّ ما طبع منها مراجع ممتازة فى أيدى الباحثين حتى اليوم .

وأخيراً فإن الأدب من بين هذه المعارف يحتل عنده مكانة بارزة ، وينال من جهده واهتمامه قدراً كبيراً ، كيف لا وهو فى رأيه يلى فى المرتبة كتاب الله وسنة رسوله ، ومعرفة آدابهما . لهذا نراه يقدم لنا كتابه هذا الذى أفرغ فيه خلاصة قراءاته وملاحظاته فى ميدان الأدب ، أو كما يقول هو : « وجمعت فيـــه ما انتهى إليه حفظى ورعايتى ، وضمنته روايتى وعنايتى » .

والحق أن ما انتهى إليه حفظ المصنف ليس شيئا قليلا ، فقد عاش أبو عمر عمراً مديداً قضاه كله فى صحبة العلم ، والعيش فى رحابه ، قارئاً وسامعاً ، معلماً ومؤلفاً ، ولهذا ليس غريباً أن يودع فى كتابه نتيجة لهذا كل مختار منتقى من مأثور الأدب نظماً ونثراً ، مما كان سائد الطراز للمذاكرة فى مجالس العلماء فى عصره . من إنتاج المشرقيين والأندلسيين على السواء ، فحفظ لنا بما جمعه بين دفتى كتابه تراثاً قيماً ، ضاعت الآن معظم مصادره الأصلية ، وكاد أن

يندثر ويسحب عليه الزمن ذيل النسيان ، لولا أن ضم هو شمله ، وجمع شتاته ، وقدمه على مائدة الفكر زاداً شهيا لمن يأتى بعده من الأجيال .

والحقيقة أن هذا المصنف يحوى من الميزات الهامة ما سوف نتكلم عنه بالتفصيل فيما بعد ، ولكننى قبل هذا أستميح القارئ عذراً فى أن أسجل فى هذه العجالة كلمة أرجع فيها الفضل لأهله .

ذلك أننى كنت شديد الاهتمام بالعمل فى هذا الكتاب وإخراجه إلى النور منذ فترة طويلة وذلك لعدة أسباب ، أهمها : مكانة المؤلف الكبيرة التى كان يتمتع بها بين علماء عصره ، والتى ما زالت تمتع بها مؤلفاته بين جمهور العلماء والدارسين حتى اليوم .

ثانياً : حاجة الباحثين إلى كثير من مواد هذا الكتاب[1] ، واضطرارهم إلى الرجوع إلى نسخته المخطوطة فى دار الكتب ، للاستعانة بها فيما يقومون به من دراسة أو تحقيق مع ما نعلمه جميعاً من صعوبة الرجوع إلى المخطوطات حتى على المتخصصين ، لتشتت موادها وعدم وجود الفهارس التى تساعد الباحث فى العثور على بغيته ، لهذا فقد قررت البدء فى تحقيقه ثم العمل على نشره .

هذا وحين أبديت تلك الرغبة لعدد من الأصدقاء المشتغلين فى هذا الحقل ، أظهروا جميعاً من التشجيع ما حفزنى على المضى فى تحقيقها .

غير أننى مع ذلك أشفقت على نفسى من أمرين :

الأول : ضخامة الكتاب ووفرة مواده وتنوعها ، وصعوبة الحصول على المراجع الكثيرة اللازمة لتخرج أبياته والتعريف بما ورد فيه من أعلام ، حتى يرتفع التحقيق إلى مستوى مصنفه الكبير ، وتقديم كتابه فى الصورة التى تتناسب ومكانته .

---

(١) انظر مثلا التحقيق فى كتاب : جذوة المقتبس للحميدى ، تصحيح محمد بن تاويت الطنجى . وانظر كذلك كتاب : تاريخ الأدب الأندلسى ، عصر سيادة قرطبة ، تأليف الدكتور إحسان عباس ، فقد اعتمد كلاهما على المخطوطة فى التحقيق والدراسة .

الثانى : صعوبة نشره نظراً لهذه الضخامة وعدم ترحيب دور النشر بالكتب المطولة عامة .

لكننى بالنسبة للأمر الأول، إزاء حث الأصدقاء ورغبتهم المخلصة فى المعاونة ثم ما وجدته فى متناول يدى بحكم عملى فى معهد المخطوطات من المراجع الممتازة ما بين مطبوعة ومخطوطة قررت أن أمضى فى تحقيق الكتاب ، تاركا أمر نشره إلى الظروف المناسبة .

والحق أن هذه الظروف قد أتت بأسرع مما كنت أتوقع ، إذ لم تكد إدارة التراث القديم بوزارة الثقافة والإرشاد القومى ، تعلم بأمر عملى فى تحقيق هذا الكتاب حتى أبدى المشرفون عليها استعدادهم لنشره فأسدَوا إلى الكتاب يداً من الجميل لا تنسى .

ثم كان من حسن حظى خاصة أن وكلت الإدارة أمر مراجعته إلى الأستاذ الدكتور عبد القادر القط ، فقام على الأمر خير قيام ؛ وبذل من الجهد فى معاونتى فى تقويم النص وضبط ما يحفل به الكتاب من شعر ، ثم ما كان يشير به من وضع التعليقات والشروح المناسبة ، ما أذكره له بكل تقدير وإجلال .

فإليه ، وإلى الأصدقاء الأساتذة محمد رشاد عبد المطلب وإبراهيم شبوح ، وسعيد إسماعيل عبده أتقدم بخالص الشكر ، وجميل الثناء .

والله أسأل أن يجزينا بقدر ما بذلنا من جهد ، وأن يجعل هذا العمل لوجهه خالصاً إنه قريب مجيب .

المحقق

مقـــدمة

ابن عبد البر القرطبي (١)

٣٦٨ — ٤٦٣ هـ

٩٧٨ — ١٠٧١ م

ترد ترجمة ابن عبد البر فى عدد وافر من الكتب ، ولكنها فى الحقيقة ترجمة واحدة مكررة فى هذه الكتب كلها ، فما تجده هنا تجده معاداً بأسلوب آخر هناك ، فإذا حذفنا من هذه التراجمات ما ذكره المترجمون له من كتبه ، وما أوردوه من بعض شعره ، لم تبق لنا بعد هذا إلا سطور قليلة ، تتضمن قليلا من المعلومات التى يمكن أن نعرفها عن حياة الرجل .

والواقع أن ذلك لا يعد غريباً بالنسبة إلى حياة المؤلف ، فقد كانت فى الحقيقه حياة علمية هادئة ، لم يتورط صاحبها فى مشاكل السياسة ، ولم تكن له أبحاث فى الفلسفة وهما بالذات الجانبان اللذان اهتم بهما مؤرخو الأندلس ، وأفردوا لأصحابهما ، وتفاصيل حياتهم الصفحات الطوال .

ولكن هذا الأمر — وإن لم يكن غريبا كما قلنا — يُصَعِّب المهمة التى نقوم بها من تقديم ترجمة وافية لحياة المصنف وأعماله ، ولهذا فسوف نحاول دراسة العصر الذى عاش فيه المؤلف وخاصة ما يتصل منه بحياته ونقدم من كل ذلك ترجمة أوفى — قدر الاستطاعة — مما قدمه لنا الأسلاف عنه ، مستوحين — فى نفس الوقت — ما قدموه إلينا من نصوص ، وما حلفوه لنا من أخبار .

---

(١) ترجم له فى : جذوة المقتبس ٣٤٤ ، بغية الملتمس ٤٧٤ ، الصلة ١/ ٦٤٠ — ٦٤٢ بروكلمان ملحق ١/ ٦٢٨ الديباج المذهب ٣٥٧ ، المغرب ٢/ ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، وفيات الأعيان ٦/ ٦٤ ، مطمح الأنفس ٦١ ، شذرات الذهب ٣/ ٣١٨ ، تذكرة الحفاظ ٢/ ١٤٣ جمهرة الأنساب ٢٨٥ ، تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان ٣/ ٦٦ ، إلى جانب بعض الكتب الفرعية الأخرى .

المؤلف : مولده ، ونشأته :

فى الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ٣٦٨ ﻫ وعلى وجه التحديد ، وقت صلاة الجمعة والإمام يخطب على المنبر ، ولد أبو عمر لأب كان فقيهاً من فقهاء قرطبة ، ولم يقدر لذلك الشيخ أن تطول به الحياة حتى يرى ولده فتى رائعاً أو شابا مكتملا ، إذ مات فى عام ٣٨٠ ﻫ وابنه لم يتعد الثانية عشرة من عمره .

وقد نشأ أبو عمر فى قرطبة ، وإن كنا لا نعلم شيئاً عمن كفله بعد وفاة والده ، كما لا نعلم أيضاً إن كان قد ترك له ذلك الوالد شيئاً من حطام الدنيا ، ولكننا نعلم يقيناً أنه تلقى تعليماً ممتازاً على أيدى جلة من علماء عصره ، وبرز وتفوق ، واستوعب كثيرا من علوم الفقه والحديث والتاريخ والأدب وغيرها ، فى بلده قرطبة ، أعظم المدن الأندلسية فى ذلك الوقت وأحفلها بالمكتبات والعلماء .

وحينما بلغ أبو عمر الثلاثين من عمره أو نحوها ، كان المفروض أن يحتل مكانة أبيه : فقيهاً من فقهاء قرطبة وشيخاً من شيوخها ، ولكن حدث فجأة ما حرمه من هذه المكانة المنشودة والأمل المرتقب . إذ فى تلك الفترة عينها — أواخر عام ٣٩٩ ﻫ — حدث ما يسمى فى تاريخ قرطبة بالفتنة البربرية ، والتى كانت حوادثها من القسوة والهمجية بحيث دفعته كما دفعت غيره من العلماء وجمهرة الناس إلى الرحيل العاجل عن المدينة .

الفتنة البربرية :

يشير المؤرخون إشارة موجزة فى ترجمة ابن عبد البر ، إلى أن الفتنة هى السبب الذى دفعه إلى الهجرة من قرطبة ، ثم لا يزيدون على كلمة « الفتنة » شيئاً من تفصيل وإيضاح ، ولكننا نرى من تمام البحث أن نتكلم بشىء من التفصيل عن هذه الفتنة وآثارها ، حتى تكتمل أمامنا صورة واضحة المعالم للأحداث التى مرت بالرجل ، ونالت منه ومن أقرب المقربين إليه .

أما حوادث هذه الفتنة[1] ، فقد بدأت عندما أراد محمد بن هشام بن عبد الجبار الأموى الملقب بالمهدى[2] ، أن يتخلص من الدولة العامرية ، وكان العامريون قد تولوا زمام السلطة الفعلية طوال أيام الخليفة المستضعف هشام المؤيد ، وفعلا نجح المهدى نجاحاً مؤقتاً ، وقتل عبد الرحمن بن أبى عمر الملقب بشنجول ، والذى ادعى أنه ولى عهد الخليفة هشام المؤيد ، ثم تسلم المهدى السلطة ، ولكنه لم يكد يستقر فيها حتى نازعه أموى آخر هو سليمان المستعين[3] الذى تزعم البربر ، وقصد أن ينتزع الخلافة من المهدى ، واجتمع البربر مع سليمان لمحاربة قرطبة ونزلوا بسفح الجبل بها وبشرفيها فى (١١ ربيع الأول سنة ٤٠٠ ﻫ) وعلى الرغم من خروج أهل قرطبة عن بكرة أبيهم للقتال ، واستبسالهم فى الذود عنها ، إلا أنها سقطت فى أيدى البربر ، الذين أجروا فيها على الفور مذبحة رهيبة ، راح ضحيتها الآلاف من الضحايا الأبرياء .

لكن المهدى أبى أن يستسلم لهذه النتيجة ، فهرب إلى طليطلة وجمع جموعاً من الإفرنجة وعساكر الثغور ، وعاد إلى مهاجمة قرطبة ، وفعلا تمكن من الاستيلاء عليها بعد شدائد وأهوال ، إلا أنه للمرة الثانية يعثر به حظه ، فيختلف عليه جنده ، ثم يتخلصون منه بالقتل ، ويصبح الجو خالياً لسليمان المستعين ، فيدخل المدينة دخول الظافر المنتصر .

إلى هنا ويمكن أن تستقر الأحوال وتهدأ الأمور ، فقد تم لسليمان تحقيق أطماعه شخصيا بتولى الخلافة ، ثم تحقيق آمال الكثيرين ممن كانوا يهوون عودة الأسرة الأموية إلى الحكم .

لكن سليمان فى الحقيقة لم تكن فيه صفة واحدة من صفات الكفاءة التى كان يتمتع بها معظم الخلفاء الأمويين ، فاكتفى بتحقيق ملذاته هو . ثم ترك لجنده من البربر أن يفعلوا بالمدينة ما يحلو لهم من نهب وسلب واعتداء على الحرمات بشكل لم يسبق له مثيل .

وقد استمر هذا الوضع الشاذ سبع سنوات ، يصفها مؤرخ الأندلس ابن حيان[4] ، بأنها :

---

(١) أنقل هنا بتصرف عن كتاب : تاريخ الأدب الأندلسى (عصر سيادة قرطبة) للدكتور إحسان عباس ،

(٢) ترجمته فى : جذوة المقتبس ١٨ ، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ٤٠ ، البيان المغرب ٣/٥٠ .

(٣) هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ، ترجمته فى جذوة المقتبس ١٩ ، الذخيرة ١/١/٢٤ .

(٤) هو حيان من خلف بن حسين بن حيان الأندلسى ، صاحب كتاب « المقتبس فى تاريخ الأندلس » ترجمته فى جذوة المقتبس ١٨٨ ، وفيات الأعيان ١/١٦٨ .

كانت كلها شداداً نكدات ، صعاباً مشئومات ، كريهات المبدأ والفاتحة ، قبيحة المنتهى والخاتمة لم يعدم فيها حيف ، ولافورق خوف ، ولا تم سرور ، ولافقد محذور ، مع تغير السيرة وخرق الهيبة ، واشتعال الفتنة واعتلاء المعصية ، وطعن الأمن وحلول المخافة[1] » .

ومن الطبيعى أن يعيش الناس هذه السنوات فى هلع دائم ورعب متصل ، فقد كان البربر خلالها يترصدون الحرم والدور بالهتك والسلب ، ولقد بلغ من إشفاق الناس يومئذ أنهم استفتوا شيوخ المالكية فى تعجيل صلاة العتمة قبل وقتها خوفاً من القتل ، إذ كان متلصصة البربر يقفون لهم فى الظلام فى طرق المسجد فربما آذوهم إيذاء شديداً[2] .

وقد قضت هذه الفتنة على كثير من العلماء والأدباء بالموت والتشريد ويكفى أن نلقى نظرة على كتاب الصلة لابن بشكوال حتى نجد فيه الكثير ممن ترجم لهم من العلماء : إما قتلوا فى الفتنة أو آثروا الهجرة إلى المدن الأندلسية الأخرى .

ولقد كان من بين هؤلاء المهاجرين ، أبو عمر بن عبد البر ، الذى اضطر تحت هول مارآه من حوادث إلى ترك بلده الحبيبة ومربع صباه ، خصوصاً وقد أثر فى نفسه قتل أستاذه الكبير وصديقه المعظم : أبى الوليد بن الفرضى مظلوماً فى بيته بيد البربر الذين لم يرعوا للرجل علمه ومكانته ، أو يرحموا فيه ضعفه وشيخوخته[3] .

تجوله فى بلاد الأندلس :

خرج أبو عمر من قرطبه مهاجراً — أو على الأصح — هارباً إلى غيرها من بلاد الأندلس ويبدو أنه فى خروجه ذاك لم يكن يقصد بلدة بعينها ، إذ لم تترك له الحوادث الرهيبة التى خلفها وراءه فرصة للتفكير أو الاختيار .

---

(١) الذخيرة ١/١ ، ٢٥ .

(٢) الإحكام فى أصول الأحكام لابن حزم ٣/٦٧ .

(٣) انظر قصة استشهاد هذا العالم فى جذوة المقتبس : ٢٣٨ ، بغية الملتمس ٣٢٠ ، وفيات الأعيان ١/٢٦٨ .

هذا إلى جانب أن بلاد الأندلس نفسها — بعد انفراط عقد الخلافة الأموية ، وزوال أسرة المنصور بن أبى عامر ، كانت قد فقدت وحدتها ، وأخذت تفور بالفتنة والقلاقل وقد أخذ كل وال يستقل بما تحت يده من ولايات ، ويحارب جيرانه من حكام الولايات الأخرى إما طمعاً فيما تحت أيديهم ، أودَرْءاً لأطماع غيره فيه ، فلم يكن هناك — والحالة هذه — مكان يمكن أن يلجأ اليه هو أفضل من غيره .

وأخذ أبو عمر فى هذه الفترة يجول فى بلاد غرب الأندلس ؛ مستغلا جولته الاضطرارية هذه فى الاستماع إلى علماء هذ البلاد والأخذ عنهم ، ومن بينهم خاصة من أتيحت له فرصة الذهاب إلى المشرق والتلقى عن أساتذته ، وقد لقى من هؤلاء كثيرين بذكرهم الحميدى فى ترجمته فى جذوة المقتبس .

وعلى الرغم من أن هذه الفترة من حياته ، والتى نعتقد أنها كانت قريبة من عشر سنوات — كانت فترة غنية حقا بما أخذه عن هؤلاء العلماء ، إلا أنها كانت من جهة أخرى كافية لحياة التجول وعدم الاستقرار التى يحياها ،ومن هنا أخذ أبو عمر يتطلع من حوله إلى الدويلات الكثيرة التى ملأت رقعة الأندلس ، فلم ير دولة هى أحق بالاستقرار وكفالة حياة هادئة لمن يريد خيراً من دانية التى تقع فى أقصى شرق الأندلس ، والتى يحكمها أمير حازم شجاع ، يحترم العلم ويقرب العلماء ، هو الأمير مجاهد العامرى .

صاحب دانية : مجاهد العامرى (١) :

كان أبو الجيش مجاهد بن عبد الله العامرى مولى رومياً من موالى عبد الرحمن الناصر ابن المنصور محمد بن أبى عامر ، ولكنه كان متحلياً بالعلم والشجاعة والإقدام ، وحين انتهى أمر الدولة العامرية ودبت الفرقة وعوامل الانحلال فى جسم الدولة ، وسارع كل حاكم إلى تقطيع

---

(١) اعتمدنا فيما كتبناه هنا عنه ، على : جذوة المقتبس ٣٣١ ، بغية الملتمس ٤٥٧ ، البيان المغرب ٣/١٥٥ ، مقدمة التحقيق لكتاب المحكم لابن سيدة .

أوصالها والاستقلال بأجزائها ، ذهب مجاهد بجمع من موالى العامريين إلى شرق الأندلس ، فاستولى على دانية وما والاها من جزائر : ميورقة ومنورقة ويابسة عام ٤٠٦ أو ٤٠٧ هـ.

وحين استقرت به الحال فى الدولة الجديدة ، تطلع به طموحه إلى جزيرة سردانية القريبة منه ، وسرعان ما هاجمها وضمها إلى ملكه ثم جعلها قصبة بلاده ، ولكن ملوك ألمانيا وإيطاليا خشوا خطورة هذا المغامر الجرىء الذى أصبح على مرمى حجر من قلب بلادهم فوجهوا إليه الجيوش والأساطيل تكيل له الضربات الساحقة فى وحشية وعنف حتى أفلتتها من يده فى موقعة بالغة الضراوة ، عاكست فيها الرياح أسطوله ودفعته دفعا إلى أيدى أعدائه فنجا هو من القتل بشق النفس ، على حين أسر أولاده وبعض نسائه ولم يستطع افتداءهم إلا بعد فترة طويلة من الزمن .

بعد هذه المغامرة الفاشلة لم يفكر مجاهد مرة أخرى فى الغزو ، بل اتجه بكليته إلى إمارته يصلح من أمورها ويعنى بشئونها ، حتى أصبحت تتمتع بقسط وافر من الأمن والرخاء والاستقرار دام نحواً من ثلاثين عاماً ، حتى وقت وفاته سنة ٤٣٦ هـ .

ولعل أهم ما كان يمتاز به مجاهد إلى جانب كفاءته الإدارية وشجاعته ، هو حبه الشديد للعلم والعلماء ، ويذكر المؤرخون عنه أنه كان ذا دراية بعلوم العربية ، وتصرف فى علوم القرآن : قراءاته ومعانيه وغريبه ، عنى بطلب ذلك من صباه إلى اكتهاله وجمع من الكتب مالم يجمعه أحد من نظرائه ، وأتت إليه العلماء من كل صقع ، فاجتمع لديه جملة من مشيختهم ومشهور طبقاتهم ، فكان وزيره والمتصرف فى دولته أبو العباس أحمد بن رشيق الكاتب[1] إلى جانب بعض أمثال العلماء كأبى عمرو الدانى[2] وابن سيده[3] وكان له من المصنفين عدة يقومون على التصنيف فى علوم القرآن خاصة ويشاركون فى فنون أخرى من العلم ، يجملون بها ملكه ويشرّفون دولته ، حتى اشتهرت دانية آنذاك بأن أهلها أقرأ الناس للقرآن ، وأكثرهم معرفة بعلومه .[4]

(١) انظر ترجمته فى : جذوة المقتبس ١١٤ ، بغية الملتمس ١٦٦ ، وليس هو بالطبع أبا الحسن بن رشيق القيروانى صاحب العمدة .

(٢) عثمان بن سعيد بن عمر الدانى ، عالم القراءات الكبير ؛ ترجمته فى نفح الطيب ١/٣٨٦ ، معجم الأدباء ٥/٣٦ .

(٣) على بن إسماعيل بن سيده ، صاحب المخصص والمحكم ، ترجمته فى بغية الملتمس ٤٠٥ ، وفيات الأعيان ١/٣٤٢ .

(٤) معجم البلدان لياقوت ، ط بيروت ، مادة دانية .

لهذا ليس غريباً أن تصادف دانية ، من بين دول الأندلس جميعاً . هوى قويا من نفس أبى عمر بن عبد البر ، فيذهب إليها ويلقى بها عصا الترحال ، وقد وجد أخيراً المكان الذى حلم به مستقراً وملاذاً .

ابن عبد البر فى دانية :

تعد الفترة التى قضاها أبو عمر فى دانية من أخصب فترات حياته إنتاجاً ، ففيها ألف معظم كتبه المطولة التى اشتهر بها ، وتدلنا رسالة ابن حزم التى كتبها[1] فى فضل الأندلس وذكر رجالها ، وهى رسالة كتبت نحو سنة ٤٢٢ ﻫ . على ما كان يتمتع به أبو عمر فى ذلك الوقت من شهرة وما تحتله كتبه من مكانة ، فيقول : « ومنها كتاب التمهيد لصاحبنا أبى عمر يوسف ابن عبد البر ، وهو الآن بعد فى الحياة لم يبلغ سن الشيخوخة ، وهو كتاب لا أعلم فى فقه الحديث مثله أصلا فكيف أحسن منه ، ومنها كتاب الاستذكار وهو اختصار التمهيد المذكور ، ولصاحبنا أبى عمر بن عبد البر المذكور كتب لامثيل لها منها : كتابه المسمى الكافى فى الفقه على مذهب مالك وأصحابه ، خمسة عشر جزءاً ، وكتابه فى الصحابة ، والاكتفا ، ثم بهجة المجالس ، وجامع بيان العلم .. » .

وليست هذه بالطبع كل مؤلفات أبى عمر ، ولكنها تكاد تكون أهمها كلها . وهى كما قلنا التى قامت عليها أساساً شهرة أبى عمر فى كل أرجاء الأندلس . وجعلت طلبة العلم يهرعون إلى دانية للتلقى عن الحافظ الكبير والسماع عليه ، حتى كان سنده مما يتفاخر به بينهم .

ويمكننا أن نقول إن أبا عمر أحس بالسعادة الحقة فى دانية . وبادل أهلها حبا بحب . حتى إن الظروف حينما دعته بعد ذلك إلى الرحيل عنها — كما سنبين فيما بعد أبى بعد انتهاء هذه الظروف إلا أن يقضى شيخوخته يتردد بين دانية وما جاورها من المدن القريبة منها وحتى إنه تحقيقاً لهوى أهل دانية وحب أهلها لعلوم القرآن . ألف فى القراءات أربع كتب لا بأس من من ذكرها وهى :

---

(١) انظر هذه الرسالة فى نفح الطيب ٧٦٧/٢ ، تاريخ الأدب الأندلسى (عصر سيادة قرطبة) للدكتور إحسان عباس ٢٩١ .

١ — البيان عن تلاوة القران .

٢ — الاكتفاء فى القراءة .

٣ — الإنصاف فيما فى بسم الله من الخلاف .

٤ — التجريد ، والمدخل إلى علم القراءات بالتجويد .

توليه القضاء فى الأشبونة وشنترين :

يذكر المؤرخون أن أبا عمر تولى قضاء الأشبونة وشنترين لفترة من الوقت فى عهد المظفر بن الأفطس صاحب بطليوس[٤] . ولما كانت هذه البلاد فى غرب الأندلس . فهو لابد إذاً قد فارق شرق الأندلس . أو بتعبير أدق فارق دانية . وهى كما قلنا مهد شهرته ومركز أمنه وراحته . فكيف فارقها وهى على حد قول ابن سعيد : « الأفق الدانى الذى ظهر فيه علمه . وعند ملوكه خفق علمه[٢] » .

الحق أن المؤرخين لم يذكروا شيئاً عن السبب فى ذالك ، ولكن يمكننا أن نقول — بناء على تطورات الأحداث فى دانية نفسها — إن أبا عمر ترك دانية مضطرا ، ولعل السبب فى ذلك يرجع فى المرتبة الأولى إلى وفاة مؤسس دانية وراعيها الأمير مجاهد العامرى فى عام ٤٣٦ ﻫ ، وعلى الرغم من أن ابنه إقبال الدولة على بن مجاهد[٣] ، كانت له نفس ميول أبيه العلمية نحو تكريم العلماء والحدب عليهم ، إلا أننا نكاد نلمح فى بعض تصرفاته ما يشير إلى أنه لم تكن له شخصية والده القوية ولا سعة صدره ، فقد غضب مثلا على ابن سيده العالم اللغوى الضرير ، واضطر هذا إلى الهرب والاختفاء ، ولم يتمكن من الظهور فى دانية إلا بعد أن عفا عنه إقبال الدولة ، بعد أن استعطفه ابن سيده بقصيدة مؤثرة .

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن سلمة التجيبى الأندلسى ، الملك المظفر أبو بكر بن الأفطس ، تولى سنة ٤٣٧ ﻫ وكان من أعاظم ملوك الطوائف ، عالماً بالأدب . انظر ترجمته فى البيان المغرب ٣/٢٢٠ ، الوافى بالوفيات ٣/٢٢٣ .

(٢) المغرب ٢/٤٠٧ .

(٣) ترجمته فى البيان المغرب ٣/١٥٧ ، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ٧٤

ولكن هذا الأمر فى الواقع مجرد فرض ، فنحن لا نعرف حادثة واحدة وقعت بين أبى عمر وبين إقبال الدولة تدل على قطيعة أو جفاء ، ولكننا نحسب نحاول استنتاج الأسباب التى دفعت أبا عمر إلى ترك مستقره فى أنصى شرق الأندلس والهجرة إلى أقصى غربها، وربما أمكننا القول بأن الحالة القلقة لدول ملوك الطوائف فى الأندلس عموماً كانت تعكس ظلالها على نفوس الأدباء والعلماء ، فتجعلهم دائماً يبحثون عن المكان الأكثر استقراراً والأشد طمأنينة ، وبالنسبة لأبى عمر خاصة فإن التجربة المريرة التى عاشها فى قرطبة أثناء الفتنة البربرية تجعله أكثر حساسية من غيره فى هذا الصدد .

لهذا لا نستبعد أن يكون قد قدّر فى نفسه أن دانية يحكمها حدث صغير تحيط به الأعداء من كل جانب [1] على حين نقوم فى بطليوس دولة فى طور التكوين يتولى أمرها حاكم يتصف بالحزم والشجاعة ، فاحتمالات المستقبل بالنسبة لها أكبر وأفضل ، ولهذا فهو يقرر الهجرة إليها .

ويبدو أن أبا عمر قد استقبل فى بطليوس استقبالاً كريماً ، وعرف له المظفر مكانته وفضله فولاه قضاء الأشبونة وشنترين وهما من أكبر مدن الأندلس ، ولكننا لا نعرف بدء تاريخ توليه هذا المنصب ، ولا المدة التى قضاها فيه ، وإن كنا نرجح — بناء على ما كانت تتميز به طبيعة أبى عمر من هدوء وحب للاستقرار — أنه قضى فيه زمناً طويلاً ، استمر حتى وفاة المظفر سنة ٤٦٠ هـ .

أما الأعوام القليلة الباقية من عمره ، فقد قضاها متنقلا فى بلاد شرق الأندلس التى أحبها طول حياته ، فكان يتردد بين دانية وبلنسية وشاطبة ، وهذه الأخيرة مات فيها عام ٤٦٣ هـ [2] بالغاً من العمر خمسة وتسعين عاماً وخمسة أيام .

---

(١) سقطت دانية سنة ٤٦٨ هـ فى يد المقتدر بن هود ، واضطر على بن مجاهد إلى الرحيل عنها إلى سرقسطة وأقام بها إلى أن توفى سنة ٤٧٤ هـ .

(٢) ذكر الحميدى فى الجذوة وتابعه صاحب البغية ، أن ابن عبد البر توفى سنة ٤٦٠ هـ ، وليس هذا صحيحاً فقد ورد فى كل المراجع الأخرى سنة وفاته التى ذكرناها بالتحديد ، ولعل خطأ الحميدى راجع إلى أنه كان فى بغداد آنذاك ، وهو نفسه لا يورد كلامه بصيغة اليقين ، إذ يقول : بلغنى وفاته سنة ٤٦٠ ، أقول : ثم إن الخطيب البغدادى الذى توفى هو وأبو عمر فى سنة واحدة ، توفى سنة ٤٦٣ بلا خلاف .

ومن المصادفات الغريبة أن يموت فى نفس العام الخطيب البغـــدادى ، المؤرخ والمحدث المشهور وكان يعرف بحافظ المشرق ، فيقـول الناس : مات حافظا المشرق والمغرب فى سنة واحدة .

شخصيته وأخلاقه :

لعل أهم ما كان يمتاز به أبو عمر — رحمه الله — هو الدأب فى طلب العلم والانقطاع إليه ، وصرف النظر عما عدا ذلك من أمور الدنيا ومغرياتها ، وحسبه منها أن تترك له مـكاناً آمناً وملاذاً مستقراً ، يفرغ فيه إلى التقييد والتأليف ، أو يلتقى فيه بتلاميذه وراغبى علمه فإن توفر له ذلك فهو قادر على إعطاء الناس من جهده الدائب وعمله النشيط ، مالا يرجو عليه إلا ثواب الله وحسن مـكافأته ، وهو فى هذه الناحية يـكاد يرتفع إلى مرتبة الأنبياء الذين عناهم الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله : « علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل » .

ويذكر المؤرخون أنه كان : ديناً صيتاً حجة ثبتاً ، ولعل ذلك من صفات يؤدى إلى صفات أخرى أهمها : طيبة القلب ، وتحرى الصدق ، وطهارة اليد والضمير ، وهى فى مجموعها الصفات التى تغلب على من يشتغلون بحديث الرسول الـكريم ، وليس أحق من أبى عمر بالاتصاف بها فقد كان شيخ حفاظ الحديث ومن أعظم من أنجبته الأندلس من رجالها فيه .

ولـكن إذا كانت هذه الصفات فى مضمونها تحمل كثيراً من معنى المسالمة والموادعة ، فإنها فى الحقيقة لاتعنى التفريط فى الـكرامة ، أو الاستهانة بقدر العلم .

وهذا ما كان يؤمن به أبو عمر ، ويحرص عليه طول حياته ، إذ كان مع ما يمتاز به من دماثة فى الخلق ، من أشد الناس حفاظاً على كرامته ، ومعرفة بقدر العلم ومـكانته .

أما احترام العلم فى مفهومه ، فقد كان يعنى أن يجعل الجهد فيه خالصاً لله ، موجها إلى التماس مرضاته .

وثمة حادثة تبين حرصه الشديد على التمسك بهذا المفهوم ، فالمعروف أنه قضى مدة طويلة

فى دانية ، فى رعاية أميرها مجاهد العامرى وكان مما يؤثر عن مجاهد أنه كان يميل كثيراً إلى ذكر اسمه فى مقدمات مؤلفات العلماء باعتباره المشجع على تأليفها ، الحاث على إخراجها ، ولقد ذكره ابن سيده فى مقدمة كتابيه « المحكم » و « المخصص » ، ولا شك أن غيره ممن كانوا يظفرون بإكرام الأمير ورعايته فعل ذلك أيضاً . وتدل قصة ذكرها ابن حزم فى رسالته التى أشرنا إليها قبل « فى فضل علماء الأندلس » على مبلغ الحرص الشديد لدى مجاهد فى هذه الناحية ، يقول ابن حزم : وها هنا قصة لاينبغى أن تخلو رسالتنا عنها وهى : أن أبا الوليد عبد الله بن محمد بن عبد الله المعروف بابن الفرضى ، حدثنى أن أبا الجيش مجاهداً العامرى ، صاحب الجزائر ودانية ، وجه إلى أبى غالب [1] — أيام غلبته على مرسية — وأبو غالب ساكن بها ، ألف دينار أندلسية على أن يزيد فى ترجمة الكتاب المذكور « مما ألفه تمام بن غالب لأبى الجيش مجاهـــد » فرد الدنانير ، وأبى من ذلك . ولم يفتح فى ذلك باباً ألبتة ، وقال : « والله لو بذل لى الدنيا على ذلك ما فعلت ، ولا استجزت الكذب ، لأنى لم أجمعه له خاصة بل لكل طالب عامة » .

وكذلك كان أبو عمر ، إذا لم نَرَ له ، والثابت أنه ألف معظم كتبه ، والهامة منها بصفة خاصة فى دانية . كتاباً واحداً يرد فيها ذكر مجاهد أو الإشارة إليه .

قد تكون هناك بعض الكتب والرسائل الصغيرة مما لم يصل إلينا من مؤلفات ابن عبد البر قد جاء فيها ذكر ذلك الأمير ، ولكننا لا نعتقد أن هذا — إن كان قد وقع — ممـــا يمكن أن يقنع به مجاهد . أو حتى يشرف به . باعتباره عملاً كبيراً أشار بتنفيذه . والغالب أن هذا كان مبدأ أبى عمر فما لم يفعله فى الكبيرة لم يفعله فى الصغيرة . وبين أيدينا ثلاثة من كتبه الصغيرة التى طبعت وهى : القصد والأمم فى التعريف بأصول أنساب العرب والعجم ، والإنباه على قبائل الرواة ، والانتقاء فى فضائل الثلاثة الفقهاء . ليس فيها ذكر أحد . وكذلك كتبه الكبيرة كالتمهيد والاستيعاب وبهجة المجالس لانرى فيها إلا ذكر الله وحده ، والتقرب بها إلى مرضاته .

---

(١) هو تمام بن غالب المعروف بابن التيانى ، أبو غالب المرسى ، ترجمته فى الجذوة ١٧٢ البغية ٢٣٦ ، أما هذا الكتاب المذكور فى الخبر فهو كتابه « الموعب » فى اللغة .

وكما وقر أبو عمر العلم ، وترفع به عن أن يكون مقصوداً به غير وجه الله ، كذلك وقره العلم وكرمه ، ورفع من شأنه بين العامة والخاصة ، فكان مهاباً حتى بين أيدى الطغاة والجبابرة.

ولقد حدث أن وصل ابن لأبى عمر وهو المعروف بأبى محمد بن عبد البر [1] إلى مرتبة الوزارة فى إشبيلية لدى ملكها المعتضد بن عباد [2] ، وكان المعتضد ممن عرفوا بالسطوة والتجبر حتى ليقال إنه جعل فى حديقة قصره أعمدة على هيئة الأشجار طلعها رءوس أعدائه وأوراقها آذانهم ، وقد حدث أن غضب المعتضد على كاتبه ووزيره أبى محمد بن عبد البر ، وأمر بإلقائه فى غياهب سجنه .

ويذكر ابن الأبار هذه الحادثة ثم يقول : « سمعت بعض شيوخى يحكى أن أباه الإمام أبا عمر بن عبد البر سار فى أمره من مستقره بشرق الأندلس ، وهو حينئذ يتردد بين بلنسية وشاطبة فلأول دخوله على عباد نادى رافعاً صوته : ابنى يا معتضد ، ابنى يا معتضد . فشفعه فيه وانصرفا عنه محفوفين بالإكرام ، ومكنوفين بالاحترام » [3] .

ولا شك أن ذلك العفو السريع ، ما كان لينتزع من بين فكى المعتضد ، لولا هيبة العلم ووقار الورع ، قد أجبرا الطاغية على الرضوخ لهما ، والاستسلام العاجل لأمرهما .

شيوخه :

امتازت ثقافة أبى عمر بالأصالة والعمق وكثرة تنوعها ووفرة مصادرها ، ويبدو هذا واضحاً فى مؤلفاته العديدة التى تمتاز من حيث موضوعاتها بالإحاطة والشمول ، كما تمتاز من حيث المادة بالوفرة والدسامة ، حتى لنحس عند قراءتها بأن المؤلف يستمد ما يذكره فيها من معين لا ينضب من رواياته وسماعاته ، وبأنه لا يتكلف جهداً كبيراً فى الإحاطة بموضوعه ، وطرق جوانبه المتعددة فى سهولة ويسر .

---

(١) ترجمته فى الجذوة ٢٤٩ .

(٢) ترجمته فى البيان المغرب ٢٠٤/٣ ، وفيات الأعيان ٢٨/٢ ، شذرات الذهب ٣١٦/١ ، جذوة المقتبس ٢٧٧ .

(٣) إعتاب الكتاب لابن الأبار ٢٢١ .

والواقع أن ذلك لم يتأت لأبى عمر إلا نتيجة لجهده المتواصل فى التلقى عن العلماء والدأب الذى لا يكل فى القراءة والاطلاع .

وثمة ناحية معروفة شهيرة فى حياة ابن عبد البر ، وهى أنه لم يرحل إلى المشرق فى طلب العلم كعادة العلماء الأندلسيين ، مع أن هذه الرحلة كانت مما يرفع من شأن العالم بين أقرانه ويجعل له بينهم منزلة خاصة ، والواقع أننا لا نعرف أية ظروف حالت بينه وبين ذلك ، وإن كان يمكننا أن نؤكد أنها ظروف خارجة عن إرادته ، إذ أن الرجل عاش طول حياته بعد ذلك يعوض ما اعتبره نقصاً فيه ، وذلك بالحرص على مقابلة من رحل إلى المشرق من العلماء ، والتلقى عنهم ما استمعوا إليه من علم ، وتلك ظاهرة واضحة تمام الوضوح ، تكفى النظرة العاجلة إلى كتاب جذوة المقتبس للحميدى ، لإثبات صحتها ، فقد ذكر الحميدى عدداً كبيراً من تراجم العلماء الذين رحلوا إلى المشرق ، والعجيب أنه لا تكاد تخلو ترجمة منها عن ذكر : أن أبا عمر استمع على صاحبها ، وقرأ عليه كتاب كذا وكذا من المؤلفات المشرقية .

وهكذا فإن ما اعتبره أبو عمر نقصاً وشراً بالنسبة إليه ، كان فى الحقيقة خيراً وبركة ، إذ أنه حرص على تقييد ما تلقاه وإثباته فى مؤلفاته ، ربما أكثر من حرص هؤلاء العلماء أنفسهم على تقييده وإثباته .

وعلى أية حال ، فأمامنا الآن جملة وافرة من شيوخ أبى عمر ، يمكن أن نقسمهم إلى قسمين :

١ — الشيوخ الذين تلقى عنهم فى نشأته ، ولازمهم ملازمة طويلة ، وكان لهم أثر فى تحديد اتجاهه العلمى فى المستقبل .

٢ — الشيوخ الذين تلقى عنهم لفترة من الوقت ، وكانت تتوفر فيهم خاصة صفة الرحيل إلى المشرق .

أما القسم الأول من العلماء ، فمنهم :

١ — عبد الله بن محمد يوسف ، المعروف بابن الفرضى ، أبو الوليد القاضى ، صاحب تاريخ

العلماء والرواة بالأندلس ، كان حافظاً متقناً ، عالماً ذا حظ وافر من الأدب ، له رحلة طويلة فى بلاد المشرق فى طلب العلم ، وقد سمع على جلة من المشايخ بمصر وإفريقية ومكة .

قرأ عليه أبو عمر : كتابه فى التاريخ ، وكتابه المؤتلف والمختلف فى أسماء الرجال ، ورسالة ابن أبى زيد القيروانى فى الفقه ، وكتاب المنبه لذوى الفطن على غـــوائل الفتن لأبى الحسن القابسى[1] .

٢ — أحمد بن محمد بن عبد الله المقرى الطلمنكى ، أبو عمر ، محدث منسوب إلى بلده ، كان إماما فى القراءات ، وثقة فى الرواية . رحل إلى المشرق رحلة طويلة ، وسمع على عدد وافر من العلماء بالأندلس والمشرق ، شيخ أبى عمر فى القراءات والحديث[2] .

٣ — أحمد بن عبد الملك بن هاشم ، أبو عمر ، المعروف بابن المكوى الإشبيلى ، كان فقيهاً معظماً ، ومفتياً مقدماً على جميع من إليه الفتوى بقرطبة ، جمع هو وأبو مروان المعيطى الفقيه كتاباً ضخماً فى أقاويل مالك رحمه الله ، لازمه أبو عمر مدة طويلة وكتب بين يديه[3] .

٤ — عبد الوارث بن سفيان بن جبرون ، من تلاميذ قاسم بن أصبغ البيانى[4] ومن أشهر أهل قرطبة بصحبته حتى يقال إنه قلما فاته شىء مما قرىء عليه .

لازمه أبو عمر مدة طويلة ، وقرأ عليه : مصنف قاسم بن أصبغ فى السنن ، ومصنف وكيع ابن الجراح ، وكتابى المعارف وشرح غريب الحديث لابن قتيبة[5] .

٥ — سعيد بن نصر ، أبو عثمان ، محدث فاضل أديب ، كان من أهل الدين والورع والفضل معرباً فصيحاً ، قرأ عليه أبو عمر كتاب المجتبى لقاسم بن أصبغ[6] .

---

(١) الجذوة ٢٠٧ .
(٢) المصدر نفسه : ١٠٦
(٣) المصدر نفسه ١٢٣ .
(٤) إمام من أئمة الحديث ، حافظ مكثر مصنف ، وكان من الثقة والعلم بحيث اشتهر أمره وعلا ذكره وقد روى عنه جماعة من أكابر علماء بلده ، توفى سنة ٣٤٠ هـ الجذوة ٣١٢ .
(٥) الجذوة ٢٧٦ .
(٦) المصدر نفسه : ٢١٨ .

٦ — أحمد بن فتح بن عبد الله التاجر ، رحل إلى مصر وإفريقية وسمع على جلة من علمائهما ، قرأ عليه أبو عمر كتاب الدار ومقتل عثمان لعمر بن شبة النميرى فى سبعة أجزاء[1] .

٧ — أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التاهرتى البزاز ، كان ثقة فاضلا ، اختص بالقاضى منذر بن سعيد البلوطى وسمع منه تواليفه كلها .

سمع منه أبو عمر كتب أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، ومنها : صريح السنة وفضائل الجهاد ورسالته إلى أهل طبرستان المعروفة بالتبصير[2] .

٨ — يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث ، أبو الوليد ، قاضى الجماعة بقرطبة ، يعرف بابن الصفار ، من أعيان أهل العلم ، كان زاهداً فاضلا يميل إلى التحقيق والتصوف ، وله فيه مصنفات . قرأ عليه أبو عمر كتبه : المنقطعين إلى الله عز وجل، كتاب المتهجدين ، كتاب النسيب والتقريب ، وسمع منه كذلك أشعاره فى الرقائق والزهد[3] .

٩ — أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد ، المعروف بابن الجسور ، محدث مكثر مؤرخ ، قرأ عليه التاريخ المعروف بذيل المذيل لأبى جعفر بن جرير الطبرى[4] .

١٠ — خلف بن قاسم بن سهل ويقال ابن سهلون ، المعروف بابن الدباغ ، كان محدثاً مكثراً حافظاً ، رحل إلى مصر ومكة والشام ، وسمع عدداً من علماء هذه البلاد لايحصون كثرة ، ويقول الحميدى : سمع عنه شيخنا أبو عمر الحافظ فأكثر ، وكان لايقدم عليه من شيوخه أحداً ، وذكره لنا فقال : أما خلف بن القاسم بن سهل الحافظ فشيخ لنا وشيخ لشيوخنا أبى الوليد بن الفرضى وغيره ، كتب بالمشرق عن نحو ثلاثمائة رجل ، وكان من أعلم الناس برجال الحديث وأكتبهم له[5] .

هؤلاء هم من نستطيع أن نقول : إنهم شيوخ ابن عبد البر الذين تلقى عنهم فى مطلع حياته،

---

(١) الجذوة ١٣٢ .
(٢) المصدر نفسه : ١٣٢ .
(٣) المصدر نفسه : ٣٦٢ .
(٤) المصدر نفسه : ٩٩ .
(٥) المصدر نفسه : ١٩٥ .

ولازمهم مدة طويلة حتى تأثر بهم فى منهج تفكيرهم ، وا كتسب منهم ثقافته العلمية ، والملاحظ أنهم جميعاً من رجال الحديث والفقه والتاريخ والقراءات ، وهى العلوم التى قامت عليها أساساً مؤلفات ابن عبد البر . وعليها انبنت شهرته .

وبالإضافة إلى هؤلاء هناك رجال القسم الثانى الذى أشرنا إليه من قبل ممن تلقى عنهم أبو عمر وهم فى الحقيقة لايقلون أهمية عمن ذكرنا فى مـــدى استفادته منهم ، ونخص منهم بالذكر :

١ — أحمد بن قاسم بن عيسى ، أبو العباس المقرئ الأقليشى . له رحلة إلى بغداد وغيرها. ويقول أبو عمر عنه : إنه سمع من أبى القاسم عبد الله بن محمد بن حبابة حديث على بن الجعد وسمعناه منه . وكتبت عنه منثوراً كثيراً ، وكتب عنى رحمه الله[1] .

٢ — إسماعيل بن عبد الرحمن ، أبو القرشى العامرى ، ولد فى مصر ، وسمع جماعة من أكابر علمائها ، ثم قدم الأندلس فسكن إشبيلية سنين كثيرة قبل موت المنصور بن أبى عامر . قال أبو عمر : حدثنا إسماعيل بن عبد الرحمن بكتاب أبى إسحاق بن شعبان فى مختصر ما ليس فى مختصر ابن عبد الحكم ، وبكتابه فى الأشربة ، وبكتابه فى النساء عن أبى إسحـــاق سماعاً عنه[2] .

٣ — سلمة بن سعيد الأستجى ، محدث له رحلة ، سمع منه أبو عمر كتاب : التأمين خلف الإمام ، وشرح قصيدة ابن أبى داود ، عن أبى بكر الآجرى من علماء مكة وهما من تأليفه[3] .

٤ — عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أسد الجهنى البزاز ، سمع بالأندلس ، ورحل ، فسمع بالحجاز ومصر والشام جماعة . سمع منه أبو عمر مصنف أبى عبد الرحمن بن شعيب النسائى[4] .

---

(١) الجذوة : ١٣٣ .

(٢) المصدر نفسه ١٥٣ .

(٣) المصدر نفسه ٢١٩ .

(٤) المصدر نفسه ٢٣٤ .

٥ — عبدالله بن محمد بن عبد المؤمن ، رحل إلى العراق وغيرها وسمع كثيراً من مشهورى العلماء بالمشرق ، روى عنه أبو عمر كثيراً(١) .

٦ — عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمدانى الوهرانى ، محدث ثقة ، رحل إلى العراق وغيرها(٢) .

٧ — عبد الرحمن بن مروان القَنَازعى أبو المطرِّف ، له رحلة إلى المشرق سمع فيها من بعض أصحاب البغوى ، روى عنه أبو عمر(٣) .

٨ — عبدالرحمن بن يحيى بن محمد ، أبوزيد العطار ، رحل إلى المشرق ، وسمع منه أبو عمر جامع ابن وهب(٤) .

٩ — عبد العزيز بن أحمد النحوى ، أبو الأصبغ ، ويعرف بالأخفش ، قرأ عليه أبو عمر كتباً فى النحو والأدب ، له رحلة إلى المشرق(٥) .

١٠ — على بن إبراهيم بن حمويه الشيرازى ، أبو الحسن ، قدم الأندلس ، وحدث بها ، وروى عنه أبو عمر(٦) .

هؤلاء قليل من كثير من قرأ عليهم أبو عمر وروى عنهم ، والواقع أن حصر الشيوخ الذين قرأ عليهم المصنف مما لا يتيسر بسهولة ويسر ، إذ هو كما يقول الحميدى : قديم السماع كثير الشيوخ ، ولعل فيمن ذكرناه منهم دليلا كافياً على اجتهاد أبى عمر ودأبه فى طلب العلم وعلى أنه من ناحية أخرى لم يستحق لقب حافظ الأندلس وغيره من ألقاب التشريف التى خلعها عليه المؤرخون عبثاً ، إذ أننا فى الحقيقة لا نرى مثله فى الحرص على العلم والاستكثار منه ، فى كل من ترجم لهم الحميدى من العلماء سوى واحداً آخر هو ابن حزم الذى يفخر هو نفسه بأنه عاصر واحداً من الأئمة المجتهدين هو أبو عمر بن عبد البر(٧) .

---

(١) الجذوة : ٢٣٥ .
(٢) المصدر نفسه ٢٥٦ .
(٣) المصدر نفسه ٢٦٠ .
(٤) المصدر نفسة ٢٦١ .
(٥) المصدر نفسه ٢٦٩ .
(٦) المصدر نفسه ٢٩٤ .
(٧) انظر جوامع السيرة لابن حزم ، تحقيق الدكتورين إحسان عباس وناصر الدين الأسد ص ٣٣٥ .

مؤلفاته :

يقول ابن خلكان : « كان أبوعمر — رحمه الله — موفقاً فى التأليف معاناً عليه ، وقد نفع الله بكتبه »[1] والواقع أن هذا صحيح تماما ، فقد ترك لنا أبو عمر مكتبة قيمة من مؤلفاته ، تشمل علوم الفقه والحديث والتاريخ والسير والأنساب والأدب وغيرها .

وهذه المؤلفات بعضها موسوعات ذات أجزاء كثيرة ، وبعضها رسائل صغيرة يمكننا أن نورد لها ثبتاً فيما يلى :

١ — التمهيد لما فى الوطأ من المعانى والأسانيد ، موسوعة فى فقه الحديث ، تقع فى عشرين مجلداً ، أو سبعين جزءاً كما يقول الحميدى . ويصف ابن حزم هذا الكتاب بقوله : « التمهيد لصاحبنا أبى عمر ، لا أعلم فى الكلام على فقه الحديث مثله أصلا ، فكيف أحسن منه » ويذكره أبو عمر نفسه بهذه الأبيات :

سمير فؤادى من ثلاثين حجة ... وصاقل ذهنى والمفرج عن همى

بسطت لهم فيه من كلام نبيهم ... لما فى معانيه من الفقه والعلم

وفيه من الأداب ما يهتدى به ... إلى البر والتقوى ونهى عن الظلم[2]

ولا يزال هذا الكتاب ينتظر الطبع ، وتوجد أجزاؤه المخطوطة فى معهد المخطوطات ، ودار الكتب المصرية .

٢ — الاستيعاب فى طبقات الأصحاب ، صنفه فى أسماء المذكورين فى الروايات والسير والمصنفات من الصحابة رضى الله عنهم ، والتعريف بهم وتلخيص أحوالهم ومنازلهم وعيون أخبارهم ، فى اثنى عشر مجلداً ، وقد طبع فى حيدر أباد الدكن فى مجلدين سنة ١٣١٩ هـ وطبع مؤخراً مرتباً على حروف المعجم بتحقيق الأستاذ على البجاوى .

---

(١) وفيات الأعيان ٦/٦٥ .

(٢) انظر رسالة ابن حزم فى فضائل الأندلس ، وانظر وفيات الأعيان بالرقم السابق .

٣ — جامع بيان العلم وفضله ، وما ينبغي في روايته وحمله . وهو في الآداب الشرعية والتاريخ ، ويشتمل في تضاعيفه على ثمانية وثمانين ومائتي ترجمة لبعض الشعراء والأدباء والفقهاء ، طبع مرتين ، الأولى مجرداً عن الإسناد باسم « مختصر جامع بيان العلم » في جزء واحد اختصره أحمد بن عمر المحصاني البيروتي الأزهري بالقاهرة سنة ١٣٢٠ هـ والثانية في جزئين في (المطبعة المنيرية) سنة ١٣٤٦ هـ بالقاهرة .

٤ — الإنصاف فيما في بسم الله من الخلاف ، طبع بالقاهرة سنة ١٣٤٣ هـ[١] .

٥ — الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء : مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم وذكر عيون من أخبارهم وأخبار أصحابهم ، طبع بمطبعة القدسي سنة ١٣٥٠ هـ بالقاهرة .

٦ — الإنباه على قبائل الرواة ، نشره القدسي سنة ١٣٥٠ هـ بالقاهرة .

٧ — القصد والأمم في التعريف بأصول العرب والعجم ، رسالة صغيرة في الأنساب ، طبعها حسام القدسي سنة ١٣٥٠ هـ مع الكتاب السابق ، وقد لقيت هذه الرسالة عناية من المستشرقين ، ودرسها كراتشكوفسكي في كتابه تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب دراسة ممتازة ونقل عن نولدكه أنه يعتقد أن هذه الرسالة ذيل لكتاب كبير في الأنساب[٢] .

٨ — الدرر في اختصار المغازي والسير ، وهو مختصر السيرة النبوية لابن هشام ، ويوجد مخطوطا في دار الكتب وهو تحت الطبع بتحقيق الدكتور شوقي ضيف .

٩ — أخبار أئمة الأمصار سبعة أجزاء ، ذكره الحميدي في الجذوة ، والضبي في البغية .

١٠ — الكافي في الفقه على مذهب أهل المدينة ستة عشر جزءاً ، ذكره الحميدي وابن خير الإشبيلي والضبي ، ويوجد مخطوطاً في الفاتيكان والمدينة .

١١ — اختلاف أصحاب مالك بن أنس ، واختلاف رواياتهم عنه ، أربعة وعشرون جزءاً ذكره الحميدي والضبي .

١٢ — الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار . توجد منه أجزاء مخطوطة في دار الكتب المصرية .

---

(١) ذكر هذا الكتاب في بروكلمان باسم : الإنصاف فيما بين العلماء من الاختلاف ، وهو بهذا الاسم أيضاً في كشف الظنون .

(٢) تاريخ الأدب الجغرافي العربي ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ١/٢٧٣

١٣ — رسالة أدب المجالسة وخوض اللسان . مخطوطة فى دار الكتب .

١٤ — شرح زهديات أبى العتاهية ، توجد مخطوطة منه بمكتبة عارف حكمت بالمدينة ، منها نسخة فى معهد المخطوطات .

١٥ — نزهة المستمعين وروضة الخائفين ، مخطوطة فى الفاتيكان .

١٦ — الشواهد فى إثبات خبر الواحد ، ذكره الحميدى والضبى .

١٧ — التقصى لما فى الموطأ من حديث الرسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أجزاء . ذكره الحميدى والضبى .

١٨ — العقل والعقلاء ، وما جاء فى أوصافهم عن الحكماء والعلماء . جزء واحد ذكره الحميدى والضبى وابن فرحون .

١٩ — أسماء المعروفين بالكنى ، سبعة أجزاء .

٢٠ — البستان فى الأخدان .

٢١ — الأجوبة الموعبة فى الأسئلة المستغربة . ذكره صاحب كشف الظنون .

٢٢ — اختصار التحرير ، واختصار التمييز لمسلم .

٢٣ — الإشراف فى الفرائض . ذكره صاحب كشف الظنون .

٢٤ — اختصار تاريخ أحمد بن سعيد(١) ذكره الحميدى والضبى .

٢٥ — الاكتفا فى قراءة نافع وأبى عمرو بن العلاء والحجة لكل منهما . ذكره الحميدى والضبى .

(١) هو أحمد بن سعيد بن حزم الصوفى المنتجيلى ، أبو عمر ، ألف فى تاريخ الرجال كتابا كبيراً جمع فيه كل ما أمكنه من أقوال الناس فى أهل العدالة والتجريح ، هو هذا الذى اختصره أبو عمر . الجذوة ١١٧ .

٢٦ — جمهرة الأنساب ذكره ابن فرحون ، وابن خلكان .

٢٧ — التجريد ، والمدخل إلى علم القراءات بالتجويد ، ذكره الحميدى والضبى .

٢٨ — البيان عن تلاوة القرآن ، ذكره الحميدى والضبى .

٢٩ — فهرست شيوخه .

٣٠ — وأخيراً : بهجة المجالس . وأنس المجالس ، هذا الكتاب الذى بين أيدينا اليوم .

بهجة المجالس وأنس المجالس[١] :

هذا الكتاب يأبى به أبو عمر ألا أن يثبت أنه لم يأل جهداً فى خدمة العلم وتقييده والحفاظ عليه ، فمن بين مهامه الكبيرة ومشاغله المتعددة فى علوم الحديث ورجاله وأنسابهم ، وما يتعلق بذلك من الجرح والتعديل ، ثم الفقه ومسائله وتفريعاته وما يتعلق به من أحكام ، والتدريس للطلبة وما يستلزمه من وقت وجهد ، يجد أبو عمر فسحة من الوقت ليسجل فيها خلاصة قراءاته فى الأدب ، مجموعة ليست فى كتيب صغير ، بل فى مجلدين كبيرين ، فيثبت بذلك أنه على حد قول ابن سعيد : فى حلبة الأدب فارس ، وكفاك دليلا كتابه بهجة المجالس[٢] .

والواقع أننا يمكن أن نعتبر هذا الكتاب مثلا من الأمثلة التى ضربها لنا العلماء المسلمون فى استغلال كل طاقاتهم الممكنة فى خدمة العلم ، واعتبار أنفسهم جنوداً فى ميدانه ، يجب عليهم أن يقدموا كل مافى جعبتهم منه للأجيال القادمة تأدية منهم لحق الأمانة نحو الحفاظ عليه وتنميته .

ولقد كان أبو عمر من رجال الحديث والفقه ، ولكنه على مايبدو وجد لديه ذخيرة كبيرة من نماذج الأدب الثمينة التى قرأها أو سمعها على شيوخه ممن جابوا أقطار الأرض فى طلبها فرأى أن يسجل من هذا كله أشرفه وأطرفه هدية خالصة من جهده لجيله ، ولمن يأتى بعده من أجيال العربية .

---

(١) طبعت مقتطفات منه مع كتاب الأدب الكبير لابن المقفع فى كتاب بعنوان جواهر الحكماء ألحق بالمجلد الخامس من مجلة المحيط سنة ١٩٠٧ بالقاهرة .

(٢) المغرب ٢/٤٠٨ .

ولقد رسم أبو عمر غايته من كتابه ومنهجه فيه . أما من حيث الغاية فيمكننا أن نقول إنه قصد فيه إلى ثلاثة أشياء :

أولاً : أن معرفة الأدب فى حد ذاتها قربة إلى الله ، وهى أولى مايجب أن يعنى به الطالب بعد الوقوف على معانى السنة والكتاب . فهى : « تبعث على المكارم وتنهى عن الدنايا والمحارم » .

ثانياً : أن فى جمع « نوادر العرب وأمثالها وأجوبتها ومقاطعها . ومبادئها وفصولها مايبعث على امتثال طرقهم واحتذائها » .

ثالثاً : « أنها زين لمن حفظها فى مجالسه . وأنس لمجالسه . وشحذ لذهنه وهاجسه »[1] .

ويمكننا أن نضيف إلى ما ذكره أبو عمر ، أن كتابه هذا والكتب الأدبية الأخبارية الكثيرة التى على شاكلته قصد بها المؤلفون العرب إلى هدف سام آخر . وهو تربية الملكة العربية ، وتحبيب اللغة إلى الدارسين وتزجية أوقات فراغهم بالمفيد المجدى من لغة العرب وأساليبهم وأخبارهم وسمرهم وحكمهم وأمثالهم والمختار من أشعارهم .

ونعود مرة ثانية إلى الكتاب فنقول : أما من حيث منهج الكتاب فإنه بسيط لاتعقيد فيه إذ أن المصنف قسم كتابه إلى عدد من الأبواب بلغ مائة واثنين وثلاثين باباً ، كل منها يضم معنى من معانى الدين أو الدنيا ، ثم هو يفتتح الباب بآية من القرآن إن تيسر ، ثم بحديث من أحاديث الرسول إن تيسر كذلك ، ثم يورد من أشعار العرب وحكمها ، أو ما أثر عن غيرهم من العجم والروم من كل ماقيل فى هذا المعنى أو اتصل به .

والواقع أنه بذلك يتبع إلى حد كبير منهج ابن قتيبة فى عيون الأخبار ، أو ابن عبد ربه فى العقد الفريد ، ولكنه يزيد عليهما أنه يذكر فى الباب الواحد منه المعنى وضده: « ليكون أبلغ

---

(١) انظر مقدمة المؤلف فيما يلى بعد

وأشفى وأمتع[1] » وهو من هذه الناحية يكاد يشبه كتاب المحاسن والأضداد المنسوب إلى الجاحظ .

ونأتى إلى مادة الكتاب فنقول : إن أبا عمر استقاها من عدد ضخم من المصادر ، بعضها معروف تماماً والآخر فقد ولا نعرف عنه شيئاً . أما تلك المعروفة فهى تشمل : كتب ابن قتيبة وخاصة عيون الأخبار والمعارف والشعر والشعراء . وكتب الجاحظ : البيان والتبين والحيوان ، وكتاب أبى حيان التوحيدى فى الصداقة والصديق، وحماسة أبى تمام ودواوين معظم الشعراء المشهورين وغير المشهورين مما وجد منها فى عصره ، ثم الموسوعتين الكبيرتين تفسير الطبرى وتاريخه ، وهذه المصادر واضحة تمـــام الوضوح بحيث تحتاج إلى أيسر الجهد لمعرفة مواضعها فى الكتاب .

ومن الملاحظ أن مادة الكتاب فى معظمها مادة مشرقية ، ولكن الكتاب إلى جانب ذلك يمتاز بعدد من المزايا الهامة ، نستطيع أن نورد بعضها فيما يلى :

١ ــ أنه أورد قدراً ممتازاً من شعر الشعراء الأندلسيين ، كيحيى بن حكم الغزال ، ويوسف بن هارون الكندى الرمادى ، وأبى القاسم محمد بن نصير الكاتب ، وابن عبد ربه وغيرهم ، لا يوجد فى أية مصادر أخرى .

٢ ــ أنه حفظ لنا مادة مشرقية فقدت مصادرها فى المشرق نفسه . ولم تصل إلينا إلا عن طريقه ، ومن أهم ذلك : شعر منصور الفقيه الأديب المصرى الموطن[2] . الذى كان شعره مشهوراً فى الأندلس فى ذلك الحين ، وقد أورد له الكتاب كمية وافرة من شعره نصلح أن تكون له ديوانا ، أو على الأقل تعطى فكرة كاملة وصحيحة عن شعره يمكن على ضوئها دراسته . وهذا القول يمكن أن ينطبق أيضاً على ما أورده فى الكتاب للشاعر البغدادى محمود الوراق .

---

(١) انظر مقدمة المؤلف .

(٢) سوف ترد ترجمته ومن بعده فى أماكنها من الكتاب .

ثم هناك أشعار لأبي العتاهية ذكرها ابن عبد البر هنا ولم ترد في الديوان المطبوع ، وأشعار لم تنشر من قبل لأبي بكر العرزمي وكشاجم والناشيء الأكبر وخالد بن يزيد الكاتب وسعيد ابن حميد ، وسهل الوراق ، وأبي الفرج الببغاء ، والحسن البصري وغيرهم .

٣ — أن الكتاب هام ومفيد لدراسة تطور الأدب الأندلسي في القرنين الرابع والخامس الهجريين ، ومعرفة الكتب وألوان الثقافة المشرقية التي وصلت إلى الأندلس حينذاك .

ومن الملاحظ أن الأدب الأندلسي في هذه الفترة كانت تغلب عليه ظاهرتان واضحتان :

الأولى : غلبة الثقافة المشرقية عليه والثانية: طابع الزهد والتصوف الفاشيين فيه وكلاهما واضح تمام الوضوح في كتابنا هذا . وقد درس الباحثون هاتين الظاهرتين بكثير من العناية[1] ويمكن أن يقدم كتابنا في هذا الصدد معلومات أوفى تزيد الدراسات جلاء ووضوحاً .

على أننا يجب أن نشير إلى بعض الملاحظات الهامة بالنسبة لعمل المصنف في الكتاب إذ المعروف أن كتب المختارات الأدبية ومن بينها كتابنا هذا تسير على نسق واحد من حيث اختيار مأثور الحكم والأشعار ويمتاز كل منها بأنه تبدو فيه شخصية المؤلف وميوله الأدبية من اختياراته ، ومن بعض الآراء التي يعقب فيها على بعض الأخبار .

ويمكننا أن نقول : إن شخصية ابن عبد البر تبدو واضحة فيما يلي :

أولا : ميله الشديد إلى العبارات المهذبة ، والألفاظ التي لا تجرح الحياء ، ونادراً ما تجد في كتابه هذا حكاية فاحشة ، أو لفظاً ساقطاً .

ثانيا : حرصه على استقصاء المعنى وإيراد عدد وافر مما قيل فيه نظماً ونثراً ، مع تكملة الشواهد التي وردت في الكتب الأخرى إن كانت لها مناسبة بالمعنى ، إما بإيراد بعض الأبيات قبلها أو بعدها ، وقد أشرنا في تعليقاتنا في الهوامش على أمثلة من هذا .

---

(١) انظر كتاب تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) للدكتور إحسان عباس .

ثالثاً : نقده لبعض الأخبار التى وردت فى الكتب وشهرت بين الناس ، كنقده لما روى عن مجىء وفد ملك الروم إلى معاوية وفيه رجلان أحدهما طويل والآخر أيد ، فندب لمغالبتهما قيس بن سعد الأنصارى ، ومحمد بن الحنفية ، أما قيس وكان طوالا بين الرجال فإنه خلع سراويله فى مجلس معاوية وألقى بها إلى الرومى فلما لبسها لم تبلغ ثندوته ، وأما ابن الحنفية فإنه عرض على الرومى إما أن يقعد هو ويقيمه الرومى أو يقعد الرومى ويقيمه هو ؛ فلما قعد محمد لم يستطع أن يقيمه الرومى ... إلى آخر ما ورد فى هذه القصة ، ويعقب عليها ابن عبد البر بأنها فى رأيه منكرة وليست بصحيحة ولا لها أصل لأنها تخالف أخلاق قيس ومحمد ، وليس فيها كبير فائدة لمنزلتهما .

وكنقده لما ورد فى كتاب الجان للجاحظ عن الغيلان وظهورها لبنى آدم وزواج بعضهم منها فهو يقول عن ذلك : إنها من دعابات عمرو بن بحر ومجونه . إلى غير ذلك مما تراه مفرقاً فى مواضع مختلفة من الكتاب .

إلا أننا مع تقديرنا لهذه النقدات الصائبة ، نلاحظ أنه يورد كثيراً من الأخبار الأسطورية التى لا يقبلها عقل فى كتابه ، وغالبا ما يكون ذلك فى القصص التاريخية المتداولة ، ومثال ذلك ما أورده من قصة اليهودى الذى كان كلما فتح المصحف (كذا) وقرأ فيه : « بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار ... الخ » يدعو الله ويقول : رب أرنى من جعلت خراب بنى إسرائيل على يديه ، حتى أوحى الله إليه بأوصاف بختنصر الموجود بأرض بابل فذهب إليه ... الخ . فأى مصحف هذا الذى كان موجوداً على عهد بختنصر . ؟ .

ومثل ذلك مما لا يقبله العقل من أخبار المعمرين الذين عاش بعضهم ثلاثمائة سنة وبعضهم أكثر .

ولكن على أية حال نرى أن ما أورده أبو عمر فى كتابه من مثل هذه الأخبار المنقولة عن الكتب الأدبية ، لا يعد شيئاً بالنسبة لما ورد فى الكتب الأخرى من أمثالها ، وحسبنا أن نقرأ صفحات مما ورد فى كتب ابن قتيبة والجاحظ والمبرد والطبرى لنرى أى قصص يملأ بطون هذه الكتب ، وبخاصة فى ما ورد من القصص والنقول الأسطورية الموغلة فى القدم .

المخطوطات ومنهج التحقيق :

كانت النسخ التي عثرت عليها للكتاب أولا نسختين :

الأولى : نسخة دار الكتب ، وهي ملفقة من نسختين :

(ا) القسم الأول : يحتوى على الجزءين الأول والثانى ، بدار الكتب رقم ١٣٦٦ أدب مصورة معهد المخطوطات رقم ٩٨ ، وهذه النسخة كتبت سنة ١٣١٣ هـ ، نقلا عن نسخة محفوظة أيضاً في دار الكتب تحت رقم ٣٤٢ أدب ، وهذه الأخيرة كتبت سنة ٩١٥ هـ بخط مغربى حسن إلا أنها أصبحت فى حالة شديدة من التلف والتآكل ، مما جعل المشرفون على المخطوطات ينسخونها فى النسخة الأولى ، ولكن بعد فوات الأوان إذ أن الناسخ لم يستطع بالطبع نقل ما تالف منها نترك مكانه خالياً ، وبقى هذا القسم حتى الآن على الرغم من إعادة نسخه مرة ثانية فى مخطوطة أخرى محفوظة برقم ١٩٦٣ أدب ، لا يمكن الاعتماد عليه فى نشر الكتاب وإن أمكن اعتبار الموجود منه مرجعاً لقراءة ما تعسر قراءته فى النسخ الأخرى .

(ب) القسم الثانى : ويحتوى على الجزءين الثالث والرابع من الكتاب فى مجلد واحد وهذا القسم من نسخة أخرى كتبت سنة ٦٧٧ هـ ، بخط نسخ جيد واضح مضبوط بالشكل ويقع كاملا فى مائة وخمس وثمانين ورقة ، ويعد بالمقارنة إلى النسخ الأخرى ، أدق وأكمل نسخ الكتاب وإن عابه اضطراب بعض الصفحات فى أوله ووضع بعضها مكان بعض ، وهو عيب طفيف أمكن علاجه بالمقارنة بالنسخ الأخرى .

النسخة الثانية : وهى نسخة مراد ملا باستانبول رقم ١٤٨٧ ، مصورة معهد المخطوطات رقم ١٠٠ أدب وهذه النسخة نسخة خزائنية قيمة ، كتبت سنة ٧٩٣ هـ برسم خزانة الملك أبى العباس على بن رسول الغسانى ملك اليمن ، وهى أربعة أجزاء فى مجلد يبلغ عدد صفحاته ٢٦٥ صحيفة وتعتبر هذه كاملة تماماً ولا يعيبها إلا أن الناسخ تصرف فى بعض الألفاظ والجمل التى عسرت عليه قراءتها فى النص بألفاظ وجمل من عنده .

النسخة الثالثة : نسخة رواق المغاربة بالجامع الأزهر . وهذه عثرنا عليها أخيراً ولم نتمكن

من الاطلاع عليها إلا بعد جهد شديد ، وهى نسخة مغربية قيمة . كتبت سنة ١١٥٨ هـ ، في مجلد واحد يقع في حوالى أربعمائة ورقة . وقد أمكننا بالعثور عليها تصحيح ألفاظ كثيرة في القسم الأول من الكتاب ، كما عثرنا بها على باب كامل كان ساقطاً من نسختي دار الكتب ومراد ملا فأثبتناه ، ولكننا لم نكد نجد بالنسبة للقسم الثانى فارقاً بينها و بين نسخة دار الكتب القيمة ، بل على العكس فإن هذه النسخة الأخيرة أكمل من نسخة رواق المغاربة ففيها أبيات كثيرة من الأبواب الأخيرة ليست فى النسخة الثانية ، مما يرجح أن الناسخ اختصر بعضها ربما لطول الكتاب وضخامة العمل .

وعلى هذا قررنا أن أنسب الطرق لتحقيق الكتاب ، هو العمل بطريقة النص المختار رغبة منا فى أن يظهر الكتاب فى أقصى درجة ممكنة من الكمال ، ولهذا ففيما يتعلق بالقسم الأول فقد اعتمدنا فيه على ما يلى :

أولا : نسخة رواق المغاربة لأنها فى هذا القسم أتم وأكمل النسخ ، فضلا عن صحة كلماتها وأمانة نقلها .

ثانياً : نسخة مراد ملا ، التى ذكرنا من قبل أنها كاملة وليس ثمة ما يؤخذ عليها إلا تصرف الناسخ فى بعض كلمات النص .

ثالثاً : نسخة دار الكتب الناقصة «ب» للاستئناس والمقارنة .

وفيما يتعلق بالقسم الثانى اعتمدنا على ما يلى :

أولا : نسخة دار الكتب القيمة « أ » بعد أن رتبنا ما حدث فى أوراقها الأولى من خلط وتشويش ، وقد اعتمدنا عليها بعد ذلك لتمامها ودقتها ووضوح كلماتها وضبطها بالشكل فضلا عن أنها أقدم النسخ الموجودة للكتاب .

ثانياً : نسخة رواق المغاربة .

ثالثاً : نسخة مراد ملا .

وقد رمزنا إلى نسخة رواق المغاربة فى الهوامش بالحرف (م) وإلى نسخة مراد ملا بالحرف (أ) وإلى نسخة دار الكتب بالحرف (ب) .

وأما فيما يتعلق بعملنا فى تحقيق النص ، فقد حرصنا على ما يلى :

١ — معارضة الأصول بعضها ببعض وإثبات الخلافات .

٢ — ضبط الآيات القرآنية بالشكل وتخريجها .

٣ — كان المصنف يذكر فى أول كل باب بعد إيراد الآيات القرآنية بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذه لم نأل جهداً فى تصحيح نصها وضبطها ، ولكننا رأينا أن تخريجها من كتب الحديث سيخرج بالكتاب عن طبيعته الأدبية التى قصد إليها المؤلف وتثقله بما هو خارج عن موضوعه ، ولهذا فلم نخرج من الأحاديث إلا تلك التى تحتاج إلى شرح أو بيان أو التى لم تذكر بتمامها ، فشرحنا الغامض وأكملنا الناقص من كتب الأحاديث المختلفة .

٤ — ضبط الأعلام الواردة فى النص والتعريف بها ، وخاصة إذا ورد اسم العلم بكنيته أو شهرته فحسب .

٥ — ضبط الأبيات بالشكل الكامل ، مع بذلنا غاية الجهد فى تخريجها من شتى كتب الأدب ودواوين الشعراء ، مع إثبات الروايات المختلفة إن وجدت .

٦ — ومن جهة الأخبار ، فقد قابلناها على مثيلاتها فى الكتب الأدبية والتاريخية المختلفة ولم نحرص على ذكر المرجع فى الأخبار الجزئية إلا حين تختلف الرواية للخبر اختلافاً بيناً ، أو يكون ثمة خطأ .

٧ — قمنا بعمل فهارس مفصلة للأعلام والأماكن والأبواب ليسهل على القارئ الرجوع إلى المادة التى يود الاطلاع عليها .

وأخيرا أرجو أن أكون قد وفقت فيما أقدمت عليه من تحقيق هذا الكتاب فإن لم أكن فحسبى أنى قد بذلت غاية الوسع وما قصرت .

والله أسأل أن ينفع به ، كما نفع بصاحبه من قبل ، إنه سميع مجيب .

ديسمبر ١٩٦٢ — محمد مرسى الخولى

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى اللهُ على سيدنا محمد وآله وسلّم[1] .

أما بعد : فإن أولى[2] ما ابتدىء[3] به كتاب ، وافتُتح به خطابٌ ، حمدُ اللهِ على جزيل آلائه ، وشكره لجميل[4] بلائه ، ثم الصّلاة على خاتمِ أنبيائه وعاقبِ رسله ، صلوات اللهِ عليهم أجمعين ، وسلامٌ عليهم فى العالمين وبركاته . والحمد[5] للهِ الذى هدانا للإسلام ، وفضّلنا على جميع الأنام ، وجعلنا من أمّةِ محمّد نبيّه عليه الصّلاة والسّلام[6] .

وبعدُ : فإنّ أولى ما عُنِى به الطالب ، ورَغِب فيه الرّاغب ، وصَرَف إليه العاقل همه ، وأكد فيه عزمه ، بعد الوقوف على معانى السّنن والكتاب ، مطالعةُ فنون الآداب ، وما اشتملت عليه وجوه الصواب ، من أنواع الحِكَم التى تحيي النفسَ والقلب ، وتشحَذُ الذهَن واللُّب ، وتبعثُ على المكارم ، وتَنْهى عن الدنايا والمحارم ، ولا شيء أنظم لشمل[7] ذلك كله ، وأجمع لفنونه ، وأهدى إلى عيونه ، وأعقل لشارده ، وأثقف لنادره ؛ من تقييد الأمثال السائرة ، والأبيات النادرة ، والفصول الشريفة ، والأخبار الظريفة ، من حكم الحكماء ، وكلام البلغاء[8] العقلاء : من أئمة

---

(١) ب : بوبه العون بدلا من هذه الجملة .

(٢) ب : أول .

(٣) ب : افتتح .

(٤) ساقط من ب .

(٥) ب . فالحمد .

(٦) ب : ساقط من م .

(٧) ب : ساقط من ب .

(٨) ا : الألباء .

السّلف ، وصالحى الخلف ، الذين امتثلوا فى أفعالهم وأقوالهم ، آدابَ[1] التنزيل، ومعانى سُنَن الرسول ، ونوادر العربِ وأمثالها ، وأجوبتها ومقاطعها ، ومباديها وفصُولها ، وما حَوَتْه من حِكَم العجم ، وسائر الأمم ، فنى تقييد أخبارهم ، وحفظ مذاهبهم ، ما يبعث على امتثال طرقهم[2] واحتذائها ، واتباع آثارهم واقتفائها.

وقد جمعتُ فى كتابى هذا من الأمثال السّائرة ، والأبيات النادرة ، والحكم البالغة ، والحكايات الممتعة فى فنون كثيرة وأنواع جمة ، من معانى الدين والدنيا ، ما انتهى إليه حفظى ورعايتى ، وضمته روايتى وعنايتى ، ليكون لمن حفظه ووعاه ، وأتقنه وأحصاه زيناً فى مجالسه ، وأنساً لمجَالسه ، وشحذاً لذهنه وهاجسه ، فلا يمرّ به معنى فى الأغلب[3] مما يذاكر به ، إلا أورد فيه بيتاً نادراً ، أو مثلا سائراً ، أو حكاية مستطرفة ، أو حكمةً مُسْتحسنة ، يحسنُ موقع ذلك فى الأسماع ، ويخفّ على النفس والطباع ، ويكون لقارئه أنساً فى الخلاء ، كما هو زين له فى الملاء ، وصاحباً فى الاغتراب ، كما هو حَلْىٌ بين الأصحاب .

وجمعتُ فى الباب به منه المعنى وضِدّه لمن أراد متابعةَ جليسه فيما يُورده فى مجلسه، ولمن أراد معارضَتَهُ بضدّه فى ذلك المعنى بعينه ، ليكونَ أبلغَ وأشفى وأمتع .

وقد قرّبته ، وبوّبته ليسهلَ حفظه ، وتَقرُب مطالعته ، وافتتحت أكثر أبوابه بحديث الرسول صلّى الله عليه وسلم تبركاً بتذكاره ، وتيمناً بآثاره .

---

(١) ب : أدب .
(٢) ا : طروقهم .
(٣) ب : الأغلب .

وإلى الله أبتهلُ فى حسن العون[١] و[٢] التأييد لما يحبّ ، والتسديد ، وهو حسبى ونعم الوكيل .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلّم أنه قال : « ما أهدى المرءُ المسلمُ لأخيه هديةً أفضلَ من كلمة واحدة ، يزيده اللهُ بها هدًى ، ويصرفه بها عن ردى » .

ويروى عن عيسى الخياط ، عن الشّعْبي ، قال : لو أنّ رجلا سافر من أقصى الشّام إلى أقصى اليمن ليسمعَ كلمةً ينتفعُ بها فيما يُستقبل من عُمره ، ما رأيتُ أنّ سفرهَ قد ضاع[٢] .

قال محمّدُ بن سلاّم الجُمحى ، عن ابن جُعْدُبة[٣] ، قال : ما أبرم عمرُ بن الخطاب أمرًا قطّ إلاّ تمثّل فيه ببيتِ شِعر .

وقال محمّد بن علىّ بن عبد الله بن عبّاس رضى الله تعالى عنه[٤] : كفاك من علمِ الأدب أن تروىَ الشّاهدَ والمثلَ .

وقال أبو الزّناد: ما رأيت أحدًا أروى للشّعر من عُروة بن الزبير . فقيل[٥] له: ما أرواك للشّعر ! قال : وما روايتى من روايةِ عائشة له ، ما كان ينزل بها شىء إلاّ أنشدت فيه شعراً .

وروى عن ابن عبّاس رضى الله تعالى عنهما أنّه قال : العلمُ أكثر من أن يحصى ، فخذوا أرواحه ، ودعوا ظروفه .

---

(١) ب : العواقب . (٢) ساقط من ب .

(٣) ا : جعرفة والصحيح ما أثبتناه ، فهو يزيد بن عياض بن جعدبة الليثى ، أبو الحكم المدنى نزيل البصرة ، محدث ثقة ، ترجمته فى تهذيب التهذيب ١١/٣٥٢ .

(٤) ساقط من ب . (٥) ب : وقيل .

ولقد أحسن القائلُ ، وقيل إنه منصور الفقيه[١]:

قَالُوا: خذ العَيْنَ مِنْ كُلٍّ فقلْتُ لهم: في العَيْن فَضْلٌ، ولٰكِنْ نَاظِرُ العَيْنِ
حَرْفَانِ فِي أَلْفِ طُومَارٍ مُسَوَّدَةٌ وربّما لم تجدْ في الألفِ حَرْفَيْنِ[٢]

وروى عن مُخَلّد بن يزيد ، عن جابر بن مَعْدان قال : كلّ حكمة لم ينزل فيها كتاب ، ولم يُبعث بها نبيٌّ ، ذخرها الله حتى تنطق بها ألسنُ الشعراء .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « إنّ مِنَ الشّعْرِ حِكْمَة » .

روى ابن نميم ، عن الحسن بن صالح ، عن سماك ، عن عِكْرمة ، عن ابن عباس ، قال : خذ الحكمة ممّن سمعتها ، فإنّ الرجل قد يتكلم بالحكمة وليس بحكيم ، كما أن الرمية قد تجيء من غير رام[٣] .

---

(١) منصور بن إسماعيل التميمى ، فقيه شافعى ضرير ، أغلب شعره فى الحكم والأمثال ، توفى بمصر سنة ٣٠٦ هـ ، ترجمته فى وفيات الأعيان ٢/٩٢٥ ، شذرات الذهب ٢/٢٤٩ معجم الأدباء ٢/١٨٥ — ١٨٩

(٢) جامع بيان العلم ١/١٠٦ ، التمثيل والمحاضرة ١٦٠ .

(٣) ساقطة من ب .

بابَ أدَب المجَالسة ، وحَقّ[1] الجليس الصّالح[2]

أخبرنا عبدُ الله بنُ محمدِ بن يوسف ، وأحمدُ بن عبد الله بن عمر[3] ، وخلفُ بن سَعيد بن أحمد ، وسعيدُ بن سيّد ، ومحمد بن عبدالله بن حَكَم ، وأحمدُ بن عبدالله ابن[3] محمدّ بن عليّ ، واللفظُ لسعيد بن سيّد ، قالوا : حدثنا محمّد بن عُمر بن لُبَابَة ، وسليمان بن عبد السّلام ، قالا : حدثنا محمّد بن أحمد العَتبيّ ، عن أبي المُصعب[4] الزّهرى ، عن عبد العزيزِ بن أبي حازم ، وحدّثنا عبد الوارث بن سُفيان ، قال : حدثنا قاسمُ بن أصبغ ، قال : حدّثنا بكرُ بنُ حمّاد ، قال : حدّثنا مُسَدّد : حدثنا أبو عُوانة كلاهما عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة :

أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم قال : « مَنْ قَامَ من مَجلسه ، ثم رَجَعَ فهو أحقُّ به » .

ورواه حمّاد بن سَلمة ، عن سُهَيل ، بإسناده: مثله .

وحدثنا سعيدُ بن نصر ، وعبدُ الوارث بن سُفيان ، وأحمدُ بن محمّد ، وأحمد بن قاسم قالوا : حدّثنا قاسم ، قال : حدثنا ابن وضّاح ، قال : حدّثنا محمدُ بنُ مَسْعود ، قال : حدّثنا يَحيي القطّان ، عن محمد بن عَجْلان، عن سَعيد المَقْبُرىّ ، عن أبي هريرة ، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، قال :

---

(١) فى ب : وحسن .
(٢) ساقطة من ب .
(٣) ساقطة من ب
(٤) فى ب : الصعب وهو تحريف واضح .

« إذا أتى أحدُكم المجلسَ فليُسَلِّم ، وإذا قام فليُسَلِّم ، فليست الأولى بأحقّ[1] من الأُخرى » .

وحدثنا عبدالله بن محمد بن عبدالمؤمن، قال: حدثنا أبو بكر محمدُ بن بكر بن دَاسَة قال: حدّثنا أبو داود سليمانُ بن الأشعث ، قال: حدثنا عبد الله بن مَسْلمة القَعْنَبي[2] ، قال : حدثنا عبدُ الرحمن بن أبي المولى[3] عن عبد الرحمن[4] بن أبي عُمَرَة الأَنصاري عن أبي سَعيد الخُدْرِيّ[4] ، قال : سمعت[5] رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، يقول :

« لا يُقِيمَن أحدُكم أخاه من مَجْلسه ثم يجلس فيه » .

قال : وكان ابن عمر إذا قام له رجلٌ من مجلسه ، من غير أن يُقيمه لم يجلسْ فيه .

ومن حديث أبي بَكَرَة[6] عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : مثْلَه .

وقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : « المجالسُ بالأَمانَةِ ، وإنما يَتَجَالَسُ الرّجُلان بأمانةِ الله — عزّ وجلّ — فإذا تفرّقا فليَسْتُر كُلٌّ منهما حديثَ صاحبه » .

وقال أبو البَخْتَري[7] : كانوا يكرهون أن يقومَ الرجلُ للرّجل من مجلسه، ولكن ليُوَسِّعْ له .

---

(١) في ب : أحق .

(٢) في ب : العقبي، وهو خطأ ، فهو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبي ، ثقة ، من أهل المدينة سكن البصرة ، يروى عن أبي سعيد ، ومالك من أنس ، وسليمان بن بلال ، ومات بالبصرة سنة ٢٢١ هـ . اللباب في تهذيب الأنساب ٢/٢٧٥ .

(٣) ساقط في ا .　　　　(٤) ساقط من ب .

(٥) في ب : قال .

(٦) أبو بكرة : نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفي ، صحابي مشهور ، من أهل الطائف، وإنما قيل له أبو بكره لأنه تدلى ببكرة من حصن الطائف إلى النبي صلى الله عليه وسلم . توفى بالبصرة سنة ٥٢ هـ . الإصابة الترجمة ٨٧٩٠ ، تهذيب التهذيب ١٠/٤٦٩ .

(٧) سعيد بن فيروز الطائي بالولاء ، من فقهاء الكوفة . ثقة في الحديث، خرج مع ابن الأشعث على الحجاج، فقتل سنة ٨٢ هـ. شذرات الذهب ١/٩٢ ، تهذيب التهذيب ٤/٧٢ .

ومن حديث سعيد المَقْبرى ، عن أبى هُريرة ، عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، قال : « لا يُوَسَّعُ فِي المجَالِسَ إلاّ لثلاثةٍ : لذى علمٍ لعِلْمه ، ولذى سِنٍ لسِنِّه ، أو لذى سُلْطَان لسُلْطَانه » .

ومن حديث جابر عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، قال : « المجَالِسُ بالأمَانَةِ إلاّ ثلاَثة : مجلسٌ سُفِكَ فيه دمٌ حَرَامٌ ، ومجلسٌ استُحِلَّ فيه فَرْجٌ حرام [١] ، ومجلسٌ استُحِلَّ فيه مالٌ حَرَام بغير حقّه » .

[٢] ومن حديث عمر بن عبد العزيز ، عن محمّدِ بنِ كَعْب القُرَظّى ، عن ابن عبّاس عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال :

« لكلّ شىءٍ شَرَفٌ ، وإنّ شَرَفَ المَجَالِسِ ، ما استُقْبِل به القِبْلَة » [٢] .

وروى عن النبى صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال :

« إذا جلس إليك رجلٌ ، فلا تقومنّ حتى تستأذنَه » .

وقال صلّى الله عليه وسلّم : « إذا قام الرّجلُ من مجلسه ، فهو أحقّ به حتّى ينصرفَ إليه ، ما لم يودِّعُ [٣] جُلَسَاءَهُ بالسَّلاَم » .

وقال صلّى الله عليه وسلّم : « لا يُفَرِّقُ واحدٌ منكم بين اثنَيْن مُتَجَالِسَيْن إلاّ بإذْنِهِما ، ولكنْ تَفَسَّحوا وأَوْسِعُوا » .

وقال [٣] أنسُ بنُ مالكٍ : ما أخرَجَ رَسُولُ اللهِ صلّى اللهُ عَلَيْه وسلّم رُكْبَتَيْه

---

(١) ب : ومجلس استحل فيه قوم حراما .
(٢) ساقط من م .
(٣) ساقط من ب .

ولا قدمَيه بين يدَيْ جليسٍ له قطُّ ، ولا تناول أحدٌ يده فتركها حتى يكون هو الذى يدَعُها .

وقال ابن شهاب : كانَ رجل يجالسُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فكان لايزال يتناول عن وجه رسول الله صلّى الله عليه وسلم الشيء ، وكأنّ ذلك آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إذا نزع أحدُكم عن أخيه شيئًا فلْيُره إيّاه » .

وحدث الحسن البصريّ : أنّ رجلا تناول عن رأس عمرَ بنِ الخطّابِ شيئًا فتركه مرتين ، ثم تناول الثالثة ، فأخذ عمرُ بيده ، فقال : أرنى ما أخذتَ ؟ وإذا هو لم يأخذ شيئًا !! فقال : انظُروا إلى هذا ، قد صنع هذا ثلاثَ مراتٍ يُريني أنه يأخذُ من رأسي شيئًا ولا يأخذه ، فإذا أخذ أحدُكم من رأسِ أخيه شيئًا فلْيُرِه إيّاه .

قال الحسنُ : [(١)]نهاهم أميرُ المؤمنينَ عن المَلَق .

وقال الحسنُ[(١)] : لو أنّ إنسانًا أخذ من رأسي شيئًا ، قلت : صَرَف الله عنك السُّوء .

وكان محمّدُ بن سيرين : إذا أخذ أحدٌ من لحيته أو رأسهِ شيئًا ، قال : لاعَدِمتَ نافعًا .

ورُوى عن عُمر بن الخطّاب أنه قال : إذا أخذَ أحدٌ عنك شيئًا ، فقل : أخذتَ بيدك خيرًا .

---

(١) ساقط من ب .

وقد روى عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، أنه قال لأبى أيّوب الأنصاريّ — وقد نزع عنه أذًى — : « نَزَعَ اللهُ عنك ما تكرَهُ يا أبا أيّوب » .

قال عمرُ بن الخطّاب : فحسبُ(١) المرء من العِيّ(٢) أن يؤذى جليسَه بما لا يعنيه وأن يَجِدَ على النّاس فيما تأتيه(٣) ، (٤)وأن يَظهرَ له من النّاس ما يَخفى عليه من نفسه .

وعن عمر رضى الله عنه قال : إن مما يُصَفّى ودادَ أخيك ، أن تبدأه بالسّلام إذا لقيتَه ، وأن تدعوَهُ بأحبّ الأسماء إليه ، وأن توسّعَ له فى المجلس(٤) .

قال أبو أيّوب الأنصاريّ : من أراد أن يكثُرَ علمُه ، فليجالسْ غيرَ عشيرته .

روى سفيانُ بنُ عُيَيْنة ، عن مالك بن مَعْن ، قال : قال عيسى صلّى الله عليه وسلّم : جالسوا من تُذكّركُمُ بالله رؤيتُه ، ويزيدُ فى علمكم مَنطقُه ، ويُرغّبكُم فى الآخرة عملُه .

قال المدائنى : أوصى يحيى بنُ خالد ابنَه ، فقال : يا بُنيّ إذا حدّثك جليسُك حديثًا ، فأَقبِلْ عليه وأَصْغِ إليه ، ولا تقُل قد سمعتُه(٥) وإن كنتَ أحفظَ له ، وكأنك لم تسمَعْه إلاّ منه ، فإنّ ذلك يكسِبُك المحبةَ والمَيْلَ إليك .

وعن عبد الملك بن عُمير ، قال : قال سعيد بن العاص(٦) : لجليسى علىّ ثلاثُ خصال : إذا دَنا رحّبتُ به ، وإذا جلس وسّعتُ له ، وإذا حدث أقبلتُ عليه .

---

(١) فى ب : حسب .
(٢) فى ب ، م : العنى . والعى هنا : الجهل
(٣) فى عيون الأخبار : أن يعيب على الناس ما تأتى .
(٤) ساقط من ب .
(٥) ب : سمعناه
(٦) ب : العاصى .

وذكر ابن مِقْسَم[١] ، قال : سمعت المبرِّد يقول : الاستماعُ بالعين ، فإذا رأيتَ عينَ من تحدِّثه ناظرةً إليك فاعلم أنه يُحْسِن الاستماع . وقد رُوينا هذا القول عن سهل بن عبادة .

ومن حديث جابر عن النبيّ عليه السلام ، أنّه قال : « من كان له أخٌ فى الله فأكرَمه فإنّما يُكرِم الله » .

ورُوينا عن ثعلب النحوى ، أنّه قام لصديقٍ قصده[٢] ، وأنشد :

لَئِنْ قُمْتُ مَا فِى ذَاكَ مِنْهَا غَضَاضَةٌ ... عَلَىَّ وَإِنِّى لِلْكِرَامِ مُذَلَّلُ
عَلَى أَنَّهَا مِنِّىَ لغَيْرِكَ هُجْنَةٌ[٣] ... وَلٰكِنَّهَا بَيْنِى وَبَيْنَكَ تَجَمُّلُ

ولغيره فى هذا المعنى :

إِذَا مَا تَبَدَّى لَنَا طَالِعًا ... حَلَلْنَا الْحُبَا[٤] وَابْتَدَرْنَا الْقِيَامَا
فَلَا تُنْكِرَنَّ قِيَامِى إِلَيْهِ ... فَإِنَّ الْكَرِيمَ يُجِلُّ الْكِرَامَا[٥]

ورُوينا من حديث عائشة ، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، أنّه قال : « أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُم » .

قال ابنُ وهب[٦] : سمعتُ مالكاً يقول : إذا كان الرجلُ عند رجلٍ جالساً ،

---

(١) هو محمد بن الحسن بن يعقوب المعروف بابن مقسم العطار ، عالم بالعربية والقراءات ، من أهل بغداد ، توفى سنة ٣٥٤ هـ ، ترجمته فى تاريخ بغداد ٢/٢٠١ معجم الأدباء ٦/٤٩٦ .

(٢) ا ، ب : لنصر بن قصره .

(٣) الهجنة : العيب .

(٤) الحبا : الثوب المشتمل به ، وحللنا الحبا : كناية عن الخروج عن حدود التزمت والوقار .

(٥) المحاسن والمساوئ للبيهقى ١/١١٢ ، من غير نسبة .

(٦) هو عبد الله بن وهب بن مسلم الفهرى المصرى ، فقيه من أصحاب الإمام مالك ، كان حافظا ثقة مجتهداً ، مات سنة ١٩٧ هـ . تهذيب التهذيب ٦/٧١ ، الوفيات ١/٢٤٩ .

فجاءه(١) طالبَ حاجةٍ ، فسكت عن عونه فقد أعان عليه(٢) .

قال عمرو بن العاص : لا أملُّ جليسي ما فهم عنّي ، وإنما المَلاَلُ لدناءة الرّجال .

قال الشَّعْبيّ في قومٍ ذَكَرَهم : ما رأيتُ مثلهم أشدَّ تنابُذًا(٣) في مجلس ، ولا أحسَنَ فهمًا من مُحدِّث .

روى الأصمعيّ عن العَلاَء بن جَرِير عن أبيه ، قال : قال الأحنفُ بن قيس : لو جلس إليّ مائةٌ لأحببتُ أن ألتمسَ رضَى كلٍّ واحدٍ منهم .

وقال عبد الله بن عبّاس : أعزُّ الناس عليّ جليسي الذي يتخطّى النّاسَ إليّ ، أمَا والله إنّ الذُّباب يقعُ عليه (٥) فيشقّ عليّ .

قال كُشَاجُم(٤) .

وجليسٍ لي أخي ثِقَةٍ كأن حديثُه خَـــبرَه
يَسُرُّكَ حُسْنُ ظَاهِرِه وتحْمَدُ منـــه مُختَصَرَه
ويَسْتُرُ عَيْبَ صَاحِبِهِ ويَسْتُرُ أنّه سَـــتَرَه

وقال آخر(٥) :

جليسٌ لِي لَهُ أَدَبُ رِعَايَةُ مِثْـــلِهِ تَجِبُ

---

(١) ا ، ب : فجاء (٢) ساقط من ب .

(٣) معنى التنابذهنا تحيز كل فريق لرأيه، ودفاعه عنه بما يملك من حجة ودليل وانظر العبارة في البيان ٢/٣٧.

(٤) محمود بن الحسين المعروف بكشاجم ، شاعر متفنن ، من شعراء سيف الدولة . ولقبه هذا منحوت من علوم كان يتقنها : الكاف للكتابة ، والشين للشعر ، والألف للانشاء ، والجيم للجدل ، والميم للمنطق ، وقيل، غير ذلك . توفى كشاجم سنة ٣٦٠ هـ ، انظر فى ترجمته : شذرات الذهب ٣/٣٧ ، الأعلام ٨/٤٣ ، وانظر الأبيات فى نهاية الأرب ٤/١٢٦ .

(٥) ساقط من ب .

لو انْتَقَدَتْ خَلائِقَهُ لَبُهْرِجَ[١] عندها الذَّهَبُ[٢]

وعن ابن عبّاس ، أنه قال : إنّي لأكره أن يطأ الرجلُ بِسَاطِي ثلاثًا فلا يرى عليه أثرى .

وعنه أيضا[٣] رضى الله عنه ، أنه سُئل : مَنْ أكرمُ الناسِ عليك ؟ قال : جليسى حتّى يفارقنى .

قال معاويةُ لعَرَابَةَ الأوْسى : بأىّ شىءٍ استحققْتَ أن يقول فيك الشّمّاخُ[٤] :

رأيتُ عَرَابَةَ الأوْسِىَّ يَسْمُو إلى الخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ القَرِينِ

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ باليَمِينِ

فقال عَرَابة : سَماعُ هذا من غيرى أولى بك وبى يا أميرَ المؤمنين ، فقال : عزمتُ عليك لتخبرنّى . فقال : بإكرامى جليسى ، ومحاماتى على[٥] صديقى .

فقال معاوية : لقد استحققت[٦] .

قال علىُّ بن الحُسَين : ما جلس إلىّ أحدٌ قط ، إلاّ عرفتُ له فضلَه حتى يقوم .

قال أبو عُبَادة[٧] : ما جلس رجل بين يدىّ ، إلا مُثّل لى أنى جالس بين يديه .

---

(١) ب : ليمرح . والبهرج : الباطل أو الردىء .

(٢) البيتان للقاضى أبى حنيفة النعمان بن حيون المغربى ، انظر وفيات الأعيان ٥/٥٠ .

(٣) ب : وعن ابن عباس .

(٤) هو الشماخ بن ضرار الغطفانى . شاعر مجيد مخضرم من طبقة لبيد والنابغة ، توفى سنة ٢٢ هـ ، وكان الشماخ قد التقى بعرابة وهو يسوق أبعرة عليها زبيب وأدم قد أقبل بها من الطائف ، فاستطعمه شيئاً منها ، فقال له : خذ برأس القطار ، فقال الشماخ : أتهزأ بى ؟ فقال : خذ عافاك الله برأس القطار فهو لك فأخذ الإبل وما عليها ، وقال بيتيه الخالدين . انظر أنساب الأشراف ١/٢٧٢ ، ديوانه ٩٦ ، الشعر والشعراء ٢٧٨ ، وفيات الأعيان ٥/١١٦ .

(٥) ب : عن . (٦) ب : استحقيت .

(٧) أبوعبادة : عيسى بن عبد الرحمن بن فروة ، ويقال ابن سبرة الأنصارى ، أبو عبادة الزرقى المدنى ، نظر ترجمه فى تهذيب التهذيب ٨/٢١٨ .

روى عن عبدالله بن يزيد ، وقد روى ذلك لأبى حازم ، أنه قال : وطّن نفسك على[1] الجليس السوء ، فإنه لا يكاد يخطئك . وقد روى ذلك عن الأحنف، والله أعلم

قال بعض الحكماء : رجلان ظالمان يأخذان غيرَ حقّهما ، رجل وُسّع له فى مجلس ضيّق فتربّع وتفتح[2] ، ورجلٌ أُهْدِيت إليه نصيحةٌ فجعلها ذنباً .

وقال مِسْعَرُ بنُ كِدَام : رحم الله من أهدى إلىّ عيوبى فى ستر بينى وبينه ، فإن النصيحة فى الملأ تقريع .

[3]قال الأحنف : لأن أُدْعى من بُعْدٍ أحبّ إلىّ من أن أُقْصى عن قُرْب .

وعن الأحنف أيضاً أنه قال: ماجلست مجلساً قطّ، أخاف أن أُقام منه لغيرى[3]

وقال البَعِيثُ بن حُرَيْث[4] :

وإنّ مكانى فى النَّدِىّ ومَجْلِسى   لَهُ الموضعُ الأقْصَى إذا لم أُقرَّبِ[5]

وَلستُ وإن قُرِّبْتُ يوماً ببائعٍ   خَلاَقِى ولا دينى ابتغاء التّحَبُّبِ

وَيعتَدُّهُ قَوْمٌ كَثِيرٌ تِجَارَةً[6]   وَيَمْنَعُنِى مِنْ ذَاكَ دِينِى ومَنْصبِى

جلس رجل[7] إلى الحَسَن بنِ علىّ رضى الله عنه ، فقال : جلستَ إلينا على حين قيام ، أفتأذن ؟!

---

(١) ب : عن .   (٢) ب : وانتفخ .   (٣) زيادة فى ب .

(٤) ب : المغيث بن حريب ، وهو تحريف ، انظر ترجمته فى المؤتلف والمختلف ٥٦ ، وانظر الأبيات فى عيون الأخبار ٣/٢٧٦ ، حماسة أبى تمام ١/١٤٨ ، ١٤٩ ، العقد الفريد ١/٧٩ .

(٥) فى ا : وإن مكانى فى الثراء...الخ ، وفى عيون الأخبار : فإن مسيرى فى البلاد ومنزلى لبا لمنزل الأقصى ... الخ وفى العقد : هو لمنزل .

(٦) فى العقد : وقد عده قوم تجارة رابح .   (٧) ب : رجال .

كان يقال : إيّاكَ وكلَّ جليسٍ لا تصيب منه خيرًا .

وعن مُعَاذِ بنِ جَبَل ، أنه قال : إيّاكَ وكلَّ جليس لا يفيدُكَ علمًا .

(١) كان يقال : من سرّه أن يَعْظُمَ حِلْمُـه ، وينفعَه علمه(١) ، فليُقِلَّ من مجالسته من كان بين ظَهْرَانيه .

وقال الحسن البصريّ : انتقُوا الإخوانَ ، والأصحابَ ، والمَجَالِس .

وروى هشامُ بنُ عروة ، عن محمّد بن الْمُنْـكَدِر ، قال : كان يقال : خياركم ألينكم مناكب في الصلاة ، وركنًا في المجالس ، الموطَّئُون أكْنَافًا ، الذين يَأْلَفُون ويُؤْلَفُون .

تباعد كعبُ الأحبار يومًا في مجلس عمر بن الخطاب ، فأنـكر ذلك عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إنّ في حكمةِ لُقمان ووصيته لابنه : إذا جلستَ إلى ذي سلطان فليكن بينك وبينه مقعدُ رجل ، فلعلّه يأتيه مَنْ هو آثر عنده منك فينحّيك فيكون نقصًا عليك .

وكان يقال : الجليسُ الصّالح خيرٌ من الوحْدَة ، والوحدةُ خيرٌ من الجليسِ السُّوء .

(٢)وعن جعفر بن سليمان الضُّبَعِيّ ، قال : رأيتُ مع مالك بن دينار كلبًا ، فقلت له : ما هذا ؟ قال : هذا خيرٌ من الجليس السوء(٢) .

قال زِيَادُ : إنه ليعجبني من الرجال من إذا أتى مجلسًا أن يعرف أين يكون مجلسَه ، وإني لآتي المجلسَ ، فأدعُ مالي مخافةَ أن أُدْفَع عمّا ليس لي .

وكان الأحنفُ إذا أتاه رجلٌ أوسع له ، فإن لم يكن له سَعَة أراه كأنّه يُوسع له .

---

(١) ساقط من ا .　　(٢) ساقط من ب .

طرح أبو قِلاَبَةَ[1] لجليس له وسادة ، فردّها فقال له : أما سمعت الحديث : « لا تردنّ على أخيك كرامته » .

قال ابن شُبرمة[2] لابنه : يا بنيّ ! إياك وطولَ المجالسة ، فإنّ الأُسْدَ إنما يُجترىءُ عليها من أدام النظر إليها .

وهذا عندى مأخوذٌ من قول أردشير[3] لابنه: يا بنيّ لا تمكّن الناس من نفسك فإن أجرأ النّاس على السّباع ، أكثرهم لها مُعَاينة . ومن هذا — والله أعلم — أخذ ابنُ المعتزّ قوله[4] :

رأيت حياةَ المرء تُرْخِصُ قَدْرَهُ ... فإنْ مَاتَ أَغْلَتْـهُ المَنَايـا الطَّوَائِحِ

كَمَا يُخْلِقُ الثَّوبَ الجديدَ ابتذالُه ... كذا تُخْلِقُ المَرْءَ العُيُونُ اللَّوَامِحُ

[5]ومن سوء الأدب فى المجالسة : أن تقطعَ على جليسِك حديثَه ، أو تَبْدُرَه إلى تمام ما ابتدأ به منه خبراً كان أو شعراً ، تُتِمُّ له البيتَ الذى بدأ به ، تريه أنك أحفظُ له منه . فهذا غايةٌ فى سوء المجالسة ، بل يجب أن تصغى إليه كأنك لم تسمعْه قط إلاّ منه[5] .

قيل لدَاوُدَ الطَّائِيّ[6] : لِمَ تركتَ مجالسةَ النّاس ؟ قال : ما بَقِيَ إلاّ كبيرٌ يتحفّظُ عليك ، أو صغيرٌ لا يُوَقِّرُكَ .

---

(١) هو : عبد الله بن يزيد بن عمرو ،أبو قلابة الجرمى ، عالم بالقضاء والأحكام ، من أهل البصرة، توفى سنة ١٠٤ هـ . انظر تهذيب التهذيب ٥/٢٢٤ ، شذرات الذهب ١/١٢٦ .

(٢) ابن شبرمة : عبدالله بن شبرمة الضبى ، تولى قضاء السواد لأبى جعفر المنصور، وكان عفيفاً صارماً، عاقلا جوادا ،ثقة قليل الحديث ، توفى سنة ١٤٤ هـ .انظر شذرات الذهب ١/٢١٥ ،تهذيب التهذيب ٥/٢٥٠ .

(٣) ب : الأشتر .

(٤) ورد البيت الثانى فقط فى الديوان ٢٩ ، وفيه :فابدل كما ، وانظرهما معا فى التمثيل والمحاضرة ١٦٧ .

(٥) ساقطة من ب .

(٦) أبو سليمان بن نصير الطائى الكوفى ، من أكابر الزهاد ، وخيار التابعين ، توفى سنة ١٦٥ هـ ، انظر تاريخ بغداد ٨/٣٤٧ ، وفيات الأعيان ١/١٧٧ .

وقال عبدُ الرحمن بنُ أبي لَيلى : لا تجالسْ عدوَّك ، فإنه يحفظُ عليك سقطاتِك ويُماريك في صَوابك .

قالت الخنساء :

إنّ الجليسَ يقولُ القَوْلَ تَحْسَبُهُ خيراً وهَيْهاتَ فانظُرْ مابهِ[١] الْتَمَسا

كان يقال : رأسُ التّواضع ، الرّضا بالدُّون من المجلس . وهذا يُروى عن ابن مسعود أنّه قال : إنّ من التواضع أن تَرْضى بالدُّون من المجلس ، وأن تبدأ بالسّلام مَنْ لَقيت .

قال إبراهيمُ النَّخَعِيّ : إنّ الرجلَ ليجلِسُ مع القومِ فيتكلّمُ بالكلام ، يريدُ الله به ، فتصيبُه الرَّحْمةُ فتعمُّ من حوله ،[٢]وإنّ الرجل يَجْلسُ مع القوم فيتكلّمُ بالكلام يُسْخطُ اللهَ به ، فتصيبُه السَّخْطَةُ فتعمُّ مَن حوله[٢] .

كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوماً في مجلسه ، فرفعَ رَأسَه إلى السّماء ثم طأطأه[٣] ثم رفعه فسُئل عن ذلك ، فقال : « هؤلاء قومٌ كانوا يذكرون الله فنزلتْ عليهم السَّكينة ، وغَشِيَتهم الرَّحْمَة ، وحفّتهم الملائكةُ كالقُبّة ، فلما دنت منهم تكلّم رجلٌ منهم[٥] بباطلٍ فرُفِعت عنهم ، ثم تلا : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ[٤] ﴾ » .

وفي حديث أبي هريرة عن النبيّ عليه السلام[٥] ، أنه قال : « ما جلسَ قومٌ

---

(١) في ب : ماله ، ولم أعثر عليه في الديوان . (٢) ساقطة من ب .
(٣) في ب طأطأ . (٤) سورة الجاثية الآية : ٢٧ . (٥) ساقطة من ب .

مجلساً يقرءون فيه القرآن ، ويذكرون السُّنَن ، ويتعلمون العلمَ ويتدارسونه بينهم ، إلاّ حفّت بهم الملائكة ، ونزلتْ عليهم السّكينة ، وغشيتهم الرحمةُ ، وذكرَهم اللهُ فيمن عنده . فقيل له : يارسولَ الله ! الرّجلُ يجلسُ إليهم وليس منهم ، ولا شأنهُ شأنهم ، أتأخُذه الرحمةُ معهم ؟ قال : نعم ، هم القومُ لا يَشْقى جليسُهُم » .

أنشد أبو العباس أحمد بن يحيى ثَعْلَب ، ويقال إنها له :

إنْ صَحِبْنَا المُلوكَ تَاهُوا وَعقّوا   واسْتَخَفُّوا كِبْراً بحَقِّ الجَلِيسِ

أَوْ صَحِبْنَا التّجارَ صِرْنَا إلى البُؤْ   سِ وعُدْنَا إلَى عِـــدَادِ الفُلُوسِ

فَلَزِمْنَا البُيُوتَ نَسْتَخْرِجُ العِلْـ   ـمَ وَنَمْلاَ بِهِ بُطُونَ الطُّرُوسِ[1]

كان يقال : ذَوُو المروءة والدّين ، إذا أحرزوا القوتَ لزموا البيوت . أنشد أبو عبدالله بن الأعرابيّ — صاحب الغريب[2] — :

لَنَا جُلَسَاءٌ مَا نَمَلُّ حَدِيثَهُمْ   أَلِبّاءُ مَأمُونُون غيباً وَمَشْهَدَا

يُفِيدُونَنَا[3] مِنْ عِلْمِهِمْ عِلْمَ مَامَضَى   وعَقْلاً وَتَأْدِيباً ورَأْياً مُسَدّدَا

بلا فِتْنَةٍ تُخْشَى ولا سُوءِ عِشْرَةٍ   ولا نَتّقِي مِنْهُمْ لِسَاناً ولا يَدَا

فإنْ قلتَ أمواتٌ فلستَ بكاذبٍ   وإنْ قلتَ أحياءٌ فَلستَ مُفَنّدَا[4]

ولهذا الشعر خبر لابن الأعرابي مع أحمد بن محمد بن شجاع ، ذكرناه مع

---

(١) يروى : تاهوا علينا ، ولزمنا البيوت نستكثر . وانظر الأبيات فى جامع البيان العلم ٢/٢٠٣ .

(٢) محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابى ، أبو عبد الله ، راوية علامة باللغة من أهل الكوفة ، لم ير أحد فى علم الشعر أغزر منه ، مات سنة ٢٣١ هـ . انظر معجم الأدباء ١٨/١٨٩ ، وفيات الأعيان ١/٤٩٢ ، تاريخ بغداد ٥/٢٨٢ .

(٣) ويروى : يعيروننا . (٤) جامع بيان العلم ٢/٢٠٢ ، معجم الأدباء ١٨/١٩٥ .

مع الأبيات فى آخر كتاب « بيان العلم وفضله » . ولمحمد بن بشير فى هذا المعنى من قصيد له :

فصرتُ فى البيتِ مسروراً تحدثنى — عنْ علمِ ما غابَ عنّى فى الورَى الكُتُبُ

فَرْدًا تُخَبِّرُنى الَمْوتَى وتَنْطِق[1] لى — فَلَيْسَ لِي فى أُنَاسٍ غَيْرِهِمْ أَرَبُ

للهِ مِنْ جُلَساءَ لاَ جَلِيسُهُمْ — ولاَ خَلِيطُهُمُ للسُّوء مُرْتَقِبُ

لا بَادِرَاتُ الأَذَى يَخْشَى رَفِيقُهُمُ — ولاَ يُلاَقِيهِ مِنْهُمْ مَنْطِقٌ ذَرِبُ[2]

أَبْقَوْا لنا حِكَماً تبقَى مَنَافِعُهَا — أُخرَى اللّيَالى على الأَيّامِ وانْشَعَبُوا[3]

إن شئتَ من مُحْكَمِ الآثارِ يرفَعُهَا — إلى النّبىّ ثقاتٌ خِيرَةٌ نُجُبُ

أو شِئْتَ مِنْ عربٍ عِلْمًا بأَوّلِهِمْ — فى الجاهليّةِ تُنْبِينى بها العَرَبُ

أو شِئْتَ من سِيرِ الأملاكِ من عَجَمٍ — تُنْبِي وتُخْبِرُ كيفَ الرّأْىُ والأدَبُ

حتّى كأنّى قَدْ شاهدْتُ عصْرَهُمُ — وقَدْ مَضَتْ دُونَهُمْ مِنْ دَهْرِنَا حِقَبُ

ما مَاتَ قومٌ إذَا أَبْقَوْا لنا أدباً — وعِلْمَ دينٍ ولا بَانُوا ولا ذَهَبُوا[4]

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : « كفارةُ ما يكون فى المجلسِ من اللَّغط[5] أن تقول : سبحانَكَ اللّهمّ وبحمدك ، لا إله إلاّ أنت ، أستغفرُك وأتوبُ إليك » .

وفى حديث آخر :

---

(١) ا : وتنظر .

(٢) البادرة : ما يصدر عن الحدة فى الغضب من قول أو فعل ، والذرب : حدة اللسان وسلاطته .

(٣) ب : والشعب ، وانشعب: تفرق وتبدد .

(٤) انظر الأبيات فى جامع بيان العلم ٢/٢٠٣ .

(٥) اللغط : الجلبة والصياح .

« كفارة ما يكونُ فى المجلس ألاّ تقُومَ حتّى تقول : سُبحانك اللّهمّ وبحمدك لا إله إلا أنت ، أستغفرُك وأتوبُ إليك ، يارب تُبْ علىّ واغفرْ لى ، فإن كان مجلسَ لَغْوٍ[1] كان كفّارته ، وإن كان مجلسَ ذكرٍ كان كالطّابع عليه » .

وقال حسّان بن عطيّة : ما من قوم كانوا فى مجلس لغوٍ فختموه بالاستغفار إلاّ كُتِب لهم مجلسُهم ذلك استغفاراً[2] كله .

وروى عن جماعةٍ من أهل العلم بتأويل القرآن ، فى قول الله عز وجل : ﴿ وسَبِّحْ بِحَمْدِ رِبِّكَ حِينَ تَقُومُ[3] ﴾ ، منهم[4] مجاهد وأبو الأحوص وعطاء ويحيي بن جَعْدة قالوا : حين تقوم من كل مجلس تقول فيه : سبحانك اللهمّ وبحمدك ، أستغفرك وأتوب إليك ، قالوا : ومن قالها غُفِر له ما كان منه[5] فى المجلس .

وقال عطاء : إن كنتَ أحسنتَ ازددْتَ إحساناً ، وإن كان غيرُ ذلك ، كان كفارة .

ومنهم من قال : تقولُ حين تقومُ : سبحان الله وبحمده من كلّ مكانٍ ومن كلّ مجلس .

---

(١) « لغط » فى ب .
(٢) فى ا : استغفار .
(٣) سورة الطور آية : ٤٨ .
(٤) فى ب زعم .
(٥) ساقط من ب .

بابُ حَمْدِ اللِّسَانِ وفَضْلِ البيان

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : « إنّ الرجلَ ليتكلّمُ بالكلمةِ من رضوانِ الله ما يظنّ أنها تبلغ ما بلغت يكتب الله[1] له بها رضوانَه إلى يومِ القيامة حتّى يلقاه ...[2] » الحديث .

قال مُعَاذ : قلت يا رسول الله ! أيُّ الأعمال أفضل ؟

قال : « لا يزالُ لِسانُك رَطْباً من ذكر الله » .

وروى عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قال : « أفضلُ الصَّدَقةِ صدقة اللسان ، تَدْفَعُ بها الكريهة ، وتحْقِنُ بها الدَّمَ » .

وقال عليه السلام : « أفضلُ الجهاد كلمةُ حقٍّ عند ذي سُلْطانٍ جائر » .

قال أبو عِنَبَة الخَوْلانى رحمه الله : رُبَّ كلمةٍ خير من إعطاء المال . وقال أبانُ ابن سُلَيم : كلمة حكمة لك من أخيك ، خير لك من مالٍ يعطيك؟ لأنّ المال يُطغيك ، والكلمة تهديك .

قالوا : خير الكلام ما دلّ على هدًى ، أو نهى عن ردًى .

ذُكِرَ عند الأحنف بن قيس : الصمتُ والكلامُ ، فقال قومٌ : الصمتُ أفضل[3] فقال الأحنف : الكلام أفضل[3] لأن الصمتَ لا يعدو صاحبه ، والكلامُ ينتفعُ به من سمعه ، ومذاكرةُ الرّجال تلقيحٌ لعقولها .

---

(١) ساقط من ا .

(٢) سترد بقية الحديث في باب تال ص٧٩ ،وقد أخرج ابن ماجة نحوه مطولا فى سننه ص ١٣١٣ حديث ٣٩٦٩ ج ٢ .

(٣) ساقط من ب .

وروى عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال : « رحم اللهُ عبداً تكلّمَ بخيرٍ فغَنِمَ ، أو سكت فسَلِم » .

قال سَعِيدُ بنُ جُبَيْر : رأيتُ ابن عبّاس رضى الله عنه فى الكعبة آخذاً بلسانه وهو يقول : يا لسانُ قل خيراً تغنمْ ، أو اسكتْ تَسْلم .

وقالوا : السُّكوت سلامة ، والكلامُ بالخير غنيمة ، ومن غنم أفضل ممن سلِمَ .

قال أعرابىّ : من فضل اللّسان ، أن الله عزّ وجلّ أنطقه بتوحيده من بين سائر الجوارح .

وقال عبدُ الملك بن مروان : الصمتُ نومٌ والنُّطق يقظة .

قال خالدُ بنُ صَفْوان : ما الإنسان لولا اللسان إلاّ صورة مُمَثَّلَة ، أو بهيمة مرْسَلَة(١) ، أو ضالَّةٌ مهملة.

كان يقال : الألسُن خَدَمُ القَرائح .

قال ربيعةُ الرأى(٢) : السّاكِت بين النائم والأخرس .

قالوا : إنما المرء بأصْغَرَيه : لسانِه وقلبِه .

كان يقال : اللسانُ تُرجمان الفُؤاد ، واللسَانُ حيّةُ الفم .

كان يقال : يجد البليغُ من ألم السّكوت ما يجد العيُّ من ألم الكلام .

وقالوا : المرءُ مخبوءٌ تحت لسانه .

---

(١) فى ب : مهملة .

(٢) هو أبو عثمان ربيعة بن فروخ ، من موالى التيميين ، كان من أجود الناس رأيا وعلما ومنطقا ولهذا لقب ربيعة الرأى ، ترجمته فى تهذيب التهذيب ٣/٢٥٨ ، الوفيات ١/١٨٣ ، تاريخ بغداد ٨/٤٢٠ .

وقال حسان بن ثابت :

لِسَانى وسَيْفى صَارِمَانِ كِلاَهُمَا ‏ ‏ ‏ ‏ وَيَبْلغُ مالا يَبْلُغُ السَّيفُ مِذْوَدِى[١]

وقال جرير :

ولَيْسَ لِسَيْفِى فى العِظَامِ بَقِيَّةٌ ‏ ‏ ‏ ‏ ولاالسَّيفُ أَشْوَى وَقْعَةً مِنْ لِسَانِياَ[٢]

وقال الخليل بن أحمد :

أىُّ شىءٍ من اللِّبَاسِ عَلَى ذِى السَّـــرْوِ أَبْهَى من اللِّسَانِ البَهِىِّ[٣]

قال ابن سيرين : لا شىء أزين على الرجل من الفصاحة والبيان ، ولا شىء أزين على المرأة من الشحم .

قال الشاعر :

وكَائِنْ تَرَى مِنْ سَاكِتٍ[٤] لَكَ مُعْجِبٍ ‏ ‏ ‏ ‏ زِيادُتُه أو نقصُهُ فى التَّكَلُّمِ

لسانُ الفَتَى نصفٌ ، ونصفٌ فُؤَادُه ‏ ‏ ‏ ‏ فلم يبقَ إلاّ صُورَةُ اللَّحْمِ والدَّمِ[٥]

---

(١) المذود : اللسان ، وانظر البيت فى ديوانه ١٢٧ .

(٢) وردت الشطرة الأولى فى ب : لسانى وسيفى صارمان كلاهما أيضاً ، وأحسب أنه تكرير من الناسخ لشطرة البيت السابق ، وما هنا موافق لرواية الديوان ٦٠٦ .

(٣) السرو : المروءة فى شرف ، وانظر البيت مع أبيات أخرى سترد بعد فى عيون الأخبار ١/١٠٠ ، جامع بيان العلم ٢/١٦٨ .

(٤) فى ا : صامت .

(٥) نسب الجاحظ البيتين فى البيان ١/١٨١ إلى الأعور الشنى ، ونسبا فى هامش التحقيق أنهما لزهير فى معلقته ، ولكننى لم أعثر على البيتين وأخ لهما ثالث سيرد بعد ، بين أبيات معلقة زهير فى شرح ديوانه لثعلب ط دار الكتب ١٩٤٤ وفيه أصح روايات المعلقة . نعم وجدتهما منسوبين له فى جمهرة أشعار العرب ٥١ ، وفى المعلقات ط مطبعة الموسوعات سنة ١٣١٩ هـ ، وفى ذلك الأخير علق الأستاذ الشنقيطى على البيتين بأنهما ليسا لزهير بل للخطفى جد جرير ، وفى حماسة البحترى ورد البيتان مرتين نسبهما فى الأولى ص ٢٠٥ إلى عبد الله بن معاوية الجعفرى مع ورود الشطر الأول هكذا : وكائن فتى من معجب لك حسنه ، ونسبهما فى الثانية ص ٣٦٧ إلى زهير ، وفى فصل المقال ٤٨٢ تردد فى نسبتهما بين الهيثم بن الأسود النخعى ، وبن الأعور الشنى .

قال أبو العتاهية[1]:

والناسِ خوضٌ فى الكلامِ وألسُنٌ ... وأقربُها من كلِّ خيرٍ صَدُوقهَا[2]

وروى ابنُ عمر قال : قدم رجلان من المشرق خطيبا،فعجب الناس لبيانهما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحرا » . فتأولت طائفة هذا على الذم لأن السحر مذموم ، وذهب الأكثر[3] من أهل العلم ، وجماعة من أهل الأدب إلى أنه على المدح لأن الله تعالى مدح البيان وأضافه إلى القرآن ، وقد أوضحنا هذا فى كتاب التمهيد ، والحمد لله .

وقد قال عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله ، لرجل سأله حاجة فأحسن المسألة ، فأعجبه قوله وقال : هذا — والله — السحرُ الحلال.

وقال علىّ بن العبّاس الرومى :

وَحَدِيثُهَا السِّحْرُ الحَلَالُ لَوَ انَّهُ ... لَمْ يَجْنِ قَتْلَ المُسْلِمِ المُتَحَرِّزِ[4]

فى أبيات قد ذكرتها فى موضعها من هذا الكتاب .

وقال الحسن : الرجال ثلاثة ، رجل بنفسه ، ورجل بلسانه ، ورجل بماله .

وكان يقال : فى اللسان عشر خصال : أداةٌ يظهرُها البيان ، وشاهدٌ يخبر عن الضمير ، وحاكمٌ يفصل به القضاء ، وناطقٌ يردّ به الجواب ، وشافعٌ تقضى به الحاجات ، وواصفٌ تعرف به الأشياء ، وواعظٌ ينهى به عن القبيح ، ومُعَزٍّ تسكنُ

---

(١) ديوانه ١٧٢ .   (٢) ساقط من ب .
(٣) ب : الأكثرون .
(٤) المتحرز : المتوقى والمتحصن ، وانظر البيت فى ديوانه ١٠٩ ، الأمالى ١/ ٨٤ ، نهاية الأرب ٢/ ٧١ .

به الأحزانُ ، وملاطفُ تذهب به الضغينة ، ومونقٌ يُلْهِى الأسْماع .

ونظر معاوية إلى ابن عبّاس رضى الله عنهما ، فأتبعه بصره ثم قال متمثلا :

إذا قالَ لَمْ يَتْرُكْ مَقالاً لِقَائِلٍ ... مُصِيبٍ وَلَمْ يَثْنِ اللسَانَ(١) عَلَى هُجْرِ

يُصَرِّفُ بالقَوْلِ اللِّسَانَ إِذَا انْتحى ... وَيَنْظُرُ فِي أَعْطَافِهِ نَظَرَ الصَّقْرِ(٢)

ولحسان بن ثابت فى ابن عبّاس :

إذا قال لَمْ يَتْرُكْ مَقالاً لِقَائِلٍ ... بمُنطَلَقَاتٍ لا تَرَى بَيْنَها فَصْلاَ

شَفَى وَكَفَى مَا فِي النُّفُوسِ فَلَمْ يَدَعْ ... لِذِى إِرْبَةٍ فِي القَوْلِ جِدًّا ولا هَزْلاَ(٣)

فى أبيات قد ذكرتها فى باب ابن عباس من كتاب « الصحابة » .

كان يقال : الجمالُ فى اللسان .

قيل لأعرابى : ما الجمالُ ؟ قال : طولُ الجسم ، وضِخَمُ الهامَة ، ورُحْبُ الشِّدْقِ ، وبُعْدُ الصَّوْت .

قال حبيبٌ :

لِسَانُ المَرْءِ منْ خَدَمِ الفُؤَادِ(٤)

---

(١) ا : الرجال

(٢) فى العقد ٢/٢٧٠ : « ولم يقف ... لعيى » مكان لقائل مصيب ، وانظر عيون الأخبار ١/١٧٠ ، معجم الأدباء ٦/١٨٨ . والهجر : القبيح من الكلام .

(٣) ديوانه ٧٤ ، العقد الفريد ٢/٦٦٢ ، عيون الأخبار ١/١٧٠ ، معجم الأدباء ٦/١٨٦ ، وفيها : علنقطات . والملتقطات : المتخيرات .

(٤) عجز بيت لحبيب بن أوس الطائى أبى تمام وصدره : وبما كانت الحكماء قالت : ديوانه ٨٠ .

وقال آخرُ :

والقَوْلُ يَنْفُذُ مَالاَ تَنْفُذُ الإِبَرُ(١)

(٣)قال امرؤُ القيس(٢) :

وجُرْحُ اللِّسَانِ كَجُرحِ اليَدِ(٣)

قال ابن أبي حازم :

أَوْجَعُ مِنْ وَقْعَةِ السِّنَانِ ... لِذِي الحِجا وَخْزَةُ اللِّسَانِ(٤)

---

(١) عجزبيت للأخطل ، وصدره :* حتى أقروا وهم منى على مضض * ديوانه ١/١٠٥ ، البيان ١/١٥٨ ، ١٧٠ ، العقد ٢/٤٤٥ .

(٢) عجزبيت وصدره :*ولو عن نثا غيره جاءنى* والنثا :الحديث المنتشر، وانظر ديوانه ١٨٥ العقدالفريد ٢/٤٤٥ .

(٣) ساقط من ب .

(٤) عيون الأخبار ٣/١٨٤ وفيه : وخزة السنان .

باب ذمّ[1] العِيّ وحَشْو الكلام

قال أبو هُريرة : لا خيرَ فى فُضُول الكلاَم .

وقال عَطَاء : كانوا يكرهون فضولَ الكلام .

وقال : بتَرْكِ الفُضُول تكمُلُ العُقول .

[2]وقال : فضول الكلام ما ليس فى دين ولا دُنيا مباحاً[2]

وقال : الصَّمْت صِيَانَةُ اللِّسَان ، وسترُ العيّ .

وقالوا : العيّ الناطق أعْيَا من العي الساكت .

وقالوا : أحسنُ الكلام ما كان قليلهُ يُغنيكَ عن كثيرِه ، وما ظهر معناهُ فى لفظه .

وروى[1] عن عبدالله بن عُمر ، أنّه قيل له : لو دعوت لنا بدَعَوَاتٍ . فقال : اللّهم اهْدِنا وعافنا وارْزُقنا . فقال له رجلٌ . لو زِدتنا يا أبا عبد الرحمن ؟ فقال : أعوذُ باللهِ من الإسهاب .

وقال شُفَيّ بن مَاتِع[3] : [4] من كثر كلامه كثرت خطاياه .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من كثر كلامه كثر سقطه .

قال يعقوب عليه السلام لبنيه : يا بَنِيَّ إذا دخلتم على السلطان فأقلّوا الكلام .

قال ابن هُبَيْرة : مامن شىء إلاّ وهو محتاجٌ إلى فضوله يوماً ، إلاّ فضولُ الكلام.

---

(١) ساقط من ب .

(٢) ساقط من م .

(٣) ا : سبعى بن ناقع ، ب : شفى بن مانع . والصحيح ما أثبتناه ، انظر ترجمته فى تهذيب التهذيب ٣٦٠/٤ .

(٤) من هنا وتنقص نسخة ب نقصا كبيراً ، إذ سقط منها بقية هذا الباب ، وأربعة أبواب أخرى تالية .

قال الحسن : رحم الله عبداً أوْجز فى كلامه ، واقتصر على فصاحته ، فإن الله يكرهُ كثرة الكلام .

وكان يقال : أفضل الكلام ما قلّت ألفاظه وكثرت معانيه ، أخذ هذا المعنى أحمد بن إسماعيل الكاتب[1] فقال :

خيرُ الكَلَامِ قَلِيلٌ ... عَلَى كَثِيرٍ دَلِيلٌ
والعِيُّ مَعْنىً قَصِيرٌ ... يَحْوِيهِ لَفْظٌ طَوِيلٌ

وقال أبو العتاهية[2] :

الصَّمْتُ أَلْيَقُ بالفَتَى ... مِنْ مَنْطِقٍ فِي غَيْرِ حِينِهْ
لَا خَيْرَ فِي حَشْوِ الكَلَا ... مِ إذَا اهْتَدَيْتَ إلى عُيُونِهْ

وقال منصور الفقيه :

تَعَمَّدْ لِحَذْفِ فُضولِ الكَلَامِ ... إذَا مَا نَأَيْتَ وعِنْدَ التَّدَانِى
ولَا تُكْثِرَنَّ فَخَيْرُ الكَلَامِ الْـ ... قَلِيلُ الحُرُوفِ الكَثِيرُ المَعَانِى

قال بعضُ قضاة عمر بن عبد العزيز — رحمه الله — وقد عزله : لِمَ عزلتنى ؟ قال : بلغنى أنّ كلامَك مع الخصْمين أكثرُ من كلام الخصْمين .

---

(١) هو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الخصيب، المعروف بنطاحة ، كان كاتب عبيد الله بن عبد الله بن طاهر والى خراسان ، وكان بليغا مترسلا شاعراً أديباً ، قتل سنة ٢٩٠ هـ . انظر معجم الأدباء ٢/٢٢٩ الفهرست ١٨٠ ، وانظر البيتين فى معجم الأدباء ٢/٢٢٨ .

(٢) ديوانه ٢٨٢ ، البيان ١/٢٢٤ ، لباب الآداب ٢٧٧ ، وفى حماسة البحترى ٣٦٤ ، أورد بيتين قريبين من هذين ، والثانى قبل الأول وهما :

لا تكثرن حشو الكلا ... م إذا اهتديت إلى عيونه
والصمت احسن بالفتى ... من منطق فى غير حينه

ونسبهما لصالح بن عبد القدوس .

تكلّم ربيعةُ الرأى يوماً فأكثر الكلام ، فأعجبته نفسُه ، وإلى جنبه أعرابىّ فقال له : يا أعرابى ! ما تعدّون البلاغة فقال : قلة الكلام . قال : ما تعدون العىّ فيكم ؟ فقال : ما كنتَ فيهِ منذ اليوم .

وأنشد الخُشَنى(١) — رحمه الله — :

وما العِيُّ إلاَّ مَنْطِقٌ مُتَتَابِعٌ سَوَاءٌ عَلَيْهِ حَقُّ أَمْرٍ وبَاطِلُهْ(٢)

قالت العرب : لا يجترئُ على الكلام إلا فائق أو مائق .

قال النَّمرُ بنُ تَوْلَبٍ(٣) :

أَعِذْنِى رَبِّ من حَصْرٍ وَعِىٍّ وَمِنْ نَفْسٍ أُعَالِجُهَا عِلاَجَا

وِمنْ حَاجَاتِ نَفْسِىَ فاعْصِمَنِّى فَإِنَّ لِمُضْمَرَاتِ النَّفْسِ حَاجَا(٤)

وقال آخر :

عَجِبْتُ لِإِدْلاَلِ العَيِّ بِنَفْسِهِ وَصَمْتِ الَّذِى قَدْ كَانَ بِالْحَقِّ أَعْلَمَا

وَفِى الصَّمْتِ سِتْرٌ لِلْعَيِّ وإِنَّمَا صَحِيفَةُ لُبِّ المرءِ أَنْ يَتَكَلَّمَا(٥)

---

(١) الخشنى : محمد بن عبد السلام بن ثعلبة القرطبى ، رحل إلى المشرق ومكث فيه طويلا متجولا فى طلب الحديث ، وكان ثقة كبير الشأن ، انظر بغية الوعاة ٦٧ ، جذوة المقتبس ٦٣ .

(٢) البيت لعبد الله بن بكر المزنى ، لباب الآداب ٢٧٥ .

(٣) شاعر مخضرم ، يسمى الكيس لحسن شعره ، انظر ترجمته فى الشعر الشعراء ١٠٥ ، اللباب ٣/٢٣٨

(٤) عيون الأخبار ١/١٠٩ ، البيان ١/١٨ .

(٥) نسب البيتان فى البيان ١/٢٢٦ ، مجموعة المعانى ١٦٩ إلى حذيفة الخطفى جد جرير ، وفى العقد الفريد ٢/٢٦٦ إلى الحسن بن جعفر ونسبا فى حماسة البحترى ٣٦٧ إلى مالك بن سلمة العبسى ، ووردا فى عيون الأخبار ٢/١٧٥ ، معجم الأدباء ١/٩٠ بغير نسبة ، وفيها لإزراء العى بدلا من إدلال .

قال بعض الحكماء : ليس شيء [إلاّ[١]] إذا ثنيته قَصُر إلاّ الكلام ، فإنك كلّما ثنيتَه طال .

قالوا : أعْيا العِيّ بلاغة بعِيّ ، وأقبحُ اللّحْنِ لحنٌ بإعراب .

كان مالك بن أنس يعيب كثرة الكلام ويذمّه ويقول : كثرةُ الكلام لاتوجد إلاّ فى النّساء والضعفاء .

ذمّ أعرابىّ رجلا ، فقال : هو من يتّاَى المجالس ، أعيا ما يكون عند جلسائه ، أبلغُ ما يكون عند نفسه .

---

(١) زيادة يقتضيها المعنى .

بابٌ فى اجتناب اللّحن ، وتعلُّم الإعراب
وذمّ الغريب فى الخطاب

كتب عمرُ إلى أبى موسى : أمّا بعد ، فتفقّهوا فى السُّنّةِ ، وتعلَّموا العربية

ورُوى عنه رحمه الله أنه قال : رحم اللهُ امرأً أصلح من لسانه .

وقال علىّ بنُ محمّد العَلَوىّ(1) :

رأيتُ لِسَانَ المَرْءِ رَائِدَ عَقْلِهِ وَعُنْوَانَهُ فانْظُرْ بِمَاذَا تُعَنْوِنُ

وَلاَ تَعْدُ إِصْلاَحَ اللِّسَانِ فإِنّهُ يُخَبِّرُ عَمّا عِنْدَهُ وَيُبَيِّنُ

ويُعْجِبُنِى زِىُّ الفَتَى وجَمَالُهُ فَيَسْقُطُ مِنْ عَيْنَىَّ سَاعَةَ يَلْحَنُ

كان عبدالله بن عمر يضربُ ولده على اللّحن .

قال شعْبة : مثل الذى يتعلّم الحديث ، ولا يتعلم النحو مثل البُرْنسِ لا رأس له .

قال المأمون لأحد أولاده — وقد سمع منه لحناً — : ما على أحدكم أن يتعلم العربية فيقيم بها أَوَدَهُ ، ويَزين بها مَشْهَدَه ، ويَفُلّ بها حُجج خصمه بمسكتات حُكمه ، ويملك مجالسَ سلطانه بظاهر بيانه . أَوَ يَسُرُّ أحدكم أن يكون لسانه كلسان عبده أو أمته ، فلا يزال الدّهرَ أسيرَ كلمته ، قاتل الله الذى يقول :

---

(1) كذا وردت نسبته فى الأصل . والصحيح أنه على بن محمد بن العرتانى نسبة إلى قرية عرتا من نواحى النهروان من أعمال بغداد . وقد اشتهر بابن بسام والبسامى، توفى سنة ٣٠٢هـ ، انظر تاريخ بغداد ١٢ /٦٣ ، اللباب ١/ ١٢١ ، وانظر الأبيات فى معجم الأدباء ١٥/ ١٥١ ، معجم الشعراء ٢٩٠ ، زهر الآداب ٣/ ١٣٨ وفيها : وافد عقله مكان رائد .

أَلَمْ تَرَ مِفْتَاحَ الفُؤَادِ لِسَانَهُ   إِذَا هُوَ أَبْدَى مَا يَقُولُ مِنَ الفَمِ (١)

وكَائِنْ تَرَى مِنْ صَاحِبٍ لَكَ مُعْجِبٍ   زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ

لِسَانُ الفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ   فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ والدَّمِ

وقال الخليل بن أحمد :

لَا يَكُونُ السَّرِيُّ مِثْلَ الدَّنِيِّ   لَا وَلَا ذُو الذَّكَاءِ مِثْلَ الغَبِيِّ

لا يكونُ الألَدُّ ذو المِقْوَلِ المُرْ   هَفِ عِنْدَ القِيَاسِ مِثْلَ العَيِيِّ

أيُّ شَيْءٍ مِنَ اللِّبَاسِ عَلَى ذِي السَّـ   ـرْوِ أَبْهَى مِنَ اللِّسَانِ البَهِيِّ

يَنْظِمُ الحجةَ السَّنِيَّةَ فِي السِّلْـ   ـكِ مِنَ القَوْلِ مِثْلَ عِقْدِ الهَدِيِّ

وتَرَى اللَّحْنَ بالحَسِيبِ أَخِي الهَيْـ   ـأةِ مِثْلَ الصَّدَا عَلَى المَشْرَفِيِّ

فاطْلُبِ النَّحْوَ للحِجَاجِ وللشِّعْـ   ـرِ مُقِيماً والمُسْنَدِ المَرْوِيِّ

والخِطَابِ البَلِيغِ عِنْدَ جَوَابِ الْـ   ـقَوْلِ تُزْهَى بِمِثْلِهِ فِي النَّدِيِّ

وارْفُضِ القَوْلَ مِنْ طَغَامٍ جَفَوْا عَنْـ   ـهُ فَقَادُوا بَعْضَهُ لِلنَّسِيِّ (٢)

قِيمَةُ المَرْءِ كُلُّ مَا يُحْسِنُ المَرْ   ءُ قَضَاءً مِنَ الإِمَامِ عَلِيِّ

قال ثعلب : سمعت محمدَ بنَ سلاَّمٍ يقول : ما أحدث الناسُ مروءةً أفضلَ من طلب النّحو .

قال عبدالله بن المُبَارك ، اللحنُ في الكلام أقبحُ من آثار الجِدْرِيّ في الوجه

---

(١) ورد هذا البيت في حماسة البحتري ٣٦٧ وحده برواية أخرى هي :

وإن لسان المرء مفتاح قلبه   إذا هو أبدى ما يجن من الفم

وقد نسبه لصالح بن عبد القدوس ، هذا وانظر التعليق السابق على البيتين بعده في ص ٥٦ .

(٢) الألد : الخصم الذي لايحيد عن خصومته أو رأيه ، والهدى : العروس . والطغام : الأوغاد أو الحمق وانظر الأبيات في جامع بيان العلم ٢/١٦٨ .

وقال عبد الملك : اللحنُ هُجنة بالشريف .

قال ابن شُبرمة : إذا سرّك أن تَعظُمَ فى عين من كنتَ فى عينه صغيراً ، ويصغر فى عينك من كان فيها كبيرًا فتعلّم العربية ، فإنها تُجرِّيك[1] وتدنيك من السّلطان.

قال الشاعر :

النَّحْوُ يُصْلِحُ مِنْ لِسَانِ الأَلْكَنِ ... والمَرْءُ تُكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ

والنَّحْوُ مِثْلُ المِلْحِ إِنْ أَلْقَيْتَهُ ... فِى كلِّ ضِدٍّ مِنْ طَعَامِكَ يَحْسُنِ

وإذا طَلَبْتَ مِنَ العُلُومِ أَجَلَّهَا ... فَأَجَلُّهَا مِنْهَا مُقِيمُ الأَلْسُنِ[2]

رأى أبو الأسود الدُّؤَلِى أعدالا[3] للتجار مكتوباً عليها : لأبو فلان !! فقال : سبحان الله ! يلحنون ويربحون .

قال رجل للحسن البصرىّ : يا أبو سعيد ! فقال : كَسْبُ الدَّوانيق شَغَلَكَ أن تقول : يا أبا سعيد .

مر خالدُ بنُ صَفْوَانٍ بقوم من الموالى يتكلّمون فى العربية ، فقال : لئن تكلمتم فيها لأنتم أولُ من أفسدها .

وقالوا : العربيةُ تزيدُ فى المُرُوءة .

وقالوا : من أحبّ أن يجد فى نفسه الكِبْرَ فليتعلم النحو .

---

(١) فى عيون الأخبار ٢/ ١٥٧ : تجريك على المنطق ، وتدنيك ... الخ ، وانظر العبارة أيضا فى المصون لأبى أحمد العسكرى ١٤٥ .

(٢) نسبت الأبيات فى الكامل ١ /٢٤٨ ، زهر الآداب ٣/١٣٨ إلى إسحاق بن خلف البهرانى ، وورد البيت الثالث فى جامع بيان العلم ١/ ٥٨ منسوبا إلى أبى حاطب من غير تعيين ، وانظرها فى عيون الأخبار ١/ ١٧٥ ، معجم الأدباء : ١/ ٢٦٧ ، والبيتين الأول والثالث فى التمثيل والمحاضرة ١٦١ من غير نسبة .

(٣) العدل : نصف حمل الدابة .

وقال أبو شِمْر(١) : قارئُ النحوَ إذا دخله الـكبر استفاد السخط من الله ، والمقت من الناس .

وقال الخليلُ يوماً : لا يصلُ أحد من النحو إلى ما يحتاج إليه ، إلاّ بما لا يحتاج إليه ، فقد صار إذًا ما لا يُحتاجُ إليه يُحتَاجُ إليه .

وروى عنه فى هذا الخبر ، أنه قال : من لم يصل إلى ما يَحْتَاجُ إليه إلا بما لا يُحتاجُ إليه ، فقد صار محتاجاً إلى ما لا يَحْتَاجُ إليه .

وروى أن هذه القصة ، عرَضَتْ للخليل مع أبى الُهذَيْل(٢) وروى أنها عرضت لأبى عُبَيْدَةَ مع النّظّام(٣) ، والذى تقدّم أصحُّ إن شاء الله تعالى .

وقال المأمونى(٤) :

سَأَتْرُكُ النَّحْوَ لِأَصْحَابِهِ   وَأَصْرِفُ الْهِمَّةَ فى الصَّيْدِ

إنَّ ذَوِى النَّحْوِ لَهُمْ هِمَّةٌ   مَوْسُومَةٌ بِالْمَكْرِ وَالْكَيْدِ

يضربُ عبدُ الله زَيْدًا وَمَا   يُرِيدُ عبدُ اللهِ من زَيْدِ

---

(١) الضبعى البصرى ، من ثقات رجال الحديث ، ترجمته فى تهذيب التهذيب ١٢/١٢٦ .

(٢) محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدى ، أبو الهذيل العلاف ، من أئمة المعتزلة ، ترجمته فى تاريخ بغداد ٣/٢٦٦ ، وفيات الأعيان ١/٤٨٠ .

(٣) إبراهيم بن سيار بن هانئ البصرى ، أبو إسحاق النظام من أئمة المعتزلة ، ترجمته فى تاريخ بغداد ٦/٩٧ ، اللباب ٣/٢٣٠ .

(٤) عبد السلام بن الحسين المأمونى ، شاعر رقيق يتصل نسبه بالمأمون العباسى ، توفى سنة ٣٨٣ هـ ، انظر فوات الوفيات ١/٢٧٣ ، يتيمة الدهر ٤/١٦٩ ، وانظر الأبيات فى العقد الفريد ٢/٢٨٧ منسوبة إلى بعض الوراقين ، وقد ورد فيه البيت الأول :

رأيت يا حاد فى الصيد   أرانباً تؤخذ بالأيدى

كتب غسَّانُ بن رفيع — المعروف بدَمَاذ[١] — إلى أبي عثمان النحوي المازني :

تَفَكَّرْتُ في النَّحْوِ حَتَّى مَلِلْـــتُ وَأَتْعَبْتُ نَفْسِي [به] وَالبَدَنْ
فَكُنْتُ بِظَاهِــرِهِ عَالِمًا وَكُنْتُ بِبَاطِنِـــهِ[٢] ذَا فَطِنْ
خَلَا أَنَّ بَابًا عَلَيْـــهِ العَفَا ءُ لِلْفَاءِ يا لَيْتَـــهُ لَمْ يَكُنْ
وَلِلْوَاوِ بَابٌ إِذَا جِئْتَـــهُ[٣] مِنَ الْمَقْتِ أَحْسَبُهُ قَدْ لُعِنْ
إِذَا قُلْتُ هاتُوا لِمَاذَا يُقَا لُ : لَسْتُ بِآتِيــكَ أَوْ تَأْتِيَنْ
أَجِيبُوا لِمَا قِيلَ هٰذَا كَذَا عَلَى النَّصْبِ ؟ قَالُوا : بِإِضْمَارِ أَنْ

وروينا عن أبي حاتم السِّجستاني رحمه الله قيل : إنها له . والله أعلم .

وقال آخر[٤] :

إِنَّمَا النَّحْوُ قِيَـــاسٌ يُتَّبَعْ وَبِهِ فِي كُلِّ عِلْمٍ يُنْتَفَعْ
فَإِذَا مَا أَبْصَرَ النَّحْوَ الفَتَى مَرَّ فِي الْمَنْطِقِ مَرًّا وَاتَّسَعْ
وَاتَّقَاهُ كُلُّ مَنْ جَالَسَهُ مِنْ جَلِيسٍ نَاطِقٍ أَوْ مُسْتَمِعْ
وَإِذَا لَمْ يُبْصِرِ النَّحْوَ الفَتَى هَابَ أَنْ يَنْطِقَ جُبْنًا وَانْقَمَعْ
يَقْرَأُ الْقُرْآنَ لَا يَعْرِفُ ما فَعَلَ الإِعْرَابُ فِيهِ وَصَنَعْ

---

(١) م : حسان ، وقد ورد اسمه هكذا في بقية الأصول كما ورد في عيون الأخبار ، والصحيح أنه يدعى رفيع بن سلمة أبو غسان ، انظر أمالي القالي ٢/١٨٦ ، العقد الفريد ٢/٤٨٩ .

(٢) في ا : بظاهره .

(٣) في ب : إلى جنبه ، وكذلك في عيون الأخبار والعقد الفريد .

(٤) قائلها الكسائي ، انظر ترجمته والأبيات في معجم الأدباء ١٣/١٩١ .

يَخْفِضُ الصَّوْتَ إِذَا يَقْرَؤُهُ ... وَهْوَ لَا عِلْمَ لَهُ فِيمَا اتَّبَعْ
وَالَّذِى يَقْرَؤُهُ عِلْمـــاً بِهِ ... إِنْ عَرَاهُ الشَّكُّ فِى الْحَرْفِ رَجَعْ
نَاظِراً فِيـــهِ وفى إعرابِهِ ... فإِذَا مَا عَرَفَ الْحَقَّ صَدَعْ
أَهُمَا فِيـــهِ سَوَاءٌ عِنْدَكُمْ ... لَيْسَتِ السُّنَّةُ فِينَا كالْبِدَعْ
وَكَذَاكَ الْجَهْلُ وَالْعِلْمُ فَخُذْ ... مِنْهُ مَا شِئْتَ وَمَا شِئْتَ فَدَعْ

كان أبو مسلم مؤدب عبد الملك بن مروان ، قد نظر فى النحو ، فلما أحدث الناس التصريف لم يحسنه ، وهجا أصحابه فقال :

قد كانَ أَخْذُهُمُ فى النَّحْوِ يُعْجِبُنِى ... حَتَّى تَعَاطَوْا كلامَ الزِّنْجِ وَالرُّومِ
لَمَّا سَمِعْتُ كلاَمًا لَسْتُ أَعْرِفُهُ ... كأَنَّهُ زَجَــلُ الغِرْبَانِ وَالْبُومِ
تَرَكْتُ نَحْوَهُم وَاللهُ يَعْصِمُنِى ... مِنَ التَّقَحُّمِ فى تِلْكَ الجَرَائِمِ [1]

وقال عَمَّارُ الْكَلْبِيّ :

مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الْمُسْتَعْرِبِينَ وَمِنْ ... قِيَاسِ نَحْوِهِمْ هٰذَا الَّذِى ابْتَدَعُوا
إِنْ قُلْتُ قَافِيَةً بِكْراً يَكُونُ لهَا ... مَعْنًى يُخَالِفُ مَا قَاسُوا وَمَا صَنَعُوا
قَالُوا لَحَنْتَ فَهٰذَا الْحَرْفُ مُنْخَفِضٌ ... وَذَاكَ نَصْبٌ وَهٰذَا لَيْسَ يَرْتَفِعُ
وَحَرَّشُوا بَيْنَ عَبْدِ اللهِ فَاجْتَهَدُوا ... وَبَيْنَ زَيْدٍ وَطَالَ الضَّرْبُ وَالْوَجَعُ
فَقُلْتُ وَاحِدَةً فِيهَا جَوَابُهُمُ ... وَكَثْرَةُ الْقَوْلِ بِالإِيجَازِ تَنْقَطِعُ

(١) البيتان الأول والثانى فى معجم الأدباء ١٣/١٩٣، ١٩٤ وقد ورد الشطر الأول من الثانى فيه : يعمل نعل لاطاب من كلم .

مَا كُلُّ قَوْلِيَ مَشْرُوحٌ لَكُمْ فَخُذُوا ... مَا تَعْرِفُونَ وَمَا لَمْ تَعْرِفُوا فَدَعُوا

حَتَّى أَعُودَ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ غَذُوا ... بِمَا غُذِيتُ بِهِ وَالْقَوْلُ يَتَّسِعُ

فَتَعْرِفُوا مِنْهُ مَعْنَى مَا أَفُوهُ بِهِ ... كَأَنَّنِي وَهُمُ فِي قَوْلِهِ شَرَعُ[1]

كَمْ بَيْنَ قَوْمٍ قَدِ احْتَالُوا لِمَنْطِقِهِمْ ... وَبَيْنَ قَوْمٍ عَلَى الإِعْرَابِ قَدْ طُبِعُوا

وَبَيْنَ قَوْمٍ رَأَوْا أَشْيَا مُعَايَنَةً ... وَبَيْنَ قَومٍ حَكَوْا بَعْضَ الَّذِي سَمِعُوا

إِنِّي رُبِيتُ بِأَرْضٍ لَا يُشَبُّ بِهَا ... نَارُ الْمَجُوسِ وَلَا تُبْنَى بِهَا الْبِيَعُ

وَلَا يَطَا الْقِرْدُ وَالْخِنْزِيرُ تُرْبَتَهَا ... لَكِنْ بِهَا الرِّيمُ وَالرِّئْبَالُ وَالضُّبُعُ[2]

وقال أبو هفان[3] :

إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تَحْظَى ... وَأَنْ تَلْبَسَ قُوهِيًّا[4]

وَأَنْ تُصْبِحَ ذَا مَالٍ ... فَكُنْ عِلْجًا نَبِيطِيًّا[5]

وَإِنْ سَرَّكَ أَنْ تَشْقَى ... وَأَنْ تُصْبِحَ مُقْلِيًّا

فَكُنْ ذَا نَسَبٍ ضَخْمٍ ... وَكُنْ مَعْ ذَاكَ نَحْوِيًّا

---

(١) شرع : سواء .

(٢) انظر الأبيات فى معجم الأدباء ١١/ ٢٢٨ ، أوردها الأخفش رواية عن أحد الأعراب .

(٣) أبو هفان عبد الله بن أحمد بن حرب المهزمى ، كان شاعراً عالما راوية، من أهل البصرة ، وسكن بغداد، قال السيوطى فى بغية الوعاة ، كان مقترا ضيق الحال يلبس مالا يكاد يستر جسده . توفى سنة ٢٥٧ هـ. انظر اللباب ٣/١٩٤ ، تاريخ بغداد ٩/ ٣٧٠ .

(٤) القوهى : الثوب الأبيض.

(٥) العلج : الرجل من كفار العجم ، والنبيط والنبط والأنباط : جيل من الفرس ، كانوا ينزلون بالبطائح بين العراقين كانوا يستنبطون للمياه الجوفية لاستعمالها فى الزراعة .

بابُ اختِلافِ عِبارَتِهِمْ عَن البلاغة

قال المُفَضَّلُ الضَّبِّيُّ لأعرابى : ما البلاغة ؟ قال : الإيجازُ فى غير عجز ، والإطناب فى غير خَطَل .

وقيل للأحنف : ما البلاغة ؟ قال : الإيجازُ فى استحكام الحجج ، والوقوفُ عند ما يُكتفى به .

وقال خالدُ بن صَفْوان لرجل كثر كلامه : إنّ البلاغة ليست بكثرة الكلام ، ولا بخفّة اللسان ، ولا كثرة الهَذَيَان . ولكنها إصابة المعنى والقصد إلى الحجة .

وقيل لأعرابى : ما البلاغة ؟ فقال : لمحة دالّة .

وقيل لِبشْر بن مالك : ما البلاغة ؟ قال : التقرُّب من المعنى ، والتباعدُ عن حَشْو الكلام ، ودلالةٌ بقليل على كثير .

سئل عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة : ما البلاغة ؟ فقال : القصدُ إلى عين الحجة بتقليل اللفظ .

وقال غيره : البلاغة معرفة الفَصْل من الوصل ، وفرق ما بين المُشْتَرك والمُفْرَد وفصلُ ما بين المقيّد والمُطْلَق ، وما يحتمل التأويل ويستغنى عن الدليل .

وقيل لبعض اليونانية : ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام .

وقيل لرجل من الرّوم : ما البلاغة ؟ قال: حسنُ الاقتصاد عند البديهة ، والغزارةُ يوم الإطالة .

وقيل لرجل : ما البلاغة ؟ فقال : حسنُ الإشارة ، وإيضاحُ الدلالة ، والبَصَرُ بالحجة ، وانتهازُ مواضع الفرصة .

وسأل معاوية بن أبى سفيان صُحَارًا العبدىّ ؟ ما البلاغة عندكم ؟ ، قال : الإيجاز . قال : ما الإيجاز ؟ قال : أن تقول فلا تخطئ ، وتسرع فلا تبطئ . فقال معاوية . وكذلك تقول ؟! قال : أقلنى يا أمير المؤمنين . أنت لا تخطئ ولا تبطئ .

وقد روى مثل هذا المعنى للحَجّاج مع ابن القَبَعْثَرَى . فالله أعلم .

وقالوا : أبلغُ النّاس أحسنُهم بديهة ، وأمثلُهم لفظاً .

قال خالد بن صفوان : خيرُ الكلام ما ظَرُفَتْ معَانيه ، وشَرُفَتْ مبَانيه ، والتذّت به آذان سامعيه .

بابُ مَنْ خَطَبَ فَأُرْتِجَ[1] عليه

قال الحرثُ بن جابر ، وكان أحد حكماء العرب — فيما أوصى به ابْنه : وإياك والخُطَب فإنّها مِشْوَارٌ كثير العِثَار .

صعد عثمان بن عفّان رضى الله عنه على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم أُرْتِج عليه ، فقال: أمّا بعد ، فإنّ أولَ كُلِّ مركبٍ صعب ، وما كنا خطباء ، وسيعلم الله ، وإن امرأً ليس بينه وبين آدم أب[2] حىٌّ لموعوظ .

ويروى أن عثمان بن عفّان رضى الله عنه صعد المنبر فأرتج عليه . فقال : إنّ أبا بكر وعمر كانا يُعِدّان لهذا المقام مقالا ، وأنتم إلى إمام فعّال أحوج منكم إلى إمام قوّال .

وروى فى هذا الخبر : أنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام قائل .

وروى أنّ عثمان لمّا بويع ، قام فحمد اللهَ وأثنى عليه ثم أرتج عليه،فقال : وَلِينا كم وعَدَلْنا فيكم ، وعدلُنا عليكم خيرٌ من خطبتنا فيكم،فإن أعِشْ يأتكم الكلام على وجْهه .

وروى أنّ عبد الرحمن بن جابر بن الوليد ، خطب الناس على منبر حمص فأرتج عليه ، فقال : يأهل حمص ! أنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب مصقع[3] ، ثم نزل .

وأرتج يوماً على عبد الملك بن مروان ، فقال : نحنُ إلى الفضل فى الرأى ،أحوجَ منا إلى الفضل فى المنطق .

---

(١) أى استغلق عليه الكلام . (٢) ساقط من ا ، ب .

(٣) الخطيب المصقع : البليغ ، أو العالى الصوت ،أو الذى لا يرتج عليه فى كلامه .

وأرتج على معن بن زائدة ، وهو على المنبر ، فضرب بيده ثم قال : فتى حرب لا فتى منابر .

صعد عبدالله بن عامر منبر البصرة ، فحصر ، فشقّ ذلك عليه ، فقال له زياد : أيّها الأمير ! إنك إن أقمت عامّة من ترى أصابهم أكثر مما أصابك .

صعد عليّ بن أرطاة المنبر ، فقال : الحمد لله الذى يطعم هؤلاء ويسقيهم .

أُرتج على خالد بن عبدالله القَسْرىّ على منبر الكوفة ، فقال : إن هذا الكلام يجيء أحيانًا ويَعزُبُ أحيانا ، ويَسْهُل عند مجيئه ، ويَعْسُر عند عُزوبه طلبه ، وربما طُلب[١] فأبى ، وكوبر فعصى[٢] ، فالتأنّى لمجيئه أيسَر من التعاطى لأبيّه وهو يخ اج[٣] من الجرىء جنانه ، وينقطع من الذّرب لسانه ، فلا ينظره القول إذا اتسع[٤] ، ولا يكسره النطق إذا امتنع ، وسأعود فأقول إن شاء الله .

خطب رجل من الأزد أقامه زيادٌ للخطبة على منبر البصرة ، فلما رقى المنبر ، وقال الحمد لله ، أُرتج عليه ، فقال : قد والله هممتُ ألاّ أحضر اليوم ، فقالت لى امرأتى : نشدتك الله إن تركت الجمعة وفضلَها ، فأطعتها ، فوقفتُ هذا الموقف ، فاشهدوا أنها طالق . فقالوا له : انزل قبحك الله . وأُنزل إنزالا عنيفًا . وقد قيل : إن هذه القصة لوازع اليشكرى ، وفى ذلك قال الشاعر :

وما ضَرَّنِى أَلاَّ أَقُومَ بِخُطْبَةٍ ... وَمَا رَغْبَتِى فِى مِثْلِ مَاقَالَ وَازِعُ[٥]

---

(١) فى ا : طلبه ، وما أثبتناه موافق لما فى عيون الأخبار ١/٢٥٧ .

(٢) فى العيون : فنسا ، ومعناها : عسر وشق .

(٣) فى عيون الأخبار ١/٢٥٧ : وقد يختلط .

(٤) وفيها أيضاً بدل هذا : فلا يبطره ذلك ولايكسره .

(٥) البيان والتبيين ٢/٢٨٠ ، وفيه : ومارغبتى فى ذا الذى قال وازع .

وذكر القَهْرَمىّ عن أبيه قال: قام القُلاخُ بن حَزْن[1] يوم عيد خطيباً ، فقال : الحمد لله الذى خلق السموات والأرض فى ستّة أشهر . فقيل له : إنّما خلقها فى ستة أيام فقال : أقيلونى ، فوالله لقد ظننتُ أنّى أقللتُ ، وكنت أريدُ أن أقول فى ستّ سنين .

صعد رَوْحُ بنُ حاتم المنبر ، فلما رآهم قد فتحوا أسماعَهم وشقّوا أبصارهم ، قال : نكّسوا رُءوسَكم ، وغُضّوا أبصارَكم ، فإنّ أول كلّ مركب صعب ، وإذا يسّر الله فتح قفل يُسّر .

خطب مُصْعَبُ بن حيّان خطبة نكاح فحصر ، فقال : لقّنُوا موتاكم شهادةَ ألاّ إلهَ إلا الله ، فقالت أمّ الجارية : عجّل اللهُ موتك ، ألهذا دعوناك ؟!

قيل لرجل من الوجوه : قم فاصعدْ المنبر فتكلم ، فقام . فلمّا صعد المنبر حُصر ، فقال : الحمد لله الذى يرزق هؤلاء . وبقى ساكتاً فأنزلوه وأصعدوا آخر ، فلما استوى قائماً وقابل وجوه الناسِ بوجهه ، وقعت عَيْنُه على رجلٍ أصلع وحُصر ، فقال: اللّهم العن هذه الصّلعة .

صعد عتّابُ بنُ ورقاء منبر أصبهان فحصر ، فقال : والله لا أجمع عليكم عيًّا وبخلاء ، ادخلوا سوقَ الغنم فمن أخذ شاة فهى له وثمنها علىّ . وقد روى أن هذا إنما عرض لعبد الله بن عامر على منبر البصرة ، وأن عتّاب بن ورقاء هو الذى قام على المنبر فحمد الله ثم أرتج عليه ، فجعل يقول : أمّا بعد أمّا بعد ... ، وقبَالة وجهه شيخ أصلع

(١) فى الأصل الفلاح ، وما أثبتناه هو الصحيح فهو القلاخ بن حزن السعدى أبو خراش ، من شعراء بنى أمية انظر مشتبه النسبة للذهبى ٢/١٣ه .

فقال : أمَّا بعدُ يا أصلع ، فوالله ما غلَّطنى غيرُك ، علىَّ به ، فأُتى به فضربه أسواطًا .

وصعد آخر المنبر فقال : إن الله لا يرضى لعباده المعاصى ، وقد أهلك أمة من الأمم بعقرهم ناقةً لا تساوى مائتين وخمسين درهما ، فسمّى مُقَوِّم الناقة .

وهذا هو عبدالله بن أبى ثور عامل ابن الزبير على المدينة .

ذكر عمرو بن شبة ، حدثنا الحسين بن عثمان عن بعض علماء المدينة ، قال : ثم عزَل ابنُ الزّبير عبيدة بنَ الزبير ، واستعمل عبدَ الله بن أبى ثَوْرٍ حليف بنى عبد مناف ، فلقَّبه أهلُ المدينة مُقوّم ناقة الله ، وغلت الأسعارُ فتشاءموا به ، فعزَله ابن الزبير .

صعد أعرابيٌّ المنبر فقال : أقولُ لكم ما قال العبد الصّالح : ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وما أَهْدِيكم إلاَّ سَبِيلَ الرَّشادِ﴾(١) ، فقالوا له : هذا فرعونُ . فقال : قد والله أحْسَنَ القول .

قال بُزُرْجُمِهْر : هيبةُ الزَّلل تورث حَصْرًا ، وهيبةُ العاقِبة تورث جُبْنًا .

بابُ حَمْدِ الصَّمْتِ وذَمِّ المنطِق

قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « مَنْ صَمَتَ نَجَا » .

ورُوينا عن عُقبةَ بنِ عامرٍ ، أنه قال : يا رسول الله ! فيم النّجاة ؟ فقال : « يا عقبة ! أمسك عليك لسانَك ، وليَسَعْكَ بيتُك ، وابكِ على خطيئتِك » .

وروى أنه من كلام لقمان والله أعلم .

وقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « من كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فَلْيَقل خيراً أو ليَصْمُت » .

وقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « ويلٌ لمن يحدِّثُ الناسَ فيكذِبُ ليضحكَهُم ، ويلٌ له ، ثم ويلٌ له » .

وعن عيسى عليه السلامِ ، أنه قال : لا تُكْثِرُوا الكَلامَ بغير ذكر الله فتَقْسُوا قلوبُكم .

وبَلَغَنا أنَّ داودَ عليه السلام لَقِيَ لقمانَ بعد ما كبِرَتْ سنُّه ، فقال : ما بَقِيَ من عقلك ؟ فقال : لا أنطقُ فيما لا يعنيني ، ولا أتكلَّفُ ما كُفيته .

وقال ابن مسعود : أنذركم فضولَ الكلام .

وعن ابن مسعود وسَلْمَانَ الفارسْى ، قالا : أكثرُ النّاس وقوفاً يوم القيامة أكثرهم خوضاً فى الباطل .

وعن عَطاء : فضولُ الكلام ما عدا تلاوةَ القرآن ، والقولَ بالسنة عند الحاجة ، والأمرَ بالمعروف ، والنهيَ عن المنكر ، وأن تَنْطق فى أمر لا بدَّ لك منه فى معيشتك ،

أمَا يستحي أحدُكم أن لو نُشِرَتْ عليه صحيفتُه التى أملاها صَدْر نهاره أن يرى أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دُنياه ، ثم تلا : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ(١) ﴾ و ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ، مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ(٢) ﴾ .

وعنه عليه السلام أنه قال : « البِرُّ ثلاثةٌ : المنطقُ والنظرُ والصَّمت ، فمن كان منطقُه فى غير ذكر فقد لغَا ، ومن كان نظرُه فى غير اعتبارٍ فقد سَهَا ، ومن كان صمتُه فى غير تفكّر فقد لَهَا » .

قال بعضُ الشعراء :

لَسْتُ مِمَّنْ لَيْسَ يَدْرِى ... مَا هَوَانٌ مِنْ كَرَامَهْ

إِنَّ للنُّصْحِ وَلِلْغِشِّ ... عَلَى العَيْنِ عَلَامَهْ

لَيْسَ يَخْفَى الْحُبُّ والبُغْـ ... ـضُ وإِنْ رُمْتَ اكْتِتَامَهْ

لَيْسَ فِى أَخْذِكَ بِالفَضْـ ... ـلِ وبِالحِلْمِ نَدَامَهْ

وجَوَابُ الجَاهِلِ الصَّمْـ ... ـتُ وفِى الصَّمْتِ سَلَامَهْ

وعن الأصمعىّ قال ، قال أعرابىّ : السّكوتُ صيانةٌ للّسان وسترٌ للعىّ .

وقال أعرابىّ فى رجل رماه بالعِىّ : رأيت عثراتِ النّاس فى أرجلهم ، وعثرةَ فلان بين فكّيه .

---

(١) سورة الانفطار الآيتان ١٠ ، ١١ .

(٢) سورة ق : الآيتان ١٧ ، ١٨ .

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : « إن الرَّجل ليتكلمُ بالكلمة من سُخْطِ الله ما يظن أنها تبلغ ما بلغت ، يكتبُ الله له بها سُخْطه إلى يوم القيامة[١] » .

وروى عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قال : « إن الله يكرهُ لكم قيلَ وقالَ ، وكثرةَ السُّؤال ، وإضاعةَ المال » .

وذكر الأصمعيّ قال ، قال أعرابيٌّ : الكلمة أسيرةٌ فى وَثاق الرَّجل ، فإذا تكلّم بها كان أسيراً فى وَثاقِها .

قيل لبكرِ بنِ عبدالله المُزَنِيّ : إنك تطيل الصمت ؟ فقال : إنّ لسانى سبعٌ ، إن تركته أكلنى .

وأنشد الخُشَنِيّ :

لِسَانُ الفَتى سَبْعٌ عَلَيْهِ مُرَاقِبٌ ⁂ فإنْ لَمْ يَزَعْ مِنْ غَرْبِهِ فَهوَ آكِلُهْ[٢]

وقال الراجز :

القَوْلُ لاَ تَمْلِكُهُ إذَا نَمَا ⁂ كالسَّهْمِ لاَ يَرْجِعُهُ رَامٍ رَمَا

وقال آخر :

فدَاوَيْتُهُ بالحِلْمِ والمَرْءُ قَادِرٌ ⁂ عَلَى سَهْمِهِ مَا دَامَ فِى كَفِّهِ السَّهْمُ[٣]

قال هُبَيرة بن أبى وَهْب :

---

(١) راجع أول الحديث فى ص ٥٤ .

(٢) البيت لبكر بن عبد الله المزنى ، كما فى لباب الآداب ٢٧٥ ، وفيه : شذاته بدل مراقب ، والشذاة الجرأة والحدة ، ويزع : يكف . والغرب : الحدة والسفه .

(٣) البيان ٣/١٩٧ بغيرنسبة ، وقد نسبت فى حماسة البحترى ٣٨٢ لمعن بن أوس المزنى ، ووردت الشطرة الأولى فيه : فبادرت منه النأى والمرء قادر . ويقال فلان يرأب الثأى أى يصلح الفساد . والمرء فى العقد الفريد ٢/٢٧٦ .

وإنَّ مَقالَ المَرْءِ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ ... لَكالنَّبْلِ تَهْوِي لَيْسَ فِيهَا نِصَالُهَا[1]

قال أبو العتاهية :

مَنْ لَزِمَ الصَّمْتَ نَجا ... مَنْ قَالَ بالخَيْرَ غَنِمْ[2]

اجتمع أربعة حكماء ، فقال أحدهم : أنا على ردّ ما لم أقلْ ، أقدر منى على ردّ ما قلت ، وقال الآخر : لأن أندم على ما لم أقل ، أحبّ إليّ من أن أندم على ماقلت، وقال الثالث : إذا تكلمت بالكلمة ملكتني ، فاذا لم أتكلم بها ملكتها ، وقال الرابع : عجبت ممن يتكلم بالكلمة ، إن ذكرت عنه ضرته ؛ وإن لم تذكر عنه لم تنفعْه .

قال طَرَفَةُ بن العبد :

وإنَّ لِسَانَ المَرْءِ مَا لَمْ تَكُنْ لَهُ ... حَصَاةٌ عَلَى عَوْرَاتِهِ لَدَلِيلُ[3]

وقال منصور الفقيه :

عَلَيْكَ السُّكوت فإنْ لم يكُن ... مِنَ القَوْلِ بُدٌّ فَقُلْ أَحْسَنَهْ

فَرُبَّتَمَا فَارَقَتْ بالّذِي ... تقولُ أَمَاكِنَهَا الأَلْسِنَهْ

وقال آخر :

أيُّهَا المَرْءُ لاَ تَقُولَنَّ قَوْلاً ... لَسْتَ تَدْرِى مَاذَا يَجِيئُكَ مِنْهُ

واخْزِنِ القَوْلَ؛إنّ فى الصَّمْتِ حُكْمًا ... وإذَا أَنْتَ قُلتَ قَوْلاً فَزِنْهُ

(١) البيان ٣/١٩٧ ، الأمالى ١/٧٢ ، حماسة البحترى ٣٦٨ .

(٢) ديوانه ٢٤٣ ، جامع بيان العلم ١/١٣٩ .

(٣) ديوانه٧٦ ، الشعر والشعراء ١٤٧ ، مجموعة المعانى ٧٠ . حماسة أبى تمام٢/١٧٤ ، والحصاة :الرأى والعقل.

وإذا النَّاسُ أَكْثَرُوا فى حَدِيثٍ ... لَيْسَ مِمَّا يَزِينُهُمْ فَالْهُ عَنْهُ[1]

وقال أُحَيْحَةُ بنُ الجُلَاحِ[2] :

الصَّمْتُ أَكْرَمُ بالفَتَى ... مَا لَمْ يَكُنْ عِيٌّ يَشِينُهْ

والقَوْلُ ذُو خَطَلٍ إِذَا ... مَا لَمْ يَكُنْ لُبٌّ يُعِينُهْ

قال ابن مِقْسَم ، سمعت جَحْظة يقول : سمعت المأمونَ يقول : السَّخَافَةُ كَثْرةُ الكلام ، وصُحْبة الأنذال .

أنشد ابن المبارك[3] أخاً له كان يصحبه :

واغْتَنِمْ رَكْعَتَيْنِ زُلْفَى إِلَى اللّـ ... ـهِ إِذَا كُنْتَ فَارِغًا مُسْتَرِيحَا

وإِذَا مَا هَمَمْتَ بِالْمَنْطِقِ البَا ... طِلِ فَاجْعَلْ مَكَانَهُ تَسْبِيحَا

إِنَّ بَعْضَ السُّكُوتِ خَيْرٌ مِنَ النُّطْـ ... ـقِ وإِنْ كُنْتَ بِالْكَلَامِ فَصِيحَا

وقال أبو العتاهية[4] :

أَلَا إِنَّ بَعْدَ الدَّهْرِ ذُخْرًا تُنِيلُهُ ... وَشَرُّ كَلَامِ القَائِلِينَ فُضُولُهُ

عَلَيْكَ بِمَا يَعْنِيكَ مِنْ كُلِّ مَا تَرَى ... وَبِالصَّمْتِ إِلَّا عَنْ جَمِيلٍ تَقُولُهُ

---

(١) الأبيات لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، المتوفى سنة ١٢٩ هـ ، انظر البيان والتبيين ١/٢٧٤ ، لباب الآداب ٢٧٧ .

(٢) ابن الحريش الأوسى ، شاعر جاهلى من دهاة العرب وشجعانهم ، كان سيد الأوس فى الجاهلية ،مات قبل الهجرة بنحو ١٣٠ سنة . انظر الأغانى ١٣/١١٥ ، خزانة الأدب ٢/٢٣،وانظر البيتين فى البيان ١/٢٠، وفيه : أحسن بالفتى ، لباب الآداب ٢٧٧ وفيه : أجمل ...

(٣) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلى ، شيخ الإسلام ، جمع المعرفة بالحديث والفقه والعربية وأيام الناس توفى سنة ١٨١ هـ . انظر شذرات الذهب ١/٢٩٥ ، تاريخ بغداد ١٠/١٥٢ .

(٤) ديوانه ٢٣١ ، ورواية الشطر الأول فيه : ألا إن أبقى الذخر خير تنيله .

وله :

وحَسْبُكَ مِمَّنْ إنْ نَوَى الخَيْرَ قَالَهُ   وإنْ قَالَ خَيْرًا لَمْ يُكَذِّبْهُ فِعلُهُ(١)

كان يقال : العافيةُ عشرةُ أجزاء ، تسعةٌ منها فى الصمت ، وجزء فى الهرب من النّاس .

كان يقال: من طَوَّل صَمْتَه، اجْتَلَب من الهيبةِ ما ينفعه، ومن الوَحْشة مالا يَضرّه .

وقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : « إن من شِرَارِ النَّاسِ الذين يُكْرَمُون اتّقاءَ ألسنتهم » .

وقال الشاعر :

صَمَتُّ عَلَى أَشْيَاءَ لَوْ شِئْتُ قُلْتُهَا   وَلَوْ قُلْتُهَا لَمْ أُبْقِ للصُّلْحِ مَوْضِعا(٢)

وقال منصور الفقيه :

خَرِسٌ إذَا سَأَلُوا وإنْ   قَالُوا : عَيِيٌّ أو جَبَانُ

فالعِيُّ لَيْسَ بِقَاتِلٍ   وَلرُبَّمَا قَتَلَ اللِّسَانُ

كان يقال : اخزن لسانك كما تخزن مالك .

قال امْرُؤُ القَيْس(٣) :

إذَا المَرْءُ لَمْ يَخْزُنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ   فلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ سِوَاهُ بِخَزَّانِ

---

(١) ديوانه ٢٣٦ .

(٢) وفيات الاعيان ٥/١٣٣ ، وفيه : وأغضى على ...

(٣) ديوانه ١١٤ ، الشعر والشعراء ٥٩ ، فصل المقال ٢١ ، الكامل ٢/١٥ ، حماسة البحترى ٢٢٤ .

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ إنَّ صَمْتَكَ أَلْفَ عَامٍ لَأَصْلَحُ مِنْ كَلَامِكَ بِالْفُضُولِ
فَأَمْسِكْ أَوْ تَرَى لِلْقَوْلِ وَجْهًا يَبِينُ صَوَابُهُ لِذَوِى الْعُقُولِ

روينا أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، أخذ يوماً بطرف لسانه وقال : ها إنّ ذا[1] أوردنى الموارد .

وقال ابن مسعود رحمه الله : إن كان الشؤم فى اللّسان، ووالله ما على وجه الأرض شىء أحقّ بطول سجن من اللّسان .

أخذه الشاعر[2] فقال :

وَمَا شَىْءٌ إذَا فَكَّرْتَ فِيهِ أَحَقُّ بِطُولِ سَجْنٍ مِنْ لِسَانِ

كان يقال : اللّسانُ سَبع عقور .

قال الشاعر :

رَأَيْتُ اللّسَانَ عَلَى أَهْلِهِ إذَا سَاسَهُ الجَهْلُ لَيْثًا مُغِيرًا[3]

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : «وهل يَكُبُّ النّاسَ فى النّار على وجوههم إلاّ حصائدُ ألسنتهم» .

قال الله عزّ وجل : ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ[4]﴾ ، وقال :

---

(١) ب : هذا .

(٢) هو الحسين بن محمد التجيبى القرطبى المتوفى سنة ٤٥٦ هـ ، انظر معجم الأدباء ١٠/١٥٩ .

(٣) عيون الأخبار ١/٣٣٠ ، ٣/١٧٨ ، فصل المقال ٢٠ .

(٤) سورة ق آية : ١٨ .

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ، كِرَامًا كَاتِبِينَ ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[١] .

ورُوى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، أنّه قال : « إن الله عند لسانِ كلّ قائل ، فلينظر كلُّ امرئٍ ما يقول » .

قال عمّار الكلبي :

وَقُلِ الْحَقَّ وَإِلاَّ فَاصْمُتَنْ   إِنَّهُ مَنْ لَزِمَ الصَّمْتَ سَلِمْ
إِنَّ طُولَ الصَّمْتِ زَيْنٌ لِلْفَتَى   مِنْ مَقَالٍ فِيهِ عِيٌّ وَبَكَمْ

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « رحم اللهُ امرءاً أمسك فَضْلَ لسانه ، وبذل فضل ماله ، وعلم أن كلامه مُحصىً عليه » .

قال الأصبحيُّ : منْ كثُر كلامُه كثرت خطاياه .

وقال أبو الدّرْدَاء : مِنْ فقهِ الرَّجُلِ قلّةُ كلامه فيما لا يَعْنيه .

وقال مالك بن دينار : لو كانت الصُّحُفُ من عندنا ، لأقللنا الكلام .

قال الشاعر :

فِي نَبْوَةِ الدَّهْرِ لِي عُذْرٌ فَلاَ تَلُمِ   مَنْ أَقْعَدَتْهُ صُرُوفُ الدَّهْرِ لَمْ يَقُمِ
حَصَرٌ[٢] يُقَصِّرُ بِي عَنْ كُلِّ مَرْتَبَةٍ   وَمَا تُقَصِّرُ عَنْ نَيْلٍ لَهَا هِمَمِي
إِنْ عَابَنِي عَائِبٌ بِالصَّمْتِ قُلْتُ لَهُ   حَبْسُ الْفَتَى نُطْقَهُ خَيْرٌ مِنَ النَّدَمِ

وقال مَعْقِرُ بنُ حِمَارٍ البارقى :

---

(١) سورة الانفطار ، الآيات : ١٠ ، ١١ ، ١٢ .
(٢) الحصر بالتحريك : العى فى المنطق .

الشِّعْرُ لُبُّ المَرْءِ يَعْرِضُه وَالْقَوْلُ مِثْلُ مَوَاقِعِ النَّبْلِ(١)

وقال آخر :

وَالقَوْلُ يَنفُذُ مَالاَ تَنفُذُ الإِبَرُ(٢)

لما خرج يُونُسُ عليه السلام من بطن الحوت ، أطال الصمت ، فقيل له : ألا تتكلم ؟ فقال : الكلامُ صيَّرنى فى بطن الْحوت .

قال عمرُ بن عبد العزيز : المحظوظُ التَّقِىّ يلجم لسانه ، أخذه الحسن بن هانىء فقال :

إِنَّمَا العَاقِلُ مَن أَلْ جَمَ فَاهُ بِلِجَامْ .
مُتْ بِدَاءِ الصَّمتِ خَيْرٌ لَكَ مِن دَاءِ الكَلامْ(٣)

سئل عمرُ بن عبد العزيز — رحمه الله — عن قتلةِ عثمان ، فقال : تلك دماء كفّ الله عنها يدى ، فأنا أكره أن أغْمِسَ فيها لسانى .

وقال يزيدُ بنُ أبى حُبَيْب : المتكلم ينتظرُ اللعنة ، والْمُتَصَنِّتُ ينتظر الرحمة .

ويقال : شر ما طبع الله عليه المرء ، خُلق دَنِىّ ، ولسان بَذِىّ .

وقالوا : البُذَاء من النفاق .

وقال ابن القاسم : سمعتُ مالكاً يقول : لا خير فى كثرة الكلام ، واعتبر ذلك بالنساء والصبيان . إنما هم أبداً يتكلمون ، لا يصمتون .

---

(١) الحيوان ٣/٦١، ونسب فى معجم الشعراء ٤١١ ، الأغانى ١٠/١٦٧ إلى المتوكل الليثى .

(٢) نصف بيت للأخطل ، وقد سبق فى ص ٥٩ .

(٣) ديوانه ١٩٤ ، البيان ٢/٧٩ ، ٣/١٩٩، لباب الآداب ٢٧٤ ، مع تأخير الشطر الأول وتقديم الثانى فيهما جميعا ، وانظر وفيات الأعيان ٢/١٢٩ ، ١٣٠ ، مجموعة المعانى ٧٠ .

وقال الحسنُ: لسانُ العاقل من وراءِ قلبه، فإذا أراد أن يتكلَّمَ فكَّر، فإن كان له قال، وإن كان عليه سكت، وقلبُ الجاهلِ من وراء لسانه.

قال نصر بن أحمد[1]:

لِسَانُ الْفَتَى حَتْفُ الْفَتَى حِينَ يَجْهَلُ ... وَكُلُّ امْرِئٍ مَا بَيْنَ فَكَّيْهِ مَقْتَلُ

وَكَمْ فَاتِحٍ أَبْوَابَ شَرٍّ لِنَفْسِهِ ... إِذَا لَمْ يَكُنْ قُفْلٌ عَلَى فِيهِ مُقْفَلُ

إِذَا مَا لِسَانُ الْمَرْءِ أَكْثَرَ هَذْرَهُ ... فَذَاكَ لِسَانٌ بِالْبَلَاءِ مُوَكَّلُ

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا مُسَلَّمًا ... فَدَبِّرْ وَمَيِّزْ مَا تَقُولُ وَتَفْعَلُ

قال صالح بن جَنَاح[2]:

أَقْلِلْ كَلامَكَ وَاسْتَعِذْ من شَرِّهِ ... إِنَّ الْبَلَاءَ بِبَعْضِهِ مَقْرُونُ

وَاحْفَظْ لِسَانَكَ وَاحْتَفِظْ مِنْ غَيِّهِ ... حَتَّى يَكُونَ كَأَنَّهُ مَسْجُونُ

وَكِّلْ فُؤَادَكَ بِاللِّسَانِ وَقُلْ لَهُ ... إِنَّ الْكَلَامَ عَلَيْكُمَا مَوْزُونُ

فَزِنَاهُ وَلْيَكُ مُحْكَمًا فِي قِلَّةٍ ... إِنَّ الْبَلَاغَةَ فِي الْقَلِيلِ تَكُونُ

---

(١) نصر بن أحمد الخبز أرزي البصري، شاعر غزل ظريف، كان يخبز خبز الأرز بمربد البصرة في دكان، وينشد فيه أشعاره في الغزل، مات سنة ٣٢٧ هـ، انظر تاريخ بغداد ١٣/٢٩٧، وفيات الأعيان ٥/١٨، الأعلام ٨/٣٣٧، وانظر الأبيات من قصيدة طويلة في تاريخ بغداد: ١٣/٢٩٧، ٢٩٨ جامع بيان العلم ١/١٣٨.

(٢) اللخمي، شاعر دمشقي من الحكماء، أدرك التابعين، انظر الأعلام ٣/٢٧٥ ولم يذكر فيه شيئا عن تاريخ مولده أو وفاته، ومن الجدير بالذكر أن الأستاذ محمود شاكر ذكر في لباب الآداب تحقيق الشيخ أحمد شاكر هامش ص ٢٨ أنه يحتمل أن يكون صالح بن جناح هو صالح بن عبد القدوس، وأنه أخفى نفسه بهذا الاسم في بعض الأوقات خوف الطلب، وساق على ذلك دليلا حريا بالتقدير، فليرجع إليه، وانظر البيت الأول في جامع بيان العلم ١/١٣٧ منسوبا إلى عبد الله بن طاهر.

قال اللّاحقي[١] :

اخْفِضِ الصَّوْتَ إنْ نَطَقْتَ بِلَيلٍ ‏ ‏ ‏ وَالْتَفِتْ بِالنَّهَارِ قَبْلَ الكَلَامِ

قال آخر :

أَرَى الصَّمتَ خَيْرًا مِنْ كلامٍ بِمأْثَمٍ ‏ ‏ ‏ فَكُنْ صَامِتًا تَسْلَمْ وَإِنْ قُلْتَ فَاعْدِلِ

وَلَا تَكُ فِى حَقِّ الإِخَاءِ مُفَرِّطًا ‏ ‏ ‏ وإِنْ أَنتَ أَبْغَضْتَ البَغِيضَ فَأَجْمِلِ

وَلا تَعْجَلَنْ يَوْمًا بِشَرٍّ تُرِيدُهُ ‏ ‏ ‏ وَإِذْ مَا هَمَمْتَ الدَّهْرَ بالخَيْرِ فاعْجَلِ

أَلَا إِنَّ تَقْوَى اللهِ خَيْرُ مَغَبَّةٍ ‏ ‏ ‏ وَأَفضَلُ زَادِ الظَّاعِنِ المُتَحَمِّلِ[٢]

وقال آخر :

عَوِّدْ لِسَانَكَ قَوْلَ الصِّدْقِ تَحْظَ بِهِ ‏ ‏ ‏ إنَّ اللِّسَانَ لِمَا عَوَّدْتَ مُعْتَادُ[٣]

وقال الحكماء : إذا تمّ العقل نقص الكلام ، فضل العقل على المنطق حكمة ، وفضل المنطق عَلَى العقل هُجْنة[٤] .

وقال عمرو بن العاص : زَلّة الرِّجْل عظم يُجْبَر ، وزَلّة اللسان لا تبقى ولا تذر .

وقال أعرابى :

عَثَرَاتُ اللِّسَانِ لاَ تُسْتَقَالُ ‏ ‏ ‏ وَبِأَيْدِى الرِّجَالِ تُجْزَى الرِّجَالُ

---

(١) أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفير الرقاشى ، شاعر مكثر من أهل البصرة ، اتصل بالبرامكة وخص عدحهم ، ونظم لهم كليلة ودمنة شعرا ، انظر خزانة الأدب ٣/٤٥٨ ، الأعلام ١/٢٠ ، وانظر البيت فى عيون الأخبار ١/٤١ ، لباب الآداب ٢٦٦ .

(٢) ورد البيت الأول فى حماسة البحترى ٣٦٤ منسوبا إلى صالح بن عبد القدوس ، وورد البيت الأخير فيها أيضا ٢٥٠ منسوبا إلى أعشى باهلة .

(٣) لباب الآدب ٣٢٦ . ‏ ‏ ‏ (٤) الهجنة : العيب والنقص .

فَاجْعَلِ العَقْلَ لِلِّسَانِ عِقَالاً فَتَبْرَادُ اللِّسَانِ دَاءٌ عُضَالُ
إِنَّ ذَمَّ اللِّسَانِ مُبْقٍ عَلَى العِرْ ضِ وَبِالْقَوْلِ تُسْتَبَانُ الْفِعَالُ

وقال غيره :

يَمُوتُ الفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ وَلَيْسَ يَمُوتُ الرَّجُلُ مِنْ عَثْرَةِ الرِّجْلِ (١)
فَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تَرْمِي بِرَأْسِهِ وَعَثْرَتُهُ بِالرِّجْلِ تَبْرَا عَلَى مَهلٍ (٢)

وقال منصور الفقيه :

وَاخْرَسْ إِذَا خَفِيَتْ أُمُو رُ الحَقِّ عَنْكَ عَنِ الإِجَابَهْ
فَأَقَلُّ مَا يُجْزَى الْفَتَى بِسُكُوتِهِ عِزُّ الْمَهَابَهْ

وقال محمود الوراق :

وَلَفْظُكَ حِينَ تَلْفِظُ فِي جَمِيعٍ وَلاَ تَكْذِبْ مُقَدِّمَةٌ لِفِعْلِكْ (٣)
فَزِنْهُ إِنْ أَرَدْتَ الْقَوْلَ وَزْنًا وَإِلَّا هَدَّ مِنْ أَرْكَانِ نُبْلِكْ

وقال آخر :

وَمَن لَّا يَمْلِكُ الشَّفَتَيْنِ يَسْخُو بِسُوءِ اللَّفْظِ من قِيلٍ وَقَالِ

---

(١) ساقط من ب .

(٢) ورد البيتان فى عيون الأخبار ٣/١٨٠ غير منسوبين ، ونسبهما فى العقد الفريد ٢/٤٧٣ إلى جعفر ابن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ، وانظرهما فى وفيات الأعيان ٥/٤٤٢ من غير نسبة .

(٣) ا : فتغذيه لعقلك ، ب : فتعدمه لعقلك .

كَانَ يُونُس بنُ عبدالأعلى ينشدُ هذه الأبيات :

قَدْ أَفْلَحَ السَّاكِتُ الصَّمُوتُ　　كلاَمُ واعِى الـكَلاَمِ قُوتُ

مَا كلُّ قَوْلٍ لهُ جَوَابٌ　　جَوَابُ ما تَـكْرَهُ السكُوتُ

يَا عَجَبًـــــا لِامْرِئٍ ظَلُومٍ　　مُستَيْقِنٍ أَنَّه يَمُوتُ[1]

---

(١) نسبت هذه الأبيات فى الأغانى ٣/ ١٧٠ إلى محمد بن أبى العتاهية، وهى أيضا فى ديوان والده ص١٤، وانظرها فى عيون الأخبار ١/ ١٧٩ ، لباب الآداب ٢٧٦ .

بابٌ مِن مُزدوَجِ الكَلام

الزوجةُ أحد الكاسِبَيْن ، وقيل إصلاح المال أحد الكاسِبَيْن .

قلةُ العِيال أحدُ اليَسارَيْن .

القلمُ أحدُ اللِّسانَين .

الشيْبُ أحدُ المُنْذِرَيْن [1] .

اليأسُ أحدُ النُّجْحَيْن . ويقال : تعجيلُ اليأس [2] أحد الظَّفَرَيْن .

حُسْنُ التَّقدير أحدُ الكَسْبَيْن .

اللَّبَنُ أحدُ الجُبْنَيْن [3] .

كثرةُ العِيالِ أحدُ الفقرَيْن .

المالُ أحدُ الجاهَيْن [4] .

[5] الدُّعاء للسَّائِلِ أحدُ العَطاءَيْن [5] ، وقيل : الرّد على السائل بالدّعاء إحدى الصَّدَقتَيْن .

العَجيزةُ [6] أحد الوَجْهَيْن [6] . وقيل : الشَّعْر أحَدُ الوَجْهَيْن .

---

(١) فى ب : الميتتين .

(٢) فى ب : اليأس .

(٣) فى ب : اللحمين .

(٤) فى ب : الجهالتين.

(٥) ساقط من ا .

(٦) ساقط من ا .

الشّحم إحدَى الحُسنَيَيْنِ .

البياضُ أحدُ الجمالَيْنِ .

المَرَقُ أَحدُ اللّحمَيْنِ .

مَلْكُ العجينِ أحدُ الرَّيْعَيْنِ(١) . قال عمرُ بن الخطاب : املكوا العجينَ فإنه أحدُ الرَّيْعين .

المبلّغُ أحدُ الشّاتِمَيْنِ .

السّامِعُ للغِيبة أحدُ المُغْتابَيْنِ .

الرّاوِيَة للهِجاء أحدُ الهَجّائَيْنِ .

فصلٌ منه (٢)

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم لرجل أوصاه : « حافظ على العَصْرَيْن » .

والعصران : الصبح والظهر .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى البَرْدَيْنِ دخل الجنة » .

البَرْدَان : الغداة والعشي .

وقال بعضهم : الأَبْرَدَان : الغَدَاة والعشيّ .

الأَيْهَمان : السّيل والحريق .

---

(١) الريع : فضل كل شيء وزيادته ، والملك والإملاك : إحكام العجن وإجادته ، والمراد بالريعين، زيادة الدقيق عند الطحن على كيل الحنطة ؛ وعند الخبز على الدقيق.

(٢) ساقط من ب .

الأحْمَران : الذّهب والزّعفران .

الأسْودان : التّمرُ والمـاء .

الأطيبان : الأكلُ والجماع .

الأجْوَفان : الفمُ والفرج .

الأصْغران : القلبُ واللسان .

الأكبران : الهِمّةُ واللُّب .

الأصْمَعَان : الفَهمُ الذكى والرأىُ الحازم .

الجديدان : اللّيل والنّهار ، وكذلك المَلَوَان ، وكذلك العَصْران ، قال حُمَيْدُ ابن ثَوْر الهلالى[1] :

وَلَنْ يَلْبَثَ العَصْرَانِ يَوْمًا وَلَيلَةً ... إذا طَلبَا أَنْ يُدْرِكا ما تَيَمَّمَا[2]

وقال أبو بكر[3] بن دريد :

إنَّ الجديدَيْنِ إذَا مَا استَوْلَيَا ... عَلَى جَدِيدٍ أَدْنَيَاهُ لِلْبِلَى

[4] وقال سليمان بن بطّال[5] :

وتَقَلُّبُ المَلَوَيْنِ بَينَهُمَا الرَّدَى ... إنْ لَمْ يَكُنْ هٰذَا يَجِيء بِهِ فَذَا

(١) ساقط من ا .

(٢) ديوانه ٨ : الأمالى ١/١٣٨ ، ٢/٨٧ نهاية الأرب ٣/٦٢ ، وفيها جميعا : ولايلبث .

(٣) فى ب : محمد ، وهو على أى حال أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى ، من أئمة اللغة والأدب كانوا يصفونه بأنه أعلم الشعراء ، وأشعر العلماء ترجمته فى معجم الأدباء ٦/٤٨٣ ، وفيات الأعيان ١/٤٩٧ ، تاريخ بغداد ٢/١٩٥ .

(٤) من هنا وتنقص النسخة ب ، قدراً كبيراً ، إلى جزء كبير من باب الأدب التالى .

(٥) البطليوسى ، فقيه مقدم ، وشاعر محسن الشعر ، ترجمته فى جذوة المقتبس ٢٠٦ .

العمران : أبو بكر وعمر — رضى الله عنهما — هذا قول الأكثر .

كما قالوا : المكّتان : مكّةُ والمدينة .

والقمران : الشّمسُ والقَمر .

قال الفَرزدق :

أَخَذْنَا بآفاقِ السّماء عَلَيْكُمَا لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوالِعُ(١)

لم يختلفوا أنه أراد الشمس والقمر .

وقال أبو عبيدة فى قول قيس بن زُهير .

جَزَانِى الزَّهْدَمَانِ جَزَاءَ سُوءٍ وَكُنْتُ المَرْءَ يُجْزَى بالكَرَامَهْ

أراد زهدماً وأخاه قيساً ابنى محمد بن وهب من بنى عبس بن بغيض ، وقال أبو عبيدة: الزهدمان : زَهْدَمٌ وَكَرْدَم.

قال أبو عُمر : الحجة فى هذا قول الله عزّ وجلّ : « ولِأَبَوَيْهِ »(٢) ، فالأبوان الأب والأم .

وقد قال قتادة : العُمَران : عمرُ بنُ الخطاب ، وعمرُ بن عبد العزيز . والأول أشهر وأكثر .

---

(١) شرح ديوانه ٥١٩ ، الأمالى ١/٨٤ .

(٢) سورة النساء آية ١١ .

باب من الأجوبة المسكتة وحسن البديهة[1]

لما أمر رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم يومَ بدر بضرب عنق عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْط[2]، فقال له : من للصِّبية يا محمد ؟ قال : النَّار .

قال الأعمشُ : احذروا الجواب ، فإن عمرو بن العاص قال لعَدِيّ بن حاتم : متى فقئت عينك يا أبا طريف ؟ قال : يوم طُعنت فى استك وأنت مولٍّ يوم صفين .

شهد أعرابىّ بشهادة عند معاوية[3] على شىء ، فقال : كذبت. فقال : الكاذب والله مزمل فى ثيابك . فتبسم معاوية[3] وقال : هذا جزاء من عجل .

أنشد ابن الرِّقاع قصيدة يذكر فيها الخمر ، فقال له معاوية[4] : أما إنى قد ارتبت فيك فى جودة وصف الشراب ، فقال : وأنا قد ارتبت بك فى معرفته .

قال تميم بن نصر بن سَيَّار لأعرابى : هل أصابتك تخمة قط ؟ قال : أمّا من طعامك وشرابك فلا .

قال عبد الملك بن مروان لبثينة : ما رجا منك جميل ؟ قالت : ما رجت منك الأمّةُ حين ملكتك أمرها .

---

(١) هذا الباب كله زيادة فى م ، ولم يرد فى النسختين ا ، ب .

(٢) هو عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس ، كنية أبيه « أبومعيط » ، كان شديد الأذى للرسول وللمسلمين عند ظهور الدعوة ، فأسر يوم بدر ، وأمر الرسول بقتله ثم صلب، الأعلام ٥/٢٦ .

(٣) ساقط من م ، والتكملة من الأجوبة المسكتة لابن أبى عون مخطوطة رقم٨ أدب — معهد المخطوطات .

(٤) هذا خطأ ، فالمعروف أن معاوية توفى سنة ٦٠ هـ ، وابن الرقاع ولد نحو سنة ٩٠ هـ ، والأقرب أن تكون هذه القصة قد حدثت بين ابن الرقاع والوليد بن عبد الملك ، وهو الخليفة الذى كان يقرب الشاعر ويعجب به .

وفى عيون الأخبار ٢/٢٦٧. أن أعرابيا دخل على عبد الملك بن مروان ، فقال له : يا أعرابى صف الخمر. فلما وصفها قال له : ويحك يا أعرابى ، لقد اتهمك عندى حسن صفتك لها ، فقال: يا أميرالمؤمنين ! واتهمك عندى معرفتك بحسن صفتى لها . وفى الأغانى ٦/١٢٧ : دخل ابن الأقرع على الوليد بن يزيد ... الخ .

قيل لبعضهم : صحبت الأميرَ فلاناإلى اليمن ، فما ولاَّك ؟ قال : قفاه .

قيل لأعرابى : صف لنا النخلة . فقال : صعبة المرتقى ، بعيدة المهوى ، مهولة المجتنى ، رهيبة السِّلاح ، شديدة المؤونة ، قليلة المعونة ، خشنة الملمس ، ضئيلة الظل .

دخل معن بن زائدة على المنصور ، فأسرع المشى وقارب الخطر ، فقال له المنصور : كبرت سنُّك يا معن ؟ قال : فى طاعتك يا أمير المؤمنين . قال : وإنك مع ذلك لجلد . قال : على أعدائك يا أمير المؤمنين . قال : وإن فيك لبقية . قال : هى لك يا أمير المؤمنين .

دخل عدىّ بن حاتم على معاوية ، وعنده عبد الله بن عمرو ، فقال له عبد الله : يا عدىّ متى ذهبت عينك ؟ قال : يوم مثل أبوك هارباً ، وضرب على قفاه مولياً ، وأنا يومئذ على الحق ، وأنت وأبوك على الباطل .

قال المهدىّ لجرير بن زَيْد : يا جرير ! إنى لأُعِدُّك لأمر . قال جرير : إن الله قد أعدَّ لك منّى قلباً معقوداً بنصيحتك، ويداً مبسوطة بطاعتك ، وسيفاً مشحوذاً على عدوك ، إذا ما شئت .

قالت جارية ابن السَّمّاك له : ما أحسن كلامك إلا أنك تردده . قال : أردده حتى يفهمه من لم يكن فهمه . قالت : فإلى أن يفهمه من لم يكن فهمه يمله من فهمه[1] .

قال الحسنُ لابن سيرين : تعبرُ الرؤيا كأنك من آل يعقوب . فقال ابن سيرين : وأنت تفسر القرآن كأنك شهدت التنزيل .

---

(١) فى الأجوبة المسكتة أنها قالت له : فإلى أن يفهمه العيى يكون قد ثقل على سمع الذكى .

قال رجل لعمر بن الخطاب : أهلكنا النومُ . فقال : بل أهلكتم اليقظة .

مرت أمَة بسعيد بن المسيب ، وقد أقيم ليُضرب ، فقالت : يا شيخ ! لقد أقمت مقام الخِزى . فقال : بل من مقام الخزى فررت .

قال رجلٌ لعمرو بن العاص : لأتفرغَنَّ لك . فقال : حينئذ تقع فى الشغل .

لقى الحسن الفرزدق فى حين خروجه إلى العراق ، فسأله عن الناس ، فقال : القلوب معك ، والسيوف عليك ، والنصر من الله .

قال رجل عند الحسن : أهلك الله الفجار . قال : إذا استوحش فى الطريق .

قيل للأصمعى : لماذا لا تقول الشعر ؟ قال : الذى أريده لا يواتينى ، والذى يواتينى لا أريده ، أنا كالمِسنّ أشحذ ولا أقطع .

قيل لابن المقفع : مالك لا تقول الشعر ؟ فقال : الذى يواتينى لا أريده ، والذى أريده لا يواتينى .

قال ابن مناذر :

لَا تَقُلْ شِعْراً وَلاَ تَهْمُمْ بِهِ وإذا ما قلتَ شِعْرًا فَأَجِدْ

قال عبدالله بن مروان لثابت بن عبد الله بن هلال : إنك أشبه الناس بإبليس . قال : وما تنكرُ أن يكون سيد الإنس يشبه سيد الجن .

قيل لأعرابية من بنى عامر : لقد أحسنت العزاء على ابنك . قالت : إن فقده أيأسنى من المصائب بعده[1] .

---

(١) فى الأجوبة المسكتة ورد هذا الخبر أيضاً ، وفيه أجابت الأعرابية : إن فقده أمننى المصائب بعده .

ونعى إلى أعرابية ابن لها ، فقالت : لقد نعيتموه كريم الجدّين ، ضحوكاً إذا أقبل ، كسوباً إذا أدبر ، يأكل ما وجد ، ولا يسأل عما فقد .

قال الأحوص للفرزدق : متى عهدك بالزنا ؟ قال : مذ ماتت العجوز أمك .

قال أبو الزناد لابن شبرمة فى مناظرته له : من عندنا خرج العلم . فقال ابن شبرمة : ثم لم يعد إليكم .

قال معاوية لعقيل بن أبي طالب : ما أبين الشبق فى رجالكم يا بنى هاشم ! قال : لكنه فى نسائكم يا بنى عبد شمس أبين[1] .

قال زهير :

« وَمَنْ لَا يُكَرِّمْ نَفْسَهُ لَا يُكَرَّمِ »   « ... وَمن لا يتّقِ الشّتْمَ يُشْتَمِ[2] »

قال معاوية لابن عباس : أنتم يا بنى هاشم تصابون فى أبصاركم . فقال ابن عباس : وأنتم يا بنى أمية تصابون فى بصائركم[1] .

قال معاوية لعقيل بن أبي طالب : أين ترى عمك أبا لهب ؟ قال : فى النار ، مفترشاً عمتك حمّالة الحطب . وكانت أم جميل امرأة أبى لهب بنت حرب بن أمية ابن عبد شمس .

قال الرشيد لشريك القاضي : يا شريك ! آية فى الكتاب ليس لك ولا لقومك

---

(١) فى عيون الاخبار أن الخبرين كانا بين معاويه وابن عباس، وفى العقد وردا موافقين لما هنا .

(٢) هذا البيت ملفق من بيتين من معلقة زهير ، وهما :

ومن يغترب يحسب عدوا صديقه   ومن لايكرم نفسه لايكرم

ومن يجعل المعروف من دون عرضه   يفره ومن لايتق الشتم يشتم

فيها شيء . قال : وما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال : قوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾(١) ، فقال : آية أخرى ليس لي ولا لقومي فيها شيء . قال : وما هي ؟ قال : ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾(٢) .

قال الرشيد لأبي الحارث جُمَّيْزا(٣) : أيسرك أن تخرا الغالية(٤) ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين . قال : ولم ؟ والناس يتمنونها . قال : أخاف أن يختم أمير المؤمنين على سراويلي فلا يفتحها .

قال معاوية بكلام عرّض فيه بعبدالله بن الزبير ، فقال : يا أمير المؤمنين ! لا يكن حقنا منك أن تمسك يدك مغلولة إلى عنقك ، وتعمل لسانك في قومك .

وروى أن أبا بكر بن عياش كان أبرص ، وكان رجل من قريش يشرب الخمر ، فقال له أبو بكر : قيل لنا إن نبيا من الأنبياء بعث بحل الخمر . فقال :لا أومن به حتى يبرئ الأبرص .

قدم الوليد بن عقبة الكوفة في زمن معاوية ، فأتاه أهل الكوفة يسلمون عليه ، وقالوا : ما رأينا بعدك مثلك . فقال خيراً أم شراً ؟ قالوا : لم نر بعدك إلا شرًّا منك . قال : لكني والله مارأيت بعدكم شرا منكم ، والله يا أهل الكوفة ، إن حبكم لصلف ، وإن بغضكم لتلف .

قال المنذر بن الجارود لعمرو بن العاص : أي رجل أنت لو كانت أمك من عز

---

(١) سورة الزخرف ٤٤ .

(٢) سورة الأنعام ٦٦ .

(٣) كذا بالأصل، وقد ورد اسمه في الوزراء والكتاب: أبو الحرث جمير ، وأورد نادرة أخرى له في ص ٢٤٢ ، وسماه في عيون الأخبار مرة حمير ٢/٢٣٥ ، ومرة جميز ٣/٢٢٩ ، ولكني لم أعثر له على ترجمة كاملة .

(٤) نوع من الطيب .

قريش ؟ قال عمرو : أحمد الله إليك ، لقد عرضتُ قبائل العرب على نفسى أيّهم أعنى من أيهم تكون أمّى فى طول ليلتين ، فما خطرت عبد القيس على بالى .

جُعل لرجل ألفُ درهم عَلَى أن يسأل عمرو بن العاص ، وهو على المنبر ، عن أمه ، فسأله . فقال : هى سلمى بنت حرملة ، تلقب النابغة ، من بنى عنزة ، ثم أحد بنى جِلاَّن(١) ، أصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ ، فاشتراها الفاكهُ بن المغيرة ، ثم اشتراها منه عبدالله بن جُدْعَان ، ثم صارت إلى العاص بن وائل ، فولدت وأنجبت . فإن كان لك جُعل فخذه .

فاخر رجل من ولد أبى البَخْتَرِىِّ بن هِشَام(٢) رجلا من ولد الزبير ، فقال : أنا ابن عقير الملائكة . قال ابن الزبير : فنعم العافر وبئس المعقور . فقال : أنا ابن شداد البطحاء . قال : شدها أبوك بسلحه ، وشدها أبى برمحه .

جلس معاوية يأخذ البيعة على أهل العراق بالبيعة له والبراءة من على ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ! إنا نبايع أحياءكم ولا نتبرأ من موتاكم ، فنظر معاوية إلى المغيرة بن شعبة ، فقال : رجل ، فاستوص به خيراً .

ظفر الحجاج بأصحاب ابن الأشعث ، فجلس يضرب أعناقهم ، فأُتى فى آخرهم برجل من تميم ، فقال له : يا حجاج ! لئن كنا أسأنا فى الدنيا(٣) ، فما أحسنت فى العقوبة . فقال الحجاج : أفّ لهذه الجِيَف ، ما كان فيهم من يحسن هذا ؟ وأمر بتخلية سبيل من بقى .

---

(١) فى الأصل : من بنى عزة ثم أحد بنى حلاب ، والتصحيح من الإصابة لابن حجر ٥/٢ ، واللباب ١/٢٦١.

(٢) اسمه العاص أو العاصى بن هشام بن الحارث بن عبد العزى، أبو البخترى ، لم يعرف عنه أنه آذى النبى بل صحبه فى بدء الدعوة ، ولكنه حضر بدر مع المشركين ، ونهى النبى صلى الله عليه وسلم عن قتله ولكنه قتل ، انظر خبر مقتله فى التاج ٣/٢٣ ، وسيرة ابن هشام ٢/٥٠ (الأعلام ٤/١١) .

(٣) كذا بالأصل ، والصحيح أنها الذنب لا الدنيا ، كما يقتضيها المقام ، وكما ورد فى كثير من المراجع .

قال عمر بن عبد العزيز لسالم بن عبدالله بن عمر : أساءتْك ولايتنا أم سرتك ؟ قال : ساءتنى لك ، وسرتنى للمسلمين .

عاتب أعرابى أباه فقال : إن عظيم حقك على ، لا يُذهب صغيرحقى عليك ، والذى تمتُّ به إلىّ أمت بمثله إليك ، ولست أزعم أنّا سواء ، ولكن لا يحل لك الاعتداء .

لما مات الحسن أرادوا أن يدفنوه فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأَبت ذلك عائشة ، وركبت بغلة وجمعت إليها الناس ، فقال لها ابن عباس : كأَنك أردت أن يقال : يوم البغلة كما قيل يوم الجمل ؟! قالت : رحمك الله ، ذاك يوم نُسى . قال : لا يوم أذكَر منه على الدهر .

قيل لمعاوية بن أبى سفيان ، يوم صفين : إنك تتقدم حتى نقول : إنك تقتل ، وإنك أشجع الناس ، وتتأخر حتى نقول : إنك تفر ، وإنك أجبن الناس . قال : أتقدم إذا كان التقدم غُنما ، وأتأخر إذا كان التأَخر عزماً .

سأَل ابن الزُّبير معاوية حاجة فلم يقضها ، فاستعان عليه بمولاة له ، فقضى حاجته ، فقال له رجل : استعنت بامرأة ! فقال : إذا أعيت الأمور من أعاليها طلبناها من أسافلها .

اشتكى عبدالله بن صَفْوان ضرسه ، فأَتاه رجل يعوده ، وقال : ما بك ؟ قال : وجع الضرس . فقال : أما علمتَ ما يقول إبليس ؟ قال : لا . قال : يقول : دواؤه الكسر . قال : إنما يطيع إبليسَ أولياؤه .

مرض رجل من الأعراب ، فعاده جاره فقال : ما تجد ؟ قال : أشكو دُمَّلا آلمنى وزكاماً أضرّبى . فقال : أبشر فإنه بلغنا أن إبليس لا يحسُد على شىء من الأمراض

ما يحسد على هاتين العلتين لما فيهما من الأجر والمنفعة ، فأنشأ الأعرابي يقول :

أَيَحْسُدُنِي إبليسُ دَاءَيْنِ أَصْبَحَا بِجِسْمِي جميعاً دُمَّلاً وزُكاماً

فليتَهُمَا كانَا بِهِ وأَزِيدُهُ رَخَاوَةَ فَحْلٍ ما يُطيقُ قِيَاماً[١]

قال أبو جعفر المنصور لأبي جَعْوَنة العامري من أهل الشام : ألا تحمدون الله بأنا مذ ولينا عليكم ، ورفع عنكم الطاعون ؟! قال : لم يكن ليجمعكم الله علينا والطاعون .

قيل لبعضهم : أراك تكره الغزو ، وما يكرهه إلا جبان أو متهم ؟ فقال : والله إني لأكره أن يأتيني الموت على فراشي ، فكيف أسافر إليه مسافة بعيدة .

عرض بعض القواد أصحابه ، فمر به رجل معه سيف رديء ، فقال له : ويحك ما هذا السيف ؟! أما علمت أن الرجل بسيفه ؟ فقال أصلحك الله أيها الأمير ، إنها مأمورة[٢] . قال : هذا مما لا يقطع شيئاً .

قيل لابن سيرين : من أكل سبع رطبات على الريق سبّحت في بطنه ، فقال ابن سيرين : لئن كان هذا هكذا فينبغي للوزينج إذا أكل أن يصلي الوتر والتراويح .

قيل لابن السماك في زمن يزيد بن معاوية : كيف تركت الناس ؟ قال : مظلوم لا ينتصف وظالم لا ينتهي[٣] .

---

(١) البيتان لأعرابي يدعى أبا حكيمة ، انظر محاضرات الراغب ٢٠٦/١.

(٢) اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم للأنصار حين أراد كل منهم الأخذ بزمام ناقته وإنزاله عنده ! فقال لهم : « دعوها فإنها مأمورة » .

(٣) وردت العبارة في الأصل هكذا: يسر مظلوم ولا ينصف ظالم ولا يشفى، وفيها اضطراب ظاهر، وقد أثبتنا ماورد في كتاب الأجوبة المسكتة لابن أبي عون .

قال معاوية لرجل من أهل اليمن : ما كان أحمق قومك حين قالوا : ﴿ رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا[١] ﴾ أما كان جمع الشمل خيرًا لهم ؟ فقال اليمانى : قومك أحمق منهم ، حين قالوا : ﴿ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ، أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ[٢] ﴾ ، أفلا قالوا : اللهم إن كان هـذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه .

قال رجل للرقاشى : ما يجب على المؤمن فى حق الله ؟ قال : التعظيمُ له والشكرُ لِنِعَمِهِ ، قال : فما يجب عليه فى حق السلطان ؟ قال : الطاعة والنصيحة . قال : فما يجب عليه فى حق نفسه ؟ قال : الاجتهاد فى العبادة ، واجتناب الذنوب . قال : فما يجب عليه فى حق العامة ؟ قال : كف الأذى وحسن المعاشرة . قال : فما يجب عليه فى حق الخليط ؟ قال : الوفاء بالمودة وحسن المعونة .

قال بعض الجِلّةِ لأعرابى من بنى تميم يمازحه : يا أعرابىّ ! من الذى يقول :

تميمٌ بيطنِ اللُّؤْمِ أهْدَى من القَطَا ... ولو سَلَكَتْ سُبْلَ المكارمِ ضَلَّت[٣]

فقال : لا أعرفه . ولكن أعرف الذى يقول :

أَعَضَّ اللهُ من يَهْجُو تميمًا ... ومن يَرْوِى لها أبداً هِجَاءا

بيطنِ عَجُوزَةٍ وبإسْتِ أُخْرَى ... وأَدْخَلَ رَأْسَهُ من حَيْثُ جَاءا

دخل طفيلىٌّ دار قوم بغير إذن ، فاشتدّ عليه صاحبُ الدار فى القول ، فأغلظ له الطفيلى فى الجواب ، وقال له : والله لئن قمت إليك لأدخلنك من حيث خرجت .

(١) سورة سبأ آية ١٩ .

(٢) سورة الأنفال آية ٣٢ .

(٣) أمالى القالى ٢/١١٧ ، وفيه: بطرق اللؤم بدلا من بطن .

فقال صاحب المنزل : أمّا أنا فأخرجك من حيث دخلت ، وأخذ بيده فأخرجه .

قال الفرزدق لكثير — وقد أنشد : ما أشبه شعرك بشعرى ! أفكانت أمك أتت البصرة ؟ فقال : لا ، ولكن أبى أتاها ، ونزل فى بنى دارم .

قال المُثقّبُ العَبْدِىّ :

وكلْمةِ حاسدٍ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ ... سمعتُ فقلتُ مُرِّى فانفِذِينِى(١)

وعَابُوهَا عَلَىّ ولَمْ تَعِبْنِى ... ولم يَعْرَقْ لَهاَ يوماً جَبِينِى

وما مِنْ شِيَمتِى شَتْمُ ابن عَمِّى ... ولا أنا مخلفٌ مَنْ يَرْتَجِينِى

وذُو الوَجْهَيْن يَلْقَانِى طَليقاً ... وليسَ إذا تغيّبَ يأتَلِينِى

بَصُرْت بعيبِهِ فكفَفْتُ عَنْهُ ... محافظةً عَلَى حَسَبِى وَدِينِى

قال رجلٌ من بنى عِجْل لأبى الرَّوْحاَء الشاعر ، بهمذان : ممن الرجل ؟ قال : من العجم . قال العجلى : إنما الشعر للعرب ، والمحال أن يقول الشعر رجل من العجم حتى ينْزو على أمه رجل من العرب . فقال أبو الروحاء : فكل من لم يقل الشعر من العرب ، فقد نزا على أمه رجل من العجم على هذا القياس .

قال مسكين الدرامى :

وإذا الفَاحِشُ لاقَى فاحِشاً ... فَهِنَاكَ وَافَقَ الشَّنُّ الطبَقْ

إنما الفُحْشُ وَمَنْ يَعْتَادُهُ ... كغُرَابِ البَيْنِ ماَ شاءَ نَعقْ

---

(١) انفذينى : أى جاوزينى .

أَوْ حِمَارِ السُّوءِ إِنْ أَمْسَكْتَهُ رمحَ النَّاسَ وإنْ جَاعَ نَهَقْ
أَو غُلَامِ السُّوءِ إِنْ جَوَّعْتَه سَرَقَ الجَارَ وإنْ يَشْبَعْ (١) فَسَقْ

قال رجل لشريح القاضى : لشد ما ارتفعت ! فقال له شريح : هل ضرك ذلك ؟ إنك لتبصر نعمة الله على غيرك وتعمى عنها فى نفسك .

قيل لمزيد — وهو يحمل شيئا تحت إبطه — : يا مزيد ! ما هـذا الذى تحت حضنك ؟ قال : يا أحمق ! ولم خبأته ؟

قال الفرزدق للحسن : يا أبا سعيد ! إنى قد هجوت إبليس ، أفتسمع ؟ فقال له الحسن : اسكت ، فإنك على لسانه تنطق .

قيل لأعرابى : أتهمز (٢) الفارة ؟ قال : إنما يهمزها السنور .

قال حمزة للكسائى : أتهمز الذيب ؟ قال : لو همزته أكلنى .

سأل رجل من الشعراء رجلا من المتكلمين بين يدى المأمون ، فقال : ما سنك ؟ قال : عظم . قال : لم أرد هذا ، ولـكن كم تعُدّ ؟ قال : من واحد إلى ألف ألف وأزيد . قال : لم أرد هذا ، ولـكن كم أتى عليك؟ قال : لو أتى على شيء لأهلـكنى . فضحك المأمون . فقيل له : كيف السؤال عن هذا ؟ فقال : أن تقول ؟ كم مضى من عمرك

لقى رجل رجلا راكبا ، فقال له : أين تنزل فقال له : حيث أضع رجلى .

وهب المفضل الضبى لبعض جيرانه أضحية ، فلقيه بعد النحر ، فقال : كيف

---

(١) فى الأصل . شبع ، ولا يستقيم معها الوزن

(٢) من معانى الهمز : الضغط والدفع والضرب والعض .

وجدت أضحيتك ؟ فقال : ما وجدت لها دماً . أراد قول الشاعر :

ولو ذُبِحَ الضَّبِّيُّ بالسَّيْفِ لم تَجِدْ مِنَ اللُّؤْمِ للضَّبِّيِّ لحماً ولا دَمَا[(١)]

اجتمع ناس من الشعراء على باب عدى بن الرِّقاع الشاعر ، فخرجت بنت له ، فقالت : ما تريدون ؟ قالوا : نريد أباك لنخزيه ونفضحه . فقالت :

تَجَمَّعْتُمُ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَبَلْدَةٍ عَلَى وَاحِدٍ لاَ زِلْتُمُ قِرْنَ وَاحِدِ[(٢)]

تفاخر أهل الكوفة وأهل البصرة ، فقال ابن شبرمة — وكان كوفيا — : لنا أحلام ملوك المدائن ، وسخاء أهل السواد ، وظرف أهل الحيرة ، ولكم سفه السند ، وبخل الخزر ، وحمق أهل غسان .

قال الربيع الحاجب لشريك القاضى بحضرة المهدى : بلغنى أنك اختنت[(٣)] أمير المؤمنين . فقال شريك : لا تقل ذلك ، لو كنت اختنته[(٣)] لكان قد أتاك نصيبك .

قال مؤدب يزيد بن عبد الملك يوماً له : لحنت. فقال : الجواد يعثر . قال المؤدب : إى والله ، ويُضرب حتى يستقيم . فقال : نعم ، وربما كسر أنف سائسه .

وقف أعرابى على قوم فقال : رحم الله من لم تمج أذنه كلامى ، وقدم لنفسه معاذه من سوء مقامى ، فإن البلاد مجدبة ، والحال مسغبة ، والحياء زاجر يمنع من كلامكم ، والفقر يدعو إلى إخباركم ، والدعاء أحد الصدقتين ، فرحم الله امرءاً أمر بخير . فقيل له : من أنت ؟ فقال : اللهم اغفر ، سوء الاكتساب يمنعنى من الانتساب .

---

(١) الكامل ٨٦/١ ، عيون الأخبار ٢٢٩/٢ .

(٢) الكامل ٢٤٢/٢ : والقرن : الكفء فى الشجاعة وغيرها .

(٣) فى الأصل ختنت ... ختنته ولامعنى لها ، وما أثبتناه أقرب إلى ماورد فى عيون الأخبار ٢١٣/٢ ففيها: بلغنى أنك خنت .

سمع إياس بن معاوية — رحمه الله — يهوديا يقول : ما أحمق المسلمين! يزعمون أن أهل الجنة يأكلون ولا يُحدثون . فقال له إياس بن معاوية : أوَكل ما تأكله تحدثه ؟ قال : لا . لأن الله يجعل أكثره غذاء . قال : فلم تنكر أنْ يجعل الله جميع ما يأكله أهل الجنة غذاء .

جمع المأمون بين العَتّابى وبين أبى قُرَّة النصرانى ، فقال لهما : تناظرا وأوجزا . فقال العتابى لأبى قرة : أسألك أم تسألنى ؟ فقال : سلنى . قال : ما تقول فى المسيح ؟ قال : أقول إنه من الله عز وجل . فقال العتابى : إن (من) تجىء على أربعة أوجه : فالبعض من الكل على سبيل التجزؤ ، والولد من الوالد على سبيل التناسل ، والخلُّ من الحلو(١) على سبيل الاستحالة ، والخلق من الخالق على سبيل الصنعة ، فهل عندك خامسة قال : لا ، ولكنى لو قلت واحدة من هذه ما كنت تقول ؟ فقال العتابى: إن قلت : إنه كالبعض من الكل جزّأته ، والبارى لا يتجزأ ، وإن قلت : إنه كالولد من الوالد أوجبت ثانيا من الأولاد وثالثا ورابعاً إلى مالانهاية ، وهذا لا يجوز على البارى عز وجل ، وإن قلت على سبيل الاستحالة ، أوجبت فساداً ، والبارى لا يستحيل ولا ينتقل من حال إلى حال ، وإن قلت : إنه كالخلق من الخالق ، كان قولا حقا ، وهو الحق الذى لا شك فيه .

وُصف إبراهيم النظام لأبى عبيدة معمر بن المثنى باليقظة وسرعة الجواب ، فمر به يوماً ومعه قارورة زجاج ، فأراد أن يختبره ، فقال : يا أبا إسحق! ماعيب هذه؟ فقال سريعة الانكسار ، بطيئة الانجبار . فأعجب ذلك أبا عبيدة .

دخل المعتصم على خاقان عائداً فقال للفتح بن خاقان : أيُّما أحسن ، دار أمير

---

(١) فى الأصل : والحل من الحل الخ ، وبالاضافة إلى ما أثبتناه فإنه يحتمل أن تكون العبارة : والحل من الحلة — والحلة من أسماء الخمر ، انظر حلبة الكميت ٦ .

المؤمنين أم دار أبيك ؟ فقال : ما دام أمير المؤمنين فى دار أبى فدار أبى أحسن .

سمع سِوارٌ القاضى الحجّاج بن أرْطاة يقول : أهلكنى حب الشرف ، فقال : اتق الله تشرُف .

قال مالكُ بن أنس : قدم على عمر بن عبد العزيز فَتَيان ، فقالا : إن أبانا توفى فترك مالا عند عمنا حُمَيْد ، فأمر عمر بإحضاره ، فلما دخل عليه ، قال له عمر : ياحميد ! أنت القائل :

حميدُ الّذى أَمَجٌ دَارُهُ ... أَخُو الخَمرِ ذُو الشَّيْبَةِ الأَصْلَعُ
أَتَانِى المَشيبُ عَلَى شُرْبِهَا ... وكَانَ كَرِيمًا فَمَا يَنْزِعُ (١)

فقال : نعم . قال : أما إذ أقررت ، فأنى سأجلدك(٢) ؟ قال : ولم ؟ قال : لأنك أقررت بشرب الخمر ، وزعمت أنك لم تنزع عنها . فقال : هيهات ، أين يُذهب بك ؟ ألم تسمع قول الله يقول: « والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَالاَ يَفْعَلُونَ(٣) » ؟ قال عمر : أولى لك يا حميد ، لقد أفلت . ثم قال : ويحك ياحميد ، كان أبوك صالحًا ، وأنت رجلُ سُوء . قال : أصلحك الله ، وأنت رجل صالح ، وكان أبوك رجل سُوء ، وما كلُّ الناس يشبه أباه ، فقال: إذن هؤلاء يزعمون أن أباهم توفى ، وترك عندك مالا . قال : صدقوا ، وأنا أحضره الآن . فأحضره بخواتيم أبيهم ، ثم قال : إن هؤلاءِ توفى أبوهم منذ كذا وكذا ، وأنا أنفق عليهم من مالى وهذا مالهم . فقال عمر : ما أحدٌ أحقّ أن يكون عنده منك . قال : ما كان ليعود إلىّ وقد خرج من عندى .

---

(١) البيت الأول وحده فى الكامل ١٤٨/١ ، والأمج : شدة الحر والعطش .
(٢) فى الأصل : فأين سأجدك .
(٣) سورة الشعراء الآيات : ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

دخل الأحنفُ بن قيس التميمى على معاوية بن أبى سفيان يوماً ، فقال : يا أحنف ما الشيء الملفَّف فى البِجاد ؟ يعرض له بقول الشاعر :

إذا ما مات مَيْتٌ من تَميمٍ ... فَسَرَّكَ أن يَعيشَ فَجِئْ بِزَادِ
بخبزٍ أو بتمرٍ أو بسمنٍ ... أو الشيءِ المُلَفَّفِ فى البِجَادِ
تَرَاهُ يَطُوفُ فى الآفاقِ حِرْصاً ... ليأكُلَ رَأْسَ لُقْمانَ بنِ عادِ[1]

والشيء الملفف فى البجاد : وطب اللبن. فعلم الأحنف ما أراد معاوية بتعريضه ، فقال : الشيء الملفف فى البجاد هو السخينة يا أمير المؤمنين . وذلك أن قريشاً كانت تعيَّر بأكل السخينة . وهى حَساء من دقيق كانوا يصنعونها عند المسغبة وغلاء السعر .

---

(١) الأبيات لأبى مهوس الفقعسى ، أو لأبى المهوس الأسدى ، انظر الكامل ١/١٠٠ ، وورد فيه شطر البيت الثالث : تراه ينقب البطحاء حولا ، وانظر البيتين الأول والثانى فى عيون الأخبار ٢/٢٠٣ والبجاد : كساء مخطط من أكسية الأعراب .

بَابُ الأدَب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منح والدٌ ولدَه خيرًا من أدب حَسَن» وفى رواية أخرى عنه عليه السلام أنه قال : « ما نحل والدٌ ولده خيرًا من أدب حسن » .

قال سليمان بن داود : من أراد أن يَغيظَ عَدُوَّه ، فلا يرفع العصا عن ولده .

وقال محمد بن سيرين : كانوا يقولون : أكرم ولدك وأحسن أدبه .

كان يقال : من أدّب ولده أرغم أنف عدوه .

قال الحسن : التعلّم فى الصغر كالنقش على الحجر .

قال الشاعر[1] :

خَيْرُ مَا وَرَّثَ الرِّجَالُ بَنِيهِمْ	أَدَبٌ صَالِحٌ وَحُسْنُ الثَّنَاء
هُوَ خَيْرٌ مِنَ الدَّنَانِيرِ وَالأَوْ	راقِ فِي يَوْمِ شِدَّةٍ أَوْ رَخَاء
تِلْكَ تَفْنَى والدِّينُ والأدب الصَّـ	ـالِحُ لاَ تَفْنَيَانِ حَتَّى البَقَاء
إنْ تَأَدَّبْتَ يا بُنَيَّ صَغِيرًا	كُنْتَ يَوْمًا تعدُّ فى الكُبَرَاء
وإذَا مَا أَضَعْتَ نَفْسَكَ أُلفيـ	ـتَ كَبِيرًا فِي زُمْرَةِ الغَوْغَاء
لَيْسَ عِطْفُ القَضِيبِ إنْ كَانَ رَطْـ	ـبًا وإذَا كَانَ يَابِسًا بِسَوَاء

(١) وردت الأبيات فى جامع بيان العلم ٨٤/١ ، وقال ابن عبد البر : أنشدها الخشنى لإبراهيم بن داود البغدادى عن قصيدة أولها :

يابنى اقترب من الفقهاء ... وتعلم تكن من العلماء

ووردت الأبيات الثلاثة الأولى فى معجم الأدباء ١٣١/١٠ منسوبة إلى الحسين بن على بن محمد المعروف بابن قم الزبيدى ، وهو خطأ ، لأن ابن قم ولد سنة ٥٣٠ هـ ، أى بعد وفاة المصنف بنحو سبعين سنة ، فكيف عرف أبياته تلك .

قال لقمان : ضربُ الوالد للولد كالسّمادِ للزرع(١).

قال بعضُ الحكماء : لا أدب إلاّ بعقل ، ولا عقل إلا بأدب .

كان يقال : التجربةُ عِلم ، والأدبُ عَوْن ، وتركُه مضرّة بالعقل .

كان يقالُ : العون لمن لا عون له الأدبُ .

قال الأحنف : الأدبُ نورُ العقل ، كما أنّ النارَ فى الظلمة نورُ البصر .

قال الأصمعىّ : ما مطيةٌ أبلغَ دركًا وهى وادعة من الأدب .

قال بُزُرْجمهر : أرفعُ منازل الشّرف لأهله العلمُ والأدب .

وقيل : من قعد به حَسَبُه نهض به أدبه .

وقال ابن أبى دُؤاد لرجل تخطّى أعناقَ الرّجال إليه : إنّ الأدبَ المترادف خير من النّسَب المتلاحف(٢) .

كان يقالُ : الأدبُ من الآباء ، والصّلاح من الله(٣) .

كان يقالّ : مَنْ أدّب ابنه صغيرًا قرّت به عينه كبيراً .

وقال الحجاجُ لابن القِرِّيّة : ما الأدبُ ؟ قال : تجرُّع الغُصّة حتى تمكن الفُرصة .

ووصف أعرابىٌّ الأدب فى مجلس مُعْتمر بن سُليمان ، فقال : الأدبُ أدبُ الدّين ، وهو داعيةٌ إلى التوفيق ، وسببٌ إلى السعادة ، وزادٌ من التقوى ، وهو أن تَعْلمَ

---

(١) ينتهى إلى هنا نقص النسخة ب .

(٢) فى ب : الملاحف ، والمتلاحف : الذى يحيط بالمرء من جهتيه ، أبيه وأمه .

(٣) ساقط من ا .

شرائعَ الإسلام ، وأداء الفرائض ، وأن تأخذَ لنفسك بحظّها من النافلة ، وتزيدَ ذلك بصحّة النية ، وإخلاص النفس[١] ، وحبّ الخير ، منافساً فيه ، مبغضاً للشرّ نازعاً عنه ، ويكون طلبُك للخير ، رغبةً فى ثوابه ، ومجانبتُك للشرّ رهبةً من عقابه ، فتفوز بالثواب ، وتسلم من العقاب ، ذلك إذا اعتزلتَ ركوب[٢] المُوبقات ، وآثرت الحسنات المنجيات .

وقال أعرابىّ : الأديبُ من اعتصم بعزّ الأدب من ذلّة الجهل ، ولم يتورط فى هفوة ، وكان أدبُه زُلفى الى الحُظْوة فى دنياه وأخراه .

قال منصور الفقيه[٣] :

لَيْسَ الأَدِيبُ أَخَا الرِّوَا يَةِ للنَّوَادِرِ والغَرِيبْ

ولِشِعْرِ شَيْخِ المُحْدَثِيــنَ أَبِى نُوَاسٍ أَو حَبِيبْ

بَلْ ذُو التَّفَضُّلِ والمُرُو ءَةِ والعَفَافِ هُوَ الأَدِيبْ[٤]

كان يقال : من لم يَصْلح على أدب الله لم يَصْلح على اختياره لنفسه .

الحطيئة :

إِذَا نَكَبَاتُ الدَّهْرِ لَمْ تَعِظِ الفَتَى عَنِ الجَهْلِ يَوْمًا لَمْ تَعِظْهُ أَنَامِلُهْ

---

(١) فى ب وإصلاح اليقين .

(٢) فى ب : الذنوب .

(٣) وردت الأبيات فى جامع بيان العلم ٢/٧ غير منسوبة لقائل وقد نسبها فى معجم الأدباء ١١/١٩٨ الى سعد بن محمد الأزدى المعروف بالوحيد البغدادى والمتوفى سنة ٣٨٥ هـ .

(٤) فى ب : من الذنوب .

وَمَنْ لَمْ يُؤَدِّبْهُ أَبُوهُ وَأُمُّهُ ... تُؤَدِّبْهُ رَوْعَاتُ الرَّدَى وَزَلَازِلُهْ
فَدَعْ عَنْكَ مَالَا تَسْتَطِيعُ وَلَا تُطِعْ ... هَوَاكَ وَلَا يَذْهَبْ بِحَقِّكَ بَاطِلُهْ[1]

وقال آخر :

مَنْ لَمْ يُؤَدِّبْهُ وَالِدَاهُ ... أَدَّبَهُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

وقال مُحَمَّدُ بنُ جَعْفر : الأدب رياسة ، والحزم كياسة ، والغَضَبُ نار ، والصَّخب[2] عارٌ .

قال ابن القِرِّيَّة : تأدّبوا فإن كنتم ملوكاً سُدتم ، وإن كنتم أوساطاً رُفِعتم[3] ، وإن كنتم فقراء استغنيتم .

قال شَبِيبُ بنُ شَيْبَةَ : اطلبوا الأدبَ فإنه عونٌ على المروءة ، وزيادةٌ في العقل ، وصاحبٌ في الغُرْبة ، وحِلْيَةٌ في المجالس .

قال عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه في قول الله عزّ وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾[4] ، قال : أدّبوهم وعلّموهم .

قال الشاعر :

يُقَوَّمُ مِنْ مَيْلِ الغُلَامِ المُؤَدِّبُ ... وَلَا يَنْفَعُ التَّأْدِيبُ وَالرَّأْسُ أَشْيَبُ[5]

---

(١) لم أعثر على هذه الأبيات في ديوان الحطيئة ، ولا توجد فيما نسب إليه من شعر في آخر الديوان ، وقد وردت في معجم الأدباء ٣٢/٢٠ منسوبة إلى يحيى بن المبارك اليزيدي النحوي .

(٢) ب : السخف .

(٣) ب : فقتم .

(٤) سورة التحريم آية : ٦ .

(٥) جامع بيان العلم ٨٣/١ .

وقال آخر :

إنَّ الحَداثَةَ لَا تُقَصِّـــرُ بِالْفَتَى الْمَرْزُوقِ ذِهْنَا
لَـكِنْ تُزَكِّي عَقْلَهُ فَيَفُوقُ أَكْبَرَ مِنْهُ سِنَّا(١)

وقال آخر :

رَأَيْتُ الْفَهْمَ لَمْ يَكُنِ انْتِهَابَاً وَلَمْ يُقْسَمْ عَلَى مَرِّ السِّنِينِ
وَلَوْ أَنَّ السِّنِينَ تَقَاسَمَتْهُ حَوَى الآبَاءُ أَنْصِبَةَ الْبَنِينِ(٢)

قال مُصْعَبُ بنُ عبد الله الزُّبَيْرى : قال لى رجل من أهل الأدب فارسىّ النسب : إن ثلاثة ضروب من الرجال لم يستوحشوا فى غُرْبة ، ولم يقصروا عن مَكْرُمة : الشجاع حيث كان ، فبالناس حاجة إلى شجاعته وبأسه ، والعَالِم فبالناس حاجة إلى علمه ، والحلو اللسان فإنه ينال ما يريد بحلاوة لسانه ولين كلامه ، فإن لم تعطَ رباطة(٣) الجأش ، وجُرأة الصدر ، فلا يفوتنك العلم وقراءة الـكتب ، فإن بها أدباً وعلماً قد قيّدته لك العلماء قبلك ، تزدادُ بها فى أدَبك وعلمك .

قال سَابِق البَرْبَرِىّ(٤) :

قَدْ يَنْفَعُ الأَدَبُ الأَحْدَاثَ فِي مَهَلٍ وَلَيْسَ يَنْفَعُ بَعْدَ الـكَبْرَةِ الأَدَبُ

---

(١) جامع بيان العلم ١/٨٥ .

(٢) ورد البيتان فى جامع بيان العلم ١/٨٣ بغير نسبة ، وقد نسبا فى معجم الأدباء ١٠/١٥٥ إلى الحسين بن محمد الرافقى المعروف بالخالع ، والمتوفى سنة ٣٨٨ هـ .

(٣) فى ب : رباط .

(٤) سابق بن عبد الله البربرى ، أبو سعيد ، شاعر من الزهاد ، والبربرى لقب له ، ولم يكن من البربر ، سكن الرقة ، وكان يفد على عمر بن عبد العزيز فيستنشده من شعره ، فينشده مواعظه ، توفى حوالى سنة ١٠٠ هـ . انظر اللباب ١/١٠٧ ، خزانة البغدادى ٤/١٦٤ ، الأعلام ٣/١١١ .

إنَّ الغُصُونَ إذَا قَوَّمْتَهَا اعْتَدَلَتْ وَلَنْ تَلِينَ إذَا قَوَّمْتَهَا الخُشُبُ(١)

قيل لعيسى عليه السلام : مَنْ أَدَّبك ؟ قال : ما أَدَّبَنِى أحدٌ ، رأيتُ جهل الجاهل فاجتنبته .

قال بعضُ الحكماء : أفضل ما يُوَرِّث الآباءُ الأبناءَ : الثناءُ الحسن ، والأدبُ النافع ، والإخوان الصالحون ، وأنشدوا :

وَيَعْدَمُ عاقِلٌ أدَبًا فيَجْفُو وَتَنْسِبُهُ إلى غِلَظِ الطِّبَاعِ
وَمَنْزِلَةُ التَّأَدُّبِ مِنْ أَدِيبٍ بِمَنْزِلَةِ السِّلَاحِ مِنَ الشُّجَاعِ

قال عبد الملك بن مروان لبنيه : يا بَنِىَّ لو عداكم ما أنتم فيه ما كنتم تعوّلون عليه ؟ فقال الوليد : أما أنا ففارس حرب ، وقال سليمان : أما أنا فكاتب سلطان ، وقال ليزيد : فأنت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ! ما تركا غاية لمختار . فقال عبد الملك : فأين أنتم يا بنىّ مِنَ التجارة التى هى أصلكم ونسبتكم ؟ فقالوا : تلك صناعة لا يفارقها ذل الرغبة والرهبة ، ولا ينجو صاحبها من الدخول فى جملة الدّهماء والرعية ، قال : فعليكم إذاً بطلب الأدب ، فإن كنتم ملوكاً سُدتم ، وإن كنتم أوساطاً رَأستم ، وإن أعوزتكم المعيشة عشتم .

---

(١) ورد البيتان فى جامع بيان العلم ٨٣/١ ، منسوبين لسابق ، ووردا فى التمثيل والمحاضرة ١٦٤ لصالح ابن عبد القدوس ، وكذلك ورد الثانى فقط فى حماسة البحترى ٣٧٣ منسوباً له ، ووردا فى البيان والتبيين ٢٦٢/٢ بغير نسبة .

بابُ ترويحِ القُلُوب وتَنْبِيهِها[1]

قال عبدُ الله بنُ مَسْعود : كان رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم يتخوَّلُنا[2] بالموعظة مخافة السَّآمة علينا .

وكان عليُّ بن أبي طالب يقول : إنّ هذه القلوبَ تَمَلّ كما تَملُّ الأبدان ، فابتغوا لها طرائفَ الحكمة .

وقال عليٌّ رضى اللهُ عنه : نبّه بالتفكّر قلبَك ، وجافِ عن النوم جنبَك ، واتق الله ربّك .

قال أبو الدَّرْداء : إنى لأستَجِمُّ قلبي بشيء من اللّهو ، ليكون أقْوى لى[3] على الحقّ .

قال عبدالله بن مَسْعود : أريحوا القلوب ، فإن القَلْبَ إذا أُكْرِه عَمِيَ .

وقال أيضاً : إنّ للقُلوب شهوةً وإقبالا ، وفترة وإدباراً ، فخذوها عند شَهَواتها وإقبالها ، وذَرُوها عند فَتْرتها وإدبارها .

كان يقالُ : الملالةُ تَفْسخ المودّة ، وتُوَلّدُ البِغْضَة ، وتنغّصُ اللّذة .

قال أرسطوطاليس : ينبغى للرّجل أن يُعطىَ نفسَه لذّتها فى النهار ليكونَ ذلك عوناً لها على سائر يومه .

---

(١) م : وشبهها .

(٢) يتخولنا : يتعهدنا بها بين الحين والحين .

(٣) ب : له .

فى صحف إبراهيم عليه السّلام : وعلى العاقل أن يكون له ثلاثُ ساعات : ساعةٌ يناجى فيها ربّه ، وساعةٌ يحاسبُ فيها نفسَه ، وساعةٌ يخلّى فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحلّ ويَجْمُل ، فإنّ هذه الساعةَ عونٌ له على سائر السّاعات .

قال عمرُ بنُ عبد العزيز : تحدثوا بكتاب الله تعالى ، وتجالسوا عليه ، وإذا مَلِلْتُمْ فحديثٌ من أحاديث الرّجال حسنٌ جميل .

وقال بعضُ الحكماء من السّلف : القلوبُ تحتاج إلى قُوتِها من الحكمة كما تحتاجُ الأبدانُ إلى قُوتِهاَ من الغِذاء .

دخل عبدُ الملك بنُ عمرَ بن عبد العزيز على أبيه ، وهو فى نوْم الضّحى ، فقال : يا أبت إنّك لنائم ، وإنّ أصحاب الحوائج لراكدون ببابك . فقال : يا بُنىَّ إن نفسى مطيّتى ، وإن حملتُ عليها فوق الجهد قطعتُها .

قال الحسنُ البَصْرىُّ رضى الله عنه : حادثُوا هذه القلوبَ ، فإنّها سريعة الدُّثور ، وأفْزِعُوا هذه النفوس فإنها طُلَعَة[1] ، وإن لم تفعلوا هوت بكم إلى شرّ غاية .

وقال غيره من العلماء : حَادثوا هذه القُلوب فإنّها تصدأُ كما يَصْدأُ الحديدُ .

وقد رُوى عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم ، أنه قال : « إنّ هذه القلوبَ تصدأُ كما يصدأُ الحديد» . قالوا : فما جلاؤها يا رسول الله ؟ قال : «تلاوةُ القرآن » .

كان يقال : الفكرةُ مرآةُ المؤمن ، تُريه حُسْنَه من قبيحه .

كان يقال : التفكرُ نورٌ ، والغفلةُ ظلْمة .

---

(١) محادثة القلوب : جلاؤها ، والدثور : السيلان ، والطلعة : كثيرة التطلع إلى الشىء

بابُ قولِهم في وَصْفِ العَيْش وما تَتَمَنَّاه النَّفْس

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : « من أصبحَ منكم آمناً في سِرْبه ، معافىً في جِسْمه ، مَعَهُ قوتُ يومه ، فكأنّما حِيزَت له الدُّنيا » .

كان عمرُ بن الخطاب يعجبه قول عبدة بن الطبيب :

الْمَرْءُ سَاعٍ لِأَمْرٍ لَيْسَ يُدْرِكُهُ ... وَالعَيْشُ شُحٌّ وإشْفَاقٌ وتأميلُ[1]

قال أبو يَعْلَى : حدثنا الأصمعي ، قال : حدثنا محمدُ بن حرب الزِّيادي ، قال : حدثني أبي ، قال : قال زِيادٌ لجلسائه : من أغبطُ الناس عيشاً ؟ قالوا : الأميرُ وجلساؤه. فقال : ما صنعتم شيئاً ، إنّ لِأعْوادِ المنابر هَيْبة ، وإنّ لِفَزَعِ لجامِ البَرِيد لفَزْعَة ، ولكن أغبطُ النّاس عندي : رجل له دَارٌ لا يَجرِي عليه كِراؤُها ، وله زوجة صالحة ، قد رضيَتْه ورضيَها فهما راضيان بعيشهما ، لا يَعرفنا ولا نعرفه ، فإنّه إن عرَفنا وعرفناه أتعبنا ليلَه ونهاره ، وأفسدنا دينَه ودُنياه .

قال عمرُ : لما فتح الله على رسوله بني النضير وغيرها ، كان يتخذ منها لنفسه وعياله قوتَ سنة ، ثم يجعلُ الباقي في الكُرَاع[2] والسّلاح في سبيل الله .

وقال سليمانُ : إذا أحرَزَتَ النفس قُوتَها اطمأنت .

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : « إذا تمنّى أحدُكم فليُكثِرْ ، فإنّما يسأل ربّه » .

---

(١) البيت في المفضليات ٢٨٦ ، العقد الفريد ٥/٢٨١ ، مجموعة المعاني ٧٥ .

(٢) الكراع : اسم يجمع الخيل وغيرها من الدواب .

وليس فى هذا معارضة لقول الله : ﴿ ولا تتمنّوْا مافضّلَ اللهُ به بعضَكمْ على بعْضٍ[١] ﴾ لأن معنى هذا عند العلماء أن يتمنّى الرجل مال أخيه وامرأة أخيه ، ليصرفه الله عنه إليه ، فذلك التمنى المكروه .

قال محمد بن سيرين : نُهيتم عن الأمانىّ ، ودُلِلْتم على ما هو خير منها[٢] لكم ، سلوا الله من فضله .

وقد ذكرنا فى كتاب « التمهيد » معنى قوله عليه السلام : « لا يتمنينّ أحدكم الموت لضُرٍّ نزل به » ، عند قوله عليه السلام : « لا تقومُ السّاعة حتى يمرّ الرجل بقبر أخيه فيقول : ياليتنى مكانه » .

قال المنصور لإسحاق بن مُسْلم[٣] العُقَيْلى: مابقى من لذاتك ؟ قال: جليس يقصر به طول ليلى ، وزائر اشتهى من أجله طول السهر .

وقال غيره : زائر أشتهى به طول السهر[٤] ودابة أشتهى من أجلها طول السفر.

قال مَسْلَمَة بن عبد الملك : العيشُ فى ثلاثٍ : سَعَةِ المنزل ، وموافقةِ المرأة ، وكثرةِ الخَدَم .

قال عَبَايةُ الجُعْفِىّ : ما يَسرُّنى بنصيبى من التمنى حُمْرُ النَّعَم .

قال عبدُ الرحمن بن أم الحكم : لذةُ العيش فى زحف الأحرار إلى طعامك ،

---

(١) سورة النساء الآية : ٣٢ـــ

(٢) ساقط من ا .

(٣) ب : أسلم ، والصحيح ما أثبتناه ، انظر قصة حدثت له مع أبى جعفر المنصور فى صدد قتل أبى مسلم الخراسانى ، فى البيان ٣/٣٢٢ .

(٤) ساقط من ب .

وبذل الأشراف وجوههم إليك فيما تجد السبيل إليه ، وقول المنادى : الصلاة أيها الأمير .

قال قتيبةُ بنُ مُسلم لوكيع بن أبى سُود : ما السُّرور ؟ قال : لواءٌ منشور، وجلوسٌ على السّرير ، والسّلام عليك أيّها الأمير .

قيل لأمّ البنين : ما أحسنُ شيءٍ رأيتِ ؟ قالت : نِعَمُ اللهِ مقبلةً عليّ[1] .

سأل قتيبةُ رجلاً : ما السّرور ؟ قال : الولد الصالح ، والمال الواسع .

قال عمرُ بن عبد العزيز — رحمه اللهُ — : لذّة العيش ظفرُكَ بمن تحبّ بعد امتناع ، ولذة لا توجب عليك إثمًا ، وحقٌّ وافق هوًى .

قيل لأبى حازم : ما اللّذة ؟ قال : الموافقةُ ، ولا أَنِيسَ كالصاحب المُوَاتى .

وروى الرّياشى عن الأصمعى قال : قال شَبِيبُ بنُ شَيْبة[2] : عيشُ الدنيا فى ثلاث : محادثةُ الإخوان ، ومباشرة النسوان ، وشم الصبيان .

قال بعض الحكماء : كثرة الالتفات سُخْف ، ومجالسة الحمقى تورث النّوْك[3] ، وكثرة المُنَى تُخْلِقُ العقل ، وتُفسدُ الدين ، وتَنْفِى القناعة .

قال أبو العتاهية :

---

(١) زيادة من ب .

(٢) فى ب شبة ، والصحيح أنه شبيب بن شيبة بن عبد الله التيمى المنقرى ، الخطيب الذى بلغ الذروة فى الفصاحة والبيان ، وهو الذى عناه أبو نخيلة السعدى الراجز بقوله :

إذا غدت سعد على شبيبها ... على فتاها وعلى خطيبها

من مطلع الشمس إلى مغيبها ... عجبت من كثرتها وطيبها

توفى شبيب حوالى سنة ١٧٠ هـ ، انظر تهذيب التهذيب ٤/٣٠٧ ، البيان ١/٦٢ .

(٣) النوك : الغفلة والحمق .

اللهُ أصدقُ والآمالُ كاذِبةٌ وجُلُّ هذى المنى فى القلبِ وسْواسُ(١)

ذكر عمرو بن بحر عن الأصمعى ، قال : قال بعضهم : الاحتلام أطيب من الغشيان ، وتمنّيك الشىء أوفر حظًا للّذةِ من قدرتك عليه .

قال عمرو بن بحر : كأنه ذهب إلى أن المال إذا مُلِك(٢) وجبت فيه حقوق ، وخاف مالكه عليه الزوال ، واحتاج إلى الحفظ ، وكل من عظمت عليه نعمة الله عظمت مؤونة الناس عليه .

ذكر المدائنى قال : قيل لامرئ القَيْس : ما أطيبُ عَيْشِ الدّنيا ؟ فقال : بيضاء رُعْبُوبة ، بالطّيب مَشْبُوبة ، باللحم مَكْرُوبة(٣) .

وسُئِل الأعشى : أىّ العيشِ ألذّ ؟ فقال : صهْبَاء صافِية ، تمْزجها سَاقِية ، من صَوْب غادية .

وسُئِل طَرَفَة ، فقال : مَطْعَمٌ شهِىّ . وملبس زَهِىّ ، ومَرْكب وَطِىّ .

وقال غيرُه :

أطيبُ الطّيّباتِ قتْلُ الأعادى وَاخْتِيَالٌ عَلَى مُتُونِ الجِيَادِ
وأيادٍ حَبَوْتُهُنّ كَرِيمًا إنَّ عِنْدَ الكَرِيمِ تزْكُو الأيَادِى(٤)

لبعض الحكماء : أسوأ الناس حالاً من اتسعت أُمنيّته ، وضاقت مقدرتُه ، وبعدت همّته .

---

(١) ديوانه ١٢٢ .

(٢) ا : هالك .

(٣) الرعبوبة : الحسنة البياض الرخصة المكاسر ، والمشبوبة : الظاهرة الحسن المشرقة اللون ، وباللحم مكروبة : أى مفتولة الأعضاء غير مترهلة .

(٤) عيون الأخبار ٢٥٨/٣ ، المحاسن والمساوئ ٢١٢/١ .

قيل لعبد الرحمن بن أبي بكرة : أيّ الأمور أمتع ؟ فقال : ممازحة حبيب ، ومحادثة خدين[1]، وأمانٍ[2] تقطع بها أيامَك . وفي رواية أخرى عن عبد الرحمن بن أبي بكرة ، أنه قيل له : أيُّ شيءٍ أكثر إمتاعاً ؟ قال : المنى .

قال بعض الأعراب ، ويروى لأبي بكر العَرْزَمي[3] :

مُنًى إنْ تَكُنْ حَقًّا تكنْ أحْسَنَ المنَى ... وإلاَّ فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغْدَا

أَمَانيُّ مِنْ سَلْمَى عِذَابٌ كَأنَّمَا ... سَقَتْكَ بِهَا سَلْمَى عَلَى ظَمَإٍ بَرْدَا[4]

اجتمع عبدالله وعروة ومصعب بنو الزبير بن العوام ، عند الكعبة ، فقال عبد الله : أحب ألا أموت حتى تجيء إليّ الأموال وأكون خليفة .

وقال مصعب : أحب أن ألِيَ العراقين — يعني الكوفة والبصرة — وأُزَوَّج سُكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة .

وقال عروة : لكني أسأل الله الجنة . فصار عبدالله ومصعب إلى ما تمنيا،ويرون أن عروة صار إلى الجنة .

كان المتمنى بالكوفة إذا تمنى يقول : أتمنى أن يكون لي فِقْهُ أبي حنيفة ،

---

(١) ب : صديق .

(٢) ب : أماني .

(٣) في م : الخوارزمي ، والعرزمي هو محمد بن عبيد الله بن أبي سليمان الفزاري ، شاعر حضرمي ، عاش في الكوفة ونسبته إلى «جبانة عرزم» بها ، أكثر شعره آداب وأمثال ، انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٩/٣٢٢ ، اللباب ٢/١٣٢ ، الأعلام ٧/١٣٥ .

(٤) ويروى: أماني من سعدى رواء ، وقد نسب البيتان في حماسة أبي تمام ٢/١٥٩ لرجل من بني الحارث ولم يعينه ، ووردا في عيون الأخبار ٣/٢٦١ ، نوادر القالي ٢ ١٠٢ ، زهر الآداب ٢/٥٨ ، معجم الأدباء ١٦/٢٣٠ بغير نسبة .

وحفظ سفيان ، وورع مِسْعَرِ بن كِدَام[١] ، وجواب شَرِيك[٢].

قال الأصمعيّ : قال لى بن أبى الزناد : المنى والحُلْم أخوان .

قال مالك بن أسماء[٣] :

وَلَمَّا نَزَلْنَا مَنْزِلاً طَلَّهُ النَّدَى أَنِيقًا وبُسْتَانًا من النَّوْرِ حَالِيَا

أَجَدَّ لَنَا طِيبُ المَكَانِ وحُسْنُهُ مُنًى فتَمَنَّيْنَا فَكُنْتِ الأَمَانِيَا

قال سَلْمُ الخاسر[٤] :

لولا مُنَى العَاشِقِينَ مَاتُوا أَسًى وبَعْضُ المُنَى غُرُورُ

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَاتَ غَمًّا وفَازَ باللَّذَّةِ الجَسُورُ

وقال منصور الفقيه :

لَوْ أَنَّ لَيْتًا نفعَتْ مَعْ تَرْكِ ما يَنْفَعُنِى

مَا كَانَ لِى قَوْلٌ سِوَى يَالَيْتَنِى لَمْ أَكُنِ

---

(١) ابن ظهير الهلالى العامرى السكوفى ، أبو سلمة ، كان يقال له : « المصحف » لعظم الثقة فيه ، توفى سنة ١٥٢ هـ ، انظر فى ترجمته : تهذيب التهذيب ١١٣/١٠ ، حلية الأولياء ٢٠٩/٧ (الأعلام ١٠٩/٨).

(٢) شريك بن الحارث النخعى السكوفى ، عالم بالحديث فقيه ، اشتهر بقوة ذكائه وسرعة بديهته ، استقضاه أبوجعفر المنصور على السكوفة سنة ١٥٣ هـ وتوفى بها سنة ١٧٧ هـ ، انظر ترجمته فى : تاريخ بغداد ٢٧٩/٩ ، البداية والنهاية ١٧١/١٠ . (الأعلام ٢٣٩/٣) .

(٣) مالك بن أسماء بن خارجة الفزارى ، أبو الحسن ، شاعر غزل طريف ، تزوج الحجاج أخته هند بنت أسماء ، وتوفى له خوارزم وأصبهان ، توفى حوالى سنة ١٠٠ هـ . انظر معجم الشعراء ٣٦٤ ، وانظر البيتين فى عيون الأخبار ٢٦٢/١ ، وقد نسبا فى الوزراء والكتاب ٤٥ إلى عبد الله بن أبى فروة ، ونسبا فى حماسة أبى تمام ٢٣٥/١ إلى أبى بكر بن عبد الرحمن الزهرى .

(٤) سلم بن عمرو الخاسر ، شاعر ماجن ظريف من شعراء صدر الدولة العباسية ، وشعره رقيق رصين ، انظر فى ترجمته : تاريخ بغداد ١٣٦/٩ ، معجم الأدباء ٢٣٦/١١ ، وانظر الأبيات فى الشعر والشعراء ١٠٠ ، نهاية الأرب ٧٨/٣ ، معجم الأدباء ٢٣٦/١١ .

وقال آخر :

ذَهَبَ البَرْدُ وآبَا فاسْتَوَى العَيْشُ وطَابَا

وقال آخر :

وَلِى من تَمَنِّى النَّفْسِ دُنْيَا عَرِيضَةٌ وَمُصْطَبَحٌ يَغْدُو عَلَىَّ وَيَطْرُقُ
تُمَلِّكُنِى الأَمْوَالَ لَافَقْرَ بَعْدَهَا وَعِرْسًا غَيُورًا فَاحِشًا وَتطَلَّقُ
فقدتُ المُنَى لا نَحْنُ نَلْهُو عن المُنَى لتجربةٍ مِنَّا ولا هِىَ تَصْدُقُ

وقال آخر[1] :

وأكْثَرُ أَفْعَالِ الليالى إساءةٌ وأكْثَرُ ما تَلْقَى الأمانى كَوَاذِبَا[1]

وأنشد نفطويه :

الدَّهْرُ يَصْدُقُنَا وَتَكْذِبُنَا المُنَى بِعِدَاتِهَا وَتَغُرُّنَا الآمَالُ
وَإِذَا المَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لم تَثْنِهَا خَيْلٌ مُطَهَّمَةٌ ولا أَمْوَالُ

وقال آخر :

إنَّ القَنَاعَةَ وَالعَفَا فَ لَيُغْنِيَانِ عن الغِنَى
فَإِذَا صَبَرْتَ عَلَى المُنَى فاشْكُرْ فَقَدْ نِلْتَ المُنَى

وقال عبد الملك بن حبيب[2] :

صَلَاحُ أَمْرِى والَّذِى أَبْتَغِى هَيِّنٌ عَلَى الرَّحْمٰنِ فى قُدْرَتِهِ

---

(١) ساقط من ا .

(٢) السلمى الإلبيرى القرطبى ، عالم الأندلس وفقيهها فى عصره ، توفى سنة ٢٣٨ هـ ، ترجمته فى جذوة المقتبس ٢٦٣ ، بغية الملتمس ٣٦٤ .

أَلْفٌ مِنَ البِيضِ وأَقلِلْ بِهـــا لِعَالِمٍ أزْرَى عَلَى بُغْيَـــتِهِ
زِرْيَابُ قَدْ يأْخُذُها جُمْلَةً وَصَنْعَتِي أَشْرَفُ مِنْ صَنْعَتِهِ[١]

قال آخر :

مُسِيئَاتُ أَيَّامِ الزَّمان كَثِيرةٌ ومُحْسِنَةُ الأيامِ في الدَّهْرِ أَعْلَامُ
وعَيْشُكَ فيما تَسْتَخِصُّ وَتَصْطَفِي قَصيرٌ وإنْ طَالَتْ ليالٍ وأَيَّامُ
فَصِلْ بِسُرُورِ النَّفْسِ عَيْشَكَ إنَّه مَضَى مِثْلَ مَامَرَّتْ بِعَيْنِكَ أَحْلَامُ

قال بشار بن برد :

ذَكَرْنَا أَحَادِيثَ الزَّمَانِ الَّذِي مَضَى فَلَذَّ لَنَا مَحْمُودُهَا وَذَمِيمُهَا[٢]

وقال آخر :

مَنْ رَاقَبَ المَوْتَ لَمْ تَكْثُرْ أَمَانِيهِ وَلَمْ يَكُنْ طَالِبًا مَا لَيْسَ يَعْنِيهِ[٣]

قيل لرَقَبَةَ بن مَصْقَلَة : أنت بعيد الدار من المسجد ، وتنصرف بلا مُؤنس ؟ قال : إني حين أخرج من المسجد أبتدئ أمنية فما تنقضي حتى أدخل المنزل .

قال لبيد بن أبي ربيعة :

وَاكْذِبِ النَّفسَ إذَا حَدَّثْتَهَا إنَّ صِدْقَ النَّفسِ يُزْرِي بالْأَمَلْ[٤]

---

(١) في الجذوة : سهل على الرحمن ... ، آنف من الحمر ... ، لعالم أوفى، قد يأخذها دفعه . انظر جذوه المقتبس ٢٦٣ ، نفح الطيب ٢/٢١٥ .

(٢) عيون الأخبار ١/٢٦١ .

(٣) ساقط من ب .

(٤) ديوانه ١٠٣ ، الشعر والشعراء ١٥٣ ، نهاية الأرب ٣/٦٧ ، معجم الأدباء : ٢٠/١٠٩ .

وقال آخر :

رُبَّ من بَاتَ يُمَنِّى نَفْسَهُ   حَالَ مِنْ دُونِ مُنَاهُ أَجَلُهْ

قال يزيد على المنبر : ثلاث يُخْلِقْنَ العقل ، وفيها دليلٌ على الضعف : سرعةُ الجواب ، وطولُ المنى ، والاستغراقُ فى الضحك .

وقال الأحنفُ بنُ قيس : كثرةُ الأمانى من غُرُور الشيطان .

قال حبيب(١) :

مَنْ كَانَ مَرْتَعُ عَزْمِهِ وهُمُومِهِ   رَوْضَ الأَمَانِى لَمْ يَزَلْ مَهْزُولاَ

وقال آخرُ :

إذا تمنيتُ بتُّ اللَّيْلَ مغتبطاً   إنَّ المُنى رأسُ أموالِ المفاليس(٢)

وقال آخرُ :

إذَا حَدَّثَتْكَ النَّفسَ أنكَ قَادِرٌ   عَلَى ماحَوَتْ أَيْدِى الرِّجَال فَكَذِّبِ

فإنْ أنتَ لم تَفْعَلْ وَمَالَ بِكَ الهَوَى   إلى بَعْضِ ما مَنَّتْكَ يَوْمًا فَجَرِّبِ(٣)

قال أبو العتاهية :

إنما الفقرُ فضُولُ التَّمَنِّى   فانْسَهَا واسْتَوْهِبِ اللهَ ذِكْرَا(٤)

قيل لسُليمان بن عبد الملك : ما اللّذةُ ؟ قال : جليس ممتع أضعُ بينى وبينه التّحفُّظ .

---

(١) ديوانه بشرح التبريزى ١/٦٧ .

(٢) نسب البيت فى التمثيل والمحاضرة ١١٣ إلى أبى بكر الخالدى ، وورد فى عيون الأخبار ٣/٢٦١ ، نهاية الأرب ٣/١٠٣ بغير نسبة .

(٣) نسب البيتان فى معجم الشعراء ٣٤٨ إلى الكميت بن زيد الأسدى ونسبها القالى فى النوادر ٤٩ إلى أعرابى من بنى سعد يدعى خنوس ، وكان عمرو بن العاص قد وعده أن يساعده فى نفقات زواجه ، ثم لم يفعل ، فقال البيتين .

(٤) لم أعثر عليه فى الديوان ، ولعله مما حفظه المصنف من شعره ، ولم يره جامع الديوان .

قال الحجاجُ بن يُوسف لخُرَيْم — وهو خُرَيم بن خَليفة بن سنان بن أبى حارثة المُرّى — ما العيشُ ؟ قال : الأمنُ ، فإنى رأيت الخائف لا ينتفعُ بعيش . قال : زِدْنى . قال : والشّبابُ ، فإنى رأيتُ الشّيخ لا ينتفعُ بعيش . قال : زِدنى ، قال : والصّحة ؛ فإنى رأيتُ السّقيم لا ينتفع بعيشٍ . قال زِدْنى . قال : لا أجد مزيداً .

قال أعرابىّ :

وما العَيْشُ إلاّ فِى الخُمُولِ مع الغِنَى ‏ ‏ ‏ ‏ وعافِيةٍ تَغْدُو بِهَا وتَرُوحُ

وقال آخر :

إنّ الفَتَى يُصْبِحُ للأَسْقَامِ ‏ ‏ ‏ ‏ كالغَرَضِ المَنْصُوبِ للسّهامِ

أخطَأَ رَامٍ وأصابَ رَامِ ‏ ‏ ‏ ‏ يَقُولُ : إِنِّى مُدْرِكٌ أَمَامِى

فى قابل ما فاتَنِى فى العامِ[1]

قيل لرجل من الحكماء : من أنعم الناس عيشاً ؟ قال : من كُفِى همَّ الدنيا ، ولم يهتم بالآخرة .

---

(١) الرجز لأبى النجم المفضل بن قدامة بن عبيد العجلى ، انظر ثلاثة الأبيات الأولى فى زهر الآداب ١٣/٤ ، وقد ورد فى معجم الشعراء ٣١١ برواية أخرى هى :

المرء كالحالم فى المنام ‏ ‏ ‏ ‏ يقول أنا مدرك أمامى

فى قابل ما فاتنى فى العام ‏ ‏ ‏ ‏ والمرء يدنيه من الحمام

مر الليالى السود والأيام ‏ ‏ ‏ ‏ إن الفتى يصبح للأسقام

كالغرض المنصوب للسهام ‏ ‏ ‏ ‏ أخطأ رام وأصاب رام

قال الشاعر :

لا تَمَنَّ المُنَى فَتَغْتَرَّ جَهْلاً　　　طَالَمَا اغْتَرَّ بالمُنَى الجُهلاءُ

قال آخر [١] :

ليْتَ شِعْرِى وأَيْنَ مِنِّى لَيْتُ　　　إنَّ لَيْتًا وإنَّ لوًّا عَنَاءُ

---

(١) فى ا ، ب : قال الحارث بن حلزة ولم أعثر عليه فى معلقته : آذنتنا ببينها أسماء ، وقد نسب فى الشعر والشعراء ٢٦٣ إلى أبى زبيد الطائى .

باب اختلافِ الهِمَمِ فى أنْوَاعِ المَال

عن رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، أنه قال : « خيرُ المال عينٌ ساهرةٌ لعين نائمة » .

وروى عنه عليه السّلام أنه كان يأمرُ الأغنياء باتّخاذ الغنم ، ويأمرُ المساكين باتّخاذ الدّجاج .

قال مالكُ بن أنَس[1] — رحمه اللهُ — : لما خرج مروانُ من المدينة مرّ عاله بذى خُشُب[2] ، فلما نظر إليه قال : ليسَ المالُ إلا ما أسْرِجَت عليه المناطق .

قيل لابنة الخس : ما تقولين فى مائة من المعز ؟ قالت : قِنًى . قيل : فمائة من الضأن ؟ قالت : غِنًى . قيل فمائة منَ الإبل؟ قالت : مُنًى .

وأما قول امرئ القيس[3] :

لَنَا غَنَمٌ نُسَوِّقُهَا غِزَارٌ كأنّ قُرُونَ جِلّتِهَا العِصِىُّ

فإنه أراد أنها كانت معزى ، لوصفه قرونها بالعصى ، وأما قوله :

فتملأُ بيتنا إقْطًا وسَمْنًا وحَسْبُكَ من غِنًى شِبَعٌ ورِىُّ

فإنه زعم بعضهم أن الإقط لا يكون إلا من لبن البقر ، وقالوا : المعزى أكثر لبنا ، وأكثر سمنا وزبداً .

---

(١) ا ، ب : أسد .

(٢) فى ا : خشب ، وهو خطأ ، وذو خشب : واد معروف على مسيرة ليلة من المدينة ، انظر معجم البلدان ٣٧٢/٧ .

(٣) ديوانه ١٣٧ ، عيون الأخبار ٣٢٣/١ .

قال المُسْتَوْرِد : الذَّهَب والوَرِق حَجَران ، إن تركتَهما لم يزيدا ، وإن أخذتَ منهما نَفِدَا ، والحيوانُ كالبقل[١] إن أصابته الشمس ذوى[٢] ، ولكن المالَ الأرضُ والماء .

قال ابن شهاب الزهريّ -- رحمه الله -- يخاطب أخاه عبدالله[٣] :

تَتَبَّعْ خَبَايَا الأَرْضِ وادْعُ مَلِيكَها لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تُجَابَ فَتُرْزَقَا[٣]

وروى عن النبي صلّى الله عليه وسلم أنه قال : « تسعة أعشار الرزق فى التجارة ، والعشر فى السَّابِيَاء[٤] » .

لما بلغ عمرَ بن الخطاب أن من نزل بالكوفة من الصحابة اتخذوا الضياع وعمروا الأرضين ، كتب إليهم : لا تنهكوا وجه الأرض فإن شحمتها فى وجهها .

ولما بلغه أن عُتْبَةَ بنَ غَزْوَان وأصحابه بنوا باللَّبِن كتب إليهم : وقد كنت أكره لكم ذلك ، فإذا فعلتم فعرّضوا الحيطان ، وارفعوا السَّمْك ، وقاربوا بين الخشب .

باع رجل رجلا أرضًا ، فقال البائع : أما والله لقد أخذتَها شديدة المئونة قليلة المعونة -- يعنى الأرض -- . فقال المبتاع : والله لقد أخذتَها بطيئة الاجتماع سريعة التفرق[٥] -- يعنى الدراهم .

---

(١) فى ا : والبقل

(٢) فى ا : قوى .

(٣) معجم الشعراء ٣٤١ .

(٤) السابياء : الجلدة الرقيقة التى تحيط بالجنين وهو فى بطن أمه ، والمقصود بها فى الحديث نتاج الإبل والماشية . أنظر النهاية ٢/٣١٤ .

(٥) ب : التفريق .

قالوا : إذا بَعُدَ المال[١] عن موضع ربّه[٢] قلت فوائده .

قال الشاعر :

سأَبغيكَ مالاً بالمَدِينة إنَّنِي أرى عَازِبَ الأَمْوَالِ قَلَّتْ فَوَائِدُهْ[٣]

أوصى سهلُ بنُ حُنَيْفٍ ، أحدَ بنى عبد الرحمن بن عوف ، وكانت أمُّه أنصارية فقال له : إنك أحبّ إخوتك إلىّ ، وإنى موصيك بوصية : اعلم أنه لا عيلة على مصلح ، ولا مال مع الخُرْق[٤] ، واعلم أن خير المال العقل[٥] ، وخير المال ما أطعمك ولم تطعمه وإن قلّ ، واعلم أن الرقيق ليسوا بمال ، ولكنهم جَمال[٦] ، واعلم أن الماشية إنما هى مال أهلها ، وإن كنت متخذاً من المال شيئاً فمزرعة إن زرعتها انتفعت بها ، وإلا لم ترزَأكَ شيئاً . قال : فحفظت نصيحته ، فكانت لى أنفع مما ورثت[٧]

ذُكر النخلُ والزّرعُ عند بعض الأشراف العقلاء ، فقال : شَرَيْنا النخل من فضول غلات الزرع ، ولم نشتر الزرع من فضول غلات النخل .

قال اللّيثُ بنُ سَعْد : لما افتُتِحت إفريقية عجب الناس من كثرة ما أصابوا فيها من الأموال ، فسألوا بعض من كان معهم من الأسرى ، فبدر إلى شجرة زيتون كانت بين يديه ، فأخذ منها عوداً وأراهم إياه ، وقال : من هـــذا جمعنا هذه

---

(١) ب : الماء .

(٢) ب : ربه

(٣) عيون الأخبار ١/٢٥١ ، البيان ٢/٤٠٢ ، التمثيل والمحاضرة ٣١١ وفيه : سأبتاع .

(٤) ب : الخزيق ، الخرق : الحمق والغفلة .

(٥) ب : العقد .

(٦) ب : خيال .

(٧) ب : ترك عن أبى .

الأموال ، نُصيبُ الزيتون ، فيأتينا أهل البحر والبر ، والصحراء والرمل ، يبتاعون منا الزيتون ، فمن ثَمَّ كثرت أموالنا .

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لعمرو بن العاص : « هل لك يا عمرو أن أبعثك في جيشٍ يُسلّمك الله ويغنمك ، وأرغب لك رغبة صالحة » .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلّم من حديث المِقْدَادِ بن مَعْدِي كرب ، وهو حديث صحيح ، أنه قال صلّى الله عليه وسلّم : « ما أكل ابنُ آدم طعاماً خيراً له من أن يأكلَ من عملِ يده ، وكان داودُ عليه السلام يأكل من عمل يده » .

وكان داود عليه السلام يعمل القِفافَ الخُوص ، وقيل كان نوح نجاراً ، وكان زكريا نجاراً صلى الله عليهما وسلّم .

وأجمع العلماء أنّ أشرفَ الكَسْب : الغنائمُ ، وما أوجف الله عليه[١] بالخيل والرِّكاب ، إذا سلم من الغُلول . وقد سمّى الله الجهادَ تجارةً مُنْجيَةً من عذابٍ أليم .

قال[٢] بعضُ لصوص هَمْدان[٣] :

---

(١) ساقط من ب .

(٢) في ب : قالت .

(٣) وردت الأبيات في الصفحة التالية منسوبة إلى مالك بن حريم في عيون الأخبار ٢٣٧/١ ، العقد الفريد ٣٩١/٣ ، ووردت منسوبة لعمرو بن براقة الهمداني : في الأغاني ١١٣/٢١ ، المؤتلف ٦٦ ، ٥٧ ، في قصة حدثت له مع حريم بن مالك الهمداني ، لا ابنه مالك بن حريم ، كما قد يتبادر إلى الذهن من نسبتها إليه في عيون الأخبار ، وأصل القصة أن حريما أغار على إبل لعمرو فذهب بها فجاء عمرو إلى امرأة من همدان كانوا يستشيرونها ، فأخبرها الخبر ، وأنه يريد الإغارة على حريم ، فنهته عن ذلك وحذرته العاقبة ، فلم يبال بقولها ، وأغار على حريم فاستاق كل شيء له ، ولم يستطع حريم أن ينال منه منالا ، وقال في ذلك قصيدته التي منها هذه الأبيات وأولها :

تقول سليمى لاتعرض لتلفة ... وليلك عن ليل الصعاليك نائم

ومنها : كأن حريماً إذ رجا أن أردها ... ويذهب مالى يابنة القيل حالم

وانظر البيتين الثاني والثالث في البيان والتبيين ١٥٩/٣ ، الامالي ١٢٢/٢ ، العقد ٣٩٩/٣ ، والثالث في حماسة البحتري ٢٠ .

وَمَنْ يَطْلُبِ المَالَ المُمَنَّعَ بالقَنَا يَعِشْ مُثْرِيًا أو تَخْتَرِمْهُ المَخَارِمُ

مَتَى تجمعِ القَلْبَ الذكىَّ وصَارِمًا وأنفًا حَمِيًّا تَجْتَنِبْكَ المَظَالِمُ

وكنت إذا قوم غَزَوْنى غَزَوْتُهُمْ فهل أنا فى ذا يا لَهَمْدَانَ ظالِمُ (٤٢)

بابُ التّجارَة

قال رسولُ اللهُ صلى الله عليه وسلم : « أفضلُ الكسب عَمَلُ اليد ، وكلّ بيع مَبْرور » .

وعنه عليه السلام أنه قال : « أفضلُ الكَسْب كسبُ الصَّانع إذا صحّح[1] » .

وقال عليه السلام : « التجارُ هم الفجّار إلاّ من بَرَّ وصدق » .

وقال عليه السلام : « التاجرُ الأمينُ الصدوقُ مع الشّهداء يوم القيامة » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « يا معشرَ التجار ! إن بيعكم هذا يشوبه الحَلِفُ ، فشُوبُوه بالصّدقة » .

وقال صلى الله عليه وسلّم : « الجالبُ مرزوقٌ ، والمحتكر مَلْعون » .

أو قال « ... مَذْمُوم[2] » .

وقال صلّى الله عليه وسلّم: «تسعةُ أعشار الرّزْقِ فى التجارة، والعُشْر فى السَّابِيَاء».

وقال عليه السّلام : « اللّهم بارك لأمّتى فى بُكُورِها » .

وروى عنه عليه السّلام أنه قال : « مِنْ أشْراطِ السّاعة ، أن يُرفع العِلْمُ ، ويقبضَ المال ، ويظهرَ القلمُ ، وتكثرَ التجار[3] » .

---

(١) ا : صنع،وفى مجمع الزوائد ٤/٦١ أخرج الإمام أحمد عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال: خير الكسب كسب العامل إذا نصح . وانظر كتاب البيوع فى صحيح البخارى وسنن النسائى ، وكتاب التجارات فى سنن ابن ماجة .

(٢) ساقط من ا .

(٣) لم نعثر على هذا الحديث بنصه ، وقد أخرج البخارى ، وأصحاب السنن الأربعة ما نصه : عن أنس بن مالك ، قال : «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أشراط الساعة أن يقل العلم ، ويظهر الجهل ، ويظهر الزنا ، وتكثر النساء ، ويقل الرجال ، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد » .

وأيضاً : « إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، ويثبت الجهل ، ويشرب الخمر ويظهر الزنا » . انظر النصين فى فتح البارى ١/١٨٨ ، ١٨٩ ، صحيح مسلم ٤/٢٠٥٦ .

وقال صلّى الله عليه وسلّم : « من استقاله أخوه المسلمُ في بيع باعه منه فأقاله أقالَه الله من عثرته يومَ القيامة » .

وقال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه : فرّقوا بين المنايا ، واجعلوا الرأسَ رأسين[١] .

وقال عمرُ : بع الحيوانَ أحسنَ ما يكونُ فى عينك .

وقال ابنُ شهاب : مرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأعرابىّ وهو يبيع مُسَوَّمَـة[٢] فقال : « عليك بأولِ سَوْمَـة ، أو بأول سَوْم ، فإنّ الرّبحَ مع السَّماح » .

قيل للزبير رحمه اللهُ : بِمَ بلغتَ هذا المال ؟ قال : إنى لم أُرِدْ ربحًا ، ولم أشْتَرِ عيبًا .

كان يقالُ : الأسْواقُ موائدُ لله فى الأرض ، فمن أتاها أصاب منها .

قال خالدُ بن صفوان : فى التّجَارِ لؤمُ الطبائع ، وعِيّ اللّسان ، وموتُ القلب ، وسوءُ الأدب ، وقِصَرُ الهمة ، والاشتمالُ على كل بليّة .

اشترى أعرابىٌّ جملا ، فندِم عليه فى شرائه ، فجعل يُصَعِّد النظرَ فيه ويصوّبه ليجد ما يتوسّل به إلى ردّه ، فقال البائعُ : مَنْ طلب عيبًا وجده .

---

(١) ذكره ابن الأثير فى النهاية ،وقال : فرقوا بين المنية، بدل المنايا ... الخ ، وقال فى تفسيره : إذا اشتريتم الرقيق أو غيره من الحيوان ، فلا تغالوا فى الثمن ، واشتروا بثمن الرأس الواحد رأسين ، فإذا مات الواحد بقى الآخر ، فكأنكم فرقتم بين المنية .

(٢) فى ب : شيئا ، والمسومة : السامة تباع بالمساومة فى ثمنها .

يقال : الغَبْن فى شيئين ، فى الرَّداءة(١) أو الغَلاء ، فإذا استجدتَ فقد سلمت من أحدهما .

قال الراجزُ :

ما أرْخَصَ الغَالِى إذَا كانَ حَسَنْ

وقال محمود الورّاق :

وإذا غَلَا شيءٌ عَلَيَّ تَرَكْتُهُ فيكونُ أرْخَصَ ما يكونُ إذا غَلَا(٢)

قال معاوية — رحمه الله(٣) — لقوم : ما تجارتكم ؟ قالوا : بيع الرقيق . قال : بئس التجارة ، ضمان(٤) نفس ، ومئونة ضرس .

قال عمر بن الخطاب(٥) رضى الله عنه : إذا اشتريت بعيراً فاشتره ضخماً ، فإن لم توافق كرماً ، وافقت(٦) لحماً .

ودخل مالكُ بنُ دينار السوق فجلس الى قوم يحدثهم ، فقال : كيفَ سُوقكم ؟ قالوا : كاسدة . قال : غششتم(٧) . قال : وكيف متاعكم ؟ قالوا : ردىء . قال : كذبتم . قال : وكيف كثرته ؟ قالوا : قليل . قال : حلفتم .

---

(١) فى ب : الردىء .
(٢) البيت فى نهاية الأرب ٣ / ٨٥ ، محاضرات الأدباء ١ / ٢٢٥ ، المستطرف ١ / ١٢١ ، ٢ / ٧٩ .
(٣) ساقط من ب .
(٤) فى ا : ضمن .
(٥) ساقط من ب .
(٦) فى ب : واقعت .
(٧) فى ب : عشيتم .

كان عبدالله بنُ مَسْعود يقول : عجباً للتاجرِ كيف يَسْلم ؟ إن باعَ مَدَح ، وإن اشترى ذَمّ .

قال سعيدُ بنُ المُسَيّب : إذا أبغض الله عبداً جعل رزقه في الصِّياح . يعنى — والله أعلم — من لا صناعة لهُ إلاّ النّداء لغير صلاة محترساً بالليل و براحاً بالنهار . ونحو هذا عن الفضيلِ بن عياض ، وزاد كالملاحين ودونهم[١] . [٢]ومنهم الذين يصيحون على أسوار المدن بالليل[٢] .

قال ابنُ عباس : من اشترى مالا يحتاج اليه يُوشِكُ أن يبيعَ ما يحتاج إليه .

قال المغيرةُ بن حَبْنَاء :

وما كلُّ حينٍ يَصْدُقُ المرْءَ ظَنُّهُ ‏ ‏ وَلاَ كلُّ أَصْحَاب التِّجَارَة يرْبَحُ

ولابن شهاب الزُّهرى :

أَلا كلُّ مَنْ يُهْدَى لَهُ البَيْعُ يُرْزَقُ ‏ ‏ وَقَدْ يُصْلِحُ المالَ اليَسِيرَ المُوَفَّقُ[٣]

وللمنصور الفقيه :

بُنَيَّتِى لا تَجْزَعِي واصْبِرِى ‏ ‏ عساكِ بِصَبْرِكِ أن تَظْفَرِى

فَلو نَالَ يوماً أبُوكِ الغِنَى ‏ ‏ كَساكِ الدَّبِيقِىَّ والتُّسْتَرِى[٤]

ولـكنْ أَبوكِ ابْتُلِى بالعُلومِ ‏ ‏ فَما إنْ يَبِيعُ وَلا يَشْتَرِى

---

(١) فى ب : وذويهم .

(٢) زيادة من م .

(٣) ب : الترفق .

(٤) ب الرقيق ، وهو تصحيف ، والدبيق : نوع فاخر من الثياب كان يصنع فى بلدة دبيق بمصر والتسترى : نوع من الثياب الفائقة ، كان يصنع بتستر بإقليم خوزستان بفارس .

بابُ الرِّزْقِ

قال الله عزَّ وجل: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [1] الآية.

وقال: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ [2].

سمع رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم أمَّ حبيبةَ تقول: اللَّهم متِّعْني بزوجي رسول الله، وبأبي أبي سُفيان، وبأخِي معاوية، فقال لها رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «دَعَوْتِ اللهَ لآجالٍ مَعْلومَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ».

وقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم: «أَبَى الله أن يجعلَ أرْزَاقَ عباده المؤمنين إلَّا مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُون».

وقال عليه السلام: «اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بالصدقة».

وقال عليه السلام: «ولا يَحْمِلَنَّكُمُ استبطاء[3] الرِّزق أن تطلبوه بِمعاصى الله؛ فإنَّهُ لَا يُنَالُ ما عنده بما يكره، اتَّقوا اللهَ وأجْمِلوا فى الطلب، خذوا ما حَلَّ، ودَعوا ما حَرُم».

وقال عليه السلام لعبد الله بن مسعود: «لا تُكْثِرْ هَمَّكَ يا عبد الله، ما يقدَّرْ يَكُنْ، وما تُرْزَقْ يأتِكَ»[4].

---

(1) سورة الزخرف: ٣٢.

(2) سورة النحل: ٧١.

(3) فى ا: غيظ.

(4) فى ب: يكون، يأتيك.

قال الشاعر :

فإنَّكَ مَا يُقْــدرْ لَكَ اللهُ تَلْقَهُ ... كِفَاحًا وَتجلبْهُ عَلَيْكَ الجَوَالِبُ

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن رُوحَ القُدس نَفَثَ فى رُوعِى ، أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب » .

أنشد ابنُ أبى الدنيا[1] :

وَمَنْ ظَنَّ أنَّ الرِّزْقَ يَأْتِى بحيلةٍ ... فقد كَذَّبتْه نفســه وَهْو آثِمُ

يَفُوتُ الغِنَى من لاَ يَنَامُ عن السُّرَى ... وآخرُ يأتى رزقَهُ وَهْوَ نائِمُ

فما الفقرُ فى ضعفِ احتيالٍ ولا الغِنَى ... بِكدٍّ وللأرزاق فى النَّاس قاسِمُ

سأصبرُ إنْ دَهْرٌ أناخ بكلكلٍ ... وأرْضَى بحكم الله مالله[2] حاكمُ

لقد عشتُ فى ضيقٍ من الدَّهرِ مُدَّةً ... وفى سَعَةٍ والعِرْضُ مِنِّى سَالِمُ

وقال جعفرُ بنُ محمد : إنى لأُمْلِق فأتاجر الله بالصدقة فأربح .

وقال عروةُ بنُ الزبير[3] : العاقلُ من إذا رُزق مالاً نظر فيه ، فإنه لا يدرى لعله يكون آخرَ رزقه .

ومما يُروى لعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، وفيه نظر :

لو كانَ فى صَخْرَةٍ فى البَحْرِ رَاسِيَةٍ ... صَمَّاءَ مَلمُومَةٍ مُلْسٍ نَوَاحِيها

---

(١) عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشى الأموى بالولاء ، كان من الوعاظ العارفين بأساليب الكلام وما يلائم طبائع الناس ، وله مؤلفات كثيرة فى الزهد والرقائق ، توفى فى بغداد سنة ٢٨١ هـ . انظر تهذيب التهذيب ١٢/٦ ، تاريخ بغداد ٨٩/١٠ (الأعلام ٢٦٠/٤) .

(٢) ا : فالله .

(٣) ق ب : ابن الزهر .

رِزْقٌ لِعَبْدٍ يَرَاه اللهُ لاَنْفَلَقَتْ ... حَتَّى يُؤَدَّى إِلَيْهِ كُلُّ مَا فِيهَا

أَوْ كَانَ تَحْتَ طِبَاقِ السَّبْعِ مَطْلَبُهَا ... لَسَهَّلَ اللهُ فِي الْمَرْقَى مَرَاقِيهَا

حَتَّى تُؤَدِّى الَّذِى فِي اللَّوْحِ خُطَّ لَهُ ... إِنْ هِىَ أَتَتْهُ وَإِلاَّ سَوْفَ يَأْتِيهَا

وأنشد ابنُ الأعرابي :

الْحَمْدُ لِلهِ لَيْسَ الرِّزْقُ بِالطَّلَبِ ... وَلاَ الْعَطَايَا لِذِى[١] عَقْلٍ وَلاَ أَدَبِ

إِنْ قَدَّرَ اللهُ شَيْئًا أَنتَ طَالِبُهُ ... يَوْمًا وَجَدْتَ[٢] إِلَيْهِ أَقْرَبَ السَّبَبِ

وَإِنْ أَبَى اللهُ مَا تَهْوَى فَلاَ طَلَبٌ ... يُجْدِى عَلَيْكَ وَلَوْ حَاوَلْتَ مِن كَثَبِ

وقد أقول لِنَفْسِى وَهْىَ ضَيِّقَةٌ ... وَقَدْ أَنَاخَ عَلَيْهَا الدَّهْرُ بِالعَجَبِ

صَبْرًا عَلَى ضِيقَةِ الأَيَّامِ إِنَّ لَهَا ... فَتْحًا وَمَا الصَّبْرُ إِلاَّ عِنْدَ ذِى الأَدَبِ

سَيَفْتَحُ اللهُ أبواب العَطَاءِ بِمَا ... فِيهِ لِنَفْسِكَ رَاحَاتٌ من التَّعَبِ

وَلَوْ يَكُونُ كَلاَمِى حِينَ أُنْشِرُهُ[٣] ... مِنَ اللُّجَيْنِ لَكَانَ الصَّمْتُ من ذَهَبِ

وقيل لِعلىّ بن أبي طالب رضى الله عنه : كيف يحاسبُ اللهُ العباد على كثرتهم ؟ قال : كما قَسَّمَ بينهم[٤] أرزاقهم .

ولِسُرَيْج بن يونس المحدث[٥] :

يا طالبَ الرِّزْقِ فى الآفاق مُجْتَهِدًا ... أَتْعَبْتَ نَفْسَكَ حَتَّى شَفَّكَ التَّعَبُ

---

(١) فى ب : على .

(٢) فى ا : رجوت .

(٣) فى ب : أنشده .

(٤) فى ب : فيهم .

(٥) فى الأصل : شريح ، وهو خطأ ، والصحيح أنه سريج بن يونس بن ابراهيم البغدادى ، أبو الحارث. العابد محدث ثقة ، توفى سنة ٢٣٥ هـ . تاريخ بغداد ٢١٩ ، تهذيب التهذيب ٣/٤٥٧ .

تَسْعَى لرزق كفاك اللهُ مؤْنَتَهُ　　أَقْصِرْ فرزقك لا يأتى به الطَّلَبُ

كم من سَخِيفٍ ضَعِيفِ العَقْلِ نعرفه　　له الولاية والأرزاقُ والذَّهَبُ

ومن حَصِيفٍ[1] له عقلٌ ومعرفةٌ　　بَادِى الخَصَاصَةِ لم يُعْرَف له نَشَبُ[2]

فاسترزقِ اللهَ ممــا فى خزائنِه　　فاللهُ يرزق لا عقلٌ ولاَ حَسَبُ

وقال آخر:

كم من قوىٍّ قوىٍّ فى تقلُّبِهِ　　مُهَذَّبِ الرَّأْىِ عَنْهُ الرِّزْقُ مُنْحَرِفُ[3]

وكم ضعيفٍ ضعيفِ الرأى تبصرُهُ　　كأنه من خليج البحر يغترفُ

أنشد أبو حاتم عن الأصمعى:

يا أيُّها المضْــمِرُ همًّا لا تَهُمّ　　إنَّكَ إنْ تُقْدَرْ لك الحُمَّى تُحَمّ

ولو علوت شاهقًا من العَلَمْ　　كيفَ تَوَقِّيكَ وقد جَفَّ القَلَم[4]

لوا: المقادير تبطل التقدير، وتَنْقُضُ التدبير.

قال الشاعر:

إذا عَقَدَ القَضَاءُ عليكَ عَقْداً　　فَلَيْسَ يَحُلُّهُ إلاَّ القَضاءُ[5]

وقال ابن المعتز:

يا مُكِلَّ العِيسِ فى دَيْمُومَةٍ　　يَتْبَعُ الآمال كالباغِى المُضِلّ

---

(١) ا: خصيب.

(٢) ب: نسب.

(٣) فى ا: يحرف.

(٤) البيتان فى عيون الأخبار ١٤٧/١.

(٥) البيت فى التمثيل والمحاضرة ٣٢٩، ومعجم الأدباء ٧٢/٥.

إنَّ مفتاح الذى تَطْلُبُهُ بِيَدِ الْمِقْدَارِ[1] فاصبرْ واتَّكِلْ
فَرَغَ اللهُ من الرزق ومن مُدَّة العُمْرِ ومن وقت الأَجَلْ

وقال أبو العتاهية :

وَفَدْتُ إلى الله فى وفده لِأَلْتَمِسَ الرِّزْقَ مِنْ عِنْدِهِ
إذا ما قَضَى اللهُ أمرًا مَضَى ولم يَقْوَ حَيٌّ عَلَى رَدِّهِ[2]

قال المُفَضَّل الضَّبِّي : قيل لأعرابىّ : من أين معاشكم ؟ قال : من أزواد الحاجّ . قلت : فإذا صدروا ؟ فبكى ، ثم قال : لو كنا نعيش من حيث نعلم لم نعش[3] . ثم قال : أتفهم ؟ قلت : نعم ، فقال :

هَلِ الدَّهْرُ إلاَّ ضِيقَةٌ فَتَفَرَّجُ وإلاَّ جَدِيدٌ ناضِرٌ ثم يَنْهَجُ
أَرَى النَّاسَ فى الدُّنْيا كَسَفْرٍ[4] تتابعوا على مَنْهَجٍ ثم استَقَلُّوا فأَدْلَجُوا

فقال البَزْبرى[5] :

يا أيُّهَا الظَّاعِنُ فِي حَظِّهِ إِنَّمَا الظَّاعِنُ مِثْلُ المُقِيمْ
كَمْ مِنْ لَبِيبٍ عاقِلٍ قُلَّبٍ مُصَحَّحِ الجِسْمِ مُقِلٍّ عَدِيمْ
وَمِنْ جهُولٍ مُكْثَرٍ مَالُهُ ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمْ

---

(١) فى ا : بقدر المقدار ، ولا يستقيم معها وزن البيت .
(٢) ديوانه ٦٨ .
(٣) فى ب : لوكنا لانعيش إلا من حيث نعلم . وانظر عيون الأخبار ١٤٥/٣ حيث ساق القصة بصورة أخرى .
(٤) فى ب : كسفن .
(٥) فى ب : اليزيدى ، تحريف ، وقد سبقت ترجمته .

حظكَ يأتيك وإن لم ترِمْ ما ضَرَّ مَنْ يُرْزَق ألاَّ يَريم(١)

كان يقال : بكّرُوا فى طلب الرزق ، فإن النَّجاح فى التبكير .

قال أبو هريرة : إذا سأل أحدكم الله الرزقَ فلينظرْ كيف يسأل ، فإن الله يرزق الحلال والحرام ، ولكنْ ليقُل اللّهم ارزقنى ما ينفعنى ولا يضرنى .

قالوا : الرزق رزقان رزْق لا يأتيك إلا بالتسبّب ، ورزق يأتيك به الله من حيث لا تحتسب .

وقلت أنا الرزق رزقان . فرزق تطلبه ، ورزق يأتيك عفواً .(٢)

قال عُرْوة بن أُذَيْنَة ، أو بكر بن أذينة ، وهو الصحيح(٣) :

إنّى لأعلمُ وَالأقدارُ نافذَةٌ(٤) أنَّ الّذى هُوَ رِزْقى سَوْفَ يأتِينى

أسْعَى إليه فيُعْيِينى تَطَلُّبُهُ وَلَوْ قَعَدْتُ أتانى لا يُعَنّينِى

وقال آخر :

تَوَكّلْ عَلَى الرَّحْمٰنِ فِى كُلِّ حاجَةٍ ولا تؤثِرنَّ العَجْزَ يَوْمًا عَلَى الطَّلَبْ(٥)

ألم تَرَ أنّ اللهَ قَالَ لِمَرْيَمَ إليك فهزّى الجذع يسَّاقَط الرُّطَبْ

ولو شاء أن تجنيه من غيرِ هَزِّهَا جنته ولكن كلُّ شىء له سَبَبْ(٦)

(١) ساقط من ا .

(٢) ب : صفوا .

(٣) زيادة فى ب فقط ولم أعثر على مايرجح هذا الرأى فكل المراجع قد أجمعت على أنها لعروة ، انظر المؤتلف والمختلف ٥٤ ، الأغانى ٢٢٢/١٠ ، وفيات الأعيان ١٣٢/٢ ، الوافى بالوفيات ٨٦/٢ ، التمثيل والمحاضرة ٧٥ ، عيون الأخبار ٦٧/٣ ، العقد الفريد ٢٠٥/٣ .

(٤) فى م : جارية ، وقد ورد الشطر الأول فيما عدا الوفيات والعيون والعقد : لقد علمت وما الإسراف من خلقى ، وفى الوفيات : وما الإشراف ، وفى عيون الأخبار: وما الإسراف و طمع ، وفى العقد : وقد علمت وخير القول أصدقه .

(٥) ساقط من ا .

(٦) البيتان الثانى والثالث فى التمثيل والمحاضرة ٢٦٩ ، وفيه : فهزى إليك الجذع .

وقال آخر :

ما يُغلِقُ اللهُ باب الرِّزْقِ عن أحدٍ ‏ إلّا سيفتحُ دُونَ[1] البابِ أبْوَابا

وقال بكرُ بنُ حمّاد[2] :

النَّاسُ حَرْصَى عَلَى الدُّنْيا وقدْ فَسَدَتْ ‏ فَصَفْوُهَا لَكَ مَمْزُوجٌ بِتَكْدِيرِ

فَمِنْ مُكِبٍّ عليها لا تساعِدُهُ ‏ وعَاجِزٍ نَالَ دُنْيَاهُ بِتَقْصِيرِ

لم يُدْرِكُوهَا بِعَقْلٍ عنْدَما قُسِمَتْ ‏ وإنما أدركوها بالمقاديرِ

لَوْ كانَ عَنْ قُدْرَةٍ أَوْ عَنْ مُغَالَبَةٍ ‏ طَارَ البُزَاةُ بأَرزاقِ العَصَافيرِ

وقال آخر :

قد يُرْزَقُ المَرْءُ لم تَتْعَبْ رَوَاحِلُهُ ‏ ويُحْرَمُ الرِّزْقَ مَنْ لَمْ يُؤْتَ مِنْ تَعَبِ

وإنني واجِدٌ في النَّاسِ وَاحِدَةً ‏ الرِّزْقُ أَرْوَغُ شيْءٍ عن ذَوِي الأدبِ[3]

ولعلى بن هشام[4] :

المرءُ يَسعَى ويَسعَى الرِّزْقُ يَطْلُبُهُ ‏ وَرُبَّمَا اختَلَفَا في السَّعْيِ والطَّلَبِ

حتَّى إذا قَدَّرَ الرَّحْمنُ جَمْعَهُمَا ‏ للاتِّفاقِ أَتَاكَ الرزق عن كَثَبِ

وقال آخر :

يَخِيبُ الفَتَى مِنْ حَيثُ يُرْزَقُ غَيْرُه ‏ ويُعطَى الفَتَى من حيثُ يُحْرَمُ صَاحِبُه[5]

(١) م : بعد .

(٢) ق : ابن جناد ، وهو تحريف ، فهو بكر بن حماد بن سمك الزناتى ، أبو عبد الرحمن التاهرتى ، شاعر ، محدث فقيه ، وفى تاريخ الجزائر : إن شعره كثير جدير بالجمع ، توفى بتاهرت سنة ٢٩٦ هـ . انظر تاريخ الجزائر ٢/٣١ ، البيان المغرب ١/١٥٣ ، (الأعلام ٢/٣٧) .

(٣) البيتان لإبراهيم بن المهدى ، عيون الأخبار ٢/١٩٠ ، الأغانى ٥/٢١٦ .

(٤) شاعر من شعراء الدولة العباسية ، كان سريا كريما بعيد الهمة ظاهر المروءة ، توفى سنة ١٥٦ هـ ، انظر وفيات الأعيان ٤/١٦ التمثيل والمحاضرة ١٥٦ .

(٥) عيون الأخبار ١/٢١٤ ، البيان والتبيين ٢/٢٤٠ .

قال بعض الحكماء : الحلال يقطر قطراً ، والحرام يسيل سيلا .

قال الغزّال[١] :

طَالِبُ الرِّزْقِ الحَلَالِ لاَ يَقِر   نَهَارُهُ وَلَيْلُهُ عَلَى سَفَرْ
فِي الحَرِّ وَالبَرْدِ وأوقات المطر   وماله فى ذاك نَزْرٌ مُحْتَقَرْ
إِنَّ الحَلَالَ وَحدَه لاَ يَحْتَمِرْ   أين ترى مالاً حلالاً قد ثَمِرْ
ما إن رأينا صافياً منه كَثُر

قال الناشيء[٢] :

إِذَا المَرْءُ أَحْمَى نَفْسَهُ كُلَّ شَهْوَةٍ   لِصِحَّةِ أَيَّامٍ تَبِيدُ وَتَنْفَدُ
فَمَا بَالُهُ لا يَحْتَمِي عَنْ حَرَامِهَا   لِصِحَّةِ مَا يَبْقَى لَهُ وَيُخَلَّدُ

وَقال آخر :

إِنَّ الحَرَامَ غزيرَةٌ حَلْبَاتُهُ   وَوَجَدتُ حالبةَ الحَلالِ نَزُورَا[٣]

قال أكثم بن صيفي : من فاته الرزق الحرام فبالعاقبة ظفر .

قال منصور الفقيه :

أَرْزَاقُنَا مَقْسُومَةٌ وهكَذَا[٤] آجَالُنَا   فَمَا تَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا أَحْوَالُنَا

---

(١) يحيى بن الحكم الجيانى ، كان يسمى الغزال لجماله ، شاعر أندلسى مطبوع ، كان يمتاز ببديهة الرأى وحسن الجواب ، أرسله عبد الرحمن بن الحكم بن هشام سفيراً منه إلى ملك النورمان ، توفى سنة ٢٥٠ هـ . انظر بغية الملتمس ٤٨٩ ، المطرب من أشعار أهل المغرب ١٣٣ .

(٢) عبد الله بن محمد ، الناشيء الأنبارى ، أبو العباس ، شاعر مجيد ، يعد من طبقة ابن الرومى والبحترى ، ولكنه أغرب فى شعره إغرابا شديدا نساط فى بغداد ، فجاء إلى مصر فسكنها ، ومات بها سنة ٢٩٣ هـ . تاريخ بغداد ٩٢/١٠ ، وفيات الأعيان ٢٧٧/٢ .

(٣) عيون الأخبار ١٨٤/٣ ، وفيه: مصورا بدل نزورا ، والمصور بطيئة خروج اللبن ، والنزور : قليلة الولد ، أو قليلة اللبن .

(٤) ب ، م : وكذا .

وله أيضاً :

ما ضَيَّعَ اللهُ خَلْقًا فأَتَّقِي أَنْ أَضِيعا
اللهُ يَرْزُقُ مَنْ لاَ يُطِيعُهُ وَالْمُطِيعَا
فَاجعلْ سُكُوتَكَ للّـــهِ وَنَجْوَاكَ جَمِيعاً
وَكُلُّ بُؤْسَى وَنُعْمَى سَيَفْنَيَانِ سَرِيعا[1]

وقال آخر :

يا رُبَّمَا جَاءَنِى مَالاَ أُؤَمِّلُهُ وَرُبَّمَا خابَ مَأْمولٌ وَمُنْتَظَرُ
لو زاد فى الرزق حرصٌ أَوْ مُطَالَبَةٌ ما كانَ من قد يطيلُ الكدَّ يَفْتَقِرُ

ولأبى يعقوب إسْحاقَ بن حَسَّان الخُرَيْمى[2] :

أَقِـــلِّى عَلَىَّ اللَّوْمَ يَا أُمَّ مَالِكٍ فَلَمْ يُؤْتَ مِن حِرْصٍ عَلَى الْمالِ طَالِبُهْ
فوالله ما قصَّرتُ فى وجه مَطْلَبٍ أرى أن فِيهِ مَطْلَبًا فأُطالِبُهْ
ولـكنْ لهذا الرزق وقتٌ مُوَقَّتٌ يُقسّمه بين البَرِيَّةِ وَاهِبُهْ
وأسهرَنى طول التَّفـكُّرِ إنَّنى عَجِبْتُ لِأَمْرٍ ما تُقَضَّى عَجَائِبُهْ
أرَى فَاجِراً يُدْعَى جَلِيداً لِظُلْمِه ولو كُلِّفَ التَّقوى لـكَلَّتْ مَضاربُهْ[3]
وعَفًّا يسمَّى عاجِــــزاً لِعَفَافِهِ ولولا التُّقَى ما أعجـــزته مَذاهبُه
وأحمقَ مَصْنوعًا لَهُ فى أموره يُسوِّده إخـــوانه وأقاربُهْ

---

(١) فى ب : سكوتك ... والحراك ، وسينسيان مكان سيفنيان .

(٢) شاعر محسن ، وصفه أبوحاتم السجستانى بأنه أشعر المولدين ، أصله من خراسان من أبناء الصغد ، ثم اتصل بعثمان بن خريم ، أو خريم بن عامر المرى فنسب إليه ، توفى سنة ٢١٤هـ . تاريخ بغداد ٣٢٦/٦ ، طبقات الشعراء ٢٩٣ ، زهر الآداب ١٦/٤ .

(٣) ورد هذا البيت فى ا هكذا :

إلى عاجز يدعى جليدا لطابه ولو كلف التقوى لفلت مضاربه

وقد نسب هذا البيت والذى يليه فى معجم الشعراء ٤١٧ إلى أبى بكر المرزى .

عَلَى غَيْرِ حَزْمٍ فى الأمورِ ولا تُقَى ... ولا نَائِلٍ جَزْلٍ تُعَدّ مَوَاهِبُــــهْ

فليس لِعَجْزِ الْمَرْءِ أخطأه الغنى ... ولا باحتيالٍ أدركَ المالَ كاسِبُهْ

ولـكنَّه قَبْضُ الإلهِ وبَسطُهُ ... فمن ذا يجاريه ومن ذا يُغَالِبُهْ

أنشدنى خلف بن قاسم ، قال : أنشدنا محمد بن عبيد الله الصَّيْدَلاَنِيّ ، قال : أنشدنا علىّ بن سليمان الأخفش :

قَدْ يُرْزَقُ الخافِضُ المقيمُ وما ... شَدَّ بِعَنْسٍ رَحْلًا ولا قَتَبَاً[1]

ويُحْرَمُ الرزقَ ذو المطيةِ والرّ ... حْلِ ومن لا يَزَالُ مُغْتَرِبا

وقال محمود الوراق :

قيامَةُ من مات فى موته ... وإِجْمَالِ ما شَاعَ[2] من صَوْتِهِ

ترى المرءَ يجزعُ من فوت ما ... لعلّ السَّلامة فى فَوْتِهِ

ويَفْــــنَى ولم تفنَ آمالُهُ ... وإعمال ســوف إلى لَيْتِهِ

وكَمْ أزعجَ الحِرصُ من راغبٍ ... إلى الصِّين[3] والرِّزْقُ فى بَيْتِهِ

ولأبى الأسود الدؤلى أو العَرْزَمى :

وعَجِبْتُ للدُّنْيَا[4] وَحِرفَةِ أَهلِهَا ... وَالرِّزْقُ فيما بَيْنَهُمْ مَقْسُومُ

---

(١) فى ا : وما يشد نسعا ولا رحلا ولاقتبا . والبيتان للحكم بن عبدل الأسدى ، انظر حماسة أبى تمام ٢/٥٠ ، معجم الأدباء ١٠/٢٣٩ . والعنس : الناقة القوية .

(٢) ب : من شاع .

(٣) فى ا : إلى الضيق .

(٤) ا : عجبت من الدنيا ، وانظر ديوان أبى الأسود ١٣٦ وفيه : رغبة أهلها .

وَالْأَحْمَقُ الْمَرْزُوقُ أَعْجَبُ مَا أَرَى ... مِنْ أَهْلِهَا وَالْعَاجِزُ الْمَحْزُومُ

ثُمَّ انْقَضَى عَجَبِي لِعِلْمِيَ أَنَّهُ ... رِزْقٌ مُوَافٍ[1] وَقْتُهُ مَعْلُومُ

وقال آخر :

لَيْسَ بِالْعَقْلِ يَطْلُبُ الْمَرْءُ رِزْقًا ... كَمْ رَأَيْنَا مِن أَحْمَقٍ مَرْزُوقِ

وأصيل من الرجال نبيلٍ[2] ... سَدَّ عَنْهُ الْحِرْمَانُ كل طَرِيق

وقال آخر :

الرِّزْقُ يَأْتِى قَدَرًا عَلَى مَهَلْ[3] ... والمرءُ مطبوعٌ على حُبِّ العَجَلْ

وقال آخر :

يَا رَاكِبَ الْهَوْلِ وَالآفاتِ وَالْهَلَكَهْ ... لَا تَعْجَلَنَّ فَلَيْسَ الرِّزْقُ بِالْحَرَكَهْ

مَن غيرُ[4] رَبِّكَ فِى السَّبْعِ الْعُلَى مَلِكًا ... وَمَنْ أدار على أرجائِهَا فَلَكَهْ

أما ترى البَحْرَ والصَّيَّادُ تَضْرِبُهُ ... أمواجُهُ ونُجُومُ اللَّيْلِ مُشْتَبِكَهْ

يَجُرُّ أَذْيَالَهُ وَالْمَوْجُ يَلْطِمُهُ ... وعَقْلُهُ بين عَيْنَيْ كَلْكَلِ السَّمَكَهْ

حَتَّى إذا رَاحَ مَسْرُورًا بِهَا فَرِحًا ... والحوت قَدْ شكَّ سَفُّودُ الرَّدَى حَنَكَهْ

أَتَى إليك بِهِ رِزْقًا بِلَا تَعَبٍ ... فَصِرْتَ تَمْلِكُ مِنْهُ مِثْلَ مَا مَلَكَهْ

لُطْفًا مِنَ اللهِ يُعطِى ذَا بِحِيلَتِهِ ... هَذا يَصِيدُ وهذا يأكُلُ السَّمَكَهْ

---

(١) فى ا . سواه : وفى الديوان ، والكامل المحروم بدل العاجز.

(٢) ساقط من ب .

(٣) فى ب : الرزق يأتى مقدوراً على عجل ، وانظر البيت فى البيان والتبيين٣/٢٨٠ .

(٤) ب : من عنده .

وقال أبو العتاهية :

طَالَ هَمِّى بِغَيْرِ ما يَعنِينِي وَطِلَابِى فَوْقَ الَّذِى يَكْفِينِى

ولو أنى كففت لم أبغ رزقى كان رزقى هو الذى يبغينى

أَحْمَدُ اللهَ ذا المعارج شكراً ما عَلَيهَا إلَّا ضَعِيفُ اليَقِينِ[١]

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ ما كلُّ التعطُّلِ ضَائِرٌ ولا كلُّ شُغْلٍ فيه للمرءِ مَنْفَعهْ

إذا كَانَتِ الأرزاقُ فى القربِ والنَّوى عَلَيكَ سواءً فاغتنم لَذَّةَ الدَّعَهْ

وإن ضِقْتَ فاصْبِرْ يكشِفِ اللهُ ما تَرَى فيَا رُبَّ ضيقٍ فى جوانبِه سَعَهْ[٢]

وقال آخر :

هَوِّنْ عَلَيْكَ فإن الأمْرَ مَقْدُورُ وكلُّ شىءٍ من الأشياء مَسْطُورُ

والرِّزْقُ والخَلْقُ والآجالُ قَدْ قسِمَتْ وَأحْكَمَتْهَا وَزَمَّتْهَا المقادِيرُ

فَلَيسَ يَقْدِرُ مَرْءٌ صَرْفَ وَاحِدَةٍ مِنْهَا وَلَوْ كَثُرَتْ مِنْهُ التَّدَابِيرُ

كَمْ مَنْ رَأَينَاهُ ذَا مَالٍ وذَا سَعَةٍ وذا غَضَارَةِ عَيْشٍ وَهُوَ مَحْبُورُ

لا يَعرِفُ اللهَ جَهْلاً خاطِئًا حُمُقًا لَوْلَا[٣] غِنَاهُ لَعَافَتْهُ الخَنَازِيرُ

لم يَرْكَبِ الهَوْلَ فى قَفْرٍ وَلَا لُجَجٍ وَلَا تَكَلَّفَ أمرًا فِيهِ تَغْيِيرُ

لكِنْ أتَاهُ الغِنَى حتَّى أنَاخَ بِهِ وَمَا تَقَدَّمَ مِنه فِيهِ تَفْكِيرُ[٤]

---

(١) الأبيات فى ديوانه ٢٦٢ ، وفيه طال شغلى ...

(٢) الأبيات لعلى بن الجهم . انظر معجم الأدباء ١٩/٥٤ .

(٣) و ب : لو .

(٤) فى ب : وماتقدم فيه منه تفكير .

بابُ التِّجارَة

قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « أفضلُ الـكسب عَمَلُ اليد ، وكلّ بيع مَبْرور » .

وعنه عليه السلام أنه قال : « أفضلُ الـكَسْبِ كسبُ الصَّانع إذا صحّح[1] » .

وقال عليه السلام : « التجارُ هم الفجّار إلاّ من بَرَّ وصدق » .

وقال عليه السلام : « التاجرُ الأمينُ الصدوقُ مع الشّهداء يوم القيامة » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « يا معشرَ التجار ! إن بيعكم هـذا يشوبه الحَلِفُ ، فشُوبُوه بالصّدقة » .

وقال صلى الله عليه وسلّم : « الجالبُ مرزوقٌ ، والمحتكر مَلْعون » .

أو قال « ... مَذْمُوم[2] » .

وقال صلّى الله عليه وسلّم : «تسعةُ أعشار الرِّزْقِ فى التجارة ، والعُشْر فى السَّابِيَاء» .

وقال عليه السّلام : « اللّهم بارك لأمّتى فى بُكُورِها » .

وروى عنه عليه السّلام أنه قال : « مِنْ أشْراطِ السّاعة ، أن يُرفع العِلْمُ ، ويقبضَ المال ، ويظهرَ القلمُ ، وتـكثرَ التجار[3] » .

---

(١) ا : صنع ، وفى مجمع الزوائد ٤/٦١ أخرج الإمام أحمد عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : خير الـكسب كسب العامل إذا نصح . وانظر كتاب البيوع فى صحيح البخارى وسنن النسائى ، وكتاب التجارات فى سنن ابن ماجة .

(٢) ساقط من ا .

(٣) لم نعثر على هذا الحديث بنصه ، وقد أخرج البخارى ، وأصحاب السنن الأربعة ما نصه : عن أنس بن مالك ، قال : «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أشراط الساعة أن يقل العلم ، ويظهر الجهل ، ويظهر الزنا ، وتـكثر النساء ، ويقل الرجال ، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد » .

وأيضاً : « إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، ويثبت الجهل ، ويشرب الخمر ويظهر الزنا » . انظر التعيين فى فتح البارى ١/١٨٨ ، ١٨٩ ، صحيح مسلم ٤/٢٠٥٦ .

وقال صلّى الله عليه وسلّم : « من استَقاله أخوه المسلمُ فى بيع باعه منه فأقاله أقالَه الله من عثرته يومَ القيامة » .

وقال عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه : فَرّقوا بين المَنَايا ، واجْعلوا الرَّأسَ رَأسَيْن[١] .

وقال عمرُ : بع الحيَوانَ أحسنَ ما يكونُ فى عينك .

وقال ابنُ شهاب : مرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأعرابىّ وهو يبيع مُسَوَّمَة[٢] فقال : « عليك بأولِ سَوْمَة ، أو بأول سَوْم ، فإن الرّبحَ مع السَّماح » .

قيل للزبير رحمه اللهُ : بم بلغتَ هذا المال ؟ قال : إنى لم أُرِدْ ربحًا ، ولم أشْترِ عيباً .

كان يقالُ : الأسْواقُ موائدُ لله فى الأرض ، فمن أتاها أصاب منها .

قال خالدُ بن صفوان : فى التّجَارِ لؤمُ الطبائع ، وعِىّ اللّسان ، وموتُ القلب ، وسوء الأدب ، وقِصَرُ الهمة ، والاشتمالُ على كل بليّة .

اشترى أعرابىّ جملا ، فندِم عليه فى شرائه ، فجعل يُصَعّد النظرَ فيه ويصوّبه ليجد ما يتوسّل به إلى ردّه ، فقال البائعُ : مَنْ طاب عيباً وجده .

---

(١) ذكره ابن الأثير فى النهاية ،وقال : فرقوا بين المنية، بدل المنايا ... الخ ، وقال فى تفسيره : إذا اشتريتم الرقيق أو غيره من الحيوان ، فلا تغالوا فى الثمن ، واشتروا بثمن الرأس الواحد رأسين ، فإذا مات الواحد بقى الآخر ، فكأنكم فرقتم بين المنية .

(٢) فى ب : شيئا ، والمسومة : السلعة تباع بالمساومة فى ثمنها .

يقال : الغَبْن في شيئين ، في الرَّداءة[١] أو الغَلَاء ، فإذا استجدتَ فقد سلمت من أحدهما .

قال الراجزُ :

ما أرْخَصَ الغَالِي إذَا كانَ حَسَنْ

وقال محمود الورَّاق :

وإذا غَلَا شيءٌ عَلَيَّ تَرَكْتُهُ فيكونُ أرْخَصَ ما يكونُ إذا غلاَ[٢]

قال معاوية — رحمه الله[٣] — لقوم : ما تجارتكم ؟ قالوا : بيع الرقيق . قال : بئس التجارة ، ضمان[٤] نفس ، ومئونة ضرس .

قال عمر بن الخطاب[٥] رضى الله عنه : إذا اشتريت بعيراً فاشتره ضخماً ، فإن لم توافق كرماً ، وافقت[٦] لحماً .

ودخل مالكُ بنُ دينار السوق فجلس الى قوم يحدثهم ، فقال : كيفَ سُوقكم ؟ قالوا : كاسدة . قال : غششتم[٧] . قال : وكيف متاعكم ؟ قالوا : ردىء . قال : كذبتم . قال : وكيف كثرته ؟ قالوا : قليل . قال : حلفتم .

---

(١) في ب : الردىء .
(٢) البيت في نهاية الأرب ٣ /٨٥ ، محاضرات الأدباء ١/٢٢٥ ، المستطرف ١/١٢١ ، ٢/٧٩ .
(٣) ساقط من ب .
(٤) في ا : ضمن .
(٥) ساقط من ب .
(٦) في ب : واقعت .
(٧) في ب : غشيتم .

كان عبدالله بنُ مَسْعود يقول : عجباً للتاجرِ كيف يَسْلَم ؟ إن باع مَدَح ، وإن اشترى ذَمّ .

قال سعيدُ بنُ المُسَيِّب : إذا أبغض الله عبداً جعل رزقه في الصِّياح . يعني — والله أعلم — من لا صناعة لهُ إلاّ النّداء لغير صلاة محترساً بالليل و براحاً بالنهار . ونحو هذا عن الفضيلِ بن عياض ، وزاد كالملاحين ودونهم[1] . [2]ومنهم الذين يصيحون على أسوار المدن بالليل[2] .

قال ابنُ عباس : من اشترى مالا يحتاج اليه يُوشِكُ أن يبيعَ ما يحتاج إليه .

قال المغيرةُ بن حَبْنَاء :

وما كلُّ حينٍ يَصدُقُ المرءَ ظَنُّهُ وَلاَ كلُّ أَصْحَابِ التِّجَارَةِ يربَحُ

ولابن شهاب الزُّهرى :

أَلا كلُّ مَنْ يُهْدَى لَهُ البيْعُ يُرْزَقُ وَقَدْ يُصْلِحُ المالَ اليَسِيرَ المُوَفَّقُ[3]

ولمنصور الفقيه :

بُنَيَّتِي لا تجزَعِي واصْبِرِي عساكِ بِصَبْرِكِ أن تَظْفَرِي

فَلو نَالَ يوماً أَبُوكِ الغِنَى كَسَاكِ الدَّبِيقِيَّ والتُّسْتَرِي[4]

ولـكنْ أَبوكِ ابْتُلِي بالعُلومِ فَما إنْ يَبِيعُ وَلا يَشْتَرِي

---

(١) فى ب : ودويهم .

(٢) زيادة من م .

(٣) ب : الترفق .

(٤) ب الرقيق ، وهو تصحيف ، والدبيق : نوع فاخر من الثياب كان يصنع فى بلدة دبيق بمصر والتسترى : نوع من الثياب الفائقة ، كان يصنع بتستر بإقليم خوزستان بفارس .

بابٌ الرِّزْقِ

قال الله عزّ وجل : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [1] الآية .

وقال : ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾ [2] .

سمع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم أمَّ حَبِيبَةَ تقول : اللّهم مَتِّعْنى بزوجى رسول الله ، وبأبى أبى سُفيان ، وبأخِى معاوية ، فقال لها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلَّم : « دَعَوْتِ اللهَ لآجالٍ مَعْلومَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ » .

وقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : « أَبَى الله أن يجعلَ أرْزَاقَ عباده المؤمنين إلّا مَنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ » .

وقال عليه السلام : « اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بالصدقة » .

وقال عليه السلام : « ولا يَحْمِلَنَّكُمُ استبطاء [3] الرِّزق أن تطلبوه بمعاصى الله؛ فإنهُ لاَ يُنالُ ما عنده بما يكره ، اتقُوا اللهَ وأجملوا فى الطلب ، خذوا ما حَلَّ ، ودَعوا ما حَرُم » .

وقال عليه السلام لعبد الله بن مسعود : « لا تُكْثِرْ هَمَّكَ يا عبد الله ، ما يقدَّرْ يَكُنْ ، وما تُرْزَقْ يَأْتِكَ » [4] .

---

(1) سورة الزخرف : ٣٢ .

(2) سورة النحل : ٧١ .

(3) فى ا : غيظ .

(4) فى ب : يكون ، يأتك .

قال الشاعر :

فإنَّكَ ما يُقـــدرْ لكَ اللهُ تَلْقَهُ ... كِفاحًا وتَجلِبهُ عَلَيْكَ الجوَالِبُ

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن رُوحَ القُدس نَفَثَ في رُوعِيَ ، أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا اللهَ وأجملوا في الطلب » .

أنشد ابنُ أبي الدنيا[1] :

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ الرِّزْقَ يأْتِي بحيلةٍ ... فقد كَذَّبَتْه نفســه وَهْو آثِمُ

يَفُوتُ الغِنَى من لاَ يَنامُ عن السُّرَى ... وآخرُ يأتي رزقَهُ وَهْوَ نائِمُ

فما الفقرُ في ضعفِ احتيالٍ ولا الغِنَى ... بِكَدٍّ وللأرزاق في النَّاس قاسِمُ

سأَصبرُ إنْ دَهْرٌ أناخ بكلكلٍ ... وأرْضَى بحكم الله مالله[2] حاكمُ

لقد عشتُ في ضيقٍ من الدَّهْرِ مُدَّةً ... وفي سَعَةٍ والعِرْضُ مِنِّيَ سالِمُ

وقال جعفرُ بنُ محمّد : إني لأُمْلِق فأتاجر الله بالصدقة فأربح .

وقال عروةُ بنُ الزبير[3] : العاقلُ من إذا رُزِق مالاً نظر فيه ، فإنه لا يدري لعله يكون آخرَ رزقه .

ومما يُروى لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، وفيه نظر :

لو كانَ في صَخْرَةٍ في البَحْرِ راسِيَةٍ ... صَمَّاءَ مَلمُومَةٍ مُلْسٍ نَوَاحِيها

---

(١) عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي الأموي بالولاء ، كان من الوعاظ العارفين بأساليب الكلام وما يلائم طبائع الناس ، وله مؤلفات كثيرة في الزهد والرقائق ، توفي في بغداد سنة ٢٨١ هـ . انظر تهذيب التهذيب ١٢/٦ ، تاريخ بغداد ٨٩/١٠ (الأعلام ٢٦٠/٤) .

(٢) ا : فالله .

(٣) في ب : ابن الزهر .

رِزْقٌ لِعَبْدٍ يَرَاه اللهُ لاَنْفَلَقَتْ ... حَتَّى يُؤَدِّى إِلَيْهِ كُلُّ ما فيهاَ

أَوْ كانَ تَحْتَ طِبَاقِ السَّبْعِ مَطْلَبُهَا ... لَسَهَّلَ اللهُ فِي الْمَرْقَى مَرَاقِيهَا

حَتَّى تُؤَدِّى الَّذِى فِى اللَّوْحِ خُطَّ لَهُ ... إِنْ هِى أَتَتْهُ وَإِلاَّ سَوْفَ يأْتِيهَا

وأنشد ابنُ الأعرابى :

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَيْسَ الرِّزْقُ بِالطَّلَبِ ... وَلاَ الْعَطَايَا لِذِى[1] عَقْلٍ وَلاَ أَدَبِ

إِنْ قَدَّرَ اللهُ شَيْئًا أَنتَ طَالِبُهُ ... يَوْمًا وَجَدْتَ[2] إِلَيْهِ أَقربَ السبَبِ

وَإِنْ أَبَى اللهُ مَا تَهْوَى فَلاَ طَلَبٌ ... يُجْدِى عَلَيكَ وَلَوْ حَاوَلْتَ مِن كَثَبِ

وقد أقول لِنَفْسِى وَهْىَ ضَـيِّقَةٌ ... وَقَدْ أَنَاخَ عَلَيْهَا الدَّهْرُ بِالعَجَبِ

صَبْرًا عَلَى ضَـيقَةِ الْأَيَّامِ إِنَّ لهاَ ... فَتْحًا وَمَا الصَّبْرُ إِلاَّ عِنْدَ ذِى الْأَدَبِ

سَيَفْتَحُ اللهُ أَبواب العَطَاء بِمَـا ... فِيهِ لِنَفْسِكَ راحَاتٌ من التَّعَبِ

وَلَوْ يَكُونُ كَلاَمِى حِينَ أَنْشُرُهُ[3] ... مِنَ اللُّجَيْنِ لَكَانَ الصَّمْتُ من ذَهَبِ

وقيل لِعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : كيف يحاسبُ اللهُ العباد على كثرتهم ؟ قال : كما قسَّمَ بينهم[4] أرزاقهم .

وَلِسُرَيْج بن يونس المحدث[5] :

يا طالبَ الرِّزْقِ فى الآفاق مُجْتَهِدًا ... أَتْعَبْتَ نَفْسَكَ حَتَّى شَفَّكَ التَّعَبُ

---

(١) فى ب : على .

(٢) فى ا : رجوت .

(٣) فى ب : أنشده .

(٤) فى ب : فيهم .

(٥) فى الأصل : شريح ، وهو خطأ ، والصحيح أنه سريج بن يونس بن ابراهيم البغدادى ، أبو الحارث . العابد محدث ثقة ، توفى سنة ٢٣٥ هـ . تاريخ بغداد ٢١٩ ، تهذيب التهذيب ٣/٤٥٧ .

تَسْعَى لرزق كفاكَ اللهُ مؤْنَتَهُ أَقْصِرْ فرزقك لا يأتى به الطَّلَبُ
كم من سَخِيفٍ ضَعيفِ العَقْلِ نعرفه له الولاية والأرزاقُ والذَّهَبُ
ومن حَصِيفٍ[1] له عقلٌ ومعرفةٌ بَادِى الخَصاصَةِ لم يُعْرَفْ له نَشَبُ[2]
فاسترزقِ اللهَ مما فى خَزَائنِهِ فاللهُ يرزق لا عقْلٌ ولاَ حَسَبُ

وقال آخر :

كم من قوىٍّ قوىٍّ فى تَقَلُّبِهِ مُهَذَّبِ الرَّأْىِ عَنْهُ الرِّزْقُ مُنْحَرِفُ[3]
وكم ضعيفٍ ضعيفِ الرأى تبصرُهُ كأَنه من خليج البحر يغترفُ

أنشد أبو حاتم عن الأصمعى :

يا أيُّها المضْمِرُ هَمًّا لا تُهَمّ إِنَّكَ إِنْ تُقْدَرْ لك الُحمَّى تُحَمّْ
ولو علوت شاهقاً من العَلَمْ كيفَ تَوَقِّيكَ وقد جَفَّ القَلَمْ[4]

قالوا : المقادير تبطل التقدير ، وتَنْقُضُ التدبير .

قال الشاعر :

إذا عَقَدَ القَضَاءُ عليْكَ عَقْداً فَلَيْسَ يَحُلُّهُ إِلاَّ القَضَاءُ[5]

وقال ابن المعتز :

يا مُكِلَّ العيسِ فى دَيْمُومَةٍ يَتْبَعُ الآمال كالباغِى المُضِلّ

(١) ا : خصيب .
(٢) ب : انسب .
(٣) فى ا: ينحرف .
(٤) البيتان فى عيون الأخبار ١٤٧/١ .
(٥) البيت فى التمثيل والمحاضرة ٣٢٩ ، ومعجم الأدباء ٧٢/٥ .

إنَّ مفتاح الذى تَطْلُبهُ ... بِيَدِ المِقْدارِ[١] فاصبرْ واتّكِلْ

فرَغَ اللهُ من الرزق ومن ... مُدّة العُمْرِ ومن وقت الأجَلْ

وقال أبو العتاهية :

وَفَدْتُ إلى الله فى وفده ... لأَلْتَمِسَ الرِّزْقَ مِنْ عِنْدِهِ

إذا ما قَضَى اللهُ أمرًا مَضَى ... ولم يَقْوَ حَىٌّ عَلَى رَدِّهِ[٢]

قال المُفَضَّل الضَّبِّى : قيل لأعرابىّ : من أين معاشكم ؟ قال : من أزواد الحاجّ . قلت : فإذا صدروا ؟ فبكى ، ثم قال : لو كنا نعيش من حيث نعلم لم نعش[٣] . ثم قال : أتفهم ؟ قلت : نعم ، فقال :

هَلِ الدَّهْرُ إلاَّ ضِيقَةٌ فتَفَرَّجُ ... وإلاَّ جَديدٌ ناضِرٌ ثم يَنْهَجُ

أَرَى النَّاسَ فى الدُّنْيا كسَفْرٍ[٤] تتابعوا ... على مَنْهَجٍ ثم استقلُّوا فأدْلَجُوا

فقال اليَزْبرى[٥] :

يا أيُّهَا الظَّاعِنُ فِى حَظِّهِ ... إِنَّمَا الظَّاعِنُ مِثْلُ المُقِيمْ

كَمْ مِنْ لَبِيبٍ عاقِلٍ قُلَّبٍ ... مُصَحَّحِ الجسْمِ مُقِلٍّ عَدِيمْ

وَمِنْ جهُولٍ مُكْثَرٍ مالُهُ ... ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمْ

---

(١) فى ا : بقدر المقدار ، ولا يستقيم معها وزن البيت .

(٢) ديوانه ٦٨ .

(٣) فى ب : لوكنا لانعيش إلا من حيث نعلم . وانظر عيون الأخبار ٣/١٤٥ حيث ساق القصة بصورة أخرى .

(٤) فى ب : كسفن .

(٥) فى ب : اليزيدى ، تحريف ، وقد سبقت ترجمته .

حَظُّكَ يأْتيك وإن لم تَرِمْ ... ما ضَرَّ مَنْ يُرْزَق ألاَّ يَرِيمْ[1]

كان يقال : بكِّرُوا فى طلب الرزق ، فإن النَّجاح فى التبكير .

قال أبو هريرة : إذا سأل أحدكم الله الرزقَ فلينظرْ كيف يسأل ، فإن الله يرزق الحلال والحرام ، ولكنْ ليقُل اللهم ارزقنى ما ينفعنى ولا يضرنى .

قالوا : الرزق رزقان رِزْق لا يأْتيك إلا بالتسبّب ، ورزق يأْتيك به الله من حيث لا تحتسب .

وقلت أنا الرزق رزقان . فرزق تطلبه ، ورزق يأتيك عفواً .[2]

قال عُرْوة بن أُذَيْنَة ، أو بكر بن أذينة ، وهو الصحيح[3] :

إنِّى لأَعلَمُ وَالأَقْدَارُ نافِذَةٌ[4] ... أَنَّ الذِى هُوَ رِزْقِى سَوْفَ يأْتينِى

أَسْعَى إليه فيُعْيينِى تَطَلُّبُهُ ... وَلَوْ قَعَدْتُ أتانى لا يُعَنِّينِى

وقال آخر :

تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمٰنِ فِى كُلِّ حَاجَةٍ ... ولا تؤثِرَنَّ العَجْزَ يَوْمًا عَلَى الطَّلَبْ[5]

أَلَم تَرَ أَنَّ اللهَ قَالَ لِمَرْيَم ... إليك فهزِّى الجذع يَسَّاقَط الرُّطَبْ

ولو شاء أن تجنيه من غيرِ هَزِّهاَ ... جنته ولكن كلُّ شىءٍ له سَبَبْ[6]

(١) ساقط من ا .

(٢) ب : صفوا .

(٣) زيادة فى ب فقط ولم أعثر على مايرجح هذا الرأى فكل المراجع قد أجمعت على أنها لعروة ، انظر المؤتلف والمختلف ٥٤ ، الأغانى ١٠/٢٢٢ ، وفيات الأعيان ٢/١٣٢ ، الوافى بالوفيات ٢/٨٦ ، التمثيل والمحاضرة ٧٥ ، عيون الأخبار ٣/٦٧ ، العقد الفريد ٣/٢٠٥ .

(٤) فى م : جارية ، وقد ورد الشطر الأول فيما عدا الوفيات والعيون والعقد : لقد علمت وما الإسراف من خلقى ، وفى الوفيات : وما الإشراف ، وفى عيون الأخبار : وما الإسراف فى طمع ، وفى العقد : وقد علمت وخير القول أصدقه .

(٥) ساقط من ا .

(٦) البيتان الثانى والثالث فى التمثيل والمحاضرة ٢٦٩ ، وفيه : فهزى إليك الجذع .

وقال آخر :

ما يُغلِقُ اللهُ باب الرِّزْقِ عن أحدٍ ... إلّا سيَفْتَح دُون[1] الباب أبْوَابا

وقال بَكْرُ بنُ حَمَّاد[2] :

لنَّاسُ حِرْصَى عَلَى الدُّنْيَا وقَدْ فَسَدَتْ ... فَصَفْوُهَا لَكَ مَمْزُوج بِتَكْدِيرِ

نَمِنْ مُكِبٌّ عليهاَ لا تساعِدهُ ... وعَاجِزٍ نَالَ دُنْيَاهُ بِتقصِيرِ

لم يُدرِكُوهَا بِعقْلٍ عنْدَما قُسِمَتْ ... وإنما أدركوها بالمقاديرِ

لَوْ كانَ عَنْ قُدْرَةٍ أَوْ عَنْ مُغالَبَةٍ ... طَارَ البُزَاة بأرزاقَ العَصَافيرِ

وقال آخر :

قد يُرْزَق المَرْءُ لم تَتْعَبْ رَوَاحِلُهُ ... ويُحْرَمُ الرِّزْقَ مَنْ لَمْ يُؤتَ مِنْ تَعَبِ

وإنني واجِدٌ فى النَّاسِ وَاحِدَةَ ... الرِّزْقُ أَرْوَغُ شَيْءٍ عن ذَوِى الأَدبِ[3]

ولعلى بن هشام[4] :

المرءُ يَسعَى وَيَسعَى الرِّزْقُ يَطلُبُه ... وَرُبَّمَا اختَلَفَا فى السَّعْيِ والطلَبِ

حتَّى إذا قَدَّرَ الرَّحْمٰنُ جَمْعَهُمَا ... للاتِّفاقِ أَتاكَ الرزق عن كَثَبِ

وقال آخر :

يَخيبُ الفَتَى مِنْ حَيثُ يُرْزَقُ غَيْره ... ويُعطَى الفَتَى من حَيْثُ يُحْرَمُ صَاحِبُه[5]

---

(١) م : بعد .

(٢) ف : ابن جناد ، وهو تحريف ، فهو بكر بن حماد بن سمك الزناتى ، أبو عبد الرحمن التاهرتى ، شاعر ، محدث فقيه ، وفى تاريخ الجزائر : إن شعره كثير جدير بالجمع ، توفى بتاهرت سنة ٢٩٦ هـ . انظر تاريخ الجزائر ٣١/٢ ، البيان المغرب ١٥٣/١ ، (الأعلام ٣٧/٢) .

(٣) البيتان لإبراهيم بن المهدى ، عيون الأخبار ١٩٠/٢ ، الأغانى ٢١٦/٥ .

(٤) شاعر من شعراء الدولة العباسية ، كان سريا كريما بعيد الهمة ظاهر المروءة ، توفى سنة ١٥٦ هـ ، انظر وفيات الأعيان ١٦/٤ التمثيل والمحاضرة ١٥٦ .

(٥) عيون الأخبار ٢١٤/١ ، البيان والتبيين ٢٤٠/٢ .

قال بعض الحكماء : الحلال يقطر قطراً ، والحرام يسيل سيلا .

قال الغزال[1] :

طَالِبُ الرِّزْقِ الحَلَالِ لاَ يَقِر نَهَارَهُ وَلَيْلَهُ عَلَى سَفَرْ
فِي الحَرِّ وَالبَرْدِ وأوقات المطر وماله في ذاك نزرٌ مختقرْ
إنَّ الحَلَالَ وَحدَه لاَ يَختَمِرْ أين ترى مالاً حلالاً قد ثَمِرْ
ما إن رأينا صافياً منه كَثُر

قال الناشيء[2] :

إِذَا المَرْءُ أَحْمَى نَفْسَهُ كُلَّ شَهْوَةٍ لِصِحَّةِ أَيَّامٍ تَبِيدُ وَتَنْفَدُ
فَمَا بَالُهُ لا يَحْتَمِي عَنْ حَرَامِهَا لِصِحَّةِ مَا يَبْقَى لَهُ وَيُخَلَّدُ

وقال آخر :

إنَّ الحَرَامَ غزيرةٌ حَلْبَاتُهُ وَوَجَدتُ حالبةَ الحلالِ نَزُورَا[3]

قال أكثم بن صيفي : من فاته الرزق الحرام فبالعاقبة ظفر .

قال منصور الفقيه :

أَرْزَاقُنَا مَقْسُومَةٌ وهٰكَذَا[4] آجَالُنَا فَمَا تَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا أَحْوَالُنَا

---

(١) يحيى بن الحكم الجياني ، كان يسمى الغزال لجماله ، شاعر أندلسي مطبوع ، كان يمتاز ببديهة الرأى وحسن الجواب ، أرسله عبد الرحمن بن الحكم بن هشام سفيراً منه إلى ملك النورمان ، توفى سنة ٢٥٠ هـ . انظر بغية الملتمس ٤٨٥ ، المطرب من أشعار أهل المغرب ١٣٣ .

(٢) عبد الله بن محمد ، الناشىء الأنبارى ، أبو العباس ، شاعر مجيد ، يعد من طبقة ابن الرومى والبحترى، ولكنه أغرب فى شعره إغرابا شديدا فستعط فى بغداد ، فجاء إلى مصر فسكنها ، ومات بها سنة ٢٩٣ هـ. تاريخ بغداد ٩٢/١٠ ، وفيات الأعيان ٢٧٧/٢ .

(٣) عيون الأخبار ١٨٤/٣، وفيه: مصورا بدل نزورا ، والمصور بطيئة خروج اللبن، والنزور : قليلة الولد، أو قليلة اللبن .

(٤) ب ، م : وكذا .

وله أيضاً :

ما ضَيَّعَ اللهُ خَلْقًا ... فأَتَّقِي أَنْ أَضِيعا

اللهُ يَرْزُقُ مَنْ لاَ ... يُطِيعُهُ وَالمُطِيعا

فَاجعلْ سُكُوتَكَ لِلّـهِ ... وَنجْوَاكَ جَمِيعاَ

وَكلُّ بُؤْسَى وَنُعْمى ... سَيَفْنَيَانِ سَرِيعا(١)

وقال آخر :

يا رُبّمَا جَاءنى مَالاَ أُؤَمِّلُهُ ... وَرُبّمَا خابَ مَأْمولٌ وَمُنْتَظَرُ

لو زاد فى الرزق حرصٌ أَوْ مُطَالَبَةٌ ... ما كان من قد يطيلُ الكدَّ يفتقرُ

ولأبى يعقوب إسْحَاقَ بن حسَّان الخُرَيْمى(٢) :

أَقِلِّى عَلَىَّ اللَّوْمَ يَا أُمَّ مَالِكٍ ... فَلَمْ يُؤْتَ مِن حِرْصٍ عَلَى الْمَالِ طَالِبُهْ

فواللهِ ما قصَّرتُ فى وجه مَطْلَبٍ ... أَرى أن فِيهِ مَطْلَبًا فأُطالِبُهْ

ولكنْ لهذا الرزق وقتٌ مُوقَّتٌ ... يُقسّمه بين البَرِيَّةِ وَاهِبُهْ

وأسهرنى طول التّفكُّرِ إنَّنى ... عَجِبْتُ لِأَمرٍ ما تُقَضَّى عَجَائِبُهْ

أرَى فَاجِراً يُدعَى جَلِيداً لِظُلْمِهِ ... ولو كُلِّفَ التَّقْوَى لكَلَّتْ مَضارِبُهْ(٣)

وعَفًّا يسمَّى عاجِزاً لِعفَافِهِ ... ولولا التُّقَى ما أعجزته مَذاهِبُهْ

وأحمقَ مَصْنوعًا لَهُ فى أموره ... يُسوِّده إخوانه وأقاربُهْ

---

(١) فى ب : سكونك ... والحراك ، وسينسيان مكان سيفنيان .

(٢) شاعر محسن ، وصفه أبوحاتم السجستانى بأنه أشعر المولدين ، أصله من خراسان من أبناء الصغد ، ثم اتصل بعثمان بن خريم ، أو خريم بن عامر المرى فنسب إليه ، توفى سنة ٢١٤هـ . تاريخ بغداد ٦/٣٢٦ ، طبقات الشعراء ٢٩٣ ، زهر الآداب ٤/١٦ .

(٣) ورد هذا البيت فى ا هكذا :

إلى عاجز يدعى جليدا لطايه ... ولو كلف التقوى لفلت مضاربه

وقد نسب هذا البيت والذى يليه فى معجم الشعراء ٤١٧ إلى أبى بكر العرزمى .

عَلَى غَيْرِ حَزْمٍ فى الأمورِ ولا تُقَى ... ولا نَائِلٍ جَزْلٍ تُعَدّ مَوَاهِبُـهْ

فليس لِعَجْزِ المَرْءِ أخطأه الغنى ... ولا باحتيالٍ أدركَ المالَ كاسِبُهْ

ولـكنّه قَبْضُ الإلهِ وبَسطُهُ ... فمن ذا يجاريه ومن ذا يُغَالِبُهْ

أنشدنى خلف بن قاسم ، قال : أنشدنا محمد بن عبيد الله الصَّيْدَلانِىّ ، قال : أنشدنا علىّ بن سليمان الأخفش :

قَدْ يُرْزَقُ الخافِضُ المقيمُ وما ... شَدَّ بِعَنْسٍ رَحْلًا ولا قَتَبًا[1]

ويُحْرَمُ الرزقَ ذو المطيةِ والرَّ ... حْلِ ومن لا يَزَالُ مُغْتَرِبا

وقال محمود الوراق :

قيامَةُ من مات فى موته ... وإخمالِ ما شاعَ[2] من صَوْتِهِ

ترى المرءَ يجزعُ من فوت ما ... لعلّ السَّلامة فى فَوْتِهِ

ويَفْـنَى ولم تفنَ آمالُهُ ... وإعمال سـوف إلى لَيْتِهِ

وكَمْ أزعج الحِرص من راغبٍ ... إلى الصِّين[3] والرِّزْقُ فى بَيْتِهِ

ولأبى الأسود الدؤلى أو العَرْزَمى :

وعَجِبْتُ للدُّنْيَا[4] وَحِرفَةِ أهلِهَا ... وَالرِّزْقُ فيما بَيْنَهُمْ مَقْسومُ

---

(١) فى ا : وما يشد نسعا ولا رحلا ولاقتبا . والبيتان للحكم بن عبدل الأسدى ، انظر حماسة أبى تمام ٢/ ٥٠ ، معجم الأدباء ١٠/ ٢٢٩ . والعنس : الناقة القوية .

(٢) ب : من شاع .

(٣) فى ا : إلى الضيق .

(٤) ا : عجبت من الدنيا ، وانظر ديوان أبى الأسود ١٣٦ وفيه : رغبة أهلها .

وَالْأَحْمَقُ الْمَرْزُوقُ أَعْجَبُ مَا أَرَى ... مِنْ أَهْلِهَا وَالْعَاجِزُ الْمَحْزُومُ
ثُمَّ انْقَضَى عَجَبِي لِعِلْمِيَ أَنَّهُ ... رِزْقٌ مُوَافٍ(١) وَقْتُهُ مَعْلُومُ

وقال آخر :

لَيْسَ بِالْعَقْلِ يَطْلُبُ الْمَرْءُ رِزْقًا ... كَمْ رَأَيْنَا مِن أَحْمَقٍ مَرْزُوقِ
وأصيل من الرجال نبيلٍ(٢) ... سَدَّ عَنْهُ الْحِرْمَانُ كل طَرِيق

وقال آخر :

الرِّزْقُ يَأْتِي قَدَرًا عَلَى مَهَلْ(٣) ... والمرء مطبوعٌ على حُبِّ العَجَلْ

وقال آخر :

يَا رَاكِبَ الْهَوْلِ وَالآفَاتِ وَالْهَلَكَهْ ... لَا تَعْجَلَنَّ فَلَيْسَ الرِّزْقُ بِالْحَرَكَهْ
مَنْ غَيْرُ(٤) رَبِّكَ فِي السَّبْعِ الْعُلَى مَلِكًا ... وَمَنْ أدار على أرجائِهَا فَلَكَهْ
أما ترى الْبَحْرَ والصَّيَّادُ تَضْرِبُهُ ... أمواجُهُ وَنُجُومُ اللَّيْلِ مُشْتَبِكَهْ
يَجُرُّ أَذْيَالَهُ وَالْمَوْجُ يَلْطِمُهُ ... وعَقْلُهُ بين عَيْنَيْ كَلْكَلِ السَّمَكَهْ
حَتَّى إذا رَاحَ مَسْرُورًا بِهَا فَرِحًا ... والحوت قَدْ شكَّ سَفُّودُ الرَّدَى حَنَكَهْ
أَتَى إليك بِهِ رِزْقًا بِلَا تَعَبٍ ... فَصِرْتَ تَمْلِكُ مِنْهُ مِثْلَ مَا مَلَكَهْ
لُطْفًا مِنَ اللهِ يُعطى ذَا بِحِيلَتِهِ ... هَذا يَصِيدُ وهذا يأكُلُ السَّمَكَهْ

---

(١) فى ا . سواه : وفى الديوان ، والكامل المحروم بدل العاجز.

(٢) ساقط من ب .

(٣) فى ب : الرزق يأتى مقدوراً على عجل ، وانظر البيت فى البيان والتبيين ٣/٣٨٠ .

(٤) ب : من عند.

وقال أبو العتاهية :

طَالَ هَمِّى بِغَيْرِ ما يَعنِينِي   وَطِلَابِى فَوْقَ الَّذِى يَكْفِينِى

ولو أنى كففت لم أبغ رزقى   كان رزقى هو الذى يَبغِينِى

أَحْمَدُ اللهَ ذا المعارج شكراً   ما عَليهاَ إلاَّ ضَعِيفُ اليَقِينِ(١)

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ ما كلُّ التعطُّلِ ضَائِرٌ   ولا كلُّ شُغْلٍ فيهِ للمرءِ مَنْفَعهْ

إذا كانَتِ الأرزاقُ فى القربِ والنَّوى   عَلَيكَ سواءً فاغتنم لَذَّةَ الدَّعَهْ

وإن ضِقْتَ فاصْبِرْ يكشِفِ اللهُ ما تَرَى   فيَا رُبَّ ضِيقٍ فى جوانِبِه سَعَهْ(٢)

وقال آخر :

هَوِّنْ عَلَيْكَ فإنِ الأمرَ مَقْدُورُ   وكلُّ شىء من الأشياء مَسْطُورُ

والرِّزْقُ والخَلْقُ والآجالُ قَدْ قسِمَتْ   وَأَحْكَمَتْهَا وَزَمَّتْهَا المقاديرُ

فَلَيسَ يَقْدِرُ مَرْءٌ صَرْفَ وَاحِدَةٍ   مِنْهَا وَلَوْ كَثُرَتْ مِنْهُ التَّدَابِيرُ

كَمْ مَنْ رَأَيناهُ ذَا مَالٍ وذَا سَعَةٍ   وذا غَضَارَةِ عَيْشٍ وَهْوَ مَجْبُورُ

لا يَعرِفُ اللهَ جَهْلاً خاطِئاً حُمُقًا   لَوْلَا(٣) غِنَاهُ لَعَافَتْـــهُ الخَنَازِيرُ

لم يَرْكَبِ الهَوْلَ فى قَفْرٍ وَلَا لُجَجٍ   وَلاَ تَكَلَّفَ أمرًا فِيهِ تَغْيِيرُ

لـكِنْ أَتَاهُ الغِنَى حتَّى أَنَاخَ بِهِ   وَمَا تَقَدَّمَ مِنه فِيهِ تَفْكِيرُ(٤)

---

(١) الأبيات فى ديوانه ٢٦٣ ، وفيه طال شغلى ...

(٢) الأبيات لعلى بن الجهم . انظر معجم الأدباء ١٩/٥٤ .

(٣) فى ب : لو .

(٤) فى ب : وماتقدم فيه منه تفكير .

درهم(١). فان كنا أصبنا إرادتك فذاك ، وإن لم نكن فبجنايتك على نفسك ، وأنت حدثتني وأنت على قضاء الرشيد ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزُّهري ، عن أنس ، أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، قال للزُّبير « يا زبير! إن مفاتيح الرزق بإزاءِ العرش ، ينزل الله للعباد أرزاقهم على قَدْر نفقاتهم ، فمن كَثَّر كُثِّرَ له ، ومن قلَّلَ قُلِّلَ له » . قال الواقديّ : فقلت له : يا أمير المؤمنين ! قد نسيت هذا الحديث ، فكان تذكارك إياى له أعجب إلىّ من الجائزة .

قال أبو العتاهية(٢) :

إذَا مَا المَرْءُ صِرْتَ إلى سُؤَالِهْ ... فَمَا تُعْطِيهِ أَكْثَرُ مِنْ نَوَالِهْ

وَمَنْ عَرَفَ المَحَامِدَ جَدَّ فيهاَ ... وحَنَّ إلى المَكَارِمِ باحْتِيَالِهْ(٣)

وَلَمْ يَشْتَغِلِ مَحْمَدَةً(٤) بمَالِ ... وَلَوْ كانَتْ تحيطُ بِكُلِّ مَالِهْ

عِيَالُ اللهِ أَكْرَمُهُمْ عليهِ ... أَبَرُّهُم المَكَارِمَ فِي عِيَالِهْ

وللفقيه أبى عمر بن عبد البر رضى الله عنه :

تَعَفُّفُ المَرْءِ عَنْ سُؤَالِهْ ... وَكَسْبُهُ الحِلَّ باحْتِيَالِهْ

وَسَعْيُهُ فِي صَلَاحِ عَيْشٍ ... لِمَنْ يُوَارِيهِ مِنْ عِيَالِهْ

مُرُوءةٌ وَبَالِغٌ بِهَـا(٥) ... مَن يَبْلُغُهَا مُنْتَهى كَمَالِهْ

---

(١) فى لباب الآداب ٨٣ أنها مائة ألف درهم .

(٢) ديوانه ٢٣٠ .

(٣) فى الديوان : إلى المحامد باحتياله .

(٤) فى ب : ولم تشغله .

(٥) فى ب : ومنها .

ومن يَصُنْ وَجْهَهُ يَزِنْهُ صِيَانَةَ الْوَجْهِ مِنْ جمالِهْ
رِضَى الفَتَى بالقضاء عِزٌّ وذِلَّةُ الْوَجْهِ فِي ابْتِذَالِهْ

ولأبى دُلَف العِجْلى (١) :

بَلَوْتُ مَرَارَةَ الأَشْيَاء طُرًّا فَمَا شَيْءٌ أَمَرَّ مِنَ السُّؤَالِ
وَلَمْ أَرَ فِي الخُطُوبِ أَشَدَّ هَوْلا (٢) وأَصْعَبَ مِنْ مُعَادَاةِ الرِّجالِ (٣)

وقال أعرابى :

عَلَامَ سُؤَالُ النَّاسِ وَالرِّزْقُ واسِعُ وأَنْتَ صَحِيحٌ لم تَخُنْكَ الأَصابِعُ
وَفِي العَيْشِ (٤) أَوْطَارٌ وَفِي الأَرضِ مَذْهَبٌ عرِيضٌ وَبَابُ الرِّزْقِ فِي الأَرضِ وَاسِعُ
فَكُن طَالِبًا لِلرِّزْقِ مِنْ رَازِق الغِنَى وَخَلِّ سُؤَالَ النَّاسِ فَاللهُ صانِعُ

وحج هارون الرشيدُ ، فأَرسل إلى سفيان بن عيينة فأَمره أن يحدث بنيه ، فقال ، يا أمير المؤمنين ! قد سأَلنى الناس فامتنعت عليهم ، ولـكنى أجلس لبنيك وللناس ، فقال : نعم . فلما جلس صاح به الناس : سأَلناك الجلوس لنا فأَبيت علينا ، فلما جاءك المال والجائزة جلست . فقال للمستملى : أنصتهم لى . فصاح المستملى : صَه صَه . فسكت الناس ، فأَخرج سفيان بن عيينة رأسه إليهم ، وقال : حدثنى الزهرى ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما شىء

(١) فى ا : وقال آخر .

(٢) فى ا : هما .

(٣) البيتان لأبى العتاهية كما فى ديوانه ٢٠٧ ، وفيه : وذقت مرارة ... الخ ، ونسبت للأفوه الأودى فى عيون الأخبار ١١٣/٢ .

(٤) فى ا : والعيش .

أحل وأطيب من ثلاثة : صداق الزوجة ، والميراث ، وما أتاك الله به من غير مسألة ، فإنه رزق ساقه الله إليك » . والله ما جئت هذا الرجل ولا سألته شيئاً من ماله ، ولو وجّه إلىّ شطر ماله لقبلته ، ثم أدخل رأسه ولم يحدثهم فى ذلك الموسم بشىء[١].

أشخص المنصور سِوَارًا القاضى[٢] من البصرة إلى بغداد فى شىء أراد أن يشافهه فيه ، فمر بواسط ، وفيها يحيى بن سعيد الأنصارى[٣] يتولى القضاء ، فدُلّ[٤] عليه ، فقال له : ألك حاجة إلى أمير المؤمنين ؟ قال : نعم يعفينى من القضاء . فقال سوار للمنصور إذ[٥] قدم عليه ، وكلمه فيما أراد : يا أمير المؤمنين ! الأنصار تعلم ما يجب فى حقهم . قال : هيه . قال : يحيى بن سعيد تعفيه من القضاء . قال : قد أعفيته . فلما انحدر سِوَار مرّ بواسط ، فقال ليحيى بن سعيد : قد أعفاك أمير المؤمنين . فقال : لا جزاك الله خيرًا عن صبية من الأنصار كانوا يقتاتون هذه الست[٦] مائة درهم فى كلّ شهر .

كأنه أراد أن يمرّض ولا يحقق .

كان الحسن البصرىّ رحمه الله يقول : لا يردّ جوائزهم إلاّ أحمقُ أو مُرَاءٍ ، وقد ذكرنا مَنْ رأى[٧] قبول جوائز السلطان من أئمة أهل العلم . ومن تورع عن ذلك منهم فى كتاب « التمهيد » والحمد لله .

---

(١) زيادة من ب .

(٢) سوار بن عبد الله بن قدامة العنبرى ، من أهل البصرة ولى قضاءها لأبى جعفر المنصور ، وكان عالماً بالحديث والفقه ، له أخبار مشهورة فى العدل والورع توفى سنة ١٥٦ هـ . تهذيب التهذيب ٤/٢٦٩ ، تاريخ بغداد ٩/٢١٠ .

(٣) يحيى بن سعيد بن قيس الأنصارى النجارى ، من أكابر أهل الحديث ولى قضاء المدينة فى زمن بنى أمية ، ثم رحل إلى العراق فولاه أبو جعفر قضاء الحيرة وتوفى بالهاشمية سنة ١٤٣ هـ . تهذيب التهذيب ١١/٢٢١ ، تاريخ بغداد ١٤/١٠١ .

(٤) ب : فنزل .

(٥) ب : إذا .

(٦) ا : السنة .

(٧) ساقط من ا .

قال مُطَرِّفُ بن الشِّخِّير(١) : إذا كانت لأحدكم إليّ حاجة فليرفعها فى رقعة ولا يواجهنى بها ، فإنى أكره أن أرى فى وجه أحدكم ذل المسألة .

وقد روى عن يحيى بن خالد بن برمك مثل ذلك ، وتمثل :

ما اعْتَاضَ باذلُ وَجْهِهِ بِسُؤَالِهِ عِوَضًا وَلَوْ نَالَ الغِنَى بِسُؤَالِ
وإذا السُّؤَالُ مع النَوالِ وزنْتَه رَجَحَ السُّؤَالُ وخفَّ كلُّ نوال (٢)

لبعض الكتاب إلى عبدالله بن طاهر :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ وَإِنْ نَصَبْتَ(٣) لِىَ الْمُنَى أَنَّ الخصاصَةَ لاَ تُدَاوَى بالمُنَى
فَلَئِنْ وَفَيْتَ لأَنْهضَنَّ بِشُكْرِكُمْ وَلَئِنْ أَبَيْتَ لأحملنَّ على القضا

فأنجز له عبدالله بن طاهر عِدَته .

قال الحسن بن عُبَيْد البغدادى :

صُنِ الوَجْهَ الَّذِى إِنْ لَمْ تَصُنْهُ بَقِيتَ وَأَنْتَ فى الدُّنْيَا ذَلِيلُ
وعِشْ حُرًّا ولاَ يَحْمِلْكَ ضُرٌّ عَلَى مَرْعىً لَهُ غِبٌّ وَبِيلُ
فَلَيْسَ الرَّأْىُ إلاَّ الصَّبْرَ حَتَّى يُدِيلَ اليُسْرَ مِنْ عُسْرٍ مُدِيلُ(٤)
أَلَيْسَ لِكلِّ آفِلَةٍ طُلُوعٌ بَلَى ولِكُلِّ طَالِعَةٍ أُفُولُ

---

(١) الحرشى العامرى ، زاهد من كبار التابعين ، ومحدث ثقة. له كلمات فى الحكم مأثورة ، ولد فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم كانت إقامته ووفاته بالبصره ، توفى سنة ٨٧هـ على الأصح ، انظر تهذيب التهذيب ١٧٣/١ ، وفيات الأعيان ٩٧/٢ .

(٢) البيتان لأبى العتاهية ، ديوانه ٢٠١ ، لباب الآداب ٣٠٧ .

(٣) ب : لى يصيب .

(٤) ب : يزيل اليسر من عسر مزيل .

وكان أَبَانُ بنُ عثمان رحمه الله يتمثل :

مَالِي تِلادٌ وَلاَ اسْتَطْرَفْتُ من نَشَبٍ ... ومَا أُؤَمِّلُ غَيْرَ اللهِ من أَحَدِ

إنِّي لأَكرم وَجْهِي أن أُوَجِّهَهُ ... عِنْدَ السُّؤَالِ لغير الوَاحِدِ الصَّمَدِ

عِزُّ القَنَاعَةِ والإيمان يَمْنَعُنِي ... من التَّعَرُّضِ للمَنَّانَةِ النَّكِدِ

رضيت باللهِ في [١] يَوْمِي وفي غدِهِ ... واللهُ أكرمُ مَأْمُولٍ لِبَعْدِ غَدِ

قال أبو العتاهية :

أَتَدْرِي أَيَّ ذُلٍّ في السُّؤَالِ ... وَفِي بَذْلِ الوُجُوهِ إِلَى الرِّجَالِ

يَعِزُّ عَلَى التَّنَزّهِ مَنْ رَعَاهُ ... وَيَسْتَغْنِي العَفِيفُ بغيرِ مالِ

إذا كان السُّؤال بِبَذْلِ وَجْهِي ... فَلاَ قُرِّبْتُ من ذاكَ النَّوالِ

مَعَاذَ اللهِ مِنْ خُلُقٍ دَنِيٍّ ... يكون الفَضْلُ فيه عَلَيَّ لاَلِي [٢]

وقال أيضاً :

لَوْ رَأَى النَّاسُ نَبِيًّا ... سَائِلاً مَا رَحِمُوهُ [٣]

ولأبي دلف أو لعبد الله بن طاهر :

أَعْجَلْتَنَا فَأَتَاكَ عَاجِلُ بِرِّنَا ... قلاًّ وَلَوْ أَمْهَلْتَنَا لَمْ يَقْلِلِ [٤]

---

(١) ب : من .

(٢) ديوانه ٢٢٦ .

(٣) ديوانه : ٢٩٥ ، وفيه : ماوصلوه .

(٤) ونسب البيت في العقد الفريد ١/٢٨٧ إلى الحسن بن وهب ، وانظره في عيون الأخبار ١/٣٢٤ .

وقال عبدُ الصمد بن المُعَذَّل[١] ، فى حين قدوم يحيى بن أكثم البصرة ، قالت له امرأته: لو أتيته فسألته، فقال :

تُكَلِّفُنِى إذلالَ نَفسِى لِعِزِّهَا ... وَهَانَ عَلَيهَا أن أُهَانَ لِتُكرَمَا

تقول : سَلِ المعرُوفَ يَحْيَى بْنَ أَكْثَمٍ ... فقلتُ : سليه ربَّ يَحْيَى بنِ أَكْثَمَا[٢]

وقال مُسْلِمُ بنُ الوَلِيد :

أقول لمأفون البديهة طائر ... مَعَ الحِرْصِ لم يغنم ولم يَتَمَوَّلِ

يَسَلِ الناسَ إنِّى سائِلُ اللهِ وحْدَهُ ... وصائِنُ عِرْضِى عن فُلاَنٍ وعَن فُلِ[٣]

قال حبيب :

وما أُبَالِى وَخَيْرُ القَوْلِ أَصْدَقُهُ ... حَقَنْتَ لِى ماءَ وَجْهِى أَمْ حقَنْتَ دَمِى[٤]

قال محمود الوراق :

يا أيُّهَا الطَّالِبُ مِنْ مِثْلِهِ ... رِزْقًا لَهُ جُزْتَ عَنِ الحِكْمَهْ

لاَ تَطْلُبِ الرِّزْقَ إِلَى طَالِبٍ ... مِثْلِكَ مُحْتَاجٍ إِلَى الرَّحْمَهْ

وارغب إِلَى اللهِ الذى لم يَزَلْ ... فى يده النعمة والنِّقْمَه[٥]

وقال يونس[٦] :

---

(١) العبدى ، من شعراء الدولة العباسية ، ولد ونشأ فى البصرة ، وكان هجاء شديد العارضة ، توفى سنة ٢٤٠ هـ . انظر فوات الوفيات ١/٢٧٧ ، الموشح للمرزبانى ٣٤٦ (الأعلام ٤/١٣٤) .

(٢) البيتان فى وفيات الأعيان ٦/٦٢ ، الكامل ١/٢٣٣ .

(٣) ديوانه ٢٠٦ ، عيون الأخبار ١/٢٣٠ .

(٤) ديوانه ١٤٥ ، العقد الفريد ٥/٢٧٩ ، نهاية الأرب ٢/١١٠ ، فصل المقال ٢٩٣ .

(٥) ساقط من ب .

(٦) الأرجح أنه يونس بن عبيد ، شيخ البصرة وعدلها ، وكان يتكسب من بيع الخز ، ولقد نعته الذهبى نه أحد أعلام الهدى ، توفى سنة ١٣٩ هـ ، انظر تاريخ الإسلام للذهبى ٥/٣١٨ ، تهذيب التهذيب ١١/٤٤٢ (الأعلام ٩/٣٤٦) .

إنّ الوُقوفَ عَلَى الأبْوَابِ حِرْمان ... والعَجْزُ أَنْ يَرْجُوَ الإنسَانَ إنسان

حتى م تأمُل مَخْلوقاً وتقصـــده ... إن كان عندك بالرحمن إيمانُ

عَطَاؤُهُ لَكَ إنْ أَعْطاكَهُ ضِعَةٌ(١) ... فكَيْفَ إنْ كانَ بَعْدَ المطْلِ حِرْمانُ

ثِق بالذى هو يُعْطى ذا ويمنع ذا ... فى كلِّ يوم له فى خَلْقِه شانُ

(٢) قال محمود الوراق :

إنَّ السُّؤَالَ — فعدِّ عنه — قَلِيلُهُ ... ثَمَنٌ لِكُلِّ عَطِيَّةٍ أَوْ مالِ

والحال تَقْعُدُ بالكريم فما ترى ... فيه لِعِزَّتِهِ تَغَيُّرَ حالِ(٢)

وقال أيضاً :

شَادَ المُلُوكُ قُصُورَهُمْ وتَحَصَّنُوا ... مِنْ كلِّ طالِبِ حَاجَةٍ أَوْ رَاغِبِ

غَالَوْا بِأَبْوَابِ الحَدِيدِ تَمَنُّعاً ... قَدْ بَالَغوا فِي قُبْحِ وَجْهِ الحَاجِبِ(٣)

فَاطْلُبْ إِلَى مَلِكِ المُلوكِ وَلاَ تَكُنْ ... بَادِى الضَّرَاعَةِ طالِباً منْ طَالِبِ

وقال النمر بن تولب :

لا تَغْضَبَنَّ عَلَى امْرِىءٍ فِي مالِهِ ... وَعَلَى كَرَائِمِ صُلْبِ مالِكَ فَاغْضَبِ(٤)

وقال عبيد بن الأبرص :

مَنْ يَسْأَلِ الناسَ يَحْرِمُوهُ ... وَسَائِلُ اللهِ لا يَخِيبُ(٥)

---

(١) فى ا : إن أعطاك ضيعة .   (٢) ساقط من ب .

(٣) فى ب : لمنعها وتأنقوا ، وفى العقد الفريد ١/٨٦ : لعزها وتنوقوا بمعنى بالغوا أيضاً .

(٤) الشعر والشعراء ٢٦٩ ، طبقات فحول الشعراء ١٣٣ ، مختارات ابن الشجرى ١٦ .

(٥) الشعر والشعراء ١٤٥ ، عيون الأخبار ٣/١٨٨ ، العقد الفريد ٤/٢٢٨ .

وقال النمر بن تولب :

وَمَتَى تُصِبْكَ خَصَاصَةٌ فَارْجُ الغِنَى وَإلى الَّذِى يَهَبُ الرَّغائِبَ فَارْغَبِ (١)

وقال أبو الأسود الدؤلى :

وَإنَّ أَحَقَّ النَّاسِ إنْ كُنْتَ مَادِحًا لِمَدْحِكَ مَنْ أَعْطَاكَ وَالعِرْضُ وَافِرُ (٢)

وقال سَلْمٌ الخاسر :

وَفَتًى خَلَا مِنْ مَالِهِ وَمِنَ المُرُوءَةِ غَيْرُ خَالِ
أَعْطَاكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ وَكَفَاكَ مَكْرُوهَ السُّؤَالِ (٣)

قال قيسُ بنُ عاصِم : إياكم والمسألة ، فإنها آخر كسب الرجل .

دخل أعرابىٌّ على داود بن مَزْيَد المهلّبى ، فقال : إنى لم أصُنْ وجهى عن مسألتك ، فصُنْ وجهك عن رَدِّى ، وَضَعْنى من كرمك بحيث وضعتك من أملى فيك . قال : قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم ، وهى أكثر من قدرك . قال : والله لئن جاوزتْ قدرى فما بَلَغَتْ قدرَك .

قال أبو الفرج الببغاء :

ما الذُّلُّ إلاَّ تَحَمُّلُ المِنَنِ فَكُنْ عَزِيزًا إنْ شِئْتَ أوْ فَهُنِ (٤)

---

(١) انظر مراجع البيت فى هامش رقم ٤ فى الصفحة السابقة .

(٢) ديوانه ٣٨ ، وتردد فى نسبتها فى العقد ٢٧٨/١ بين المنذر بن أبى سبرة وبين أبى الأسود .

(٣) ورد البيتان فى معجم الأدباء ٢٤١/١١ ، لباب الآداب ٣٠٨ البيان ٣١٣/٣ ، منسوبة لسلم ، ونسبها فى فصل المقال ٢٩٣ لأشجع السلمى ، وورد البيت الثانى فى حماسة البحترى ٢٣١ بدون نسبة .

(٤) يتيمة الدهر ٢٢٩/١ ، نهاية الأرب ١٠٦/٣ .

وقال آخر :

أَمِنْ بَيْتِ الكِلَابِ طَلَبْتَ عَظْمًا   لَقَدْ حَدَّثْتَ نَفْسَكَ بالمُحَالِ[١].

وقال آخر :

لَعَنَ اللهُ نَائِلاً تَرْتَجِيهِ   مِنْ يَدَىْ مَنْ[٢] تُرِيدُ أَنْ تَقْتَضِيهِ

أَىُّ فَضْلٍ لِصَاحِبِ الفَضْلِ مِنْ بَعْـــدِ   تَقَاضِيهِ وَابْتِذَالِ الوُجُوهِ

إنما الفَضْلُ وَالسَّمَاحُ لِمَنْ يُعْـ   طِيكَ عَفْوًا وَمَاءُ وَجْهِكَ فِيهِ

أَيُّهَا الدَّائِبُ الحَرِيصُ المُعَنَّى[٣]   لَكَ رِزْقٌ وَسَوْفَ تَسْتَوْفِيهِ

فَسَلِ اللهَ وَحْدَهُ وَدَعِ النَّا   سَ وَأَسْخِطْهُمُ بِمَا يُرْضِيهِ

لَنْ تَرَى مُعْطِيًا لِمَا مَنَعَ اللَّـــهُ   وَلَا مَانِعًا لِمَا يُعْطِيهِ

وقال آخر :

إِذَا مَا كُنْتَ مُتَّخِذًا خَلِيلاً   فَخَالِلْ مِثْلَ حَسَّانِ بنِ سَعْدِ[٤]

فَتًى لَا يَرْزَأُ الإِخْوَانَ شَيْئًا   وَيَرْزَؤُهُ الخَلِيلُ بِغَيْرِ كَدِّ

وقال آخر :

وَلَسْتُ بِسَائِلِ الأَعْرَابِ شَيْئًا   حَمِدْتُ اللهَ إِذْ لَمْ يَأْكُلُونِى[٥]

---

(١) التمثيل والمحاضرة ٣٥٦ .

(٢) فى ب : ما .

(٣) فى ب : تأيد .

(٤) ب : ابن عبد ، والبيتان للفرزدق فى مدح حسان بن سعد الأسدى من أهل الكوفة وكان والى البحرين، وبنى لبنى أسد مسجدهم بالبصرة ، شرح ديوان الفرزدق ١٥٣ .

(٥) انظر البيت فى عيون الأخبار ٣/١٣٤ بدون نسبة، وقد نسب فى الكامل ١/٢٠٨ إلى أبى فرعون العدوى.

وقال أعرابي :

إنَّ المَسائِلَ للرِّجالِ مَذَلَّةٌ   تَفْنى مَنافِعُها وَيَخْلُدُ عارُها .

وقال آخر :

[illegible]   وَيُمْسِي لَيْسَ يَمْلِكُ دِرْهَما

يَبِيتُ يُراعِي النَّجْمَ مِنْ سُوءِ حالِهِ   وَيُصْبِحُ يُلْقَى(١) ضاحِكاً مُتَبَسِّما

وَلا يَسأَلُ المُثْرِينَ ما فِي رِحالِهِمْ   وَلَوْ ماتَ هُزْلاً عِفَّةً وَتَكَرُّما .

وَلا يَسْأَلَنْ مَنْ كانَ يَسأَلُ مَرَّةً(٢)   وَإنْ كَثُرَتْ أَموالُهُ وَتَدَرْهَما

وقال ربيعة الرَّقِّي:

وَلا تَسأَلِ الناسَ ما يَمْلِكُونَ   وَلَكِنْ سَلِ اللهَ وَاسْتَكْفِهِ

وَلاَ تَخْضَعَنَّ إلَى سِفْلَةٍ(٣)   وَإنْ كانَتْ الأَرضُ فِي كَفِّهِ

فإنَّ اللَّئِيمَ وَإنْ خِلْتَهُ   كَرِيمًا يَذُودُكَ عن عُرْفِهِ

وَيَرْجِعُ مَحْصُولُ أَخْلاقِهِ   إلَى أَصلِهِ وَإلَى صِنْفِهِ

وَكُلٌّ مُقِلٌّ وَذِي ثَرْوَةٍ   فَإنَّ المَنِيَّةَ مِن(٤) خَلْفِهِ

وقال محمود الوراق :

اسْأَلِ العُرْفَ إنْ سَأَلْتَ كَرِيمًا   لَمْ يَزَلْ يَعْرِفُ الغِنَى واليَسَارا

---

(١) في ا : منها .

(٢) في ا : ولاسائل من قد كان سيل مرة .

(٣) في ب : سفية .

(٤) في ب : في .

فَقَلِيلُ الشَّرِيفِ يُكْسِبُ مَجْدًا وَكَثِيرُ الوَضِيعِ يُكْسِبُ عَارَا

وإذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الذُّلِّ بُدٌّ فَالْقَ بِالذُّلِّ إنْ لَقِيتَ الكِبَارَا

لَيْسَ إجْلالُكَ الكَبِيرَ بِذُلٍّ إنَّمَا الذُّلُّ أَنْ تُجِلَّ الصِّغَارَا

وقال أيضاً :

يا أيها المتعبُ نَزْلَ الجَمَالْ وطَالِبَ الحَاجَاتِ مِنْ ذِي النَّوَالْ

لاَ تَحْسَبَنَّ المَوْتَ مَوْتَ البِلَى فَإِنَّمَا المَوْتُ سُؤَالُ الرِّجَالْ

كِلاَهُمَا مَوْتٌ ولـكِنَّ ذَا أَشَدُّ مِنْ ذَاكَ لِذُلِّ السُّؤَالْ(١)

وقال محمود بن الحسن النحاس الوراق :

بَخِلْتُ ولَيْسَ البُخْلُ مِنِّي سَجِيَّةً وَلَكِنْ رَأَيْتُ الفَقْرَ شَرَّ سَبِيل

لَمَوْتُ الفَتَى خَيْرٌ مِنَ البُخْلِ لِلْفَتَى ولَلْبُخْلُ خَيْرٌ مِنْ سُؤَالِ بَخِيلِ

فَلاَ تَسْأَلَنْ مَنْ كَانَ يَسْأَلُ مَرَّةً فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ سُؤَالِ سَئُولِ

لَعَمْرُكَ مَا شَيْءٌ لِوَجْهِكَ قِيمَةٌ فَلاَ تَلْقَ إِنْسَانًا بِوَجْهِ ذَلِيلِ(٢)

وقال ابن المعتز :

يا رُبَّ جُودٍ جَرَّ فَقْرَ امْرِئٍ فَقَامَ لِلنَّاسِ مَقَامَ الذَّلِيلْ

فَاشْدُدْ عُرَى مَالِكَ واسْتَبْقِهِ فالبُخْلُ خيْرٌ مِنْ سُؤَالِ البَخِيل(٣)

---

(١) انظر البيتين الثانى والثالث فقط فى لباب الآداب ٣٠٦ ، والبازل : الشديد القوي .

(٢) الأبيات فى لباب الآداب ٣٠٧ ، والبيت الثانى فيه : لموت الفتى خير من الموت للفتى والموت خير... الخ .

(٣) البيتان فى زهر الآداب ٣/٢٤٧ ، والتمثيل والمحاضرة ٤٤٣ .

وقال أعرابي لص :

وإِنِّى لَأَسْتَحْيِي مِنَ الله أَنْ أُرَى أُطُوفُ بِحَبْلٍ لَيْسَ فِيهِ بَعِيرُ
وأَنْ أَسْأَلَ المَرْءَ اللَّئِيمَ[1] بَعِيرَهُ وبُعْرَانُ رَبِّى فِى البِلَادِ كَثِيرُ[2]

وفى التمهيد أبيات فى هذا المعنى ذوات عدد حسان لم أذكرها[3] ها هنا .

(١) فى ا : المقيم .
(٢) البيتان فى عيون الأخبار ١/٢٣٧ ، غير منسوبين ، وهما للأخيمر السعدى كما فى المؤتلف والمختلف ١٦ .
(٣) فى ب : لمن اذكرها .

بابُ انتظارِ الفَرَجِ[1]

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: « انتظار الفرج بالصبر[2] عبادة ».

ويروى لأبى محجن الثقفى:

عَسَى فَرَجٌ يأتِي بِهِ[3] اللهُ إنَّهُ ... لَهُ كلَّ يَوْمٍ فِي خليقَتِهِ أَمْرُ

عَسَى مَا تَرَى ألاَّ يَدُومَ وَأنْ تَرَى ... لَهُ فَرَجًا مِمَّا أَلَحَّ بِهِ الدَّهْرُ

إذَا اشْتَدَّ عُسْرٌ فَارْجُ يُسْرًا فإنَّهُ ... قَضَى اللهُ أنَّ العُسْرَ يَتْبَعُهُ اليُسْرُ[4]

وقال الأضبط بن قُرَيع:

لِكلِّ ضِيقٍ مِن الأُمُورِ سَعَهْ ... والمُسْىُ وَالصُّبْحُ لاَ بَقاءَ[5] مَعَهْ[6]

وقال آخر:

كُنْ عَن هُمُومِكَ مُعْرِضًا ... وَكِلِ الأُمُورَ إلَى القَضَا

وَابْشِرْ بِخَيْرٍ[7] عاجِلٍ ... تَنْسَى بِهِ ما قَدْ مَضَى

فَلَرُبَّ أمْرٍ مُسْخِطٍ ... لَكَ فِي عَوَاقِبِهِ الرِّضَا

[8] كان يقال: كن لما لا ترجُو أرْجَى منك لما ترْجو.

---

(١) ساقط من ب.

(٢) ساقط من ا.

(٣) ى ب: من.

(٤) التمثيل والمحاضرة: ١٠، لباب الآداب ٦٣.

(٥) ى ب: والمشى. وفى ا: لافلاح.

(٦) البيت فى الشعر والشعراء ٢٢٦، والشطر الأول فيه: لكل ضيق من الهموم سعة، وانظره فى البيان ٣/٣٠٣، التمثيل والمحاضرة ٦٠، أمالى القالى ١/٧٠.

(٧) ى ب: ببشر.

(٨) يبدأ من هنا نقص يبلغ ثلاث ورقات من النسخة ب.

قال الشاعر :

كُنْ لِمَا لَا تَرْجُو مِنَ الْأَمْرِ أَرْجَى ... مِنْكَ يَوْمًا لِمَا لَهُ أَنْتَ رَاجِ

إِنَّ مُوسَى مَضَى لِيَطْلُبَ نَارًا ... مِنْ ضِيَاءٍ رَآهُ وَاللَّيْلُ دَاجِ

فَأَتَى أَهْلَهُ وَقَدْ كَلَّمَ اللَّـ ... ـهَ وَنَاجَاهُ وَهْوَ خَيْرُ مُنَاجِ

وَكَذَا الْأَمْرُ كُلَّمَا ضَاقَ بِالنَّا ... سِ أَتَى اللهُ فِيهِ سَاعَةً بِالانْفِرَاجِ

وقال منصور الفقيه :

* وَمَا عُسْرٌ لِمُنْتَظِرِ الْفَرَجْ *

وقال بشار :

خَلِيلَيَّ إِنَّ الصَّبْرَ سَوْفَ يُفِيقُ ... وَإِنَّ يَسَارًا فِي غَدٍ لَخَلِيقُ

وَمَا خَابَ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ عَامِلٌ ... لَهُ فِي التُّقَى أَوْ فِي الْمَحَامِدِ سُوقُ

وَلَا ضَاقَ فَضْلُ اللهِ عَنْ مُتَعَفِّفٍ ... وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ[1]

وقال آخر :

رَوِّحْ فُؤَادَكَ بِالرِّضَا ... تَرْجِعْ إِلَى رَوْحٍ رَطِيبْ

لَا تَيْأَسَنَّ وَإِنْ أَلَحَّ م الدَّهْرُ مِنْ فَرَجٍ قَرِيبْ[2]

وقال آخر :

لَعَمْرُكَ مَا كُلُّ التَّعَطُّلِ ضَائِرٌ ... وَلَا كُلُّ مَسْعًى فِيهِ لِلْمَرْءِ مَنْفَعَهْ

---

(١) البيان والتبيين ١/١٨٩، المختار من شعر بشار ٢١١، وفيه إن العسر بدل الصبر فى الشطرة الأولى .
(٢) لباب الآداب ٢٤٧ ، مجموعة المعانى ٦٢.

إِذَا كَانَتِ الْأَرْزَاقُ فِي الْقُرْبِ وَالنَّوَى عَلَيْكَ سَوَاءً فَاغْتَنِمْ لَذَّةَ الدَّعَهْ

وَإِنْ ضِقْتَ فَاصْبِرْ يُفْرِجِ اللهُ مَا تَرَى أَلَا رُبَّ ضِيقٍ فِي عَوَاقِبِهِ سَعَهْ[(١)]

وقال آخر:

رُبَّمَا خَيْرٌ لِامْرِئٍ وَهْوَ لِلأَمْرِ كَارِهْ

رُبَّ خَيْرٍ أَتَاكَ مِنْ حَيْثُ تَأْتِي المَكَارِهْ[(٢)]

وقال أحمد بن محمود ، وقيل إنها لأحمد بن صالح :

إِذَا اشْتَمَلَتْ عَلَى النَّاسِ الْخُطُوبُ وَضَاقَ لِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ

وَأَوْطَنَتِ الْمَكَارِهُ وَاطْمَأَنَّتْ وَأَرْسَتْ فِي أَمَاكِنِهَا الْخُطُوبُ

وَلَمْ تَرَ لانْفِرَاجِ الضِّيقِ وَجْهًا وَقَدْ أَعْيَى بِحِيلَتِهِ الأَرِيبُ

أَتَاكَ عَلَى قُنُوطٍ مِنْكَ غَوْثٌ يَمُنُّ بِهِ اللَّطِيفُ الْمُسْتَجِيبُ

وَكُلُّ الحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ فَمَوْصُولٌ بِهَا الْفَرَجُ الْقَرِيبُ

وَمَوْلَانَا الإِلَهُ فَخَيْرُ مَوْلًى لَهُ إِحْسَانُهُ وَلَنَا الذُّنُوبُ[(٣)]

وقال الشاعر :

لَعَمْرُكَ مَا يَدْرِي الْفَتَى كَيْفَ يَتَّقِي نَوَائِبَ هٰذَا الدَّهْرِ أَمْ كَيْفَ يَحْذَرُ

يَرَى الشَّيْءَ مِمَّا يُتَّقَى فَيَخَافُهُ وَمَا لَا يَرَى مِمَّا يَقِي اللهُ أَكْبَرُ[(٤)]

---

(١) الأبيات لعلى بن الجهم ، وقد سبقت فى ص ١٤٨

(٢) فصل المقال ٣١٦ ، لباب الآداب ١١٠ ، بدون نسبة .

(٣) وردت الأبيات عدا الأخير منسوبة إلى ابن السكيت فى وفيات الأعيان ٥/٤٤٢ ، وانظرها فى أمالى القالى ٢٠٣/٢ ، ٢٠٤ ، لباب الآداب ٣٦١ ، مع اختلاف فى بعض ألفاظ الرواية .

(٤) البيتان فى عيون الأخبار ١/٢٠٦ .

وقال منصور الفقيه :

إِذَا الحادِثَاتُ بَلَغْنَ المَدَى ... وَكَادَتْ لَهُنَّ تَذُوبُ الْمُهَجْ

وَحَلَّ الْبَلَاءُ وَقَلَّ الْوَفَا ... فَعِنْدَ التَّنَاهِي يَكُونُ الْفَرَجْ

وقال آخر :

وَاصْبِرْ عَلَى الدَّهْرِ إِنْ أَصْبَحْتَ مُنْغَمِرًا ... بِالضِّيقِ فِي لُجَجٍ تَهْوِي إِلَى لُجَجِ

فَمَا تَجَرَّعَ كَأْسَ الصَّبْرِ مُعْتَصِمٌ ... بِاللهِ إِلَّا أَتَاهُ اللهُ بِالْفَرَجِ

لَا تَيْأَسَنَّ إِذَا مَا ضِقْتَ مِنْ فَرَجٍ ... يَأْتِي بِهِ اللهُ فِي الرَّوْحَاتِ وَالدُّلَجِ

وَإِنْ تَضَايَقَ بَابٌ عَنْكَ مُرْتَتِجٌ ... فَاطْلُبْ لِنَفْسِكَ بَابًا غَيْرَ مُرْتَتِجِ (١)

قال أبو العتاهية فى نفيع حاجب موسى الهادى :

مَا تَرَى عِنْدَ نُفَيْعٍ مَنْفَعَهْ ... فَسَلِ الرَّحْمَنَ رِزْقًا فِي دَعَهْ

إِنْ يَكُنْ أَمْسَكَ عَنَّا نَيْلَهُ ... فَسَيُغْنِي اللهُ كُلًّا مِنْ سَعَهْ (٢)

وقال أبو العتاهية :

النَّاسُ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا ذَوُو دَرَجٍ ... وَالْمَالُ مَا بَيْنَ مَوْقُوفٍ وَمُخْتَلِجِ

مَنْ ضَاقَ عَنْكَ فَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ ... فِي كُلِّ وَجْهٍ مَضِيقٌ وَجْهُهُ مُنْفَرِجِ

قَدْ يُدْرِكُ الرَّاقِدُ الْهَادِي بِرَقْدَتِهِ ... وَقَدْ يَخِيبُ أَبُو الرَّوْحَاتِ وَالدُّلَجِ

خَيْرُ الْمَذَاهِبِ فِي الْحَاجَاتِ أَنْجَحُهَا ... وَأَضْيَقُ الْأَمْرِ أَدْنَاهُ مِنَ الْفَرَجِ (٣)

---

(١) مجموعة المعانى ١٣ ، المحاسن والمساوئ ٢/٢١٦ .

(٢) البيتان فى ديوانه ٢٠١ .

(٣) ديوانه ٦١ .

وقال آخر :

سَأَصْبِرُ للزَّمَانِ وإنْ رَمَانِي ... بِأَحْدَاثٍ تَضِيقُ بِهَا الصُّدُورُ
وأَعْلَمُ أنَّ بَعْدَ العُسْرِ يُسْرًا ... يَدُورُ بِهِ القَضَاءُ المُسْتَدِيرُ

ومما ينسب إلى الشافعى رضى الله عنه ، وقيل إنها لسهل الوراق ، والله أعلم :

سَيُفْتَحُ بَابٌ إِذَا سُدَّ بَابُ ... نَعَمْ وَتَهُونُ الأُمُورُ الصِّعَابُ
وَيَتَّسِعُ الحَالُ مِنْ بَعْدِ مَا ... تَضِيقُ المَذَاهِبُ فِيهَا الرِّحَابُ
مَعَ الهَمِّ يُسْرَانِ هَوِّنْ عَلَيْكَ ... فَلَا الهَمُّ يُجْدِي وَلَا الاِكْتِئَابُ
فَكَمْ ضِقْتَ ذَرْعًا بِمَا هِبْتَهُ ... فَلَمْ يُرَ مِنْ ذَاكَ قَدْرٌ يُهَابُ
وَكَمْ بَرَدٍ خِفْتَهُ مِنْ سَحَابٍ ... فَعُوفِيتَ وانْجَابَ عَنْكَ السَّحَابُ
ورِزْقٌ أَتَاكَ وَلَمْ تَأْتِهِ ... وَلَا أَرَّقَ العَيْنَ مِنْهُ الطِّلَابُ
وَنَاءٍ عَنِ الأَهْلِ ذِي غُرْبَةٍ ... أُتِيحَ لَهُ بَعْدَ يَأْسٍ إِيَابُ
وَنَاجٍ مِنَ البَحْرِ مِنْ بَعْدِ مَا ... عَلَاهُ مِنَ المَوْجِ طَامٍ عُبَابُ
إِذَا احْتَجَبَ النَّاسُ عَنْ سَائِلٍ ... فَمَا دُونَ سَائِلِ رَبِّي حِجَابُ
يَعُودُ بِفَضْلٍ عَلَى مَنْ رَجَاهُ ... وَرَاجِيهِ فِي كُلِّ حِينٍ يُجَابُ
فَلَا تَأْسَ يَوْمًا عَلَى فَائِتٍ ... وعِنْدَكَ مِنْهُ رِضًا واحْتِسَابُ
فَلَا بُدَّ مِنْ كَوْنِ مَا خُطَّ فِي ... كِتَابِكَ تُحْبَى بِهِ أو تُصَابُ
فَمَنْ حَائِلٌ دُونَ مَا فِي الكِتَابِ ... وَمَنْ مُرْسِلٌ مَا أَبَاهُ الكِتَابُ

فى أبيات قد ذكرتها فى موضعها من هذا الكتاب .

وقال محمد بن يسير [١] :

إنّ الأُمُورَ إذَا انسَدَّتْ مَسَالِكُهَا ... فالصَّبْرُ يفْتُقُ مِنْهَا كلَّ مَا ارْتَتَجَا

لاَ تَيْأَسَنَّ وإنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ ... إِذَا اسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَا

أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ ... وَمُدْمِنِ القَرْعِ لِلأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا

وقال محمد بن حازم الباهلى :

هَوِّنْ عَلَيْكَ فَكُلُّ الأَمْرِ يَنْقَطِعُ ... وَخَلِّ عَنْكَ عِنَانَ الْهَمِّ يَنْدَفِعُ

فَكُلُّ هَمٍّ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ فَرَجٌ ... وَكُلُّ أَمْرٍ إِذَا مَا ضَاقَ يَتَّسِعُ

إِنَّ البَلَاءَ وإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ ... فَالْمَوْتُ يَقْطَعُهُ أَوْسَوْفَ يَنْقَطِعُ

وقال آخر :

رَأَيْتُ الأَمْرَ يَبْعُدُ بَعْدَ قُرْبٍ ... وَيَدْنُو الامْرُ بِالقَدَرِ الْمَسُوقِ

فَلاَ تَفْرَحْ بِأَمْرٍ إِنْ تَدَانَى ... ولاَ تَيْأَسْ مِنَ الأَمْرِ السَّحِيقِ

وقال ابن المبارك :

مَا أَقْرَبَ الأَشْيَاءَ حِينَ يَسُوقُهَا ... قَدَرٌ وأَبْعَدَهَا إِذَا لَمْ تُقْدَرِ [٢]

وقال آخر :

إِنْ يَكُنْ يَوْمِي تَوَلَّى سَعْدُهُ ... وَتَدَاعَى لِي بِنَحْسٍ وَنَكَدْ

---

(١) محمد بن يسير الرياشى البصرى ، شاعر محسن ، توفى سنة ٢١٠ هـ ، انظر ترجمته والأبيات فى سمط اللالى ١٠٤ ، وانظرها فى العقد الفريد ١/٢٨٠ .

(٢) ورد البيت فى حماسة البحترى ٢٤٦ ، منسوبا إلى عبد الله بن يزيد الهلالى ، ونسب فى معجم الأدباء ٩/٩٤ إلى الحسن بن عبد الله الأصبهانى ، المعروف بلغدة أو لكذة ، وانظره فى عيون الأخبار ٢/١٢٣ ، لباب الآداب ٣٦١ ، من غير نسبة .

فَلَعَلَّ اللهَ يَقْضِى فَرَجًا ... فِى غَدٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بَعْدَ غَدْ

وقال آخر :

أَحْسِنِ الظَّنَّ بِمَنْ قَدْ عَوَّدَكْ ... حَسَنًا أَمْسُ وَسَوَّى أَوَدَكْ

إِنَّ رَبًّا كَانَ يَكْفِيكَ الَّذِى ... كَانَ بِالأَمْسِ سَيَكْفِيكَ غَدَكْ

قال العبسى : خرجت حاجًّا فضاق صدرى ، فجعلت أقول :

أَرَى الْمَوْتَ لِمَنْ أَمْسَى ... عَلَى الذُّلِّ لَهُ أَصْلَحْ

فإذا هاتف من ورائى يقول :

يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ الَّذِى ... يَرَى الْهَمَّ بِهِ بَرَّحْ

إِذَا ضَاقَ بِكَ الصَّدْرُ ... فَفَكِّرْ فِى أَلَمْ نَشْرَحْ(١)

وقال آخر :

رَأَيْتُ الْعُسْرَ يَتْبَعُهُ يَسَارٌ ... وَقَوْلُ اللهِ أَصْدَقُ كُلِّ قِيلِ

فَلَا تَجْزَعْ وَقَدْ أَعْسَرْتَ يَوْمًا ... فَقَدْ أَيْسَرْتَ فِى دَهْرٍ طَوِيلِ

وَلَا تَظْنُنْ بِرَبِّكَ ظَنَّ سُوءٍ ... فَإِنَّ اللهَ يَأْتِى بِالْجَمِيلِ

ذكر الطحاوى قال : حدثنا أحمد بن أبى عمران ، قال : حدثنا أبو نصر أحمد بن حاتم ، قال : حدثنا الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء ، قال : استعمل الحجّاج أبى على بعض أعماله فنقم عليه ، فتوارى أبى عنه فى بادية قومه وأنا معه ، فبينا أنا فى سَحَر من الأسحار إذ مرّ راكب وهو يقول :

---

(١) انظر الخبر والأبيات فى زهر الآداب ٣/١٣٢ .

صَبِّرِ النَّفْسَ عِنْدَ كُلِّ مُلِمٍّ　　إِنَّ فِي الصَّبْرِ حِيلَةَ الْمُحْتَالِ

لَا تَضِقْ فِي الْأُمُورِ ذَرْعًا فَقَدْ　　يُكْشَفُ غَمَّاؤُهَا بِغَيْرِ احْتِيَالِ

رُبَّمَا تَجْزَعُ النُّفُوسُ مِنَ الْأَمْـ　　ـرِ لَهُ فَرْجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ[1]

قال : فقلت: ماذاك ؟ قال: مات الحجاج .فوالله ما أدرى بأيهما كنت أشد فرحاً، أبقوله : مات الحجاج ، أم بقوله : فرجة . .

قال العطوى[2] :

مُسْتَشْعِرُ الصَّبْرِ مَقْرُونٌ بِهِ الْفَرَجُ　　يُبْلَى وَيَصْبِرُ وَالْأَشْيَاءُ تَنْتَهِجُ

حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مَقْدُورَ غَايَتِهَا　　جَاءَتْكَ تَضْحَكُ عَنْ ظَلْمَائِهَا السُّرُجُ

فَاصْبِرْ، وَدُمْ، وَاقْرَعِ الْبَابَ الَّذِي طَلَعَتْ　　مِنْهُ الْمَطَامِعُ فَالْمُغْرَى بِهِ يَلِجُ

يُقَدِّرُ اللهُ فَارْجُ اللهَ وَارْضَ بِهِ　　فَفِي إِرَادَتِهِ الْغَمَّاءُ تَنْفَرِجُ

وقال هلال بن العلاء الرَّقّى :

هَوِّنْ عَلَيْكَ مَصَائِرَ الدُّ　　نْيَا تَكُنْ سُبُلًا فِجَاجَا

لَا تَضْجَرَنَّ بِضِيقَةٍ　　يَوْمًا فَإِنَّ لَهَا انْفِرَاجَا

---

(١) نسبت البيت الثالث فى البيان والتبيين ٢/٣٤١ إلى أمية بن أبى الصلت مع اختلاف فى روايته ، وكذلك ورد منسوبا إليه فى حماسة البحترى ٣٥٤ ، ونسبها فى معجم الأدباء ١/١٨٦، ١١/١٥٧ إلى إبراهيم بن العباس الصولى ، وفى لباب الآداب ٢٩٤ إلى عبيد بن الأبرص ، وورد فى معجم الشعراء ٢٤٣ منسوبا لعمير الحنفى ، وانظره فى المختار من شعر بشار ٢١٣ بدون نسبة .

(٢) اسمه محمد بن الرحمن بن أبى عطية ، أبو عبد الرحمن العطوى ، من شعراء الدولة العباسية ، كان معتزليا يعد من المتكلمين الحذاق ، توفى نحو سنة ٢٥٠ هـ ، انظر سمط اللآلى ١٤٠ ، المرزبانى ٤٣٢ ، (الأعلام ٧/٦١) .

وقال آخر :

كلوا الْيَوْمَ مِنْ رِزْقِ الإِلٰهِ وَأَبْشِرُوا فَإِنَّ عَلَى الرَّحْمٰنِ رِزْقَكُمُ غَدَا[١]

وقال منصور الفقيه :

يَا مَن يَخَافُ أَنْ يَكُو نَ مَا يَخَافُ سَرْمَدَا
أَمَا سَمِعْتَ قَولَهُمْ إِنَّ مَعَ الْيَوْمِ غَدَا[٢]

وقال أبو العتاهية :

هِيَ الْأَيَّامُ وَالغِيَرُ وَأَمْرُ اللهِ مُنْتَظَرُ
أَتَيْأَسُ أَنْ تَرَى فَرَجًا فَأَيْنَ اللهُ وَالْقَدَرُ[٣]

---

(١) التمثيل والمحاضرة ١٠ ، وفي ب : من رزق الله وانتشروا .
(٢) التمثيل والمحاضرة ١٠٥ .
(٣) ديوانه ٢٣٨ .

بابُ الجَدِّ والحَدِّ[1]

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « لا مانعَ لما أعطى الله ، ولا مُعْطِي لما مَنَع ، ولا ينفعُ ذا الجَدِّ منه الجَدّ » .

قال أكثم بن صيفي : جَدُّك لا كدُّك .

قال أشجع السُّلمى :

سَبَقَ الْقَضاءُ بِكُلِّ ما هُوَ كائِنٌ ... فَلْيَجْهَدِ الْمُتَقَلِّبُ الْمُحْتَالُ

قالوا : أسعدُ الناس : من كان القضاء له مساعداً ، وكان لذلك أهلا ، وأشقى الناس : من كان مشغولاً بلا دين ولا دنيا ، ولم يثقْ بأحد لسُوء ظنه ، ولا وثق به أحدٌ لسوء فعله .

قال أبو الأسود الدُّؤَلِى :

الْمَرءُ يُحْمَدُ سَعْيُهُ مِنْ جَدِّهِ ... حَتَّى يُزَيَّنَ بِالَّذِى لَمْ يَعْمَلِ

وَتَرَى الشَّقِيَّ إِذَا تَكامَلَ حَدُّه ... يُرْمَى وَيُقْذَفُ بِالَّذِى لم يَفْعَلِ[2]

أنشد ابن الأعرابى :

الْجَدُّ أَنْهَضُ بالْفَتَى مِنْ عَقْلِهِ ... فانْهَضْ بِجَدٍّ فِي الْحَوادِثِ أَوْ ذَرِ

---

(١) الجد : البخت والحظوة والرزق ، والحد : المنع والدفع .

(٢) ديوانه ١٢٢ ، وفيه : يفعل مكان يعمل ، ونسبا فى حماسة البحترى ٢٤٦ إلى صالح بن عبد القدوس، وفيها ورد الشطر الأول : المرء يسعى ثم يسعد جده وفيها : غيه مكان حده فى البيت الثانى ، وانظر الثانى فى عيون الأخبار ١٧/٢ ، وفيه : يقرف بدل يقذف .

فَلَقَدْ يَجِدُ المَرْءُ وَهْوَ مُقَصِّرٌ ... وَيَجِدُ ثم يُحَدُّ غيرَ مقصّرِ[١]

وقال يزيدُ بنُ محمّد المُهَلَّبِيّ :

وَإِذَ جُدِدْتَ فَكلُّ شَيءٍ نَافِعٌ ... وإذَا حُدِدْتَ فَكلُّ شَيءٍ ضَائِرُ

وَإِذَا أَتَاكَ مُهَلَّبِيٌّ فِي الوَغَى ... وَالسَّيْفُ فِي يَدِهِ فَنِعْمَ النَّاصِرُ[٢].

قال أبو يعقوب الخُرَيْمِى ، واسمه إسحاق بن حَسَّان :

[٣] لاَ تَنْظُرَنّ إِلَى عَقْلٍ وَلاَ أَدَبٍ ... إِنّ الجدود قَرِينَاتُ الحَمَاقَاتِ [٣]

وقال خِرَاشُ بنُ زُهَير:

وكانت قريشٌ يَفْلِقُ الصَّخْرَ جَدُّها ... إذا أوهن النَّاسَ الجدودُ العَوَاثِرُ[٤]

وقال الحارثُ بن حلِّزَة :

عِشْ بِخَيْرٍ لَا يَضِرْ ... كَ النَّوْكُ مَا لاَقَيْتَ جَدَّا

وَالنَّوْكُ خَيرٌ فِي ظِلَا ... لِ الرِّزْقِ مِمَّنْ عَاشَ كَدَّا[٥]

وقال آخر :

فَعِشْ فِي ظِلِّ أَنْوَكَ حَالَفَتْهُ ... مَقَادِيرٌ يُسَاعِدُهَا الصَّوَابُ

---

(١) نسب البيتان فى مجموعة المعانى ١٠ إلى عبدالله بن يزيد الهلالى ، وكذلك ورد البيت الأول منسوبا إليه فى حماسة البحترى ٢٤٦ ، وهما فى لباب الآداب ٣٦١ بدون نسبة ، والرواية هناك للشطر الأخير :

ويخيب جد المرء غير مقصر

(٢) الكامل ٢/٢٠ ، ووردا فى العقد الفريد ٢/١٢٩ بدون نسبة .

(٣) ساقط من ا ، وانظره فى عيون الأخبار ٢/١٢٤ ، الأمالى ٢/٩٥ .

(٤) زيادة فى م .

(٥) الأغانى ١١/٥٠ ، الشعر والشعراء ١٥١ ، حماسة البحترى ٢٤٥ ، وفيها :

فانعم بجدك لايضرك النوك إن أعطيت جدا

ذَهَابُ المَالِ فِي حَمْدٍ وأَجْرٍ ذَهَابٌ لاَ يُقَالُ لَهُ ذَهَابُ[١]

قيل لزياد : ما الحظّ ؟ قال : من طال عمره ، ورأى فى عـــدوه ما يسره فهو ذو حظ .

وكان يقال : لا حظّ إلا ما أشخص عنك ما تكره ، وجلب إليك ما تحب .

قال محمد بن أبى حازم الباهلى :

لاَ تَعْجَبَنّ لأَحْمَقٍ نَالَ الغِنَى مِنْ غَيْرِ كَدِّهْ
وَلِعَاقِلٍ مَا يَسْتَقِلُّ فَكُلُّهُمْ يَسْعَى بِجَدِّهْ[٢]

وقال امرؤ القيس :

وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بِبَنِي أَبِيهِمْ وَبِالأَشْقَيْنَ مَا كَانَ العِقَابُ[٣]

وقال عبدُ العزيز بن زُرَارَةَ الكلابىّ :

وَمَا لُبُّ اللَّبِيبِ بِغَيْرِ حَظٍّ بِأَغْنَى فِي المَعِيشَةِ مِنْ فَتِيلِ
رَأَيْتُ الحَظَّ يَسْتُرُ عَيْبَ قَوْمٍ وَهَيْهَاتَ الحُظُوظُ مِنَ العُقُولِ[٤]

ولحسان أو لابنه عبد الرحمن :

---

(١) الأول فى عيون الأخبار ١/٣٢٩ ، وهما فى البيان ٢/٢٤٦ ، ٢٤٧ وفيه : فمش فى جد أنوك .

(٢) فصل المقال ٢٣٠ ، وفيه : نال العلا .. ولعاقل مايستتب .

(٣) ساقط من ا ، والرواية فى ب : ببنى على ؟ وهى خطأ ، وانظره فى الديوان ٥٥ ، الأغانى ٨/٦٧ ، الشعر والشعراء ٥٩ ، العقد الفريد ٣/١١٧ .
وقصة البيت أن امرأ القيس خرج للإيقاع ببنى أسد فأوقع بإخوتهم بنى كنانة ، وهو يحسبهم أعداءه ، فقال البيت .

(٤) عيون الأخبار ١/٢٤٢ .

وإنَّ امرَءًا يُمْسِى ويُصْبِحُ سَالِمًا ... مِنَ النَّاسِ إلاَّ مَا جَنَى لَسَعِيدُ[١]

وقال أعرابىّ :

وإنَّ الَّذِى يَنْجُو مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا ... تَزَوَّدَ مِنْ أَعْمَالِهَا لَسَعِيدُ[٢]

ولبعض أهل عصرنا :

أَرَى هِمَمَ الْمَرْءِ مَا لَمْ يَكُنْ ... يُسَاعِدُه السَّعْدُ هَمًّا عَلَيْهِ

وقَدْ يَعْجَزُ الْمَرْءُ ذُو الإِحْتِيَال ... إِذَا اللهُ لَمْ يَقْضِ رِزْقًا إِلَيْهِ

وقال صالح بن عبد القدوس :

ولَيْسَ رِزْقُ الفَتَى مِنْ حُسْنِ حِيلَتِهِ ... لَكِنْ جُدُودٌ بِأَرْزَاقٍ وأَقْسَامِ

كَالصَّيْدِ يُحْرَمُهُ الرَّامِي الْمُجِيدُ وَقَدْ ... يَرْمِي فَيُرْزَقُهُ مَنْ لَيْسَ بِالرَّامِي[٣]

ولرجل من بنى قريع أو للمَعْلوط ، وقيل : إنها لحاتم الطائى :

مَتَى مَا يَرَ النَّاسُ الغَنِيَّ وَجَارُهُ ... فَقِيرٌ يَقُولُوا عَاجِزٌ وَبَلِيدُ

وَلَيْسَ الغِنَى والفَقْرُ مِنْ حِيلَةِ الفَتَى ... ولكِنْ أَحَاظٍ قُسِّمَتْ وجُدُودُ

وَكَائِنْ رَأَيْنَا مِنْ غَنِيٍّ مُذَمَّمٍ ... وَصُعْلُوكِ قَوْمٍ بَادَ وَهْوَ حَمِيدُ

ومُعْطَى ثَرَاءَ المَالِ مِنْ غَيْرِ قُوَّةٍ ... ومَحْرُومِ جَمْعِ المَالِ وَهْوَ جَلِيدُ[٤]

---

(١) الصحيح أنه لحسان ، انظر قصة بيتين آخرين على قافيته لابنه عبد الرحمن وحفيده سعيد فى الديوان ١٤١ ، ١٤٢ ، وانظره فى نهاية الأرب ٣/٦٩ ، الشعر والشعراء ١٧٣ ، وقد نسبه أبو تمام فى الحماسة ٢/١٣ لرجل من بنى قريع .

(٢) البيت ليزيد بن الصقيل العقيلى ، وهو لص كان يسرق الإبل ، ثم تاب وقتل فى سبيل الله ، انظر الأمالى ١/٦١ .

(٣) التمثيل والمحاضرة ٧٨ ، وفيات الأعيان ٣/٤٨٤ .

(٤) وردت الأبيات منسوبة للمعلوط فى عيون الأخبار ١/٢٤٦ ، زهر الآداب ٢/١٨٥ ، وانظر الأبيات الثلاثة الأولى فى حماسة أبى تمام ٣/١٣ ، ١٤ والبيتين الأولين فى حماسة البحترى ٢٤٥ بغير نسبة ، وفيهما : جليد مكان بليد .

وقال حبيب الطائى :

أَبَا جَعْفَرٍ إِنَّ الْجَهَالَةَ أُمُّهَا ... وَلُودٌ وأُمُّ العِلْمِ جذّاء حائِلُ (١)

وله أيضاً :

فَإِنِّى مَا حُورِفْتُ فِى طَلَبِ الغِنَى ... وَلَكِنَّكُمْ حُورِفْتُمُ فِى المَكارِمِ (٢)

احتاج أبو الأسود الدؤلى إلى جار له يستقرضُ منه ، وكان حسنَ الظَّنِّ به ، فاعتلّ عليه ودفعه ، فقال أبو الأسود :

فَلاَ تطْمَعَنْ فِى مَالِ جارٍ لِقُرْبِهِ ... فَكُلُّ قَرِيبٍ لاَ يُنالُ بَعِيدُ

وَفَوِّضْ إِلَى اللهِ الأُمُورَ فإِنَّمَا ... تَرُوحُ بأَرْزَاقٍ عَلَيْكَ جُدُودُ

وَلاَ تُشْعِرَنَّ النَّفْسَ يأْسًا فَإِنَّمَا ... يَعِيشُ بِجَدٍّ عاجِزٌ وَبَلِيدُ (٣)

وفى نحو هذا لبعض أهل عصرنا :

تجشّم جسيمَ الهَوْل فى طلب المجد ... فَنَيْلُ الغِنَى بينَ التَّجَشُّمِ وَالْكَدِّ (٤)

(* وَدَعْ قولَ ذِى جَهْلٍ يَرَى العَجْزَ رَاحَةً : ... ذَرِ الكَدَّ فيما رمته المنع بالجِدِّ (٥)

وقال آخر :

تَطَلَّبْتُ حتَّى لَمْ أَجِدْ مُتَطَلَّبًا ... وبالجَدِّ يَسْعَى المَرْءُ لَا بِالتَّطَلُّبِ (٦)

---

(١) ديوانه ١٢٨ ، عيون الأخبار ١٢٤/٢ . والجذاء : التى لاثدى لها ، والحائل : الناقة لم تلقح سنة أوسنوات.

(٢) ديوانه ١٤٥ .

(٣) انظر الأبيات فى معجم الأدباء ٣٧/١٢ على خلاف فى الترتيب ، وانظرها فى ديوانه ٢٢٧ ، وفيه : جليد مكان بليد .

(٤) ا : فى طلب الغنى ، ولا تقعدن بين الخ .

(٥) البيت ساقط من م ، وفى ب : واسع مكان المنع .

(٦) ب : بالتقلب .

كتب كسرى إلى بُزرجمهر وهو فى الحبس : جنت لك ثمرة العلم أن صرت به أهلا للقتل . فكتب إليه بزرجمهر : أما ما كان معى الجَد فقد كنت أنتفع بثمرة العلم ، والآن إذ ولّى عنى الجدّ، فقد أنتفع بثمرة الصبر .

قال سابق البَرْبرى(١) :

وَالنَّاسُ فِى طَلَبِ المَعَاشِ وَإِنَّمَا ... بِالجَدِّ يُرْزَقُ مِنْهُمُ مَنْ يُرْزَقُ

وَلَوَ أَنَّهُمْ رُزِقُوا عَلَى أَقْدَارِهِمْ ... أَلْفَيْتَ أَكْثَرَ مَا تَرَى يَتَصَدَّقُ

ما النَّاسُ إِلَّا عَامِلَانِ فَعَامِلٌ ... قدْ مَاتَ مِنْ عَطَشٍ وَآخَرُ يَغْرَقُ(٢)

وقال البحترى :

أَلَا لَيْتَ المَقَادِرَ لَمْ تَقَدَّرْ ... وَلَمْ تَكُنِ الأَحَاظِى وَالجُدُودُ

فَتَعْلَمَ أَيُّنَا يَغْـدُو وَيُمْسِى ... لَهُ هذى المَوَاكِبُ وَالعَبِيدُ(٣)

وقال حبيب الطائى :

يَنَالُ الفَتَى مِنْ عَيْشِهِ وَهْوَ جَاهِلُ ... وَيُكْدِى الفَتَى فِى دَهْرِهِ وَهْوَ عَالِمُ(٤)

وقال ابن دريد :

لَا يَنْفَعُ العِلْمُ بِلَا جَدٍّ وَلَا ... يُحْبِطُكَ الجَهْلُ إِذَا الجَدُّ عَلَا

وقال الحسين بن أحمد :

---

(١) ساقط من ب .

(٢) ورد البيتان الأول والثالث فى معجم الأدباء ٧/١٢ منسوبة إلى صالح بن عبد القدوس .

(٣) ديوانه ١٧٢/١ ، فأنظر أينا يضحى ويمسى .

(٤) شرح الديوان ١٨٧/١ .

بالجَدِّ أجْدَى عَلَى امْرِىءٍ طَلَبُه ... وَمَنْ يَطلْ حِرْصُهُ يَطُلْ تَعَبُه

وقال آخر :

عِشْ بِجَدٍّ وَكُنْ هَبَنَّقَةَ القَيْـ ... ـسِيَّ نَوكاً أوْ شَيْبَةَ بْنَ الوَلِيدِ

عِشْ بِجَدٍّ وَلَا يَضُرَّكَ نَوْكٌ ... إنَّما عَيْشُ مَنْ تَرَى بِالجُدُودِ[1]

هبنقة القيسى اسمه يزيد بن ثروان ، وكنيته أبو نافع ، أحد بنى قيس بن ثعلبة ، وهو الذى شرد[2] له بعير فجعل لمن جاء به بعيرين ، فقيل له : لم هذا ؟ قال : فأين فرحة الوجدان ؟ !

وأنشدنى محمد بن نصر الكاتب رحمه الله لنفسه :

لَا تَشْرَهَنَّ إلَى دُنْيَا تَمَلَّكَهَا ... قَوْمٌ كَثِيرٌ بِلَا عَقْلٍ وَلَا أدَبِ

وَلَا تَقُلْ إنَّنِى أبْصَرْتُ مَا جَهِلُوا ... مِنَ الإدَارَةِ فِى مَرٍّ وَمُنْقَلَبِ

فَبِالجُدُودِ هُمُ نَالُوا الَّذِى مَلَكُوا ... لَا بِالْعُقُولِ وَلَا بِالعِلْمِ وَالحَسَبِ

وأيْسَرَ الجَدُّ نَحْوِى كُلَّ مُمْتَنِعٍ ... عَلَى التَّمَكُّنِ عِنْدَ البَغْىِ وَالطَّلَبِ

وإنْ تَأمَّلْتَ أحْوَالَ الَّذِينَ مَضَوْا ... رَأيْتَ مِنْ ذَا وَهٰذَا أعْجَبَ العَجَبِ

وقال إبراهيم بن المهدى :

---

(١) فى ب ، م : هاشم بن الوليد ، وفى عيون الأخبار ١/٢٤٢ : خالد بن يزيد ، والصحيح أن البيتين ليحيى بن المبارك اليزيدى النحوى فى هجاء شيبة بن الوليد أحد أكابر قواد المهدى ، وكان اليزيدى يناظر الكسائى بين يدى المهدى ، فانتصر عليه ، وكان شيبة حاضرا ، فهاتر اليزيدى ، فأسرها فى نفسه ، ثم قال فيه هذه الأبيات التى منها :

شيب ياشيب ياهنى بنى القعـ ... ـقاع ما أنت بالحليم الرشيد

انظر البيان هامش ٢/٢٧١ ، الأغانى ١٨/٧٧ ، ٢٠/٢٨ ، نهاية الأرب ٢/١١٩ ، حماسة البحترى ٢٤٦ .

(٢) فى ب : ند .

قَدْ يُرْزَقُ المَرْءُ لَمْ تَتْعَبْ رَوَاحِلُهُ ... وَيُحْرَمُ الرِّزْقَ مَنْ لَمْ يُؤْتَ مِنْ تَعَبِ

مَعْ أَنَّنِي وَاجِدٌ فِي النَّاسِ وَاحِدَةً ... الرِّزْقُ أَرْوَغُ شَيْءٍ عَنْ ذَوِي الْأَدَبِ

وخَلَّةٍ قَلَّ فِيهَا مَنْ يُخَالِفُنِي ... الرِّزْقُ والنَّوْكُ[1] مَقْرُونَانِ فِي سَبَبِ

يَا ثَابِتَ الْعَقْلِ كَمْ عَايَنْتَ ذَا حُمُقٍ ... الرِّزْقُ أَوْلَى بِهِ مِنْ لَازِمِ الحِرَبِ[2]

وقال آخر :

مَا ازْدَدْتُ فِي أَدَبِي حَرْفًا أُسَرُّ بِهِ ... إِلَّا تَزَيَّدْتُ حَرْفًا فِيهِ لِي شُومُ

إِنَّ المُقَدَّمَ فِي حِـــذْقٍ بِصَنْعَتِهِ ... أَنَّى تَوَجَّهَ فِيهَا فَهْوَ مَحْرُومُ[3]

وقال بكر بن النطاح :

كَفَى حَزَنًا أَنَّ الغِنَى مُتَعَذِّرٌ ... عَلَيَّ وَأَنِّى بِالْمَكَارِمِ مُغْرَمُ

فَوَاللهِ مَا قَصَّرْتُ فِي نَيْلِ غَايَةٍ ... وَلَـكِنَّنِي أَسْعَى إِلَيْهَا فَأُحْرَمُ

وقال آخر :

لَيْسَ عَنْ حِيلَةِ الرِّجَالِ أَصَابُوا الْـ ... ـمَالَ بَلْ قِسْمَةٌ لَهُمْ وَجُدود

مِنْهُمُ الْعَاجِزُ الْمُرَجَّى لَهُ الرِّ ... زْقُ وَمِنْهُمْ مُحَارَفٌ مَجْدُودُ

قال بشار بن برد :

مَا ضَرَّ أَهْلَ النَّوْكِ ضَعْفُ الـكَدِّ ... صَادَفَ حَظًّا مَنْ سَعَى بِجِدِّ[4]

---

(١) فى ب : النول .

(٢) الأبيات فى عيون الأخبار ١٢٩/٢ ، وقد سبق البيتان الأولان فى ص١٤٣.

(٣) البيتان لإسماعيل بن إبراهيم الحمدونى وهما فى نهاية الأرب ٨٧/٣ ، وانظر عيون الأخبار ١٢٤/٢ .

(٤) البيت من أرجوزته الشهيرة : ياطلل الحى بذات الصمد ، انظر المختار من شعر بشار ١٠٦ ، البيان ٢٦٣/١ .

وقال البحترى :

وَآيَسَنِى عِلْمِى بِأَلَّا تَقَدُّمِى ... مُفِيدِى ولَا مُزْرٍ عَلَىَّ تَأَخُّرِى

ولَوْ فَاتَنِى المَقْدُورُ مِمَّا أَرُومُهُ ... بِسَعْيِى لَأَدْرَكْتُ الَّذِى لَمْ يُقَدَّرِ(١)

وقال الصابى :

إِذَا جَمَعَتْ بَيْنَ امْرَأَيْنِ صِنَاعَةٌ ... وَأَحْبَبْتَ أَنْ تَدْرِى الَّذِى هُوَ أَحْذَقُ

فَلَا تَتَأَمَّلْ مِنْهُمَا غَيْرَ مَا بِهِ ... جَرَتْ لَهُمَا الأَرْزَاقُ حِينَ تُفَرَّقُ

فَحَيْثُ يَكُونُ النَّوْكُ فَالرِّزْقُ وَاسِعٌ ... وحَيْثُ يَكُونُ الحِذْقُ فَالرِّزْقُ ضَيِّقُ(٢)

---

(١) ديوانه ٢/٥ .

(٢) الأبيات فى معجم الأدباء ٢ /٨٥ ، يتيمة الدهر ٢/٢٦٧ .

بابُ المال حَمْداً وذمًّا[1]

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : « قلبُ الشَّيخ شابٌّ فى حب اثنتين : طول الحياة وكثرة المال » .

وقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : « نِعْمَ المال الصَّالح للرجل الصالح » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إنّ الدِّينار والدِّرهم أهلكا من كان قبلكم وإنهما مهلكاكم » .

[2] وقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم : لكلّ أمة فِتْنَة ، وفتنةُ أمتى المال » .

وقال أيضاً : إنّ أحسَابَ أهل الدُّنْيا التى إليها ينتمون : المال » [2] .

وقال عليه السلام : « ما ذِئبان جائعان أُرْسِلا فى حظيرة غَنم بأفسد لها من حب المال ، والشّرَف لدين المؤمن » .

قال قيس بن عاصم لبنيه حين حضرته الوفاة : يا بَنِيَّ عليكم بالمال واصطناعه ، فإنه مَنْبَهَةٌ للكريم ، ويُستغنى به عن اللئيم .

قال الحسن البصرى : لكل أمة وثن يعبدونه ، وصنمُ هذه الأمة الدينار والدرهم .

وقال الحسن : إذا أردت[3] أن تعلم من أين أصاب الرجل ماله ، فانظر فيم أنفقه ، فإن الخبيث يُنفق فى السرف .

---

(١) ساقط من ب .
(٢) ساقط من ب .
(٣) فى ا : أزمعت .

قال أبو ذرّ : أموال الناس تشبه الناس . وعن أبى ذر أيضاً : إنما مالك لك ، أو للوارث ، أو للجائحة[1] ، فلا تكن أعجز الثلاثة .

قال أكثم بن صيفي : من ضعف عن كسبه اتكل على زاد غيره .

قال سعيد بن المسيب: لا خير فيمن لا يكسب المال ليكفّ به وجهه ، ويؤدّى به أماناته ، ويصل به رَحِمَه .

قالوا للمسيح : ياروح الله ! أخبرنا عن المال ، فقال : المال لا يخلو صاحبه من ثلاث خلال : إما أن يكسبه من غير حله ، وإما أن يمنعه من حقه ، وإما أن يشغله إصلاحه عن عبادة ربه .

قال الحطيئة :

وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمْعَ مالٍ ... وَلَكِنَّ التَّقِيَّ هُوَ السَّعِيدُ[2]

وأنشد ابن الأعرابى[3] :

المالُ يَغْشَى رِجالًا لا طَبَاخَ لَهُمْ ... كالسَّيْلِ يَغْشَى أُصُولَ الدِّنْدِنِ البَالِي

وهذا البيت فى شعر لعمار الكلبى أوله :

قِفْ بالْعُوَيْرِ عَلَى أَبْلاءِ أَطْلالِ ... كَأَنَّهَا حُلَلٌ أَوْ خَطُّ تِمْثَالِ

الْفَقْرُ يُزْرِى بِأَقْوَامٍ ذَوِى حَسَبٍ ... ورُبَّمَا سَادَ جِبْسُ القَوْمِ بِالمَالِ

---

(١) فى ا ، م : للحاجة ، والجائحة : الشدة المذهبة للمال .

(٢) البيت مما نسب إلى البحترى من شعر ، انظر زيادات الديوان ٣٩٣ ، وقد نسب لعبد الله بن المخارق الشيبانى فى حماسة البحترى ٢٤٨ ، وانظره فى لباب الآداب ٢٢ .

(٣) الأبيات التى سترد بعد وردت كلها فى الحماسة لأبى تمام ٢/٣٠٠ ، ٣٠١ على خلاف فى الترتيب منسوبة لحسان بن ثابت ، وكذلك ورد البيت الأول له فى اللسان ، وعقب عليه بأنه ورد أيضا فى شعر لحية بن خلف الطائى ، وانظره فى عيون الأخبار ١/٢٤٧ .

ومعنى الدندن :السود من الكلأ لقدمه ويبسه،ويروي : ويقتدى بلئام الأصل أنذال مكان وربما ساد .. الخ.

وفيه يقول :

أَصُونُ عِرْضِي بِمَالِي لَا أُدَنِّسُهُ ... لَا بَارَكَ اللهُ بَعْدَ الْعِرْضِ فِي المَالِ

أَحْتَالُ لِلْمَالِ إِنْ أَوْدَى فَأَجْمَعُه ... وَلَسْتُ لِلْعِرْضِ إِنْ أَوْدَى بِمُحْتَالِ

الجبس : اللئيم . وقوله : لا طباخ لهم : أى لا قوة ولا طاقة ، قاله الخليل .

وقال فضالة بن زيد العدوانى :

وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا المَالُ فَاحْمَدْ فُضُولَهُ ... وَلَا تُهْلِكَنْهُ فِي الضَّلَالِ فَتَنْدَمِ

إِذَا جَلَّ خَطْبٌ صُلْتَ بِالمَالِ حَيْثُمَا ... تَوَجَّهْتَ مِنْ أَرْضٍ فَصِيحٍ وَأَعْجَمِ

وَهَابَكَ أَقْوَامٌ وَإِنْ لَمْ تُصِبْهُمُ ... بِنَفْعٍ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُحْمَدْ وَيُكْرَمِ

وَيُعْطِي الَّذِي يَبْغِي وَإِنْ كَانَ بَاخِلاً ... بِمَا فِي يَدَيْهِ مِنْ مَتَاعٍ وَدِرْهَمِ

وقال لبيد:

وَمَا البِرُّ إِلَّا مُضْمَرَاتٌ مِنَ التُّقَى ... وَمَا المَالُ إِلَّا مُضْمَرَاتٌ وَدَائِعُ[1]

وقال حاتم الطائى[2] :

لَعَمْرُكَ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الفَتَى ... إِذَا حَشْرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

أَمَاوِيَّ إِنَّ المَالَ غَادٍ وَرَائِحٌ ... وَيَبْقَى مِنَ المَالِ الأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ

وقال الشماخ :

لَمَالُ المَرْءِ يُصْلِحُهُ فَيُغْنِي ... مَفَاقِرَهُ أَعَفُّ مِنَ القُنُوعِ[3]

---

(١) الشعر والشعراء ٢٣٦ ، الأغانى ١٥/٢٧٣ .

(٢) ديوانه ٣٩ ، وفيه : أماوى مكان لعمرك ، الشعر والشعراء ١٩٩ ، معجم الأدباء ٥/٣٦٧ .

(٣) ديوانه ٥٦ ، حماسة البحترى ٣٤٤ ، وفيها : لمال المال يصلحه فيغنى .

وقال المتلمس :

لَحِفْظُ المالِ أيسَرُ مِنْ بِغَاه ... وَضَرْبُكَ فِي البِلَادِ بِغَيْرِ زَادِ
قَلِيلُ المالِ تُصْلِحُهُ فَيَبْقَى ... وَلَا يَبْقَى الكَثِيرُ مَعَ الفَسَادِ (١)

وقال آخر :

واطْلُبِ المالَ بِحِرْصٍ ... وَاسرِعِ المَشْيَ إِلَيْهِ
كُلُّ مَنْ كَانَ غَنِيًّا ... سَلَّمَ النَّاسُ عَلَيْهِ
وَإِذَا كَانَ فَقِيرًا ... فُقِدَ البِرُّ لَدَيْهِ (٢)
وَثِيَابُ المَرْءِ أعْوَانٌ (٣) ... لَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ (٤)

وقال آخر :

إِذَا قَلَّ مالُ المَرْءِ قَلَّ صَفَاؤُهُ ... وضَاقَتْ عَلَيْهِ أرْضُهُ وسَمَاؤُهُ
وَأَصْبَحَ لَا يَدْرِي وَإِنْ كَانَ حَازِمًا ... أَقُدَّامُهُ خَيْرٌ لَهُ أَمْ وَرَاؤُهُ
إِذَا قَلَّ مالُ المَرْءِ لَمْ يَرْضَ عَقْلَهُ ... بَنُوهُ ولَمْ يَغْضَبْ لَهُ أوْلِيَاؤُهُ
فَإِنْ مَاتَ لَمْ يُفْقَدْ وَلَمْ يَحْزَنُوا لَهُ ... وَإِنْ عَاشَ لَمْ يَسْرُرْ صَدِيقًا بَقَاؤُهُ (٥)

وقال أبو اليقظان : ما ساد فى الجاهلية مملق إلا عتبة بن ربيعة .

---

(١) الأغانى ٢١/١٣٦ ، فصل المقال ٢٢٩ نهاية الأرب ٣/٦٤ ، المحاسن والمساوى ٢/١٤٦ ، العقد ٣/١٤٠ .
(٢) فى ب : زهدوا فيما لديه .
(٣) فى ا : حلوان له .
(٤) لباب الآداب ٢١٢ ، مجموعة المعانى ١٧ ، والأبيات ساقطة من م .
(٥) ورد البيت الأول فقط فى التمثيل والمحاضرة غير منسوب لقائل ، وورد فى لباب الآداب ٢٨٥ منسوبا إلى صالح بن عبد القدوس .

وقال محمد بن مناذر :

رَضِينَا قِسْمَةَ الجَبَّارِ فِينَا ... لَنَا حَسَبٌ وَللثَّقَفِيِّ مالُ(١) .

وقال المَلْوط :

وَمَا سَوَّدَ المَالُ الدَّنِيءَ وَلاَدَنَا ... لِذَاكَ وَلَكِنَّ الكَرِيمَ يَسُودُ

وقال عروة بن الورد :

وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتِرًا ... مِنَ المَالِ يَطْرَحْ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحِ

لِيَبْلُغَ عُذْرًا أَوْ يُصِيبَ غَنِيمَةً ... وَمُبْلِغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحِ

هذان البيتان أنشدهما ابن قتيبة لأوس بن حجر ، وخالفه حبيب وغيره فأنشدوهما لعروة(٢) .

وقال عروة بن الورد :

إِذَا المَرْءُ لَمْ يَطْلُبْ مَعَاشًا لِنَفْسِهِ ... شَكَا الفَقْرَ أَوْ لَامَ الصَّدِيقَ فَأَكْثَرَا

وصَارَ عَلَى الأَدْنَيْنَ كَلًّا وأَوْشَكَتْ ... صِلَاتُ ذَوِي القُرْبَى لَهُ أَنْ تَنَكَّرَا(٣)

وقال منصور الفقيه :

إِذَا المَرْءُ لَمْ يَطْلُبْ مَعَاشًا لِنَفْسِهِ ... وَهَى(٤) نَعْلَهُ أَوْ بَاعَ فِي السُّوقِ خُفَّهُ

وَلَمْ يَكُ مَأْمُونًا عَلَى مَالِ جَارِهِ ... إِذَا مَا رَآهُ خَالِيًا أَنْ يَلُفَّهُ

---

(١) عيون الأخبار ١/٢٤٦ ، وفيها : رضينا قسمة الرحمن ... الخ . ، وانظر الشعر والشعراء ٨٤٧ .

(٢) البيتان فى ديوان عروة ٨ ، وفى نهاية الأرب ٣/٦٥ ، حماسة أبى تمام ١/١٨٤، ١٥٨ ، الأمالى ٢/٢٣٤، ونسبهما ابن قتيبة فى عيون الأخبار ١/٢٣٨ لأوس بن حجر كما ذكر المصنف .

(٣) ديوانه ١٩ ، ٢٠ .

(٤) فى ب ، م : رهن ، ولا يستقيم معها الوزن .

وقال الفرزدق :

والمَالُ بَعْدَ ذَهَابِ المَالِ يُكْتَسَبُ[1]

قال إبراهيم النخعى : إنما أهلك الناس فضول الكلام وفضول المال .

ولعُبَيْد الله بن عبد الله بن عتبة الهذلى الفقيه :

أَعَاذِلُ عَاجِلُ مَا أَشْتَهِي ... أَحبُّ إِلَيَّ مِنَ الرَّائِثِ

سَأَحْبِسُ مَالِي عَلَى حَاجَتِي ... وَأُوثِرُ[2] نَفْسِي عَلَى الوَارِثِ[3]

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :

أَرَى نَفْسِي تَتُوقُ إِلَى أُمُورٍ ... وَيَقْصُرُ دُونَ مَبْلَغِهِنَّ مَالِي

فَنَفْسِي لَا تُطَاوِعُنِي لِبُخْلٍ ... وَمَالِي لَا يُبَلِّغُنِي فَعَالِي[4]

وقال أعرابى :

إِذَا مَا الفَتَى لَمْ يَبْغِ إِلَّا لِبَاسَهُ ... وَمَطْعَمَهُ فَالخَيْرُ مِنْهُ بَعِيدُ

يُذَكِّرُنِي صَرْفَ الزَّمَانِ[5] وَلَمْ أَكُنْ ... لِأَهْرُبَ مِمَّا لَيْسَ مِنْهُ مَحِيدُ

فَلَوْ كُنْتُ ذَا مَالٍ لَقُرِّبَ مَجْلِسِي ... وَقِيلَ إِذَا أَخْطَأْتُ : أَنْتَ رَشِيدُ

فَذَرْنِي أُجَوِّلْ فِي البِلَادِ لَعَلَّنِي ... يُسَرُّ صَدِيقٌ أَوْ يُسَاءُ حَسُودُ[6]

---

(١) ديوانه ٩٧ ، نهاية الأرب ٣/٧٢ ، وصدر البيت : يقضى أخوك فلا تلقى له خلفاً .

(٢) فى ب : وآثر .

(٣) عيون الأخبار ٣/١٨٠ بدون نسبة .

(٤) عيون الأخبار ١/٣٤٠ ، حماسة أبى تمام ٢/٣٥ ، ٣٦ .

(٥) فى ا : خوف المنايا .

(٦) الأبيات لأعرابى كان يمنعه أبوه من التصرف إشفاقاً عليه فرد عليه بها انظر عيون الأخبار ١/٢٣٨ ، أمالى القالى ٢/١٢٦ وفيها : لعلنى أسر صديقاً .

وقال آخر :

أَنْتَ لِلْمَالِ إذا أَمْسَكْتَهُ ... فإِذَا أنفقْتَهُ فَالمَالُ لَكْ[١]

وقال قيسُ بن عاصم :

سَأُودِعُ مَالِي الحَمْدَ وَالأَجْرَ كُلَّهُ ... فَلاَ أَجْرُ فِي الدُّنْيَا وَلاَ الحَمْدُ دَائِمُ

فَرِحْتُ بِما قَدَّمْتُ مِنْهُ وَإِنَّنِي ... عَلَى حُسْنِ مَا أَخَّرْتُ مِنْهُ لَنَادِمُ

كان يقال : شر مالك ما لزمك إثمُ مكسبه ، وحُرِمْت لذة إنفاقه .

قال الشاعر :

ذَهَابُ المَالِ فِي حَمْدٍ وَأَجْرٍ ... ذَهَابٌ لَا يُقَالُ لَهُ ذَهَابُ[٢]

وقال آخر :

وَحِفْظُكَ مَالاً قَدْ عُنِيتَ بِجَمْعِهِ ... أَشَدُّ مِنَ المَالِ الَّذِى أَنْتَ طَالِبُهْ

قال جعفر بن محمد رحمهما الله[٣] : من نقله الله من ذل المعصية إلى عز الطاعة أغناه بلا مال ، وآنسه بلا أنيس ، وأعزّه بلا عشيرة .

قال محمود الوراق :

هَاكَ الدَّلِيلَ لِمَنْ أَرَا ... دَ غِنًى يَدُومُ بِغَيْرِ مَالِ

وَأَرَادَ عِزًّا لَم تُوَطِّ ... دْهُ العَشَائِرُ بِالْقِتَالِ

---

(١) عيون الأخبار ٣/١٨١ ، العقد الفريد ٣/١٠٧ .

(٢) سبق مع بيت آخر ص ١٨٩ .

(٣) فى ا : محمد بن جعفر رحمه الله .

وَمَهَابَةً مِنْ غَيْرِ سُلْـ طَانٍ وَجَاهًا فِي الرِّجَالِ
فَلْيَعْتَصِمْ بِدُخُـــولِهِ فِي عِزِّ طَاعَةِ ذِي الْجَلَالِ
وَخُرُوجِهِ مِنْ ذِلَّةِ الْـ عَاصِي لَهُ فِي كُلِّ حَالِ[١]

وقال النمر بن تولب:

خَاطِرْ بِنَفْسِكَ كَيْ تُصِيبَ رَغِيبَةً إِنَّ الْجُلُوسَ مَعَ النِّسَاءِ قَبِيحُ
فَالْمَالُ فِيهِ تَجِـلَّةٌ وَمَهَابَةٌ وَالْفَقْرُ فِيهِ مَذَلَّةٌ وَفُضُوحُ[٢]

وقال آخر:

وَيُزْرِي بِعَقْلِ الْمَرْءِ قِلَّةُ مَالِهِ تُحَمِّقُهُ الْأَقْوَامُ وَهْوَ لَبِيبُ[٣]

وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَا لِ وَجَهْلٍ غَطَّى عَلَيْهِ النَّعِيمُ[٤]

وقال الخريمي وهو أبو يعقوب:

أَنَعِيشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا قَنِعْتَ بِهِ قَدْ يَكْثُرُ الْمَالُ وَالْإِنْسَانُ مُفْتَقِرُ

وقال أمية بن أبي الصلت:

إِذَا اكْتَسَبَ الْمَالَ الْفَتَى مِنْ وُجُوهِهِ وَأَحْسَنَ تَدْبِيرًا لَهُ حِينَ يَجْمَعُ
وَمَيَّزَ فِي إِنْفَاقِهِ مَا بَيْنَ مُصْلِحٍ مَعِيشَتَهُ فِيمَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ

---

(١) في م: ها أنا بدل هاك، وفي طاعة الله ذي الجلال بدل في عز طاعة الخ.
(٢) عيون الأخبار ٢٣٨/١. وفيها غنيمة بدل رغيبة، والعيال بدل النساء، وقبوح بدل فضوح.
(٣) أنشده ابن الأعرابي في عيون الأخبار ٢٤٠/٣.
(٤) ديوانه ١٠٠، نهاية الأرب ٦٩/٣، معجم الأدباء ١٠/٢٠.

وَأَرْضَى بِهِ أَهْلَ الحُقوقِ وَلَمْ يُضِعْ ... بِهِ الذُخْرُ زَادًا لِلَّتِى هِىَ أَنْفَعُ

فذَاكَ الْفَتَى لَا جَامِعُ المَالِ ذَاخِرًا ... لِأَوْلَادِ سُوءٍ حَيْثُ جاءوا وَأَرْضَعُوا[1]

وقال كُثَيِّرٌ :

إذَا المالُ لَمْ يُوجِبْ عَلَيْكَ عَطَاءَهُ ... صَنِيعَةُ نُعْمَى أَوْ خَلِيلٌ تُوَامِقُهْ

بَخِلْتَ وَبَعْضُ البُخْلِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ ... فَلَمْ يَفتلتكَ المالَ إِلَّا حَقَائِقُهْ[2]

وقال محمود الوراق :

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ الفَقْرِ أَوْضَعَ لِلْفَتَى ... وَلَمْ أَرَ مِثْلَ المالِ أَرْفَعَ لِلنَّذْلِ

وَلَمْ أَرَ عِزًّا لِامْرِىءٍ كَعَشِيرَةٍ ... وَلَمْ أَرَ ذُلًّا مِثْلَ نَأْيٍ عَنِ الْأَهْلِ

وَلَمْ أَرَ مِنْ عُدْمٍ أَضَرَّ عَلَى الفَتَى ... إِذَا عاشَ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ عَدَمِ الْعَقْلِ[3]

وقال آخر :

الْفَقْرُ يُزْرِى بِأَقْوَامٍ ذَوِى حَسَبٍ ... وَقَدْ يُسَوِّدُ غَيْرَ السَّيِّدِ المالُ[4]

وقال محمود الوراق :

أَرَى دَهْرَنَا فيهِ عَجَائِبُ جَمَّةٌ ... إِذَا اسْتُعْرِضَتْ بِالْعَقْلِ ضَلَّ لَهَا الْعَقْلُ

أَرَى كُلَّ ذِى مَالٍ يَسُودُ بِمَالِهِ ... وَإِنْ كانَ لَا أَصْلٌ هناكَ وَلَا فَصْلُ

---

(١) ديوانه ٩٢ .

(٢) الشعر والشعراء ٤٩٨ ، وفيه : صنيعة تقوى أو صديق ، زهر الآداب ٣/٢٤٧ ، وفيه : فلم يعتملك ، الـكامل ١/٢٠٦ ، ويفتلتك أى يقطع منك

(٣) الأبيات فى عيون الأخبار ٣/٩١ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٧٣ ، الـكامل ١/١٨٤ ، والبيت الثانى فى البيان ١/٢٤٦ .

(٤) عيون الأخبار ١/٢٣٩ بدون نسبة .

وَآخَرَ مَنْسُوبًا إِلَى الرَّأْيِ خَامِلاً ... وَأَنْوكَ مَحْبُولاً له الجاهُ والنَّيْلُ
وَما الْفَضْلُ فِي هَذَا الزَّمَانِ لِأَهْلِهِ ... وَلٰكِنَّ ذَا المالِ الكَثِيرِ لَهُ الْفَضْلُ
فَشَرِّفْ ذَوِي الأَمْوَالِ حَيْثُ لَقِيتَهُمْ ... فَقَوْلُهُمْ قَوْلٌ وَفِعْلُهُمْ فِعْلُ(١)

ومما ينسب إلى محمود، وأظنها لغيره وهو أبو عبد الرحمن العَطَوِى :

دَعِ الرِّيَاءَ لِمَنْ لَجَّ الرِّيَاءُ بِهِ ... فِي الْأَمْرِ بِالْبَذْلِ واذْكُرْ ذِلَّةَ العَدَمِ
وَمُتْ عَلَى الدِّرْهَمِ الْمَنْقُوشِ مَوْتَ فَتًى ... رَأَى الْمَمَاتَ عَلَيْهِ أَكْرَمَ الْكَرَمِ
وَعَدِّ عَنْ ذَا وَعَنْ هَـذَا وَقَوْلِهِمُ ... الذكْرُ يَبْقَى وَتَفْنَى لَذَّةُ النِّعَمِ
لَوْلا غِنَاكَ لَكُنْتَ الْكَلْبَ عِنْدَهُمُ ... فَإِنْ أَبَيْتَ فَجَرِّبْ وَاشْقَ بِالنَّدَمِ(٢)

وقال أبو العتاهية :

وَالنَّاسُ(٣) حيثُ يَكُونُ المَالُ وَالجاهُ(٤)

---

(١) الأبيات ماعدا الأول فى العقد الفريد ٣٠/٣ ، وفيه : يبر لماله مكان يسود عاله فى البيت الثانى .
(٢) وردت الأبيات فى محاضرات الأدباء ٢٩١/١ ، منسوبة إلى أبى على المحمودى .
(٣) ب : والمال .
(٤) لم أعثر عليه فى ديوانه المطبوع .

بابُ جامعِ القولِ في الغنى والفقر

قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلّم : « ارضَ بما قسم اللهُ لك تكنْ أغنى الناس ، واعملْ بما افترض اللهُ عليك تكنْ أعبدَ الناسِ ، واجتنبْ ما حرّمَ اللهُ عليك تكن أورعَ الناس » .

وقال عليه السلام : « ليس الغنى عن كثرة العَرَض ، إنما الغنى غنى النفْس » .

وفي الحديث المرفوع : « الفقرُ أزين بالمؤمن من العذار[1] على خدّ الفرس » .

وقد أتينا في معنى الفقر والغنى ، والمقدار المحمود في ذلك عند العلماء بدلائل السنن ، وأقاويل السلف ، بما فيه كفايةٌ وتبصره وشفاء لما في الصدور في موضعه من كتاب « بيان العلم » والحمد لله .

قال أوسُ بن حارثة : خيرُ الغنى القناعة ، وشرُّ الفقر الضَّراعة[2] .

قال فضيلُ بن عياض : إنما الفقر والغنى بعد العَرْض على الله .

أنشدنا الرياشي :

ما شِقْوَةُ المرء بالإقتار تقتِرُهُ   ولا سعادتُهُ يومًا بإكثار
إنّ الشقيّ الذي في النار منزلُهُ   والفوزُ فوزُ الذي يَنْجُو من النارِ[3]

قال جعفرُ بن محمد : العز والغنى يجولان في الأرض ، فإذا أصابا موضعًا يدخله التوكّلُ أوطناه .

---

(١) العذار : ما سال على خد الفرس من اللجام .

(٢) ب : الخضوع .

(٣) البيتان [illegible] في أمالي [illegible] ١/٦٢ ، ٦٣ .

كان يقال : الشكرُ زينةُ الغني ، والعفافُ زينةُ الفقر .

وقالوا : حقُّ الله واجب فى الغنى والفقر ، ففي الغنى المعطفُ والشكر ، وفى الفقر العفافُ والصَّبر .

كان يقال : سوءِ حَمْل الغنى يُورث مَقتاً ، وسوءِ حمل الفاقة يَضعُ شرفاً .

كان يقال : الغنى[1] فى النفس ، والشرف فى التواضع ، والكرم فى التقوى .

أنشدنا الرياشي :

وَبَيْنَا الفَتَى فِى الفَقْرِ إذْ صَارَ فِى الغِنَى ... وَبَيْنَا الفتَى فِى البؤْسِ إذْ صَارَ فِى الخَفْضِ

كَذَاكَ صُرُوفُ الدَّهْرِ تَلْعَبُ بِالفَتَى ... فَتُبْرِمُ أَحيَانًا وَتُسْرِعُ فِى النَّقْضِ

وقال آخر :

قَدْ أَنْطَقَتِ الدَّرَاهِمُ بَعْدَ عِيٍّ ... أُنَاسًا طَالَمَا كَانُوا سُكُوتَا

فَمَا عَادوا عَلَى جَارٍ بِخَيْرٍ ... وَلَا رَفَعُوا لِمَكْرُمَةٍ بُيُوتَا

كَذَاكَ المَالُ يُنْطِقُ كُلَّ عِيٍّ[2] ... وَيَتْرُكُ كُلَّ ذِى حَسَبٍ صَمُوتَا

[3] وقال آخر :

نَطَقْتَ مُذ اسْتَفَدْتَ المَالَ حَتَّى ... كَأَنَّكَ عَالِمٌ ذَلِقُ اللِّسَانِ

وَشَجَّعَكَ الَّذِى قَدْ كَانَ قِدْمًا ... يُسَمِّيكَ الجَبَانَ ابنَ الجَبَانِ [3]

---

(١) ا : العز .
(٢) ب : غث .
(٣) ساقط من ا .

وقال محمود الوراق

الفَقْرُ فِي النَّفْسِ وَفِيهاَ الغِنَى وَفِي غِنَى النَّفْسِ الغِنَى الأَكْبَرُ[1]

وقال حماد الراوية : أفضل بيت من الشعر قيل فى الأمثال :

يَقولُونَ يَستَغْنِي وَوَاللهِ مَا الغِنَى مِنَ المالِ إلَّا مَا يُعِفُّ وَماَ يَكْفِي[2]

ولمحمود الوراق أيضاً :

صاحِبُ اليُسْرِ يَرْقُبُ العُسْرَ وَالمُعْـ ـسِرُ فِي دَهْرِهِ يرَاقِبُ يُسْرَا

لَيْسَ خَلْقٌ لَهُ عَلَى اللهِ حَقٌّ إِنَّمَا حَقُّهُ عَلَى النَّاسِ طُرّا

لَا يُحَـابِى[3] الغَنِيَّ فِيماَ أَتاَهُ لَا وَلَا يَظْلِمُ الذِى ماتَ فقرَا[4]

يَمْنَعُ اللهُ عَبْدَهُ نَظَرًا مِنْـ ـهُ ، وَيُسْنِى لَهُ العَطِيَّةَ مَكْرَا

لَيْسَ مِنْ بُخْلِهِ يُنَقِّصُ ذَا الفَقْـ ـرِ وَلَمْ يُعْطِ ذَا الغِنَى المالَ قَسْرَا

قال عبد الله بن الأهتم : من ولد فى الفقر أبطره الغنى .

كان يقال : خصلتان مذمومتان : الاستطالةُ مع السّخاء ، والبطر مع الغِناء .

كان يقال : لا تَدْعُ على ولدك بالموت ، فإنّه يُورث الفقر .

قال أعرابىٌّ من باهلة :

سأُعْمِلُ نَصَّ العِيسِ[5] حَتّى يَكُفَّنِي غِنَى المالِ يَوْمًا أَوْ غِنَى الحَدَثاَنِ

---

(١) العقد الفريد ٣/٢٠٧ .

(٢) البيت مما ينسب إلى الحطيئة من شعره ، انظر زيادات الديوان ٢٢٠ .

(٣) ا : لم يحاب ، ب : لايخاف .

(٤) ا : حرا .

(٥) نص العيس : استخراج أقصى ما عنده من سير .

فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ يُرَى لَهَا　　عَلَى الحُرِّ بِالإِقْلَالِ [١] وَسْمُ هَوَانِ

كَأَنَّ الغِنَى فِي أَهْلِهِ بُورِكَ الغِنَى　　بِغَيْرِ لِسَانٍ نَاطِقٌ بِلِسَانِ [٢]

وقال يحيى بن حكم الغزال، [٣] وتروى لغيره ابن المعتز، أو غيره [٣]:

إذا كُنْتَ ذَا ثَرْوَةٍ مِنْ غِنًى　　فَأَنتَ المُسَوَّدُ فِي العَالَمِ

وَحَسْبُكَ مِنْ نَسَبٍ صُورَةٌ　　تُخَبِّرُ أَنَّكَ مِنْ آدَمِ [٤]

وللغزال أيضاً:

إِنِّى حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَصْنَافَ الدِّرَرْ　　فَمَرَّةً حُلْوٌ وَأَحْيَانًا مِقَرّ [٥]

وَعَلْقَمًا حِينًا وَأَحْيَانًا صَبِرْ　　وَجُلُّ مَا يَسْقِيكَهُ الدَّهْرُ كَدَرْ

فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا مِنْ الفَقْرِ أَمَرّ　　أَلا تَرَى أَكْثَرَ مَنْ فِيهَا يَفِرّ

مَخَافَةَ الفَقْرِ إِلَى نَارِ سَقَرْ

وقال آخر:

لَعَمْرُكَ إِنَّ القَبْرَ خَيْرٌ مِنَ الفَقْرِ　　لِمَنْ كَانَ ذَا يُسْرٍ وَعَادَ إِلَى عُسْرِ

ولعروة بن الورد:

دَعِينِي لِلْغِنَى أَسْعَى فَإِنِّى　　رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمُ الفَقِيرُ

---

(١) ب: على المرء ذى العلياء.

(٢) إعتاب الكتاب ٢١٧، عيون الأخبار ١/٢٣٩، البيان ٢/٢٣٨، الكامل ١/١٨٤، زهر الآداب ٤/٥٦، وفيه: وإن الفتى فى أهله يرزق الغنى بغير لسان ... الخ، العقد الفريد ٣/٢٩.

(٣) ساقط من ب.

(٤) التمثيل والمحاضرة ٣٩٢، ونسبها لابن المعتز ولا توجد فى ديوانه.

(٥) المقر: الحامض أو المر.

وَأحقرُهُمْ وَأهونُهُمْ عَلَيْهِمْ ... وَإنْ أمسَى لَهُ كَرَمٌ وَخِيرُ
يُبَاعِدُهُ الخَلِيلُ وَتَزْدَرِيهِ ... حَلِيلَتُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ
وَتَلْقَى ذَا الغِنَى وَلَهُ جَلاَلٌ ... يَكَادُ فُؤَادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ
قَلِيلٌ عَيْبُهُ وَالعَيْبُ جَمٌّ ... وَلَكِنْ لِلْغِنَى رَبٌّ غَفُورُ(١)

وقال آخر :

رَأَيْتُ النَّاسَ لَمَّا قَلَّ مَالِي ... وَأَكْثَرْتُ الغَرَامَةَ(٢) وَدَّعُونِي
فَلَمَّا أَنْ غَنِيتُ وَثَابَ وَفْرِي ... إِذَا هُمُ ـ لاَ أَبَا لَكَ ـ رَاجَعُونِي(٣)

وقالوا : بقدر ما يعطى الغنيُّ من الإيسار ، يعطى من الإجلال ، وبقدر ما ينزل بالفقير من فقر يذهب بهاؤه وتتضع منزلته ، حتى يتهمه من كان يأمنه ، ويسيء به الظن من كان يثق به . ومحاسن الغنى مساوىء الفقير ، إذا كان جواداً قالوا : مبذر ، وإن كان لسِناً قالوا : مهذار ، وإن كان شجاعاً ، قالوا : أهوج ، وإن كان حليما صموتاً ، قالوا : عييّ بليد ، وكل شيء هو للغنيّ مدح هو للفقير ذم .

قال الشاعر :

لَعَمْرُكَ إِنَّ المَالَ قَدْ يَجْعَلُ الْفَتَى ... سَنِيًّا وَإِنَّ الْفَقْرَ بِالمَرْءِ قَد يُزْرِي
فَمَا(٤) رَفَعَ النَّفْسَ الدَّنِيئَةَ كَالْغِنَى ... وَلاَ وَضَعَ النَّفْسَ الكَرِيمَةَ كَالْفَقْرِ(٥)

---

(١) يروى : وأبعدهم وأهونهم ،وإن أمسى له حسب ،ويقصيه الندى، وينكره الصغير ، قليل ذنبه والذنب، انظر الأبيات فى ديوان عروة ٢٠ ، معجم الأدباء ١٨٣/٦ ، البيان ٢٣٨/٢ ، عيون الأخبار ٢٤١/١ ، محاضرات الأدباء ٢٤٢/١ ، العقد الفريد ٢٩/٣ .

(٢) ب : الملامة .

(٣) البيان والتبيين ٢٩٩/٣ .

(٤) ا : ولا .

(٥) المستطرف ٥٤/٢ .

وقال حبيب :

لَا تُنْكِرِى عَطَلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغِنَى ... فَالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِى(١)

وللمغيرة بن حَبْنَاء :

وَمَا الْفَقْرُ يُزْرِى بِالرِّجَالِ وَلَا الْغِنَى ... وَلَكِنْ قُلُوبُ الْقَوْمِ لِلْقَوْمِ تَقْدَحُ

وقال امرؤ القيس :

بَكَى صَاحِبِى لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ ... وَأَيْقَنَ أَنَّا لَاحِقَــــانِ بِقَيْصَرَا

فَقُلْتُ لَهُ : لَا تَبْكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا ... نُحَاوِلُ مُلْكاً أَوْ نَمُوتَ فَنُعْذَرَا(٢)

وقال أبو العتاهية :

أَجَلَّكَ قَوْمٌ حِينَ صِرْتَ إِلَى الْغِنَى ... فَكُلُّ غَنِيٍّ فِي الْعُيُونِ جَلِيلُ

(٣إِذَا مَالَتِ الدُّنْيَا إِلَى الْمَرْءِ رَغَّبَتْ ... إِلَيْهِ وَمَالَ النَّاسُ حَيْثُ يَمِيلُ ٣)

وَلَيْسَ الْغِنَى إِلَّا غِنًى زَيَّنَ الْفَتَى ... عَشِيَّةَ يَقْرِى أَوْ غَدَاةَ يُنِيلُ(٤)

وقال الصَّلَتَان العَبْدِىّ(٥) :

إِذَا قلتَ يَوْماً لِمَنْ قَدْ تَرَى ... أَرُونِى السَّرِىَّ أَرَوْكَ الغَنِى

وقال ابنُ سعدان(٦) :

---

(١) ديوانه ١٢٣ ، نهاية الأرب ٣/٩١ ، زهر الآداب ٤/٣٥ .

(٢) ديوانه ٦٦ ، عيون الأخبار ١/٢٣٦ ، الشعر والشعراء ٦٢ ، معجم الشعراء ٢٠٠ .

(٣) ساقط من ا .

(٤) ديوانه ٢٢١ ، العقد الفريد ٣/٣٠ ، والبيتان الأول والثالث فى حماسة أبى تمام ٢/٢٨٥ .

(٥) قثم بن خبية العبدى ، شاعر حكيم ، توفى نحو سنة ٨٠ هـ ، انظر فى ترجمته وأشعاره : سمط اللآلى ٥٣١ ، ٧٦٦ ، والمؤتلف ١٤٥ ، الشعر والشعراء ١٩٦ (الأعلام ٦/١٩) ، وانظر البيت فى عيون الأخبار ١/٢٤١ ، الشعر والشعراء ٤٧٩ .

(٦) هو محمد بن سعدان الكوفى ، محدث فقيه عالم بالقراءات ، توفى سنة ٢٣١ هـ ، انظر تاريخ بغداد ٥/٣٢٤ ، بغية الوعاة ٤٥ (الأعلام ٧/٨) .

تَقَنَّعْ بِمَا يَكْفِيكَ وَالْتَمِسِ الرِّضَا فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِى أَتُصْبِحُ أَمْ تُمْسِى
فَلَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْمَالِ إِنَّمَا يَكُونُ الْغِنَى وَالْفَقْرُ مِنْ قِبَلِ النَّفْس

وقال بكر بن أذينة :

كَمْ مِنْ فَقِيرٍ غَنِي النَّفْسِ نَعْرِفُهُ وَمِنْ غَنِيٍّ فَقِيرُ النَّفْسِ مِسْكِينُ

وقال محمود الوراق :

لَبِسْتُ صُروفَ الدَّهْرِ كَهْلًا وناشِئًا وَجَرَّبْتُ حَالَيْهِ عَلَى الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ
فَلَمْ أَرَ بَعْدَ الدِّينِ خَيْرًا مِنَ الْغِنَى وَلَمْ أَرَ بَعْدَ الْكُفْرِ شَرًّا مِنَ الْفَقْرِ

ولمحمود الوراق :

يَا عَائِبَ الْفَقْرِ أَلاَ تَزْدَجِرْ عَيْبُ الْغِنَى أَكْثَرُ لَوْ تَعْتَبِرْ
مِنْ شَرَفِ الْفَقْرِ وَمِنْ فَضْلِهِ[1] عَلَى الْغِنَى إِنْ صَحَّ مِنْكَ النَّظَرْ
أَنَّكَ تَعْصِي كَيْ تَنَالَ الْغِنَى وَلَسْتَ تَعْصِي اللهَ كَيْ تَفْتَقِرْ[2]

وفى رواية أخرى :

أَنَّكَ تَعْصِي اللهَ تَرْجُو الْغِنَى وَلَسْتَ تَعْصِى اللهَ كَيْ تَفْتَقِرْ

وقال آخر :

وَلاَ تَعِدِينِى الْفَقْرَ يا أُمَّ مَالِكٍ فَإِنَّ الغِنَى لِلْمُنْفِقِينَ[3] قَرِيبُ

---

(١) ب : فعله .

(٢) عيون الأخبار ٢٤٩/١ العقد الفريد ٢٠٩/٣ والبيتان الثانى والثالث فى محاضرات الأدباء ٢٤٧/١ .

(٣) ب : للمتقين .

وهذا مأخوذ والله أعلم من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « يقول اللهُ يا ابنَ آدمَ أَنفِقْ أُنفِقْ عَلَيْكَ » .

وقال بعض الحكماء فى ذم الغنى : طالبُ الغِنى طويل العَناء ، دائم النَّصب ، كثير التعب ، قليل منه حَظُّهُ ، خَسِيس منه نصيبه ، شديد من الأيام حذره ، ثم هو بين سلطان يرعاه ، ويفغر(١) عليه فاه ، وبين حقوق تجب عليه ، يضعف عن(٢) منعها ، وبين أكفاء وأعداء ينالونه(٣) ويحسدونه ويبغون عليه ، وأولاد يملُّونه(٤) ويودون موته ، ونوائب تعتريه وتحزنه .

وقال بشر بن المعتمر المتكلم :

وإِذَا الجَهُولُ رَأَيْتَهُ مُسْتَغْنِيًا ... أَعْيَا الطَّبِيبَ وَحِيلَةَ المُحْتَالِ(٥)

وقال الخليل بن أحمد :

مَا أَسْمَجَ النُّسْكَ بِسَآلٍ(٦) ... وأَقْبَحَ البُخْلَ بِذِى المَالِ

مَنْ كَانَ مُحْتَاجًا إِلَى أَهْلِهِ ... هَانَ عَلَى ابْنِ العَمِّ والخَالِ

(٧مَا وَقَعَ الإِنسَانُ فِى وَرْطَةٍ ... أَزْرَى بِهِ مِنْ رِقَّةِ الحَالِ٧)

قيل لبعض الحكماء : ما بالنا نجد مَنْ يطلبُ المالَ من العلماء أكثرَ ممن

(١) ا : ويعض .
(٢) ب : يعقت على .
(٣) : يغتابونه .
(٤) ب : وولد يذمونه .
(٥) البيت فى البيان والتبيين ٣/٢٤٧ .
(٦) ا : بتسآل .
(٧) زيادة من ب .

يطلبُ العلمَ من ذوى الأموال ؟ قال : لمعرفةِ العُلماء بمنافع المال ، وجَهْل ذوى الأموال بمنافع العلم .

قال الشاعر :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الفَقْرَ يُزْرِى بِأَهْلِهِ ... وأَنَّ الغِنَى فِيهِ العُلاَ والتَّجَمُّلُ

قال أُحَيْحَةُ بن الجُلاَح :

اسْتَغْنِ عَنْ كُلِّ ذى قُرْبَى وَذِى رَحِمٍ ... إنَّ الغَنِىَّ مَنِ(1) اسْتَغْنَى عَنِ النَّاسِ

والْبَسْ عَدُوَّكَ فِى رِفْقٍ وَفِى دَعَةٍ ... لِبَاسَ ذِى إِرْبَةٍ لِلدَّهْرِ لَبَّاس

(1) ب : الذى . والبيتان فى لباب الآداب ٣٥٦ والثانى منهما فى حماسة البحترى ٩ ، وفيها : أطوار ذى إربة .. الخ . والإربة بالكسر : الدهاء والمكر .

بابُ الدَّيْن

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلّم : يارسول الله ، أرأيتَ إن قتِلتُ فى سبيل الله مقبلا غيرَ مُدْبِر ، أيكفِّر اللهُ عنّى خطاياى ؟ قال : « نعم . إلاّ الدَّيْن ، بذلك أخبرنى جبريلُ » .

وعنه عليه السلام أنه قال : « صاحبُ الدَّيْن محبوسٌ عن الجنة بِدَيْنه » .

وقال عليه السلام — بعد [1] أن فتح الله عليه وأفاء الله على المسلمين [1] — : « من ترك مالاً فلورثته ، ومن ترك دَيْنًا فعلىّ » .

كان يقال : لا همّ إلاّ همّ الدَّيْن ، ولا وجعَ إلاّ وجع العين . وقد روى هذا القول عن النبي صلّى الله عليه وسلم من وجه ضعيف .

قال عمرُ بن الخطاب : إياكم والدَّين ، فإنّ أوله همٌّ وآخره حرب .

قال جعفر بن محمد : المستدينُ تاجر الله فى الأرض .

قال عمر بن عبد العزيز : الدَّيْن وقْرٌ طالما حمله الكرام .

قال عمرو بن العاص : من كثر صديقه كثر دَيْنه .

قيل لمحمد بن المُنْكَدِر : أتحجُّ وعليك الدين ؟ قال : الحج أقضى للدين . يريد الدعاء فيه ، والله أعلم .

كان يقال : الدَّيْن رِقّ ، فلينظرْ أحدكم أين يضع رقّه .

كان يقال : الأذلة أربعة : النمّامُ ، والكذّابُ ، والفقيرُ ، والمديان .

---

(١) ساقط من ب .

كان يقال : حُرِّيّة المسلم كرامتُه ، وذُلُّه دَيْنُه ، وعذابه سوء خلقه .

كان الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب الشاعر يعامل الناس بالعَيْنة[١] ، فإذا حلت دراهمه ركب حماراً يقال له شارب الريح ، فيقف على غرمائه فيقول :

بَنُو عَمِّنَا أَدُّوا الدَّرَاهِمَ إِنَّمَا ... يُفَرِّقُ بَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الدَّرَاهِمِ[٢]

وقال آخر :

فَمَا شَأْنُ دَيْنِي إِذْ يَحُلُّ عَلَيْكُمُ ... أَرَى النَّاسَ يَقْضُونَ الدُّيُونَ ولاَ يُقْضَى

لَقَدْ كَانَ ذَاكَ الدَّيْنُ نَقْدًا وَبَعْضُهُ ... لِعَرَضٍ فَمَا أَدَّيْتِ نَقْدًا ولاَ عَرْضَا

ولكِنَّمَا هَذَا الَّذِي كَانَ مِنْكُمُ ... أَمَانِيُّ مَا لاَقَتْ سَمَاءً ولاَ أَرْضَا

فَلَوْ كُنْتِ تَنْوِينَ القَضَاءَ لِدَيْنِنَا ... لأَنْسَأْتِ[٣] لِي بَعْضًا وَعَجَّلْتِ لِي بَعْضَا[٤]

قال أبو عثمان المازني : سمعت معاذ بن معاذ ، وبشر بن المفضل ينشدان هذين البيتين لمجنون بني عامر :

طَمِعْتُ بِلَيْلَى أَنْ تَرِيعَ وإِنَّمَا ... تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ المَطَامِعُ

وَدَايَنْتُ لَيْلَى فِي خَلاَءٍ وَلَمْ يَكُنْ ... شُهُودٌ عَلَى لَيْلَى عُدُولٌ مَقَانِعُ[٥]

---

(١) العينة : أي تعيين وقت لاستقضاء الدين .

(٢) انظر الخبر والبيت في عيون الأخبار ١/٢٥٦ .

(٣) ب ، م: لأنسأتكم .

(٤) محاضرات الأدباء ١/٢٢٩ .

(٥) نسب البيتان في نهاية الأرب ٨/٢٢ ، لباب الآداب ٣٢٢ ، أمالي القالي ١/١٦٩ إلى البعيث المجاشعي . وهما في محاضرات الأدباء ١/٩٦ ، والأول في حماسة البحتري ٢٠٢ بغير نسبة ، وتريع : ترجع إلى سابق عهدها .

وقال آخر أنشده ابن الزبير :

أَلاَ لَيْتَ النَّهَارَ يَعُودُ لَيْلاً   فَإِنَّ الصُّبْحَ يَأْتِي بِالْهُمُومِ
حَوَائِجُ مَا نُطِيقُ لَهَا قَضَاءً   وَلاَ دَفْعًا وَرَوْعَاتُ(١) الْغَرِيمِ

كان يقال : الدَّيْنُ هَمٌّ بالليل وذل بالنهار ، وإذا أراد الله أن يذل عبده جعل فى عنقه دينًا .

وقال آخر :

إِنَّ الْقَضَاءَ سَيَأْتِي دُونَهُ زَمَنٌ   فَاطْوِ الصَّحِيفَةَ واحْفَظْهَا مِنَ الْفَارِ(٢)

قال كُثَيِّر بن عبد الرحمن بن أبى جمعة :

قَضَى كُلُّ ذِي دَيْنٍ فَوَفَّى غَرِيمَهُ   وَعَزَّةُ مَمْطُولٌ مُعَنًّى غَرِيمُهَا(٣)

أنشدنا الصولى لسليمان بن وهب متمثلا :

مِنَ النَّاسِ إِنْسَانَانِ دَيْنِي عَلَيْهِمَا   مَلِيَّانِ لَوْ شَاءَا لَقَدْ قَضَيَانِي
خَلِيلَيَّ أَمَّا أُمُّ عَمْرٍو فَمِنْهُمَا   وَأَمَّا عَنِ الْأُخْرَى فَلاَ تَسَلاَنِي(٤)

---

(١) ب : روغات .

(٢) البيت لأعرابى يدعى أباالنباش العقيلى ، أخذ مالامن تاجر بالمدينة يدعى سيار بن الحكم ثم غاب عنه مدة، والظهر أخيراً لاحقه التاجر وجماعة معه بصحيفة الدين ، فأظهر لهم استعداده لدفعه فى مكان معين بالمدينة ، فلما ساروا معه فى دروبها أسرع بالفرار وأعجزهم هربا ، انظر القصة وأبيات ثلاثة أخر فى حماسة البحترى ٤١٦، ٤١٧، عيون الأخبار ١/٢٥٥ .

(٣) ديوانه ١٧٧ ، نهاية الأرب ٣/٧٥، عيون الأخبار ٤/٩٢ ، التمثيل والمحاضرة ٧٢ ، الشعر والشعراء ٤٩٠ .

(٤) وفيات الأعيان ٢/١٤٧ .

باب الاقتصاد والرفق

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ، وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ[1] ﴾ وقال : ﴿ والَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا[2] ﴾ .

فهذا أدب الله تعالى .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « ما عَالَ مَنِ اقْتصد » .

كان يقال : ثلاثٌ من حقائق الإيمان : الاقتصادُ فى الإنفاق ، والإنصافُ من نفسك ، والابتداء بالسلام .

كتب بعضُ الصالحين إلى بعض إخوانه : كل ماردهُ[3] العقل ، و ناله الفضل بجميلٌ حَسَن .

قال عبدالله بن عباس : الهَدْيُ الصّالح ، والسَّمْتُ الحسن ، والاقتصاد ، جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة .

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « إن الله يحبُّ الرفق فى الأمر كله » .

وقال عليه السلام : « ما كان الرفق قط فى شيء إلاّ زانه ، ومن حُرِم الرفق حرم الخير » .

---

(١) سورة الإسراء آية ٢٩ .

(٢) سورة الفرقان آية ٦٧ .

(٣) ا: ما أخره .

وقال صلى الله عليه وسلّم : « ما أراد الله بأهل بيت خيرًا إلا أدخل عليهم الرفق. ولا أراد بهم شرًّا إلاّ أدخل عليهم الخُرْق[١] » .

قال عمر بن الخطاب : لا يقل مع الإصلاح شيء ، ولا يبقى مع الفساد شيء .

قال المتلمِّس :

وإصْلاَحُ القَلِيلِ يَزِيدُ فيهِ وَلاَ يَبْقَى الكَثِيرُ مَعَ الفَسَادِ[٢]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الرفق يمن ، والخُرْق شؤم » .

سئل بعض العلماء عن السكينة ، فقال : هي السكون عما الحركة فيه ، والعجلة لا يحمدها الله ولا يرضاها .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأناة من الله ، والعجلة من الشيطان » .

لسهل بن هارون في يحيى بن خالد :

عَدُوُّ تِلاَدِ المَالِ فِيمَا يَنُوبُهُ مَنُوعٌ[٣] إذَا مَامَنْعُهُ كَانَ أحْزَمَا[٣]

وقال آخر[٤] :

عَلَيْكَ بِأَوْسَاطِ الأُمُورِ فَإِنَّهَا نَجَاةٌ وَلاَ تَرْكَبْ ذَلُولاً وَلاَ صَعْبَا[٥]

وقال آخر :

---

(١) الخرق : ضد الرفق ، وألا يحسن المرء التصرف في الأمور .

(٢) ديوانه ١٦٨ ، نهاية الأرب ٣/٦١ . العقد الفريد ٣/١٤٠ .

(٣) ساقط في ب ، وانظر البيت في البيان والتبيين ٣/٣٠١ .

(٤) ساقط من ب .

(٥) البيت لأبي عيينة المهلبي ، انظر التمثيل والمحاضرة ٤٢٩ . البيان ١/٢٥٤ ، فصل المقال ٢٥٤ .

لَا تَذهَبَنَّ فِي الأُمُورِ فرَطًا   لَا تَسْأَلَنَّ إِنْ سَأَلتَ شَطَطًا

وَكُنْ[١] مِنَ النَّاسِ جَمِيعًا وَسَطًا

قال أعرابى للحسن : يا أبا سعيد ! علمنى ديناً وَسُوطاً لا ذاهباً فروطاً ، ولا ساقطاً سَقُوطاً . قال له الحسن : أحسنت[٢] ، خير الأمور أوسطها .

قال محمود الوراق :

إِنِّى رَأَيْتُ الصَّبْرَ خَيْرَ مُعَوَّلٍ[٣]   فِي النَّائِبَاتِ لِمَنْ أَرَادَ مُعَوَّلَا

وَرَأَيْتُ أَسْبَابَ الْقُنُوعِ مَنُوطَةً   بِعُرَى الْغِنَى فَجَعَلْتُهَا لِيَ مَعْقِلَا

فَإِذَا نَبَا بِيَ مَنْزِلٌ لَا يُرْتَضَى   جَاوَزْتُهُ وَاخْتَرْتُ عَنْهُ مَنْزِلَا

وإِذَا غَلَا شَيْءٌ عَلَيَّ تَرَكْتُهُ   فَيَكونُ أَرْخَصَ ما يَكون إِذَا غَلَا[٤]

لبعض المتأخرين من البخلاء يوصى ابنه :

إِذَا مَا كُنْتَ فِي بَلَدٍ غَرِيبًا   وَخِفْتَ مِنَ أَنْ تَبُوءَ بِغَيْرِ مالِ

فَلَا تَبْسُطْ يَدَيْكَ وَكُلْ قَلِيلاً   يَفُوتُكَ كُلُّ يَوْمٍ فِي اعْتِدَالِ

وَذُبَّ عَنِ الدَّرَاهِمِ كُلَّ حِينٍ   وَكَثِّرْهَا وَقَلِّلْ فِي العِيَالِ

وَقُلْ فِي كل شَيْءٍ تَشْتَهِيهِ   مِنَ الأَشْيَاءِ هَذَا الشَّيْءُ غالِ

فَتَرْكُ المالِ للأَعْدَاءِ خَيْرٌ   لِرَبِّ المَالِ مِنْ ذُلِّ السُّؤَالِ

---

(١) ب : تكن . والأبيات فى البيان ١/٢٥٤ .

(٢) ب : حسبت .

(٣) ا : مغبة .

(٤) الأبيات فى نهاية الأرب ٣/٨٥ ، محاضرات الأدباء ١/٢٢٥ ، المستطرف ١/١٢١ ، ٢/٧٩ .

روينا عن نصر بن على الجهضمى ، قال : دخلت على أمير المؤمنين المتوكل ، فإذا هو يمدح الرفق فأطنب ، فقلت : يا أمير المؤمنين أنشدنى الأصمعى فى الرفق . فقال هاته يا نصر ، فقلت :

لَمْ أَرَ مِثْلَ الرِّفْقِ فِي لِينِهِ ... أَخْرَجَ لِلْعَذْرَاءِ مِنْ خِدْرِهَا
مَنْ يَسْتَعِنْ بِالرِّفْقِ فِي أَمْرِهِ ... قَدْ يُخْرِجُ الْحَيَّةَ مِنْ جُحْرِهَا

قال سابق :

إِنَّ التَّرَفُّقَ لِلْمُقِيمِ مُوَافِقٌ ... وَإِذَا يُسَافِرُ فَالتَّرَفُّقُ أَوْفَقُ
لَوْ سَارَ أَلْفُ مُدَجَّجٍ فِي حَاجَةٍ ... لَمْ يَلْقَهَا إِلَّا الَّذِي يَتَرَفَّقُ[1]

---

(١) ورد البيتان فى معجم الأدباء ١٢/٨ منسوبين إلى صالح بن عبد القدوس ، من قصيدته الشهيرة :

المرء يجمع والزمان يفرق ... ويظل يرقع والخطوب تمزق

وقد سبقت فى كتابنا بعض أبيات منها انظر ص ١٣٨

باب السَّفَرِ والاغْتِرابِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « السفرُ قطعةٌ من العذاب ، فإذا قضى أحدكم نَهْمَتَهُ(١) من سفره فليعجِّلْ الرجوعَ إلى أهله » ، وزاد بعضُهم فى هذا الحديث « السفر قطعة من العذاب ، فاقطعوه بالدُّلْجَة(٢) » .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : تَلَقَّوْا الحاجَّ ولا تشيّعوهم .

قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم : « سافروا تصِحّوا وتغنموا » .

وفى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « ما مات ميت بأرض غربَةٍ إلا قيس له من مَسْقط رأسه إلى مُنْقَطَعِ أثره فى الجنة » .

ومن حديث ابن عباس ، عن النبى صلى الله عليه وسلَّم ، قال : « موتُ الغريب شَهادة » .

ومن حديث أنس ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « مَنْ مات غريباً مات شَهيداً » .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « العبادُ عبادُ الله ، والبلادُ بلادُ الله ، فأينما وجدتَ الخيرَ فأقم واتق الله » .

وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه — ومنهم من يرفعه — قال: من سعادة

---

(١) النهمة : الحاجة وبلوغ الهمة والشهوة فى الشئ .

(٢) الدلجة : السير من أول الليل .

المرء أن تـكونَ زوجته موافقة ، وَأولاده أبراراً ، وإخوانه صالحين ، ورزقه فى بلدهِ الذى فيه أهله .

مكتوبٌ فى التوراة : ابن آدم ! أَحْدِث سَفرًا أُحْدِث لك رزقاً .

قالت العربُ : من أَجْدَب انتجع[1] .

قيل لأعرابىّ . أين منزُلك ؟ قال : بحيث ينزل الغيْث .

من أمثال العامة : البركات مع الحركات .

وقالوا : ربما أسفر السَّفَر عن الظَّفَر .

قال البحترى :

وإذَا الزَّمَانُ كَسَاكَ حُـلَّةَ مُعْدِمٍ فَالْبَسْ لَهَا حُلَلَ النَّوَى وتَغَرَّبِ[2]

وقال زهير :

ومَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عَدُوًّا صَدِيقَهُ وَمَنْ لاَ يُكَرِّمْ نَفْسَهُ لا يُكَرَّمِ[3]

وقال الأعشى :

وَمَنْ يَغْتَرِبْ عَنْ قَوْمِهِ لاَ يَزَلْ يَرَى مَصَارِعَ مَظْلُومٍ مَجَرًّا وَمَسْحَبَا

وتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وإِنْ يُسِئْ يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارَ فِى رَأْسِ كَبْكَبَا[4]

---

(١) الانتجاع : طلب الـكلأ فى موضعه .

(٢) ديوانه ١/٢٠ .

(٣) شرح ديوانه ٥٥ ، حماسة البحترى ٢٤٨ ، التمثيل والمحاضرة ٤٦ .

(٤) وردت الأبيات بهذه الرواية فى عيون الأخبار ٩١/٣ محاضرات الأدباء ٢٧٣/٢ ، نهاية الأرب ٦٦/٣ ، التمثيل والمحاضرة حماسة البحترى ١٥٤ ، ١٥٥ ووردت فى ديوانه ١١٣ برواية أخرى هى :

متى يغترب عن قومه لايجد له على من رهط حواليه مغضبا
ويحطم بظلم لايزال يرى له مصارع مظلوم مجراً ومسحباً
وتدفن ... الخ

ومجرا ومسحبا : مصدران ميميان من الجر والسحب ، وكبكب : جبل خلف عرفات مشرف عليها .

وقال آخر:

إِنَّ الغَرِيبَ بِأَرْضٍ لاَ عَشِيرَ بِهَا ... كَبَائِعِ الرِّيحِ لاَ يُعْطَى بِهِ ثَمَنَا

وقال سابق:

لاَ أُلْفِيَنَّكَ ثَاوِيًا فِي غُرْبَةٍ ... إِنَّ الغَرِيبَ بِكُلِّ سَهْمٍ يُرْشَقُ[1]

وقال آخر:

فَلَمْ أَرَ عِزَّ المَرْءِ إِلاَّ عَشِيرَةً ... وَلَمْ أَرَ ذُلاًّ مِثْلَ نَأْيٍ عَنِ الأَهْلِ[2]

وقال آخر:

إِنِّي الغَرِيبُ فَمَا أُلاَمُ عَلَى البُكَا ... إِنَّ البُكَا حَسَنٌ بِكُلِّ غَرِيبِ

وقال آخر:

يُجَازَى بِالَّذِي تَجِدُ القُلُوبُ ... وَيَأْنَسُ بِابْنِ بَلْدَتِهِ الغَرِيبُ

وَصَادَفَنِي غَرِيبٌ فَالْتَقَيْنَا ... وَكُلُّ مُسَاعِدٍ فَهُوَ القَرِيبُ

وقال آخر:

تَغَرَّبْتُ عَنْ أَهْلِي أُؤَمِّلُ ثَرْوَةً ... فَلَمْ أُعْطَ آمَالِي وَطَالَ التَّغَرُّبُ

فَمَا لِلْفَتَى المُحْتَالِ فِي الرِّزْقِ حِيلَةٌ ... وَلاَ لِجُدُودٍ جَدَّهَا اللهُ مَذْهَبُ

وقال كعب بن زهير:

فَقَرِّي فِي بِلاَدِكِ إِنَّ قَوْمًا ... مَتَى يَدَعُوا بِلاَدَهُمُ يَهُونُوا[3]

---

(١) البيت لصالح بن عبدالقدوس من قصيدته المشهورة التى مرت الإشارة إليها، انظر معجم الأدباء ١٢/٨٠

(٢) يروى الشطر الأول: فلم أر عزا لامرئ كعشيرة، انظر محاضرات الأدباء ٢/٢٧٣، البيان ١/٢٤٦، الكامل ١/١٨٤ وهو لمحمود الوراق، وقد سبق مع أبيات أخرى فى **ص ٢٠٣**

(٣) ديوانه ٢١٧.

وقال آخر :

لَيْسَ ارْتِحَالُكَ تَزْدَادُ الغِنَى سَفَرًا بَلِ المُقَامُ عَلَى خَسْفٍ هُوَ السَّفَرُ(١)

قالوا : ترك الوطن أحد اليسارين(٢) .

قال الشاعر :

وَمَا المَوْتُ إلاَّ رِحْلَةٌ غَيْرَ أَنَّهَا مِنَ المَنْزِلِ الفَانِي إِلَى المَنْزِلِ البَاقِي(٣)

وقال آخر :

لَقُرْبُ الدَّارِ فِي الإِقْتَارِ(٤) خَيْرٌ مِنَ العَيْشِ المُوَسَّعِ فِي اغْتِرَابِ(٥)

(٦)وقال آخر :

وَمَهْمَهٍ فِيهَا السَّرَابُ يَسْبَحُ يَدْأَبُ فِيهِ القَوْمُ حِينَ يُصْبِحُ

كَأَنَّمَا ثَوَوْا بِحَيْثُ أَصْبَحُوا اللَّيْلُ أَخْفَى والنَّهَارُ أَفْضَحُ(٦)

قالوا : إذا كنت فى غير بلدك ، فلا تنس نصيبك من الذل .

وأنشدوا :

إِنَّ الغَرِيبَ لَهُ اسْتِكَانَةُ مُذْنِبٍ وَخُضُوعُ مِدْيَانٍ وَذُلُّ مُرِيبِ

---

(١) التمثيل والمحاضرة ٤٠٠ ، وفيات الأعيان ٤٣٩/٥ . والخسف : الإذلال ، وأن يحمل الإنسان على مايكره .

(٢) ب : التسابق .

(٣) البيت لأبى العتاهية ، ديوانه ١٧٤ ، وورد فى التمثيل والمحاضرة ٤٠٦ بغير نسبة .

(٤) ا : الإنسان .

(٥) التمثيل والمحاضرة ٤٠١ بدون نسبة .

(٦) زيادة فى ب ، و لم أعثر إلا على الشطر الأخير فى البيان ١٦٤/٢ ، وقبله: إنك يا ابن جعفر لاتفلح ... الليل أخفى .. الخ

وقال آخر :

إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ عِدًا[١] لَسْتَ مِنْهُمُ　　فَكُلْ مَا عُلِفْتَ مِنْ خَبِيثٍ وَطَيِّبِ

وقال آخر :

إِنَّ الغَرِيبَ وإِنْ أَقَامَ بِبَلْدَةٍ　　يُهْدَى إِلَيْهِ خَرَاجُهَا لَغَرِيبُ

وقال آخر :

غَرِيبٌ يُقَاسِي الهَمَّ فِي أَرْضِ غُرْبَةٍ　　فَيَارَبِّ قَرِّبْ دَارَ كُلِّ غَرِيبِ

قالوا: الغريب كغرس ذابل ماتت أرضه ،ونفد شربه[٢].

قال النمر بن تولب :

إِذَا كُنْتَ فِي سَعْدٍ وَأُمُّكَ مِنْهُمُ　　غَرِيبًا فَلَا يَغْرُرْكَ خَالُكَ مِنْ سَعْدِ

فَإِنَّ ابنَ أُختِ القوم مُصْغًى[٣] إناؤُه　　إذا لم يُزَاحِمْ خَالَهُ بِأَبٍ جَلْدِ

قالت العرب : ليس بينك وبين بلاد نسب ، خير البلاد ما حملك .

[٤]وقال آخر :

لَيْسَ الفَتَى بِفَتًى لا يُسْتَضَاءُ بِهِ　　وَلاَ يَكُونُ لَهُ فِي الأَرْضِ آثَارُ[٤]

---

(١) العدا : المتباعدون أو الغرباء ، واستعمل الجمع مكان المفرد لضرورة الشعر ، وقد نسب البيت فى البيان ٢/٢٢٣ إلى خالد بن نضلة الأسدى ، ونسب فى الكامل ١/٢٨٤ إلى أعرابى من بنى سعد يدعى خذوص ، وورد فى محاضرات الأدباء ٢/٢٧٣ ، عيون الأخبار ١/٢٩٢ ، حماسة أبى تمام ١/١٤١ بغير نسبة .

(٢) زيادة فى ب .

(٣) مصغى إناوه : منقوص حقه ، وقد نسب البيتان فى محاضرات الأدباء ١/١٧٧ ، الحماسة لأبى تمام ١/٢٠٦ إلى غسان بن وعلة ، ووردت منسوبة للنمر فى عيون الأخبار ٣/٨٩ ، الشعر والشعراء ٢٦٩ .

(٤) ساقط من ا . وانظره فى الشعر والشعراء ٣٢ .

وقال آخر :

سَلِ اللهَ الإيَابَ مِنَ المَغِيبِ ... فَكَمْ قَدْ رَدَّ مِثْلَكَ مِنْ غَرِيبِ

وَسَلِّ الهَمَّ عَنْكَ بِحُسْنِ ظَنٍّ ... وَلاَ تَيْأَسْ مِنَ الفَرَجِ القَرِيبِ

قال بعض العقلاء : أعرف بيتاً قد بيّت أكثر من مائة ألف رجل فى المساجد، وفى غير أوطانهم ، وهو :

فَسِرْ فِي بِلاَدِ اللهِ وَالْتَمِسِ الغِنَى ... تَعِشْ ذَا يَسَارٍ أَوْ تَمُوتَ فَتُعْذَرَا[1]

قال خالد بن صفوان : فى السفر ثلاثة معان : الأول العزم ، الثانى القدرة ، والثالث الرحيل .

كان يقال : فقد الأحبة غربة .

قال الشاعر :

إِذَا مَامَضَى القَرْنُ الَّذِى أَنْتَ فِيهِمُ ... وَخُلِّفْتَ فِي قَرْنٍ فَأَنْتَ غَرِيبُ[2]

وقال لبيد بن ربيعة :

لَعَمْرُكَ مَا يُدْرِيكَ إِلاَّ تَظَنِّياً[3] ... إِذَا رَحَلَ السُّفَّارُ مَنْ هُوَ رَاجِعُ

لَعَمْرُكَ مَا تَدْرِى الطَّوَارِقُ بِالحَصَى ... وَلاَ زَاجِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللهُ صَانِعُ

وقال على بن الجهم :

يَارَحْمَتَا لِلْغَرِيبِ فِي البَلَدِ النَّا ... زِحِ مَاذَا بِنَفْسِهِ صَنَعَا

(١) البيت لعروة بن الورد ، ديوانه ١٩ ، وقد نسب فى الأغانى ١٩/٧٨ إلى أبى عطاء السندى ، ونسب فى لباب الآداب ٢٧ إلى النابغة ، وورد فى عيون الأخبار ١/٢٤٣ بغيرنسبة .

(٢) البيت لأبى محمد التيمى ، انظر البيان ٣/١٨٩ ، محاضرات الأدباء ٢/١٤٩ ، الأغانى ١٨/١١٩ ، زهر الآداب ٣/٢٢١ .

(٣) ب : تطيبا ، والبيتان فى ديوانه ١٠٢ ، الشعر والشعراء ٢٣٧ ، المستطرف ٢/١٠٤ .

فَارَقَ أَحْبَابَهُ فَمَا انْتَفَعُوا بِالعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَا انْتَفَعَا
يَقُولُ فِي نَأْيِهِ وَغُرْبَتِهِ عَدْلٌ مِنَ اللهِ كُلُّ مَا صَنَعَا[1]

أراد أعرابى السفر فقال لامرأته — وقيل إنه الحطيئة —:

عُدِّى السِّنِينَ لِغَيْبَتِي وَتَصَبَّرِى وَذَرِى الشُّهُورَ فَإِنَّهُنَّ قِصَارُ

فأجابته[2] :

اذْكُرْ صَبَابَتَنَا إِلَيْكَ وَشَوْقَنَا وَارْحَمْ بَنَاتِكَ إِنَّهُنَّ صِغَارُ[3]

فأقام وترك سفره.

قال امرؤ القيس :

وَقَدْ طَوَّفْتُ فِي الآفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الغَنِيمَةِ بِالإِيَابِ[4]

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلى :

طَرِبْتَ إِلَى الأُصَيْبِيَةِ الصِّغَارِ وَهَاجَكَ مِنْهُمُ قُرْبُ المَزَارِ
وَكُلُّ مُسَافِرٍ يَزْدَادُ شَوْقًا إِذَا دَنَتِ الدِّيَارُ مِنَ الدِّيَارِ[5]

وقال جرير :

وَلَمَّا الْتَقَى الحَيَّانِ أُلْقِيَتِ العَصَا وَمَاتَ الهَوَى لَمَّا أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهْ[6]

---

(١) الأبيات فى ديوانه ٧٧ ، الأغانى ٩/١١٢ ، وفيات الأعيان ٣/٤١ ، المختار من شعر بشار (البيتان الأول والثانى) ٢٥١ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٧٣ ، ونسبها هناك إلى القاسم بن عبيد الله .
(٢) ساقطة من ا .
(٣) البيتان فى المستطرف ١/٥٣ ، عيون الأخبار ١/١٤١ .
(٤) زيادة من ب ، ويروى ، وقد نقبت . ديوانه ١٢ ، الكامل ١/٢٢٥ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٧٥ .
(٥) معجم الأدباء ٦/٢٥ ، الأمالى ١/٥٥ ، وفيه : وأبرح ما يكون الشوق يوما . مكان الشطر الثالث ، عيون الأخبار ١/١٤١ .
(٦) ديوانه ٤٧٨ .

وقال آخر :

مُرِرْتُ بِجَعْفَرٍ والقُرْبِ مِنْهُ ... كَمَا سُرَّ الْمُسَافِرُ بالإيَابِ

وَكُنْتُ بِقُرْبِهِ إذْ حَلَّ أَرْضِى ... أميرًا بالسَّكِينَةِ والصَّوابِ

كَمَمْطُورٍ بِبَلْدَتِهِ فَأَضْحَى ... غَنِيًّا عَنْ مُطَالَبَةِ السَّحَابِ (١)

وقال آخر ، وحكى صاحب البيان أنه لمُضَرِّس الأسدى (٢) :

مُقِلٌّ رَأَى الإقْلاَلَ عَارًا فَلَمْ يَزَلْ ... يَجُوبُ بِلاَدَ اللهِ حَتَّى تَمَوَّلاَ

إذَا جَابَ أَرْضًا أَوْ ظَلاَمًا رَمَتْ بِهِ ... مَهَامِهُ أُخْرَى عِيْسُهُ مُتَقَلْقِلاَ

وَلَمْ يَثْنِهِ عَمَّا أَرَادَ مَهَابَةٌ ... وَلَكِنْ مَضَى قُدْمًا وَمَا كَانَ مُبْسَلاَ

فَلَمَّا أَفَادَ المَالَ جَادَ بِفَضْلِهِ ... لِمَنْ جَاءَهُ يَرْجُو نَدَاهُ مُؤَمِّلاَ (٣)

وقال آخر ، وهو الأحمر بن سالم المزنى :

فألقت عَصَاهَا واستقرّ بِهَا النَّوى ... كما قرَّ عينًا بالإيَابِ المُسَافِرُ (٤)

وقال آخر :

إذَا نَحْنُ أُبْنَا سَالِمِينَ بِأَنفُسٍ ... كِرَامٍ رَجَتْ أَمْرًا فَخَابَ رَجَاؤُهَا

فَأَنفُسُنَا خَيْرُ الغَنِيمَةِ إنَّهَا ... تَؤُوبُ وَفِيهَا مَاؤُهَا وَحَيَاؤُهَا (٥)

---

(١) نسبت الأبيات فى التمثيل والمحاضرة ٢٣٩ لأبى عيينة المهلبى ، وفى زهر الآداب ١٩٢/٣ لابن المولى. وانظرها فى عيون الأخبار ١٤١/١ بدون نسبة .

(٢) ساقط من ب .

(٣) البيان ٣٨/٣ ، ونسبت فى المحاضرات ٢٨٤/١ لابن الإطنابة .

(٤) التمثيل والمحاضرة ٢٩٦ غير منسوب لقائل، ونسب فى المؤتلف ٩٢ لمعقر بن حمار البارقى وفى المختار من شعر بشار ٢٢٠ نسب للأحمر بن سالم المرادى، وفى نهاية الأرب ٥٩/٥ تردد فى نسبته بين معقر بن حمار، والطرماح بن حكيم ،ونسب فى محاضرات الراغب ٢٧٥/٢ لأبى عيينة المهلبى .

(٥) نسب البيتان فى الكامل ٢٥٢/١ الشعر والشعراء ٨٤٩ إلى عبد الله بن محمد بن أبى عيينة ، وورد فى عيون الأخبار ١٤١/١ من غير نسبة .

وقال آخر :

رَجَعْنَا سَالِمِينَ كَمَا بَدَأْنَا   وَمَا خَابَتْ غَنِيمَةُ سَالِمِينَا

وَمَا تَدْرِينَ أَىُّ الأَمْرِ خَيْرٌ   أَمَا تَهْوِينَ أَمْ مَا تَكْرَهِينَا[(١)]

قال عوف بن محلّم[(٢)] : عادلت عبدالله بن طاهر إلى خراسان ، فدخلنا الرّىّ فى السحر فإذا قمرية تغرد على فنن شجرة ، فقال عبد الله : أحسن والله أبو كبير[(٣)] فى قوله :

أَلاَ يَا حَمَامَ الأَيْكِ إِلْفُكَ حَاضِرٌ   وَغُصْنُكَ مَيَّادٌ فَفِيمَ تَنُوحُ[(٣)]

ثم قال : يا عوف ! أجزها . فقلت : شيخ كبير ، وحُملت على البديهة ، وهى معارضة أبى كبير[(٣)] ، ثم انفتح لى شىء ، فقلت :

أَفِى كُلِّ عَامٍ غُرْبَةٌ وَنُزُوحُ   أَمَا لِلنَّوَى مِنْ وَنْيَةٍ فَتُرِيحُ

لَقَدْ طَلَّحَ البَيْنُ المُشِتُّ رَكَائِبِى   فَهَلْ أَرَيَنَّ البَيْنَ وَهْوَ طَلِيحُ

وَأَرَّقَنِى بِالرَّىِّ نَوْحُ حَمَامَةٍ   فَنُحْتُ وَذُو الشَّجْوِ القَرِيحِ يَنُوحُ

عَلَى أَنَّهَا نَاحَتْ وَلَمْ تَذْرِ عَبْرَةً   وَنُحْتُ وَأَسْرَابُ الدُّمُوعِ سُفُوحُ

وَنَاحَتْ وَفَرْخَاهَا بِحَيْثُ تَرَاهُمَا   وَمِنْ دُونِ أَفْرَاخِى مَهَامِهُ فِيحُ[(٤)]

---

(١) عيون الأخبار ١/١٤٢ ، البيان ٢/٢٨٨ .

(٢) الخزاعى بالولاء أبو المنهال ، أحد الأدباء العلماء الرواة ، من موالى بنى أمية أو شيبان ، انتقل الى العراق فاختصه طاهر بن الحسين لمنادمته ، فبقى معه ثلاثين سنة ، ولما مات قربه ابنه عبد الله وجعل له منزلته عند أبيه ، توفى سنة ٢٢٠ هـ . ترجمته فى فوات الوفيات ٢/١١٨ ، إرشاد الأريب ٦/٩٥ (الأعلام ٥/٢٧٨) .

(٣) ب : أبو كثير . وهو تصحيف ، وأبو كبير هو عامر بن الحليس الهذلى ، شاعر فحل ، قيل أدرك الاسلام وأسلم ، انظر الشعر والشعراء ٢٥٧ ، وإرشاد الأريب ٤/٢٢٦ (الأعلام ٤/١٧) ، وانظر البيت فى ديوان الهذليين ١/٩٨ .

(٤) الأبيات فى نهاية الأرب ٢/٣٦٤ ، معجم الأدباء ١٤/١٤٢ ، العقد الفريد ٥/٤١٤ ، الأمالى ١/١٢٣ .

وذكر تمام الخبر .

كان يقال : من لم يرزق ببلدة فليتحوّل إلى أخرى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : الأرضُ أرض الله ، والعبادُ عباد الله ، فحيث وجد أحدكم رزقه ، فليتق الله وليُقِم » .

قال عبدالله بن أبي الشّيص :

أَظُنُّ(١) الدَّهْرَ قَدْ آلَى فَبَرَّا ... بِأَلَّا يُكْسِبَ الأَمْوَالَ حُرَّا

لَقَدْ قَعَدَ الزَّمَانُ بِكُلِّ حُرٍّ ... وَنَقَّضَ مِنْ قُوَاهُ المُسْتَمِرَّا

كَأَنَّ صَفَائِحَ الأَحْرَارِ أَرْدَتْ ... أَبَاهُ فَحَارَبَ الاحْرَارَ طُرَّا

فَأَصْبَحَ كُلُّ ذِي شَرَفٍ رَكُوبًا ... لِأَثْبَاجِ الدُّجَى بَرًّا وَبَحْرَا

فَهَتَّكَ جَيْبَ دِرْعِ اللَّيْلِ عَنْهُ ... إِذَا مَا جَيْبُ دِرْعِ اللَّيْلِ زُرَّا

يُرَاقِبُ لِلْغِنَى وَجْهًا ضَحُوكًا ... وَوَجْهًا لِلْمَنِيَّةِ مُكْفَهِرَّا

فَيَكْسِبُ مِنْ أَقَاصِي الأَرْضِ كَسْبًا ... يُحِلُّ بِهِ المَحَلَّ المُشْمَخِرَّا

وَمَنْ جَعَلَ الظَّلَامَ لَهُ قَعُودًا ... أَضَاءَ لَهُ الدُّجَى خَيْرًا وشرًّا(٢)

وقال آخر :

لَا تَصْحَبَنَّ رَفِيقًا لَسْتَ تَأْمَنُهُ ... شَرُّ الرَّفِيقِ رَفِيقٌ غَيْرُ مَأْمُونِ

أنشد نفطويه :

خَاطِرْ بِنَفْسِكَ لَا تَقْعُدْ بِمَعْجَزَةٍ ... فَلَيْسَ حُرٌّ عَلَى عَجْزٍ بِمَعْذُورِ

---

(١) ب : أرى .

(٢) انظر محاضرات الأدباء ١/٢٥٥ ، عيون الأخبار ١/ ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

إنْ لَمْ تنلْ فِي مَقَامٍ مَا تُطَالِبُهُ ... فَأبْلِ عُذْرًا بِإِدْلاَجٍ وَتَهْجِيرِ
لَنْ يَبْلُغَ المَرْءُ بالإِحْجَامِ هِمَّتَهُ ... حَتَّى يُبَاشِرَهَا مِنْهُ بِتَغْيِيرِ (١)

قالت بنت الأعشى :

أَرَانَا إِذَا أَضْمَرَتْكَ البِلَا ... دُ نُجْفَى وَتُقْطَعُ مِنَّا الرَّحِمْ
إِذَا غِبْتَ عَنَّا وَخَلَّفْتَنَا ... فَإِنَّا سَوَاءٌ وَمَنْ قَدْ يَتِمْ (٢)

وقال آخر :

وَقَالَتْ وعَيْنَاهَا تَفِيضَانِ عَبْرَةً ... أَيَا أَمَلِي خَبِّرْ مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ
فَقُلْتُ لَهَا تَاللهِ يَدْرِي مُسَافِرٌ ... إِذَا أَضْمَرَتْهُ الأَرْضُ مَا اللهُ صَانِعُ (٣)

وقال آخر :

حَتَّى مَتَى أَنَا فِي حِلٍّ وَتَرْحَالِ ... وَطُولِ سَعْيٍ وَإِدْبَارٍ وَإِقْبَالِ
وَنَازِحُ الدَّارِ لاَ أَنْفَكُّ مُغْتَرِبًا ... عَنِ الأَحِبَّةِ لاَ يَدْرُونَ مَا حَالِي
بِمَشْرِقِ الأَرْضِ طَوْرًا ثُمَّ مَغْرِبِهَا ... لاَ يَخْطُرُ المَوْتُ مِنْ حِرْصِي عَلَى بَالِي
وَلَوْ قَنِعْتُ أَتَانِي الرِّزْقُ فِي دَعَةٍ ... إِنَّ القَنُوعَ الغِنَى لاَ كَثْرَةُ المَالِ (٤)

---

(١) الأبيات في الأمالي ٢/٣٠٤ ، وفيها : بتغرير مكان بتغيير .

(٢) ورد البيتان في معجم الأدباء ٧/١١٣ ، العقد الفريد ٢/٢٠١ ، هكذا :

تقول ابنتي يوم جد الرحيل ... أرانا سواء ومن قد يتم
أبانا إذا أضمرتك البلا ... د نجفى وتقطع منا الرحم

وانظر محاضرات الأدباء ١/٢٥٧ .

(٣) البيتان للكميت بن زيد الأسدي ، انظر المؤتلف والمختلف ١٧٠ .

(٤) الأبيات لكلثوم بن عمرو العتابي كما في العقد الفريد ٣/٢٠٨ ، ٢٠٩ ؛ وفيه الشطر الثاني من البيت الأول: وطول شغل بإدبار وإقبال .

أنشد الأصمعي لحاجب الفيل اليشكري :

لَمَّا رَأَتْ بِنْتِي بِأَنِّيَ مُزْمِعٌ ... بِتَرَحُّلٍ مِنْ أَرْضِهَا فَمُوَدِّعٌ

وَرَأَتْ رِكَابِي قُرِّبَتْ لِرِحَالِهَا ... قَالَتْ وَغَرْبُ العَيْنِ مِنْهَا يَدْمَعُ

أَبَتَا أَتَتْرُكُنَا وَتَذْهَبُ تَائِهاً ... فِي الأَرْضِ تَخْفِضُكَ البِلَادُ وَتَرْفَعُ

فَيَضِيعُ صِبْيَتُكَ الَّذِينَ تَرَكْتَهُمْ ... بِمَضِيعَةٍ فِي المِصْرِ لَمْ يَتَرَعْرَعُوا

فِيهِمْ صَغِيرٌ لَيْسَ يَنْفَعُ نَفْسَهُ ... وَصَغِيرَةٌ تَبْكِي وَطِفْلٌ يَرْضَعُ

إِنَّا سَنَرْضَى مَا أَقَمْتَ بِعَيْشِنَا ... مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ نَجُوعُ وَنَشْبَعُ

وَاللهُ يَرْزُقُنَا فَنَرْضَى رِزْقَهُ ... وَكَفَى(1) بِحُسْنِ مَعِيشَةٍ مَنْ يَقْنَعُ

إِنَّا إِذَا مَا غِبْتَ عَنَّا لَمْ نَجِدْ ... مِمَّا تَخَلَّفَ عِنْدَنَا مَا يَنْفَعُ

تَجْفُو مَوَالِينَا وَيُعْرِضُ جَارُنَا ... وَقَرِيبُنَا الأَدْنَى يَعِزُّ وَيَقْطَعُ

وَنَخَافُ أَنْ تَلْقَاكَ وَشْكَ مَنِيَّةٍ ... فَيُصِيبَنَا الأَمْرُ الجَلِيلُ المُفْظِعُ

فَنَصِيرَ بَعْدَكَ لَيْسَ يُرْفَعُ بَيْتُنَا ... وَيُذِلُّنَا أَعْدَاؤُنَا وَنُضَيَّعُ

هَذَا الرَّحِيلُ وَأَمْرُنَا مَا قَدْ تَرَى ... فَمَتَى تَؤُوبُ إِلَى الصِّغَارِ وَتَرْجِعُ

فَخُنِقْتُ مِنْ قَوْلِ الصِّغَارِ بِعَبْرَةٍ ... كَادَ الفُؤَادُ لِقَوْلِهِمْ يَتَصَدَّعُ

وَأَجَبْتُهَا صَبْراً بُنَيَّةُ(2) وَاعْلَمِي ... أَنْ لَيْسَ يَعْدُو يَوْمَهُ مَنْ يَجْزَعُ

وقال الغزال :

---

(١) ا : وبقى .

(٢) ب : صبراً ابنتى ، ا : بنتى صبراً ، ولا يستقيم مع كليهما الوزن ، وما أثبتناه أقرب إلى رواية ب .

وَكَمْ طَاعِنٍ قَدْ ظَنَّ أَنْ لَيْسَ آيِباً ... فَآبَ وَأَوْدَى حَاضِرُونَ كَثِيرُ

وَإِنَّ الَّذِى أَعْظَمْتِهِ مِنْ تَغَرُّبِى ... عَلَىَّ — وَإِنْ أَعْظَمْتِ ذَاكَ — يَسِيرُ

رَأَيْتُ الْمَنَايَا يُدْرِكُ الْعُصْمَ عَدْوُهَا ... فَيُنْزِلُهَا وَالطَّيْرُ مِنْــهُ تَطِيرُ

وَعَلِّى أَمْضِى[1] ثُمَّ أَرْجِعُ سَالِماً ... وَيَهْلِكُ بَعْدِى آمِنُونَ حُضُورُ

جَعَلْتُ أُرَجِّيهَا إِيَابِى وَمَنْ غَدَا ... عَلَى مِثْلِ حَالِى لَا يَكَادُ يَحُورُ

وَكَيْفَ أُبَالِى وَالزَّمَانُ قَدِ انْقَضَى ... وَعَظْمِى مَهِيضٌ وَالْمَكَانُ شَطِيرُ

وَإِنِّى وإِنْ أَظْهَرْتُ مِنِّى تَجَلُّدَا ... [2]لَذو كَبِدٍ حَرَّى عَلَيْكِ حَسِيرُ[2]

وقال آخر :

يُقِيمُ الرِّجَالُ الْأَغْنِيَاءُ بِأَرْضِهِمْ ... وَتَرْمِى النَّوَى بِالْمُقْتِرِينَ الْمَرَامِيَا

فَأَكْرِمْ أَخَاكَ الدَّهْرَ مَا دُمْتُمَا مَعًا ... كَفَى بِالْمَمَاتِ فُرْقَةً وَتَنَائِيَا[3]

وقال الراجز[4] :

إِنَّ فِرَاخًا كَفِرَاخِ الْأَوْكُرِ ... بِأَرْضِ بَغْدَادَ وَرَاءَ الْأَجْسُرِ

تَرَكْتُهُمْ كَبِيرُهُمْ كَالْأَصْغَرِ ... عَجْزًا عَنِ الْحِيلَةِ وَالتَّشَمُّرِ

ذِكْرِى لَدَيْهِمْ مِثْلُ طَعْمِ السُّكَّرِ ... وَوَجْدُهُمْ بِى مِثْلُ وَجْدِ الْأَعْوَرِ

بِعَيْنِهِ إِذْ ذَهَبَتْ لَمْ يُبْصِرِ[5]

---

(١) ا : علِّى سأمضى .

(٢) ساقط فى ب .

(٣) انظر البيتين فى معجم الأدباء ١٠/١٣٧ ، وفيه : .. الرجال الموسرون .. الخ .

(٤) ب : آخر .

(٥) ورد الشطران السادس والسابع فقط فى التمثيل والمحاضرة ٣٢٣ .

التشمر : الاكتساب ، شمرت لأهلى : أى اكتسبت لهم ، وتشمّر الشجرُ إذا أورق .

قال أبو الفتح البُستيّ :

لَئِنْ تَنَقَّلتُ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارِ وَصِرْتُ بَعْدَ ثُوَاءٍ رَهْنَ أَسْفَارِ
فَالحُرُّ حُرٌّ عَزِيزُ النَّفْسِ حَيْثُ ثَوَى والشَّمْسُ فِي كُلِّ بُرْجٍ ذَاتُ أَنْوَارِ(١)

وقال غيره :

كَفَى حَزَنًا أَنِّى مُقِيمٌ بِبَلْدَةٍ وأَنتِ بأُخْرَى مَا إِليكِ سَبِيلُ

خرج الشافعى الفقيه رضى اللهُ عنه فى بعض أسفاره ، فضمّه الليلُ إلى مسجدٍ ، فبات فيه ، وإذا فى المسجدِ قوم عوَامّ يتحدثون بضروب من الخَنَا وهُجْرِ المنطق ، فتمثل :

وَأَنْزَلَنِي طُولُ النَّوَى دارَ غُرْبَةٍ إِذَا شِئْتُ لَاقَيْتُ امرءًا لا أُشَاكِلُه(٢)

قال شَرِيك : كان يقال : إن أنجى النَّاسِ من البَلَايَا والفِتَن ، من انتقل من بلدٍ إلى بلد .

قيل لبعضهم : أىُّ سفرٍ أطول ؟ فقال : من كان فى طلبِ صاحبٍ يرضاه ، أو دِرْهم حلالٍ يكسبه .

قال حاتِمٌ الطَّائى :

إِذَا لَزِمَ النَّاسُ البُيُوتَ وَجَدْتَهُمْ عُمَاةً عَنِ الأَخْبَارِ خُرْقَ المَكَاسِبِ(٣)

(١) التمثيل والمحاضرة ٢٢٩ ، يتيمة الدهر ٢٢٤/٤ .

(٢) البيت المعيطى (عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبى معيط الأموى) ، انظر البيان والتبيين ٢٠٤/٢ ، ٣٤٦/٣ ، معجم الأدباء ٣١٠/١٧ ، المختار من شعر بشار ٢١٥ .

(٣) الديوان ٤ ، وفيه : إذا أوطن القوم البيوت .

قال محمد بن أبي حازم الباهلي :

كَمِ المُقَامُ وكَمْ تَعْتَاقُكَ العِلَلُ ... مَاضَاقَتِ الأَرْضُ فِي الدُّنْيَا وَلاَ السُّبُلُ

فارحلْ فإنّ بلادَ اللهِ ما خُلِقَتْ ... إلا لِيُسْلَكَ منها السَّهْلُ والجَبَلُ

إن ضاقَ لي بلدٌ يَمّمْتُ لي بلدًا ... وإن نبَا منزلٌ بي ، كانَ لي بَدَلُ

وإن تغيّر لِي عن وُدِّه رَجُـلٌ ... أَصْفَى المودَّة لِي مِنْ بَعْدِه رَجُلُ

لم يقطعِ اللهُ لي من صاحبٍ أملا ... إلاّ تجَدَّدَ لي مِنْ صَاحِبٍ أَمَلُ

اللهُ قد عوَّدَ الحُسْنَى فما بَرِحَتْ ... منهُ لَنـا نِعَمٌ تَتْرى وتَتَّصِلُ

يُمْسِي ويُصْبِحُ بي عُمْرٌ أُدافِعُهُ ... برزقِ رَبِّيَ حتّى يَنْفَدَ الأَجَلُ[1]

وقال بعض المتأخرين من المغاربة ، وتنسب إلى المتنبي ، ولا تصح له :

رَأَيْتُ المُقَامَ عَلَى[2] الإِقْتِصَادِ ... قُنُوعًا بِهِ ذِلَّةً لِلعِبَادِ[3]

[4] وَعَجْزٌ بِذِي أَدَبٍ أَنْ يَضِيقَ ... بِهِ عَيْشُهُ وُسع هٰذِي البِلاَدِ [4]

وَمَا غَرُبَ الرِّزْقُ عَنْ رَائِدٍ ... وَلاَ سِيَّمَا حَسَنُ الإِرْتِيَادِ

إِذَا مَا الأَدِيبُ ارْتَضَى بالخمُول ... فَلاَحَظَّ[5] فِي الأَدَبِ المُسْتَفَادِ

وَفِي الإِضْطِرَابِ وفِي الإِغْتِرَابِ ... مَنَالُ المُنَى وبُلُوغُ المُرَادِ

وَشَرُّ الضَّرَاغِمِ ضِرْغَامَةٌ ... طَوَى شِبْلُهُ وَهْوَ فِي الغِيلِ هَادِ

---

(١) المحاسن والمساوئ ٢/٣ .

(٢) ا : المعيشة في .

(٣) ب : لذة في العباد .

(٤) زيادة من ب .

(٥) ب : فما الحظ .

وإنْ صَارِمٌ قَرَّ فِي(١) غِمْـدِهِ ... حَوَى غَيْرُهُ الفَضْلَ(٢) يَوْمَ الجِلادِ

وَلَوْ يَسْتَوِى بالنُّهُوضِ القُعُودُ ... لَمَا ذَكَرَ اللهُ فَضْلَ الجِهَادِ

إذَا النَّارُ ضَاقَ بِهـا زَنْدُهَا ... فَفُسْحَتُهَا فِي فِرَاقِ الزِّنَادِ

فَدَعْ مَوْطِنًا واغْدُ مُسْتَرْزِقًا ... كَذَا الرِّزْقُ غَادٍ إلى كُلِّ غَادِ

وَلاَ تُفْنِ عُمْرَكَ خَوْفَ الفِرَاقِ ... لِبِيضٍ مِلاَحٍ وَسُمْرٍ خِـرَادِ

يُطِلْنَ البُكَا عِنْدَ شَحْطِ النَّوَى ... وَيَأْسَيْنَ كُلَّ الأَسَى فِي البِعَادِ(٣)

فَكَمْ تَرْحَةٍ مِنْ أَسَى فُرْقَةٍ(٤) ... تَعُودُ سُرُورًا بِحُسْنِ المَعَادِ

إلَى كَمْ تَحَمَّلُ ضِيقَ المَعَاشِ ... وتَصْبِرُ والصَّبْرُ صَعْبُ القِيَادِ

عَلَى حَالَةٍ فَوْتُهَا(٥) خَـيْرُهَا ... وضِيقُ المَعِيشَةِ سُقْمُ الفُؤَادِ

بِلاَ حَاسِدٍ لِي وَلاَ حَامِدٍ ... قَلِيلَةِ خَـيْرٍ كَمَاءِ الثِّمَـادِ

فَلاَ شَرَّ مِنِّي يَخَافُ العَـدُوُّ ... وَلاَ خَيْرَ يَرْجُوهُ أَهْلُ الوِدَادِ

تجُبِ الأَرْضِ شَرْقًا وَجُبْ غَرْبَهَا ... إلَى كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ وَوَادِ

عَسَاكَ تَنَالُ الغِنَى أَوْ تَمُوتُ ... وَعُذْرُكَ فِي ذَاكَ لِلنَّاسِ بَادِ

فإنْ يَكُنِ الفَقْرُ حَتْمًا عَلَيْكَ ... فَكَابِدْهُ فِي غَيْرِ نَادِيكَ نَادِ

فَلَلْمَوْتُ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تَرَاكَ ... بِعَيْنِ الخَسَاسَةِ عَيْنُ الأَعَادِى

---

(١) ا : فرمن .

(٢) ا : الحظ .

(٣) ب : العباد .

(٤) ب : ترحة .

(٥) ب : قوتها .

فَإِنْ لَمْ تَنَلْ مَطْلَبًا رُمْتَهُ   فَلَيْسَ عَلَيْكَ سِوَى الإِجْتِهَادِ (١)

وقال آخر :

مَا مِنْ غَرِيبٍ وإِنْ أَبْدَى تَجَلُّدَه   إِلَّا سَيَذْكُرُ بَعْدَ الغُرْبَةِ (٢) الوَطَنَا

وقال عَبيد بن الأبرص :

وَكُلُّ ذِى غَيْبَةٍ يَؤُوبُ   وغَائِبُ المَوْتِ لَا يَؤُوبُ (٣)

---

(١) هذا وقد نسبت الأبيات الثلاثة الأولى إلى البحترى فى معجم الأدباء ١/٧٧، ولكنها لاتوجد فى ديوانه أيضا .

(٢) ب: الفرقة .

(٣) الكامل ١/٢٦٧ ، عيون الأخبار ٣/١١٨ ، الشعر والشعراء ١٤٥ ، التمثيل والمحاضرة ٤٩ .

باب التحول عن مواطن الذل

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « لا ينبغى لمؤمن أن يذل نفسه » فالوا : يا رسول الله ! وكيف يذل نفسه ؟ قال : « يتعرض من البلاء[1] لِمَا لا يطيق » .

قال أَوْسُ بن حَجَر :

أُقِيمُ بِدَارِ الحزْمِ مَا دَامَ حَزْمُهَا وأَحْرِ إِذَا حَالَتْ بِأَنْ أَتَحَوَّلاَ[2]

وقال المتلمِّس :

إِنَّ الْهَوَانَ حِمَارُ البَيْتِ يَأْلَفُهُ والحُرُّ يُنكِرُهُ والفِيلُ والأَسَدُ

ولاَ يُقِيمُ بدَارِ الذُّلِّ يَأْلَفُهَا إِلاَّ الذَّلِيلاَنِ عَيْرُ الحَيِّ والوَتِدُ

هَذَا عَلَى الخسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ وذَا يُشَجُّ فَمَا يَأْوِى لَهُ أَحَدُ[3]

وقال مالك بن الرَّيب :

فإِنْ تُنْصِفُونَا آلَ مَرْوَانَ نَقْتَرِبْ إِلَيْكُمْ وإِلاَّ فَأْذَنُوا بِبِعَادِ

فَفِي الأَرْضِ عَنْ دَارِ المَذَلَّةِ مَذْهَبٌ وَكُلُّ بِلاَدٍ أُوطِنَتْ كَبِلاَدِى[4]

---

(١) ساقط من ا .

(٢) عيون الأخبار ١/٣٤ ، حماسة البحترى ١٧٩ .

(٣) يروى : حمار الأهل يعرفه ، والحريتكره والرسلة الأجد ، ويروى الجسرة الأجد ، ويروى البيت الثانى : ولا يقيم على خسف يراد به إلا الأذلان ... الخ، وفى البيت الثالث يروي معقول مكان مربوط ، وفلا يبكى مكان فما يأوى .

ومعنى الرسلة الأجد : الناقة الموثقة الخلق القوية الأعضاء والجسرة : الجمل الماضى أو الطويل، فما يأوى : ما يرق . والأبيات فى ديوانه ١٩٦ ، حماسة البحترى ١٩ ، نهاية الأرب ٦١/٣ ، محاضرات الأدباء ٢٧٢/٢ .

(٤) ينسب البيتان أيضا للفرزدق انظر شرح ديوانه ١٩٠ ، ووردا فى حماسة البحترى ١٨٠ لرجل من تميم ولم يعينه . وانظرهما فى الكامل ٣٠١/١ ، ٣٠٢ محاضرات الأدباء ٢٣٧/١ ، ويروى مكان الشطر الأول من البيت الثانى : وفى الأرض عن ذى الجور منأى ومذهب .

وقال المغيرةُ بنُ حَبْنَاء :

وَمِثْلِي إِذَا مَا الدَّارُ يَوْمًا نَبَتْ بِهِ ... تَحَوَّلَ عَنْهَا وَاسْتَمَرَّتْ مَرَائِرُهْ

وَلَا أُنْزِلُ الدَّارَ[1] المُقِيمَ بِهَا الأَذَى ... وَلَا أَرْأَمُ الشَّيْءَ الَّذِي أَنَا قَادِرُهْ

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْغَبْ بِدَارٍ نَزَلْتَهَا ... فَبِعْهَا بِدَارٍ أَو بِجَارٍ تُجَاوِرُهْ[2]

أنشد أبو عُبَيد عن الأَصْمَعى :

إِذَا كُنْتَ فِي دَارٍ يُهِينُكَ أَهْلُهَا ... وَلَمْ تَكُ مَكْبُولاً بِهَا فَتَحَوَّلِ[3]

وقال الزبير[4] بن عبد المطلب :

وَلَا أُقِيمُ بِدَارٍ لَا أَشُدُّ بِهَا ... صَوْتِي إِذَا مَا اعْتَرَتْنِي سَوْرَةُ الغَضَبِ[5]

وقال آخر :

لَا تَأْسَفَنَّ عَلَى خِلٍّ تُفَارِقُهُ ... إِنَّ الأَقَاصِيَ قَدْ تَدْنُو فَتَأْتَلِفُ

فِي النَّاسِ مُبْتَدَلٌ وَالأَرْضُ وَاسِعَةٌ ... فِيهَا مَجَالٌ لِذِي لُبٍّ وَمُنْصَرَفُ

وقال قيس بن الخطيم[6] :

وَمَا بَعْضُ الإِقَامَةِ فِي دِيَارٍ ... يَعِيشُ بِهَا الفَتَى إِلَّا بَلَاءُ[7]

---

(١) ب : الأرض .

(٢) المرائر: جمع مريرة وهى العزيمة ، أرأم الشىء : أحبه وآلفه .

(٣) ورد البيت فى معجم الشعراء ٤٩٥ منسوباً إلى هبنقة الأحمق واسمه يزيد بن ثروان ، وانظره فى محاضرات الأدباء ٢/٢٧٢ .

(٤) ب : الزهر .

(٥) البيت فى عيون الأخبار ١/٢٩٢ .

(٦) ا : آخر .

(٧) ب : يهان ، وقد ورد البيت له أيضاً فى حماسة البحترى ١٧٩ ، ولا يوجد فى ديوانه ، وورد فى محاضرات الراغب ٢/٢٧٢ غير منسوب لقائل .

(١)وقال المغيرة بن حَبْنَاء :

وَفِي الدَّهْرِ وَالْأَيَّامِ لِلْمَرْءِ عِبْرَةٌ وَفِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْأَذَى مُتَرَحْرَحُ(١)

وقال معْنُ بن أوس :

وَفِي النَّاسِ إِنْ رَثَّتْ حِبَالُكَ وَاصِلٌ وَفِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ القِلَى مُتَحَوَّلُ(٢)

(٣)وقال عبد الصمد بن المعذل ، ويروى لغيره :

إِذَا وَطَنٌ رَابَنِي فَكُلُّ بِلَادٍ وَطَنْ(٣)

وقال أبو العتاهية :

مَنْ عَاشَ قَضَّى كَثِيرًا مِنْ لُبَانَتِهِ وَلِلْمَضَايِقِ أَبْوَابٌ مِنَ الْفَرَجِ

مَنْ ضَاقَ عَنْكَ فَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ فِي كُلِّ وَجْهٍ مَضِيقٍ وَجْهُ مُنْفَرَجِ(٤)

وقال الحسين بن الضحاك ، أو أبو العتاهية :

هِمَمٌ تَقَاذَفَتِ الْخُطُوبُ بِهَا فَهَرَعْنَ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدِ(٥)

وقال آخر :

* وَفِي الْأَرْضِ عَمَّنْ لَا يُوَاتِيكَ مَرْحَلُ *

وقال حبيب بن أوس الطائى :

وَطولُ مُقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخْلِقٌ لِدِيبَاجَتَيْهِ فَاغْتَرِبْ تَتَجَدَّدِ

---

(١) ساقط من ب ، والمترحرح: الواسع الفسيح

(٢) زهر الآداب ٣/٢٣٢ ، المستطرف ٢/٤٨ ، حماسة أبي تمام ٢/٣ .

(٣) ساقط من ا وانظره فى نهاية الأرب ٣/٨٧ ، التمثيل والمحاضرة ٨٨ ، منسوبا إليه .

(٤) البيتان في ديوانه ٦١ .

(٥) ب،م : فترعن، ولم أجده فى ديوان أبى العتاهية.

فَإِنِّى رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً ... إِلَى النَّاسِ إِذْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدِ[١]

وقال ابن المعتز :

رَأَيتُ حَيَاةَ المَرْءِ تُرْخِصُ قَدْرَهُ ... فَإِنْ مَاتَ أَغْلَتْهُ الْمَنَايَا الطَّوَائِحُ

كما يُخْلِقُ الثوبَ الجديد ابتذالُه ... كذا تخلق المرء العيونُ اللَّوَامِحُ[٢]

وقال أبو الفتح البستى :

وَطُولُ مُقامِ الماءِ فِي مُسْتَقَرِّهِ ... يُغَيِّرُهُ لَوناً وَرِيحاً وَمَطْعَماً[٣]

وقال أبو الفتح الشذونى[٤] :

إِذَا ما الْحُرُّ هَانَ بِأَرْضِ قَوْمٍ ... فَلَيْسَ عَلَيْهِ فِي هَرَبٍ جُنَاحُ

وَقَدْ هُنَّا بِأَرْضِكُمُ وَصِرْنَا ... لَقًى[٥] فِي الأَرْضِ تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ

وقال محمود الوراق :

وَإِذَا نَبَا بِي مَنْزِلٌ لَا يُرْتَضَى ... جَاوَزْتُهُ وَاخْتَرْتُ مِنْهُ مَنْزِلَا

وقال آخر :

وَإِذَا الدِّيَارُ تَنَكَّرَتْ عَنْ حَالِهَا ... فَدَعِ الدِّيَارَ وَأَسْرِعِ التَّحْوِيلا

لَيْسَ الْمُقَامُ عَلَيْكَ حَقًّا وَاجِبًا ... فِي مَنْزِلٍ يَدَعُ الْعَزِيزَ ذَلِيلَا[٦]

---

(١) ديوانه ١٥ ،

(٢) البيت الثانى فقط فى الديوان ٢٩ ، وفيه : فما يخلق الثوب ، وانظرهما معاً فى التمثيل والمحاضرة ١٠٣ .

(٣) يتيمة الدهر ٤/٢٢٤ ، نهاية الأرب ٣/١١١ .

(٤) ب : التعفون الشذونى ، ا : اليعلوبى ، ولم أعثر له على ترجمة .

(٥) اللقى : ما طرح على الأرض لعدم قيمته .

وقال بشار بن برد :

وَكُنْتُ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيَّ مَحَلَّةٌ ... تَيَمَّمْتُ أُخْرَى مَا عَلَيَّ تَضِيقُ

وَمَا خَابَ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ عَامِلٌ ... لَهُ فِي التُّقَى أَوْ فِي الْمَحَامِدِ سُوقُ

(١)وَلَا ضَاقَ فَضْلُ اللهِ عَنْ مُتَعَفِّفٍ ... وَلَكِنَّ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضِيقُ(١)

وقال آخر :

إِذَا كُنْتَ فِي دَارٍ وَحَاوَلْتَ رِحْلَةً ... فَدَعْهَا وَفِيهَا إِنْ رَجَعْتَ مَعَادُ(٢)

وقال آخر :

خَلِّطْ فَهَذَا زَمَانٌ فِيهِ تَخْلِيطُ ... وَالنَّاسُ صِنْفَانِ مَحْرُومٌ(٣) وَمَغْبُوطُ

وَلَا تُقِمْ بِبِلَادٍ لَا انْتِفَاعَ بِهَا ... فَالْأَرْضُ وَاسِعَةٌ وَالرِّزْقُ مَبْسُوطُ

وَلَا تَكُنْ غِرَّةً تَرْضَى بِغَيْرِ رِضًى ... فَإِنَّ رِزْقَكَ عِنْدَ اللهِ مَخْطُوطُ

وقال جواس(٤) الكلبي :

وَإِذَا العِلْجُ أَغْلَقَ الْبَابَ دُونِي ... لَمْ يُحَرِّمْ عَلَيَّ مَتْنَ الطَّرِيقِ

وَكَفَانِي جَفَاءَ مَنْ يَزْدَرِينِي ... قَطْعِيَ الْخَرْقَ بِالْمَرُوحِ الْحَرُوقِ

وقال آخر :

اصْبِرْ عَلَى حَدَثِ الزَّمَانِ فَإِنَّمَا ... فَرَجُ الشَّدَائِدِ مِثْلُ حَلِّ عِقَالِ

---

(١) سبق البيتان الأولان ، والثالث ساقط من ب .

(٢) البيان والتبيين ٢/٢٨٩ .

(٣) ب : مرحوم .

(٤) ا : خداش ، ب ، م ى حواش ، والصحيح أنه جواس الكلبي انظر المؤتلف ٧٤ ، وانظر البيت الأول غلط فى البيان والتبيين ٠/٢٥٨ والخرق : الفلاة والأرض الواسعة ، والمروخ الحروق : الناقة السريعة .

وَإِذَا خَشِيتَ تَعَذُّرًا فِي بَلْدَةٍ فَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِعَاجِلِ التَّرْحَالِ
إِنَّ الْمُقَامَ عَلَى الْهَوَانِ مَذَلَّةٌ وَالْعَجْزُ أَضْعَفُ(١) حِيلَةِ الْمُحْتَالِ

وقال يحيى بن حكم الغزال :

وإِنَّ مُقَامِي شِطْرَ يَوْمٍ بِمَنْزِلٍ أَخَافُ عَلَى نَفْسِي بِهِ لَكَثِيرُ
(٢)وقد يهرُب الإنسان من خيفة الردى فيدركه ما خاف حيث يسيرُ(٢)

وقال المتنبي :

إِذَا لَمْ أَجِدْ فِي بَلْدَةٍ مَا أُرِيدُهُ فَعِنْدِي لِأُخْرَى عَزْمَةٌ وَرِكَابُ(٣)

وقال أبو عثمان العروضي في مهموزته :

إِنَّ الْفَتَى كُلَّ الْفَتَى مَنْ رَأَى هَوَانَهُ أَقْبَحَ مَا قَدْ رَأَى
اهْرُبْ عَنِ الذُّلِّ وَعَجِّلْ فَمَا أَقْرَبَهُ مِنْ كُلِّ مَنْ أَبْطَأَ
لَوْ جَرَحَتْ رَأْسِي يَدَا مُنْصِفٍ لَمَا تَمَنَّيْتُ بِأَنْ أَبْرَأَ

وَلِي حين رحلت من إشبيلية(٤) :

وَقَائِلَةٍ مَالِي أَرَاكَ مُرَحِّلاً فَقُلْتُ لَهَا : صَهْ وَاسْمَعِي الْقَوْلَ مُجْمَلاً
تَنَكَّرَ مَنْ كُنَّا نُسَرُّ بِقُرْبِهِ وَعَادَ زُعَافًا بَعْدَمَا كَانَ سَلْسَلاَ

---

(١) في ا : آفة ، وانظر الأبيات في لباب الآداب ٢٩٤ .
(٢) ساقط في ا ، ب .
(٣) البيت لأبي فراس الحمداني لا المتنبي ، انظره في ديوانه ٢٢ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٧٢ ، يتيمة الدهر ٥٤/١ ، وفيها : إذا لم أجد من خلة ما أريده .
(٤) في ا ، ب : وللفقيه أبي عمر بن عبد البر في حين رحلته من إشبيلية .

وَحُقَّ لِجَارٍ لَمْ يُوَافِقْهُ(١) جَارُهُ ... وَلاَ لاءَمَتْهُ الدَّارُ أَنْ يَتَرَحَّلا

بُلِيتُ بِحَفْضٍ(٢) وَالْمُقَامُ بِبَلْدَةٍ ... طَوِيلاً لَعَمْرِى مُخْلِقٌ يُورِثُ البِلاَ

إذا هانَ حُرٌّ عِنْدَ قَوْمٍ أَتَاهُمُ ... وَلَمْ يَنْأَ عَنْهُمْ كَانَ أَعْمَى وَأَجْهَلاَ

وَلَمْ تُضْرَبُ الْأَمْثَالُ إلاَّ لِعَالِمٍ ... وَلاَ عُوتِبَ الإِنْسَانُ إلاَّ لِيَعْقِلاَ

وقال ابن أبى حازم ، أو ابن بسام :

وَإِنْ نَبَا مَنْزِلٌ بِحُرٍّ ... فَمِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانِ

لاَ يَلْبَثُ الحُرُّ فِى مَكانٍ ... يُنْسَبُ فِيــهِ إِلَى هَوَانِ

الحُرُّ حُرٌّ وَإِنْ تَعَدَّتْ ... عَلَيْهِ يَوْمًا يَدُ الزَّمانِ

(٣وَالنَّذْلُ نَذْلٌ وَإِنْ تَكَنَّى ... وَصَارَ ذَا مَنْطِقٍ وَشَانِ(٣)

فَاسْتَرْزِقِ اللهَ وَاسْــتَعِنْهُ ... فإِنَّهُ خَيْرُ مُسْتَعَانِ(٤)

وقال أبو الفتح :

مَتَى رَفَضَتْنِى دَارُ قَوْمٍ تَرَكْتُهَا ... وَإِنْ لَمْ يَكُنْ(٥) مِنْهَا وَمِنْ أَهْلِهَا بُدُّ

وقال حبيب :

لاَ يَمْنَعَنَّكَ خَفْضَ الْعَيْشِ فِى دَعَةٍ(٦) ... نُزُوعُ نَفْسٍ إِلَى أَهْلٍ وَأَوْطَانِ

---

(١) ب : أن يوافق .

(٢) ب : بحمص .

(٣) زيادة فى ب .

(٤) وردت الأبيات ماعدا الرابع لابن أبى حازم فى عيون الأخبار ٣/١٨٤ على خلاف فى الترتيب، ونسبت إلى الحسين بن عبد الله بن أبى حصينة المعرى فى معجم الأدباء ١٠/١١٣ .

(٥) ب : وسرت ولى .

(٦) ب : نطلبه ، وكذلك فى عيون الأخبار ١/٢٣٤ وفيها أيضاً : نزاع بدل نزوع .

تَلْقَى بِكلِّ بِلَادٍ إِنْ نَزَلْتَ بِهَا ... أَهْلاً بِأَهْلٍ وَإِخْوَانًا بِإِخْوَانِ (١)

وقال ابن أبي حُبَيْش :

يَا نَازِلاً بِبَطَلْيَوْسٍ إِذَا ظَفِرَتْ ... يَوْمًا يَدَاكَ بِيَوْمِ البَيْنِ فَاسْتَبِقِ

وَلَا تُقِمْ بِبِلَادٍ لَا يُعَادُ بِهَا الْـ ... مَرْضَى وَعَجِّلْ عَلَى مَا فِيكَ مِنْ رَمَقِ

إِنَّ الْمُقَامَ بِأَرْضٍ لَا يُزَارُ بِهَا ... وَلَا يُعَادُ أَخُو الشَّكْوَى مِنَ الْحُمْقِ

---

(١) ب : وجيرانا بجيران ، وورد الشطر الثانى من البيت الأول فى العقد الفريد ٣/٢٣ : نزاع شوق إلى أهل وأوطان . والبيتان ليسا فى ديوان أبى تمام ، وقد وردا بغير نسبة فى حماسته ١/١٠٤ ، ١٠٥ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٧٦ ونسبا فى معجم الأدباء ١/١٩٢ إلى الصولى .

باب التَّوْدِيع والفِرَاق

ودع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب فى مسيره إلى العمرة ، فقال : « يا أَخي لا تَنْسَنَا مِنْ دُعَائِك » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا خرج أحدكم إلى سفر فليودع إخوانه ، فإنَّ الله جاعل[1] له فى دعائهم بركة » .

وكان عبد الله بن عمر إذا ودع رجلا يقول : استودع الله دينك ، وأمانتك ، وخواتم عملك .

قال الشعبى : السُّنة إذا قدم رجل من سفر ، أن يأتيه إخوانه فيسلّموا عليه ، وإذا خرج إلى سفر أن يأتيهم فيودعهم وَيغتنم دعاءهم .

ودع شعبة بن الحجّاج رجلا خارجاً إلى الحج ، فقال له : أما إنَّكَ إن لم تَعُدَّ الحِلْمَ ذُلاًّ ، ولا السّفه شرفاً ؛ سَلِم حجُّك .

ودع عبد الله بن المبارك رجلا ، فقال :

وَنَحْنُ نُنَادِى أَنَّ فُرْقَةَ بَيْنِنَا فِرَاقُ حَيَاةٍ لاَ فِرَاقُ مَمَاتِ[2]

وقال إبراهيم الموصلى[3] :

تَقَضَّتْ لُبَانَاتٌ وَجَدَّ رَحِيلُ و يُشْفَ مِن أَهلِ الصَّفاء غَلِيلُ .

---

(١) ب : عاجل .

(٢) زيادة من ا .

(٣) فى الأغانى ١٤/٣ ، طبعة الساسى ، أنها لابنه إسحق ، يمدح بها إسحق بن إبراهيم المصعبى بعد إيقاعه بالخرمية ، وفيها يقول :

تفرد إسحاق بنصح أميره فليس له عند الأنام عديل
يفرج عنه الشك صدق عزيمة ولب به يعلو الرجال أصيل

وتسبت لإسحاق أيضا فى المختار من شعر بشار ٢٤٩ .

وَمُدَّتْ أكُفٌّ لِلْوَدَاعِ تَصَافَحَتْ ... وَكَادَتْ عُيُونٌ لِلفِرَاقِ تَسِيلُ

[1]وَلاَ بُدَّ لِلإِلْفَيْنِ مِنْ ذَمِّ لَوْعَةٍ[2] ... إِذَا مَا خَلِيلٌ بَانَ عَنْهُ خَلِيلُ

فَكَمْ مِنْ دَمٍ قَدْ طُلَّ يَوْمَ تَحَمَّلَتْ ... أَوَانِسُ لاَ يُودَى لَهُنَّ قَتِيلُ

غَدَاةَ جَعَلْتَ الصَّبْرَ شَيْئًا نَسِيتَهُ ... وأَعْوَلْتَ لَوْ أَجْدَى عَلَيْكَ[3] عَوِيلُ

وقال محمد بن مِقْسَم، أنشده له ابنه أبو الحسن أحمد بن محمد بن مقسم:

فِرَاقُ الأَحِبَّةِ دَاءٌ دَخِيلُ ... ويَوْمُ الرَّحِيلِ لِنَفْسٍ رَحِيلُ

سَمِعْتُ بِبَيْنِكَ فَاعْتَادَنِي ... غَلِيلٌ بِقَلْبِي وَحُزْنٌ طَوِيلُ

أَهَذَا وَلَمْ يَكُ يَوْمُ الفِرَاقِ ... فَإِنْ كَانَ لاَ كَانَ زَادَ الغَلِيلُ

وأَيْقَنْتُ أَنِّي بِهِ تَالِفٌ ... ومَا قَدْ وَصَفْتُ عَلَيْهِ دَلِيلُ

حَيَاةُ الخَلِيلِ حُضُورُ الخَلِيلِ ... وَيَفْنَى إِذَا غَابَ عَنْهُ الخَلِيلُ

وقال آخر:

بَكَتْ عَيْنِي غَدَاةَ البَيْنِ حُزْنًا ... والأُخْرَى بِالبُكَا بَخِلَتْ عَلَيْنَا

فَجَازَيْتُ التِي جَادَتْ بِدَمْعٍ ... بِأَنْ أَقْرَرْتُهَا بِالوَصْلِ عَيْنًا

وجَازَيتُ التِي بَخِلَتْ بِدَمْعٍ ... بِأَنْ غَمَّضْتُهَا يَوْمَ التَقَيْنَا

وقال الزبير بن بكار: شيعني إِسحقُ بن إبراهيم وقال:

---

(١) يبدأ من هنا سقط قدره ورقتان من نسخة ب.

(٢) في الأغاني: ولا بد للألاف من فيض عبرة.

(٣) في الأغاني: على.

فِرَاقُكَ مِثْلُ فِرَاقِ الحَيَاةِ ... وَفَقْدُكَ مِثْلُ افْتِقَادِ الدِّيَمْ

عَلَيْكَ السَّلَامُ فَكَمْ مِنْ وَفَاءٍ ... أُفَارِقُ مِنكَ وَكَمْ مِنْ كَرَمْ[1]

وقال آخر:

وَدَّعَ أَحْبَابَهُ فَمَا وَقَفُوا ... وَلَا عَلَى ذِى صَبَابَةٍ عَطَفُوا

كَمْ كَبِدٍ قَطَّعُوا بِبَيْنِهِمُ ... وَكَمْ دُمُوعٍ عَلَيْهِمُ تَلِفُ[2]

كَأَنَّهُمْ لَم يُجَاوِرُوكَ وَلَمْ[3] ... تَعْرِفْهُمُ والوِصَالُ مُؤْتَلِفُ[4]

وقال آخر:

لَمْ أَنْسَ يَومَ الرَّحِيلِ مَوْقِفَهَا ... وَطَرْفُهَا فِى دُمُوعِهَا غَرِقُ

وَقَولَهَا والرِّكَابُ وَاقِفَةٌ ... تَرَكْتَنِي هَكَذَا وَتَنْطَلِقُ

وقال آخر:

لَيسَ شَىْءٌ مِنَ الفِرَاقِ وَإِنْ كَا ... نَ أَخُو الوَجْدِ وَالِهًا كَلِفَا

أَحْرَقَ مِنْ وَقْفَةِ المُشَيِّعِ لِلْقَلْـ ... ـبِ يُرِيدُ الرُّجُوعَ مُنْصَرِفَا

وقال آخر:

أَقُولُ لَهُ حِينَ وَدَّعْتُهُ ... وَكُلٌّ بِعَبْرَتِهِ مُبْلِسُ

لَئِنْ رَجَعَتْ عَنْكَ أَجْسَامُنَا ... لَقَدْ سَافَرَتْ مَعَكَ الأَنْفُسُ[5]

---

(١) ورد البيتان منسوبين إلى دعبل الخزاعي فى زهر الآداب ١٠٦/٤ ، وانظرهما فى العقد الفريد ٤١٣/٥ ، عيون الأخبار ٣٢/٣ ، محاضرات الأدباء ٢٧/٢ وفيها جميعا : وداعك مثل وداع الربيع .

(٢) تلف : تعزر .

(٣) ساقط من ب .

(٤) نهاية الأرب ٢٤٦/٢ .

(٥) ورد البيتان فى العقد الفريد ٤٠٩/٥ منسوبين إلى أبى الطيامير ، وانظرهما فى نهاية الأرب ٢٤٦/٢ ، والمبلس : الساكت على ما فى نفسه من هم .

وقال آخر :

مَنْ يَكُنْ يَكْرَهُ الفِرَاقَ فَإِنِّى أَشْتَهِيهِ لِمَوْضِعِ التَّسْلِيمِ
إِنَّ فِيهِ اعْتِنَاقَةً لِوَدَاعٍ وَانْتِظَارَ اعْتِنَاقَةٍ لِقُدُومِ[١]

وقال آخر :

صَاحَ الغُرَابُ بِوَشْكِ البَيْنِ فَارْتَحَلُوا وَقَرَّبُوا العِيسَ قَبْلَ الصُّبْحِ وَاحْتَمَلُوا
وَغَادَرُوا القَلْبَ مَا تَهْدَا لَوَاعِجُهُ كَأَنَّهُ بِضِرَامِ النَّارِ مُشْتَعِلُ
وَفِى الجَوَانِحِ نَارُ الحُبِّ تَقْذِفُهَا أَيْدِى النَّوَى بِزِنَادِ الشَّوْقِ إِذْ رَحَلُوا
لَمَّا أَنَاخُوا قُبَيْلَ الصُّبْحِ عِيرَهُمُ وَرَحَّلُوهَا وَسَارَتْ بِالدُّمَى الإِبِلُ
وَقَلَّبَتْ مِنْ خِلَالِ السُّجْفِ نَاظِرَهَا تَرْنُو إِلَىَّ وَدَمْعُ العَيْنِ مُنْهَمِلُ
وَوَدَّعَتْ بِبَنَانٍ عَقْدُهُ عَنَمٌ نَادَيْتُ : لَا حَمَلَتْ رِجْلَاكَ يَا جَمَلُ
وَيْحِى مِنَ البَيْنِ مَاذَا حَلَّ بِى وَبِهِمْ مِنْ نَازِلِ البَيْنِ حَلَّ البَيْنُ وارْتَحَلُوا
يَا رَاحِلَ العِيسِ عَرِّجْ كَىْ نُوَدِّعَهُمْ يَارَاحِلَ العِيسِ فِى تَرْحَالِكَ الأَجَلُ
إِنِّى عَلَى العَهْدِ لَمْ أَنْقُضْ مَوَدَّتَهُمْ يَالَيْتَ شِعْرِى لِطُولِ البَيْنِ مَا فَعَلُوا[٢]

أنشدنى أبو القاسم خلف بن قاسم رحمه الله ، قال أنشدنى أبو بكر بن محمد ابن عبد الله بن أحمد الصَّيدلانى ، قال : أنشدنا أبو الحسن على بن سليمان بن الفضل الأخفش :

---

(١) محاضرات الادباء ٢/٢٧ نهاية الأرب ٢/٢٤٣ ، وهما فيه لأبى حفص الشطرنجى .
(٢) المستطرف ٢/٤٩ ، نهاية الأرب ٢/١٩١ ، العقد الفريد ٦/١٦٨ .

سُقْياً ورَعْياً وإِعـانًا وَمَغْفِرَةً ... لِلبَاكِيَاتِ علَيْنا حِينَ نَرْتَحِلُ
يُبْكَى علَيْنَا ولاَ نَبْكِى عَلَى أَحَدٍ ... أَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْباداً أَمِ الإِبِلُ[1]

وقال آخر :

أَحُجَّاجَ بَيْتِ اللهِ فى أىّ هَوْدَجٍ ... وَفِى أىِّ خِدْرٍ مِنْ خُدُورِكُمْ قَلْبِي[2]
أَأَبْقَى نَحِيلَ الجِسْمِ فِى أَرْضِ غُرْبَةٍ ... وحَادِيكُمْ يَحْدُو بِقَلْبِى مَعَ الرَّكْبِ[3]

[5] وقال عمر بن أبى ربيعة :

هَاجَ القَرِيضَ الذِّكَرُ ... لَمَّا غَدَوْا فَانْشَمَرُوا
عَلَى بِغَـالٍ شُحَّجٍ[4] ... قَدْ ضَمَّهُنَّ السَّفَرُ
فِيهِنَّ هِنْـدٌ لَيْتَنِى ... مَا عُمِّـرَتْ أُعَمَّـرُ
حَتَّى إِذَا مَا جَاءهَا ... حَتْفٌ أَتَانِى القَدَرُ [5]

وقال آخر :

أَيَا عَجَباً[6] مِمَّنْ يُوَدِّعُ إِلْفَهُ ... يَمُدُّ يَدًا نَحْوَ الفِرَاقِ فَيُسْرِعُ[7]
هَمَمْتُ بِتَوْدِيعِ الحَبِيبِ فَلَمْ أُطِقْ[8] ... فَوَدَّعْتُهُ بالقَلْبِ والعَيْنُ تَدْمَعُ

(١) زهر الآداب ٣/١٩٠ ، وفيه الشطر الأخير : لنحن أغلظ أكباداً من الإبل ، وفيه إقواء .
(٢) إلى هنا ينتهى الساقط من ب .
(٣) ورد البيتان فى المطرب من أشعار أهل المغرب ٢١٤ منسوبين إلى شاب خرج يودع الحاج ، ولم يعينه .
(٤) الشحيج : صوت البغال .
(٥) زيادة من ب وانظر الأبيات فى ديوانه ١٠٢ ، الأغانى ١/١٨٧ .
(٦) ا : أيا عجبى .
(٧) ب : فيشرع .
(٨) ب : فلم نطق .

وينظر إليه قول الآخر :

وَدَّعَهَا طَرْفِي فقالَتْ لَهُ ... بالدَّمْعِ أَسْتَوْدِعُكَ اللهَ

وقال حبيب :

مَا اليَوْمُ أَوَّلَ تَوْدِيعِي ولاَ الثَّانِي ... البَيْنُ أَكْثَرَ مِنْ شَوْقِي وأَحْزَانِي

حَسْبُ الفِرَاقَ بِأَنَّ الدَّهْرَ سَاعَدَهُ ... فَصَارَ أَمْلَكَ مِنْ رُوحِي بِجُثْمَانِي

ومَا أَظُنُّ النَّوَى يَرْضَى بِمَا صَنَعَتْ ... حَتَّى تُشَافِهَ بِي أَقْصَى خُرَاسَانِ(١)

وقال آخر :

أَهْدَى إِلَيْهِ سَفَرْجَلاً فَتَطَيَّرَا ... مِنْهُ وَظَلَّ مُفَكِّرًا مُسْتَعْبِرَا

خَوْفَ الفِرَاقِ لأَنَّ شَطْرَ هِجَائِهِ(٢) ... سَفَرٌ وحَقَّ لَهُ بِأَنْ يَتَطَيَّرَا

وقال آخر :

أُقِيمُ وتظْعَنِينَ وأَنْتِ رُوحِي ... وهَلْ جَسَدٌ يَعِيشُ بِغَيْرِ رُوحِ

لِئَنْ كَانَ الفِرَاقُ غَدًا فَإِنِّي ... سَأُحْمَلُ لاَ أَشُكُّ إِلَى ضَرِيحِي

تَعَالَيْ بَعْدَ فُرْقَتِنَا لِنَبْكِي ... فَإِنِّي نَائِحٌ أَبَدًا فَنُوحِي

وقال أبو الشيص ، وهو محمد بن عبد الله بن رزين :

مَا فَرَّقَ الأَحْبَابَ بَعْـ ... ـدَ اللهِ إِلاَّ الإِبِلُ

والنَّاسُ يَلْحَوْنَ(٣) غُرَا ... بَ البَيْنِ لَمَّا جَهِلُوا

(١) انظر الأبيات في شرح الديوان ٢/٣٠٨ ، ٣١٠ وفيه : أول توديع .

(٢) ا : شطرهمابه ، وهو تصحيف ، وانظر البيتين في العقد ٢/٣٠٢ .

(٣) ب . قد لاموا .

وَمَا عَلَى ظَهْرِ غُرَا ... بِ البَيْنِ تُطْوَى[1] الرِّحَلُ

وَلاَ إِذَا صَاحَ غُرَا ... بٌ فِي الدِّيَارِ ارْتَحَلُوا[2]

وَمَا غُرَابُ البَيْنِ إِلاَّ (م) نَاقَةٌ أَوْ جَمَلُ[3]

أنشدنيها عبد الوارث عن قاسم عن أبي خيثمة لأبي الشِّيص .

وقال العلوى على بن محمد :

وَلَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى الفِرَاقِ فَلَمْ أَجِدْ ... لِلْمَوْتِ لَوْ فُقِدَ الفِرَاقُ سَبِيلاَ

يَا سَاعَةَ البَيْنِ الطَّوِيلِ كَأَنَّمَا ... وَاصَلْتِ سَاعَاتِ القِيَامَةِ طُولاَ

وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة الفقيه :

لَعَمْرِي لَئِنْ شَطَّتْ بِعَثْمَةَ دَارُهَا ... لَقَدْ كِدْتُ مِنْ قَبْلِ الفِرَاقِ أَلِيحُ[4]

أَرُوحُ بِهَمٍّ ثُمَّ أَغْدُو بِمِثْلِهِ ... وَيُحْسَبُ أَنِّي فِي الثِّيَابِ صَحِيحُ[5]

وقال حبيب :

يَوْمُ الفِرَاقِ لَقَدْ خُلِقْتَ طَوِيلاَ ... لَمْ تُبْقِ لِي جَلَدًا وَلاَ مَعْقُولاَ

لَوْ جَاءَ[6] مُرْتَادُ المَنِيَّةِ لَمْ يَجِدْ ... إِلاَّ الفِرَاقَ عَلَى النُّفُوسِ دَلِيلاَ

---

(١) ب : تمطى .

(٢) ب . احتملوا .

(٣) انظر الأبيات كلها فى زهر الآداب ٢/١٧٠ الشعر والشعراء ٨٢١ ، والبيتين الثانى والخامس فى التمثيل والمحاضرة ٢٦٩ ، والأول والثالث فى الكامل ٢/٣ ، وفيه : ما فرق الألاف ... والبائس المسكين ما تطوى .

(٤) ب م : أنيح . ومعنى أليح : أهلك .

(٥) انظرهما فى العقد الفريد ٦/٢٦ ، الأمالى ٢/١٦٠ .

(٦) ب : حار .

قَالُوا الرَّحِيل(١) فَمَا شَكَكْتُ بِأَنَّهَا نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا تُرِيدُ رَحِيلاَ(٢)

وهذا باب أكثر فيه أهل الظرف ، فرأيت اختصاره ، قال الحارث بن وَعْلة ، وتُنسب إلى العتّابى كُلْثوم بن عمرو ، وهى أبيات كثيرة أولها :

ما غَنَاءُ الحِذَارِ والإشْفَاقِ وشآبِيبِ دَمْعِكَ المُهْرَاقِ

غُرَّ مَنْ ظَنَّ أَنْ يَفُوتَ المَنَايَا وعُرَاهَا قَلَائِدُ الأَعْنَاقِ

ويَدُ الحَادِثَاتِ رَهْنٌ بِمُرَّا تٍ مِنَ العَيْشِ مُصَرَّاتِ(٣) المَذَاقِ

كَمْ صَفِيَّيْنِ مُتِّعَا باتفاقٍ(٤) ثُمَّ صَارَا مِنْ بَعْدِهِ لافْتِرَاقِ

قُلْتُ لِلْفَرْقَدَيْنِ واللَّيْلُ مُلْقٍ سُودَ أَكْنَافِهِ عَلَى الآفَاقِ

ابْقَيَا مَا بَقِيتُمَا سَوْفَ يُرْمَى بَيْنَ شَخْصَيْكُمَا بِسَهْمِ الفِرَاقِ

هَوِّنِي ذَا عَلَيْكِ واقْنَيْ حَيَاءً لَسْتِ تَبْقَيْنَ لِي ولَسْتُ بِبَاقِ

أَيُّنَا قَدَّمَتْ حِمَامُ المَنَايَا فَالَّذِي أَخَّرَتْ سَرِيعُ اللَّحَاقِ

(٥ لا يَدُومُ البَقَاءُ لِلْخَلْقِ لَـ كِنْ دَوَامَ البَقَاءِ لِلْخَلَّاقِ(٥)

إِنْ قَضَى اللهُ أَنْ يَكُونَ تَلَاقٍ بَعْدَ مَا قَدْ تَرَيْنَ كَانَ التَّلَاقِي(٦)

وقال آخر ، وهو نفطويه :

---

(١) ب : الفراق .

(٢) شرح الديوان ٢/٦٦ ، محاضرات الأدباء ٢/٢٨ .

(٣) مصرات : حامضات .

(٤) ب : بتلاق .

(٥) ساقط من ب .

(٦) انظر الأبيات فى زهر الآداب ٣/٤١ ، والبيتين هونى وما بعده فى معجم الشعراء ٣٥٢ .

شَيْئَانِ لَوْ بَكَتِ الدِّمَاءَ عَلَيْهِمَا ... عَيْنَاىَ حَتَّى تُؤْذِنَا بِذَهَابِ

لَمْ يَبْلُغَا الْمِعْشَارَ مِنْ حَقَّيْهِمَا ... فَقْدُ الشَّبَابِ وَفُرْقَةُ الْأَحْبَابِ[1]

وقال الغزّال :

وَإِن رَجَائِى فِى الْإِيَابِ إِلَيْكُمْ ... وَإِنْ أَنَا أَظْهَرْتُ الْعَزَاءَ قَصِيرُ

وَإِنْ كُنْتِ تَبْغِينَ الْوَدَاعَ فَبَالِغِى ... فَدُونَكِ أَحْوَالٌ أُرَى وَشُهُورُ

وقال آخر :

لَيْسَ الْفِرَاقُ وَإِنْ جَزِعْتَ بِضَائِرٍ ... مَا لَمْ تُفَرِّقْ بَيْنَنَا الْأَخْلَاقُ

إِنْ لَمْ يَحُلْ حَدَثُ الْمَنِيَّةِ بَيْنَنَا ... فَسَنَلْتَقِى وَسَيُحْفَظُ الْمِيثَاقُ

وَالدَّهْرُ يَجْمَعُ بَيْنَ كُلِّ مُفَارِقٍ ... وَلِكُلِّ مُلْتَقِيَيْنِ مِنْهُ فِرَاقُ

وقال محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين :

مَدَّتْ إِلَى الْبَيْنِ أَطْرَافاً مُخَضَّبَةً ... لَمَّا تَوَلَّتْ وَذَاقَتْ حُرْقَةَ الْبَيْنِ

وَوَدَّعَتْنِى وَمَا هَمَّتْ وَلَا نَطَقَتْ ... وَإِنَّمَا وَدَّعَتْ وَحْيًا بِعَيْنَيْنِ

بَلَى لَقَدْ أَوْمَأَتْ نَحْوِى بِإِصْبَعِهَا ... إِيمَاءَةً خَتَلَتْ[2] عَنْهَا الرَّقِيبَيْنِ

وقال آخر:

أَتَذْكُرُ إِذْ تُوَدِّعُنَا سُلَيْمَى ... بِعُودِ بَشَامَةٍ سُقِىَ الْبَشَامُ[3]

---

(١) ورد البيتان فى محاضرات الأدباء ٢/١٤٧ منسوبين إلى محمود الوراق ، ونسبهما صاحب المستطرف ١/١٩٨ ، ٢/٤٠ إلى أبى العيناء محمد بن القاسم بن خلاد ، ووردا فى التمثيل والمحاضرة ٤٦٩ ، ووفيات الأعيان ٦/٢٤٤ غير منسوبين .

(٢) ب : خبلت ، وانظر الأبيات فى المحاسن والمساوى ٢/٧٩ .

(٣) البيت لجرير ، ديوانه ٥١٢ وفيه وفى الأغانى ٢/٦٥ ، نهاية الأرب ٤/٢٧٦ ، أتنسى ، وبفرع بشامة ، وفى اللسان : أتذكر كما هنا .

(١) يريد : تشير إلينا بعسوا كها مودعة (١) .

وقال أبو عَوَانة (٢) : كنت أجالس أبا العتاهيـة فأراد الخروج إلى مكة فودعنى وقال :

إنْ نَعِشْ نَجْتَمِـع وَإلاَّ فَمَا أشْغَلَ مَنْ مَاتَ عَنْ جَمِيعِ الأنَامِ (٣)

قالت أعرابية لابن لها ، وقد ودعته وهو يريد سفراً : امض مصاحباً مكلوءاً ، لا أشمت الله بك عدوّاً ، ولا أرى محبيك فيك سوءاً .

ودع أعرابى رجلا ، فقال كَبَتَ الله لك كل عدوّ إلا نفسك ، وجعل خير عملك ما ولى أجلك .

بيت قديم :

وكلُّ مُصِيبَاتِ الزَّمَانِ وَجَدْتُهَا سِوَى فُرْقَةِ الاحبَابِ هَيِّنَةَ الخَطْبِ (٤)

قال محمد بن عبد السلام الخُشَنى :

كأنْ لَم يَكُنْ بَيْنٌ وَلَمْ تَكُ فُرْقَةٌ إذَا كَانَ مِنْ بَعْدِ الفِرَاقِ تَلاَقِ

كَأَنْ لَمْ تُؤَرِّقْ بِالعِرَاقَيْنِ مُقْلَتِى وَلَم تَمْرِ كَفُّ الشَّوْقِ مَاءَ مَآقِ (٥)

وَلَمْ أَزُرِ الأَعْرَابَ فِى خَبْتِ أَرْضِهِمْ (٦) بِذَاتِ اللِّوَى مِنْ رَامَةٍ وَبُرَاقِ

---

(١) زيادة من ب .

(٢) فى ا : أبو عربة ، والصحيح ما أثبتنا ، فو أبو عوانة الوضاح بن خالد اليشكرى من حفاظ الحديث الثقات ، مات بالبصرة سنة ١٧٦ هـ ، تاريخ بغداد ١٣/٤٦٠ ، تهذيب التهذيب ١١/١١٦ .

(٣) لم يرد البيت فى ديوان أبى العتاهية ، وقد نسب إلى زهير السامى فى تاريخ بغداد ٢/٣٨٤ .

(٤) البيت لقيس بن ذريح الليثى ، انظره فى الحماسة لأبى تمام ٢/٧٠ ، سير أعلام النبلاء ٣/٣٥٠ وفيه : وكل ملمات .

(٥) ب ولم كف بالشوق ، ا : ولم تركف ، وتمر معناها تمسح .

(٦) م : عقر خبتهم ، ب : أرض خبتهم ، والخبت : المتسع الفسيح من الأرض.

وَلَمْ أَصْطَبِحْ فِي الْبِيدِ مِنْ قَهْوَةِ النَّوَى ... بِكَأْسٍ سَقَانِيهَا الفِرَاقُ دِهَاقِ[١]

وقال آخر :

خَلِيلَيَّ إِلاَّ تَبْكِيَا لِيَ أَسْتَعِنْ ... خَلِيلاً إِذَا أَفْنَيْتُ دَمْعِي بَكَى لِيَا

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنٌ إِذَا كَانَ بَعْدَهُ ... تَلاَقٍ وَلَكِنْ لاَ إِخَالُ تَلاَقِيَا[٢]

قالوا : كم بين لوعة الفراق ، وفرح التلاق .[٣]

---

(١) انظر الأبيات للخشني أيضا في جذوة المقتبس ٦٤ ، ونسبها في نفح الطيب ٢٢١/٢ إلى محمد بن عباس ؛ ورواية الشطرة الأخيرة فيها : وكأس سقاها في الأزاهر ساق .

(٢) البيتان في حماسة أبي تمام ١٢٢/٢ .

(٣) ساقط من ا .

باب الزيارة والعيادة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من زار أخًا له في الله ، أو عاده ، خاض الرحمة حتى يرجع وقال اللهّ عز وجلّ له : طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنّة منزلا » ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أتاكم الزائر فأكرموه » وقال[1] حاكيًا عن الله عز وجل : « وجبت محبتي للمتزاورين فيّ والمتحابين فيّ » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأبي هريرة : « يا أبا هريرة ! زُرْ غِبًّا تزدَدْ حُبًّا » . أخذه الشاعر فقال :

إذَا شِئْتَ أَنْ تُقْلَى فَزُرْ مُتَوَاتِرًا ... وإنْ شِئْتَ أَنْ تَزْدَادَ حُبًّا فَزُرْ غِبًّا[2]

أنشدني أبو عثمان سعيد بن سيد[3] ، لعبد الملك بن جهور الوزير :

وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ وكَانَ بَرًّا ... إذَا زُرْتَ الحَبِيبَ فَزُرْهُ غِبًّا

وأَقْلِلْ زَوْرَ مَنْ تَهْوَاهُ تَزْدَدْ ... إذَا مَازُرْتَهُ مِقَةً وَحُبًّا

ولعلي بن أبي طالب الكاتب[4] :

إنِّي رَأَيْتُكَ لِي مُحِبًّا ... وإلَيَّ حِينَ أَغِيبُ صَبًّا

فَهَجَرْتُ لاَ لِمَلاَلَةٍ ... حَدَثَتْ وَلاَ اسْتَحْدَثْتُ ذَنْبَا

إلاَّ لِقَوْلِ نَبِيِّنَا ... زُورُوا عَلَى الأَيَّامِ غِبًّا

ولِقَوْلِهِ مَنْ زَارَ غِبًّا (م) مِنْكُمُ ... يَزْدَادُ حُبَّا

---

(١) ساقط من ب .

(٢) ساقط من ا ، وانظر البيت في معجم الأدباء ١٦/١٥ .

(٣) ب : سعد .

(٤) ساقط في ب .

قال خارجة بن زيد النحوى : دخلت على محمد بن سيرين بيته زائراً له ، فوجدته جالسًا بالأرض ، فألقى إلىّ وسادة ، فقلت له : إنى قد رضيت لنفسى ما رضيتَ لنفسك . فقال : إنى لا[1] أرضى لك فى بيتى ما أرضى به لنفسى ، واجلس حيث تؤمر ، فلعل الرجل فى بيته شىء يكره أن تستقبله .

قال بشار :

لاَ تَجْعَلَنْ أَحَدًا عَلَيْكَ إِذَا ... أَحْبَبْتَهُ وَهَوِيتَهُ رَبَّا

وَصِلِ الخَلِيلَ إِذَا شُغِفْتَ بِهِ ... واطْوِ الزِّيَارَةَ دُونَهُ غِبًّا

فَلِذَاكَ خَيْرٌ مِنْ مُوَاصَلَةٍ ... لَيْسَتْ تَزِيدُكَ عِنْدَهُ قُرْبَا

لَكِنْ يَمَلُّكَ[2] ثُمَّ تَدْعُو بِاسْمِهِ ... فَيَقُولُ : هَا ، وطَالَمَا لَبَّى[3]

وقال آخر :

عَلَيْكَ بِإِقْلاَلِ الزِّيَارَةِ إِنَّهَا ... تَكُونُ إِذَا دَامَتْ إِلَى الهَجْرِ مَسْلَكَا

فَإِنِّى رَأَيْتُ الغَيْثَ يُسْأَمُ دَائِمًا ... وَيُسْأَلُ بِالأَيْدِى إِذَا هُوَ أَمْسَكَا[4]

قال قيس بن سعد بن عبادة : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرًا ، فوقف ببابنا .

---

(١) ساقط من ب .

(٢) ب : لكى يملك .

(٣) لم أعثر على هذه الأبيات فيما طبع من ديوانه ، ولا فى المختار من شعره للخالديين ، ورواية م لهذا البيت:

لابل يملك عند رؤيته ... ويقول أف وطالما كبا

(٤) محاضرات الأدباء ١/١٢١، التمثيل والمحاضرة ٤٦٣ ، غير منسوبين ، ونسبا لناصر بن أحمد الجوى ، فى معجم الأدباء ١٩/٢١١ . ولابن حموش القيسى المقرى فى وفيات الأعيان ٤/٣٦٤.

قال ابن المعتز[١] :

وَقْفَةٌ فِي الطَّرِيقِ نِصْفُ الزِّيَارَه[٢]

وقال آخر :

وَحَظُّكَ زَوْرَةٌ فِي كُلِّ عَامٍ ... مُوَافَقَةٌ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ

سَلَامًا خَالِيًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ... يَعُودُ بِهِ الصَّدِيقُ عَلَى الصَّدِيقِ[٣]

كان يقال : امْشِ ميلا وعُدْ عليلا ، وامش ميلين وأصلح بين اثنين ، وامش ثلاثة أميال ، وزُر فى الله .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان فيمن قبلكم رجل يزور أخًا لَهُ فى الله بقرية أخرى ، فأرصد[٤] الله على مدرجه[٥] ملكا ، فلما انتهى إليه قال له : أين تريد ؟ قال : أريد قرية كذا . قال : وما حاجتك فيها ؟ قال : زيارة أخ لى فى الله . قال : وهل غير ذلك ؟ قال : لا . قال : فهل عليك من نعمة تُرَبِّيها[٦] ، أو يد تشكرها ؟ قال : لا ، إلا أنه أحبنى فى الله فأحببته فيه[٧] . قال : فإنى رسول الله إليك ، مخبرك أنه يحبك كما أحببت فيه » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كنتُ نهيتكم عن زيارة القبور ، ثم أُذِنَ لى فيها فزُورُوها فإنها تذكّر الآخرة ، ولا تقولوا هُجْراً » .

---

(١) ب : ابن المغيرة .

(٢) صدره * قف لنا فى الطريق ان لم تزرنا * ديوانه ١٠٣ ، التمثيل والمحاضرة ١٠١ .

(٣) البيان والتبيين ٢/٢٠٠،٣/٤٠٢ ، عيون الأخبار ٣/٢٤ ، وفيه : وحظك لقية ، محاضرات الأدباء ٢/١٥ .

(٤) ب : فأرسل .

(٥) المدرج : المسلك والطريق .

(٦) ب : تربها .

(٧) ب، م : إلا أنه أخى فى الله أحبه فيه .

كان سفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ يقول : لا تُعمَل الأقدام فى الزيارة إلاّ إلى أقدارها ، وينشـــد :

فَضَعِ الزِّيَارَةَ حَيْثُ لاَ يُزْرِى بِهَا ... كَرَمُ المَزُورِ وَلاَ يُعَابُ الزَّائِرُ[١]

وقال العباس بن الأحنف :

يُقَرِّبُ الشَّوقُ دَارًا وَهْىَ نَازِحَةٌ ... مَنْ عَالَجَ الشَّوقَ لَمْ يَسْتَبْعِدِ الدَّارَا

أَزُورُكُمْ لاَ أُكَافِئكُمْ بِجَفْوَتِكُمْ ... إِنَّ المُحِبَّ إِذَا لَمْ يُسْتَزَرْ زَارَا[٢]

وقال الأحوص :

وَمَا كُنْتُ زَوَّارًا وَلَكِنَّ ذَا الهَوَى ... إِذَا لَمْ يُزَرْ لاَ بُدَّ أَنْ سَيَزُورُ

أَزُورُ عَلَى أَنْ لَسْتُ أَفْقِدُ كُلَّمَا ... أَتَيْتُ عَدُوًّا بِالبَنَانِ يُشِيرُ[٣]

وقال آخر :

فَإِنِّى لَزَوَّارٌ لِمَنِ لاَ يَزُورُنِى ... إِذَا لَمْ يَكُنْ فِى وُدِّهِ بِمُرِيبِ

وَمُسْتَقْرِبٌ دَارَ الحَبِيبِ وَإِنْ نَأَتْ ... وَمَا دَارُ مَنْ أَبْغَضْتُهُ بِقَرِيبِ[٤]

وقال آخر :

رَأَيْتُ تَبَاعُدَ الإِخْوَانِ قُرْبًا ... إِذَا اشْتَمَلَتْ عَلَى الوُدِّ القُلُوبُ

وَلَيْسَ يُوَاصِلُ الإِلْمَامَ إِلاَّ ... ضَنِينٌ فِى مَوَدَّتِهِ مُرِيبُ[٥]

---

(١) عيون الأخبار ٣/٢٩ ، محاضرات الأدباء ١/٢٧٧ .

(٢) ديوانه ١٢٥ ، مع اختلاف فى ألفاظ الرواية . محاضرات الأدباء ١/٣٠٥ ، ٢/١٥ .

(٣) البيتان فى الأغانى ١٢/١١٥ ، والأول فى الكامل ١/٣٣٣ .

(٤) ا : إذا لم يكن لى فى وجوه مريب ، والبيتان فى محاضرات الأدباء ٢/١٥ منسوبين إلى ابن حجاج .

(٥) فى ا : ظنين يجود به مريب .

وقال إبراهيم بن العباس الصولي :

دَنَتْ بِأُنَاسٍ مِنْ تَنَاءٍ زِيَارَةٌ ... وَشَطَّ بِلَيْلَى عَن دُنُوٍّ[١] مَزَارُهَا

وَإِنَّ مُقِيمَاتٍ[٢] بِمُنْقَطَعِ اللِّوَى ... لَأَقْرَبُ مِن لَيْلَى وَهَاتِيكَ دَارُهَا[٣]

وأما قول قرم بن مالك :

عَلَامَ أُوَايِمُ البُخَلَاءَ فِيهَا ... فَأَقْعُدُ لَا أَزُورُ وَلَا أُزَارُ

قال بعضهم : إن معناه علام أستوحش من الناس ، وتأول من ذهب هذا المذهب فى قول العرب: لولا الأوام هلك الأنام ، أى لولا أنس الناس بعضهم ببعض لهلكوا إذا عمتهم الوحشة . وقال آخرون فى قولهم : لولا الأوام هلك الأنام ، أى لولا أن بعض الناس إذا رأى صاحبه صنع خيراً تشبه به ، لهلك الناس ، ولبعض أهل العصر :

أَزُورُ خَلِيلِي مَا بَدَا لِيَ هَشُّهُ ... وقَابَلَنِي مِنْهُ البَشَاشَةَ والبِشْرُ

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَشٌّ وبَشٌّ تَرَكْتُهُ ... وَلوْكَانَ فى الدُّنْيَا الوِلَايَةُ واليُسْرُ

وحَقُّ الَّذِى يَنْتَابُ دَارِىَ زَائِرًا ... طَعَامٌ وبِرٌّ قَدْ تَقَدَّمَهُ بِشْرُ

---

(١) ا : عن تناء .

(٢) ا : وإن مقيماً حيث .

(٣) محاضرات الأدباء ٣١/٢ ، وفيات الأعيان ٢٥/١ ، نهاية الأرب ٨٩/٣ ، التمثيل والمحاضرة ٩١ ، زهر الآداب ١٥٦/٤ وفيه : تدانت بقوم عن .

باب العِيَادَة أيضاً [1]

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « عائدُ المريض فى مَخْرَفَةِ [2] الجنة »

وقال عليه السلام : « عائدُ المريض يخوض الرحمة ، فإذا قعد عنده غمر

قال مالك : أو نحو هذا .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مِنْ حقِّ المُسْلِمِ على المُسْلِمِ أن يُسَـ

إذا لَقِيَه ، ويَعُودَه إذا مَرِض ، ويُشَمِّتَه إذا عَطِس ، ويُشَيِّعَ جِنازَتَه إذا مات ، و

لطعامه إذا دَعَاه » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضلُ العيادة أَخَفُّها » .

وذكر أبو بكر بن أبى شيبة ، قال : حدثنا عبد الرحيم بن سليمان ، عن [3]

— يعنى ابن أَرْطَاة — عن المِنْهال عن عَبْد الله بن الحارث ، عن ابن عبّاس

« من دخل على مريضٍ لم تحضر وفاته ، فقال : أسأل اللهَ العظيم ، رَبَّ

العَظِيم أن يَشْفِيَكَ ، سبع مرات ، شُفِى » .

قال الشاعر :

إنْ كُنْتُ فِى تَرْكِ العِيَادَةِ تَارِكًا حَظِّى فَإِنِّى فِى الدُّعَاء لَجَاهِ

ولَرُبَّمَا تَرْكُ العِيَادَةِ مُشْفِقٌ وَأَتَى عَلَى غِلِّ الضَّمِيرِ الحَاسِدُ

---

(١) ساقط فى ب .

(٢) المخرفة : البستان ، والسكة بين صفين من نخل يخترف المخترف من أيهما شاء .

(٣) ب : ابن .

(٤) البيتان فى محاضرات الأدباء ٣/١٥ ، منسوبين إلى الخوارزمى ، ووردا من غير نسبة فى عيون الأخبا

وقال آخر :

إِذَا مَرِضْنَا أَتَيْنَاكُمْ نَعُودُكُمُ ... وَتُذْنِبُونَ فَنَأْتِيكُمْ فَنَعْتَذِرُ(١)

وقال عبد الله بن مصعب الزبيري :

مَالِي مَرِضْتُ فَلَمْ يَعُدْنِي عَائِدٌ ... مِنْكُمْ وَيَمْرَضُ كَلْبُكُمْ فَأَعُودُ(٢)

فسُمي عائد الكلب.

ولجعفر بن حَذَار الكاتب :

إِنَّ العِيَادَةَ يَوْمٌ بَيْنَ يَوْمَيْنِ(٣) ... واقْعُدْ قَلِيلاً كَلَحْظِ العَيْنِ بالعَيْنِ

لا تُبْرِمَنَّ مَرِيضًا فِي عِيَادَتِهِ ... يَكْفِيكَ مِنْ ذَاكَ تَسْآلٌ بِحَرْفَيْنِ(٤)

وللشافعى الفقيه رضى الله عنه ، وقد اشتكى بمصر شكوى عاده فيها بعض إخوانه ، فامسوا جبينه ، وقالوا له : أنت بخير ونحو هذا ، فقال :

أَقُولُ لِعَائِدِيَّ وَشَجَّعُونِي ... وَغَرَّهُمُ فُتُورُ حُمَّى(٥) جَبِينِي

تَعَزَّوْا بالتَّصَبُّرِ عَنْ أَخِيكُمْ ... فَضَجُّوا بالبُكَاءِ وَوَدَّعُونِي

فَلَمْ أَدَعِ الأَنِينَ لِقِلِّ سُقْمِي ... وَلَكِنِّي ضَعُفْتُ عَنِ الأَنِينِ

---

(١) البيت للمؤمل بن أميل ، انظر التمثيل والمحاضرة ٩٠ ، المستطرف ١/٢٢٦ ، ٢/٣٣٢ .

(٢) الكامل ١/٣٢٢ ، المستطرف ٢/٣٣٢ ، عيون الأخبار ٣/٥٢ .

(٣) ب : يوم بيومين ، وفى محاضرات الأدباء والمستطرف: حق العيادة يوم بعد يومين .

(٤) انظر المحاضرات ١/٢٠٩ ، والمستطرف ٢/٣٣٢ ، العقد الفريد ٢/٤٥٠ ، وقد ورد فيه البيت الأول :

عيادة المرء يوم بين يومين ... وجلسة لك مثل اللحظ بالعين

وفيه : مساءلة مكان عيادته فى البيت الثانى .

(٥) الحمى بالكسر : السخونة والعرق .

سَأَصْبِرُ لِلْحِمَامِ وَقَدْ أَتَانِي وَإِلاَّ فَهْوَ آتٍ بَعْدَ حِينِ
وإِنْ أَسْلَمْ يَمُتْ قَبْلِي حَبِيبٌ ومَوْتُ أَحِبَّتِي قَبْلِي يَسُوءُنِي[١]

قال المدائني : سقط عبد الله بن شُبْرُمة القاضي عن دابته ، فوُثِئَتْ[٢] رجله ، فدخل عليه يحيى بن نوفل[٣] الشاعر عائداً له ومادحاً ، وكان جاره ، فأنشده :

أَقُولُ غَدَاةَ أَتَانَا الخَبِيرُ وَدَسَّ أَحَادِيثَهُ هَيْنَمَهْ[٤]
لَكَ الوَيْلُ مِنْ مُخْبِرٍ مَاتَقُولُ؟ أَبِنْ لِي وَعَدِّ عَنِ الجَمْجَمَهْ[٥]
فَقَالَ خَرَجْتُ وَقَاضِي القُضَا ةِ مُنْفَكَّةٌ رِجْلُهُ مُؤْلَمَهْ
فَقُلْتُ وَضَاقَتْ عَلَيَّ البِلَادُ وخِفْتُ المُجَلِّلَةَ المُعْظَمَهْ
فَغَزْوَانُ حُرٌّ وَأُمُّ الوَلِيدِ إِنِ اللهُ عَافَى[٦] أَبَا شُبْرُمَهْ
جَزَاءً لِمَعْرُوفِهِ عِنْدَنَا وَمَا عِتْقُ عَبْدٍ لَهُ أَو أَمَهْ[٧]

قال : وفي المجلس جارٌ ليحيى بن نوفل ، يعرف ما[٨] في منزله . فلما خرج تبعه ، فقال له : يا أبا مَعْمَر[٩] ! رحمك الله مَنْ غَزْوَانُ وأمّ الوليد ؟ قال : سِنَّوْرَان في البيت ، فاستر عليّ .

---

(١) الأبيات الثلاثة الأول في معجم الأدباء ١/١٩٧ ، والرواية للبيت الأول فيه .أقول لصاحبي وسليمان : الخ .
(٢) وثئت : انفكت ، أو أصابها وجع من غير كسر .
(٣) الحميري اليماني ، كان شاعراً هجاء ، وكان مع ذلك ظريفا ذا فكاهة ، انظر في ترجمته الشعر والشعراء ٧١٧ — ٧٢١ ، رغبة الآمل ١/١٣٢ ، ٤/١٨٣ ، ٥/١٤٦ .
(٤) الهينمة : الصوت الخفي .
(٥) الجمجمة : الكلام الذي لا يبين .
(٦) ب : عفا .
(٧) الأبيات في عيون الأخبار ٣/٤٨ ، الشعر والشعراء ٧١٩ .
(٨) ا : من .
(٩) ب ، ا ، م يا أبا العمر ، وهو خطأ ، انظر مراجع ترجمته السابقة .

بابُ الحِجَاب

قال رسولُ اللهِ صلىّ اللهُ عليه وسلَّم : «مَنْ وَلِيَ من أمورِ النَّاسِ شيئاً فاحْتَجَبَ عن حاجَتِهِم ، احتجب اللهُ عنه يوم القيامة وعن حاجته ، وخَلَّتِهِ وَفَاقته» .

وقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم : «مَنْ رفع حاجةَ ضعيفٍ إلى ذى سُلطان لا يستطيع رَفْعَهَا ، ثبّت اللهُ قدميه على الصِّراط يوم القيامة» .

حجب معاويةُ أبا الدّرداء يوماً ، وحبسه عند بابه ، فقيل له : يا أبا الدرداء ! ويفعل هذا بك وأنت صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : من يأت أبواب السلطان يَقُم ويَقْعد .

قال عبدُ العزيز بن زُرَارَة الكلابى :

دخلتُ عَلَى معاويةَ[1] بن صَخْر عَلَى حِينٍ يئستُ من الدّخولِ
ومانلتُ الدُّخول عليه حتّى حَلَلْتُ محلَّةَ الرّجل الذَّليلِ
وأغْضَيْتُ الجفون على قَذَاها ولم أَنْظُرْ إلى قالٍ وقيلِ
فأدركتُ الّذى أمّلتُ منه بمُكْثٍ والخطأ زادُ العجُولِ[2]

حُجب أعرابىٌّ عند باب سُلطان فقال :

أُهِينُ لهم نَفْسِي لأُكرِمَهَا بهم ولن يُكْرِمَ النّفسَ الّذى لا يُهِينُهَا[3]

---

(١) ب : ابن منصور .

(٢) الأبيات فى عيون الأخبار ١/٨٣ ، التنبية للبكرى ٦١ ، وفيهما : ... بن حرب وذلك إذ ، وفى البيت الأخير رواية التنبيه : والخطاء مع العجول .

(٣) فى هامش البيان علق الأستاذ السندوبى على البيت بأنه للحسن بن عبد الحميد ، وقد رؤى وهو يزاحم الناس على باب محمد بن سليمان العباسى، فقيل له : مثلك يرضى بهذا ؟ فقال البيت . انظر البيان ٣/١١٨ . وانظره فى العقد ١/٨٢ ، عيون الأخبار ١/٩١ .

حدثني أبو القاسم خلفُ بن قاسم رحمه اللهُ ، قال : حدثنا أبو بكر محمد بن عُبَيْد الله الصَّيْدَلاَني ، قال : حدثنا عليُّ بنُ سليمان الأخفش ، قال : أنشدني بعض أصحابنا :

فى كلِّ يومٍ لى بِبَابِكَ وَقْفةٌ أَطْوى إليها سائرَ الأَبْوابِ
فإذا جلستَ وغِبتُ عنك فإنّه ذنبٌ عقوبتُه عَلَى البَوّابِ[1]

استأذن أبو سُفيانُ على عثمانَ رضى الله عنــــه ، فأبطأ إذنه ، فقيل حَجَبَك أمير المؤمنين ؟ فقال : لا عدمتُ من قومى من إذا شاء حَجَب .

قال معاويةُ لحُضَيْنِ بنِ المُنْذِر : يا أبا سَاسَان ! كأنك لاتحسن[2] أذنك .. فأنشأ يقول :

كلُّ خفيف الرّأى يمشى مُشَمِّرًا إذا فتح البوابُ بابك إِصْبَعَا
ونحنُ الجلوسُ الماكثُون رزانةً وحِلْمًا إلى أنْ يُفتَحَ البابُ أجمعا[3]

قال زياد لحاجبه : يا عَجْلان ! إنّى وليّتك ما وراء بابى ، وعزَلْتُك عن أربعة : طارقِ ليل فشرٌّ[4] ما جاء به ، وخبرِ رسولِ صاحبِ الثغر فإنّه إن تأخر ساعة أبطل عمل سَنَة ، وهذا المنادى للصّلاة ، وصاحبِ الطعام فإنّ الطّعامَ إذا أُعيد عليه التّسخين فســـد .

---

(١) البيتان فى عيون الأخبار ١/٩١ ، المستطرف ١/١١٥ .

(٢) ساقط من ا .

(٣) البيان ٢/٢١٧ ، وفيه : وكل خفيف الساق يسعى ، الماكثون توقرا . وانظر عيون الأخبار ٣/٨٨ ، المستطرف ١/١٣ ، العقد ١/٧٩ ، وورد الشطر الأول فيه : رأيت أناساً يسرعون تبادرا .

(٤) ساقط من ب .

قال مروان لابنه عبد العزيز — حين ولاّه مصر — : يا بنىّ ! مُرْ حاجبَك يخبرْك مَنْ حضر ببابك كلّ يوم ، فتكون أنت تأذن وتحجب ، وآنِسْ من دخل عليك بالحديث فينبسطَ إليك ، ولا تعجل بالعقوبة إذا أَشكل عليك الأمر ، فإنّك على العقوبة أقدر منك على ارتجاعها .

كان يقال : لا تَقُم على باب حتى تدعى إليه .

أقام رجل على باب كسرى سنة ، فلم يؤذَنْ له ، فقال له الحاجب : اكتب كتاباً وخفّفه أُوصِلْه لك . فقال : لا أزيد على أربعة أسطر ، فكتب فى السطر الأول : الأملُ والضرورة[١] أقدمانى عليك[٢] ، وفى السطر الثانى : [٣]ليس مع العَدَم صبر على الطلب . وفى السطر الثالث[٣] : الرجوعُ بلا فائدة شماتةُ الأعداء ، وفى السطر الرابع : إما نَعَم مثمرة ، وإما لا موئسة . فوقع كسرى تحت كل سطر بأربعة آلاف درهم[٤] ، فانصرف بستة عشر ألف درهم .

قال أشجع بن عمر السُّلَمِى[٥] ، فى باب محمد بن منصور بن زياد :

على باب ابن مَنْصُورٍ عَلاَمَاتٌ من البَذْلِ
جَمَاعَاتٌ وحَسْبُ البا بِ فَضْلا كَثْرَةُ الأَهْلِ[٦]

---

(١) ب : القدرة .

(٢) ا : على الملك .

(٣) ساقط من ب .

(٤) وقع تحت كل سطر ببدرة .

(٥) ب : السليمى .

(٦) عيون الأخبار ١/٩٠ ، الكامل ١/١٠١ وفيه : وحسب الباب نبلا ، محاضرات الأدباء ١/٢٥٦ .

وقال بشار بن برد :

يَسْقطُ الطَّيرُ حيث يُنْتَثَرُ الحَبُّ (م) وتُغْشَى مَنَازِلُ الكُرَمَاءِ[١]

وقال حبيب :

إنّ السّماء تُرَجَّى حِينَ تُحْتَجَبُ[٢]

وقال آخر :

يَزْدَحِمُ النَّاسُ عَلَى بَابِهِ والمَشْرَبُ[٣] العَذْبُ كَثِيرُ الزِّحَامْ[٤]

وقال عبيد الله بن عكراش :

وإنّى لَأَرْثِى للكرِيم إذا غدَا عَلَى طمعٍ عنـد اللَّئِيم يُطَالِبُـهْ

وأَرْثِى له من وقْفَةٍ عندَ بابه كَمَرْثِيَتِي للطِّرْفِ والعلجُ راكِبُـهْ[٥]

كتب رجل إلى عبد الله بن طاهر :

[٦]إذا كان الجوادُ له حجابٌ فما فَضْل الجوادِ عَلَى البَخِيلِ

فأجابه عبد الله بن طاهر[٦] :

إذا كان الجوادُ قليلَ مالٍ ولم يُعْذَرْ تَعَلَّلَ بالحِجَابِ[٧]

---

(١) المختار من شعر بشار ٩٣ ، البيان ١/١٨٢ ، ١٨٨ ، عيون الأخبار ١/٩١ ، ٣/٢٦ ، نهاية الأرب ٣/٧٧.

(٢) صدره : ليس الحجاب بمقص عنك لى أملا . انظر ديوانه ٤٢ .

(٣) ب : والمشرع وكذلك فى عيون الأخبار ، وفى المحاضرات : والمنهل .

(٤) البيت لبشار ، المختار من شعره ٩٥ ، الكامل ١/١٠١ ، محاضرات الأدباء ١/١٤١ ، معجم الأدباء ٦/٢٢٦ ، عيون الأخبار ١/٩٠ .

(٥) البيان والتبيين ٣/٢٠١ ، عيون الأخبار ١/٨٩ ، والطرف : الجواد الكريم .

(٦) زيادة من ب .

(٧) البيت والذى سبقه فى المحاسن والمساوىء ١/١٣٦ ، المستطرف ١/١١٣ ، عيون الأخبار ١/٨٩ . محاضرات الأدباء ١/١٠٣ ، العقد الفريد ١/٨٦ ، وفيه : الكريم مكان الجواد ، فى البيتين .

وقال البحترى :

أَتيْتُكَ للتَّسْليمِ لا أَنّنِي امرُؤٌ طلبْتُ بإتيانيك أَسْبابَ نائِلِكْ

فألفيت بوَّاباً ببابك مُغْرماً بهدمِ الّذى أوطأْتَهُ من فضائِلِكْ

وقد قيل قِدْماً حاجبُ المرء عاملٌ عَلَى عِرْضه فاحذرْ جناية عامِلِكْ

وكن عالماً أن لستُ من بعدُ راجعاً إليك ولو كان الهُدَى من رسائِلِكْ(١)

ولعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود إلى عمر بن عبد العزيز :

يا عُمَرَ بنَ عُمَرَ بن الخطّابْ إن وقوفَ الحرِّ عند الأبوابْ

يدفعه البوّابُ بعد البوابْ يَعْدِلُ عند الحرّ قَلْعَ الأنيابْ(٢)

قال بعض الأكاسرة لحاجبه : لا تحجب عنى أحداً إذا أخذت مجلسى ، فإن الوالى لا يحجب إلا عن ثلاث : عىٍّ يكره أن يُطّلع عليه ، أو بخل فيكره أن يدخل إليه من يسأله ، أو ريبة .

وقد نظم هذا كله محمود الوراق فقال :

إذا اعتَصَم الوالى بإغلاقِ بابه وردّ ذَوِى الحاجاتِ دُون حِجَابِهِ

ظننتُ به إحدى ثلاثٍ وربّما نزعتُ بظنٍّ واقعٍ بصَوَابِهِ

فقلتُ به مسٌّ(٣) من العِيِّ قاطعٌ ففى إذنه للنّاس إظهارُ مَابهِ

فإن لم يَكُ عِيُّ اللسان فغالبٌ من البُخْل يَحْمِى(٤) ماله عن طِلاَبِهِ

---

(١) لم أعثر عليها فى الديوان ، ووردت فى العقد ٨٧/١ بدون نسبة .

(٢) نسب البيتان فى المؤتلف ١٦٩ إلى كثير بن كثير السهمى .

(٣) ا : شىء .

(٤) ب : يحمى .

فإن لم يكن هٰذا ولاذا قَرِيبةٌ يُصِرُّ عليها عند إغلاقِ بَابِهِ[١]

وله أيضاً :

لولا مُقَارَفةُ الرِّيَبْ ما كنتَ مِمّنْ يَحْتَجِبْ
أَوْ لاَ فَتِيٌّ فيك أو بُخْلٌ عَلَى أَهْلِ الطَّلَبْ
فاكْشِفْ لَنَا وَجْهَ العِتَا بِ ولا تُبَالِ مَنْ عَتَبْ

وقد جمع منصور الفقيه هذا المعنى فى أقل نظم ، فقال :

وَطُولُ الحجاب مُخَبِّرٌ عن عِيٍّ صاحبه وبُخْلِهْ
فإذا الفتى لم يَسْتَبِن هــذا تبيّن ضَعْفَ عقْلِهْ

وأرفع من[٢] هذا قول زهير :

السِّتر دون الفاحشاتِ وما يلْقَاكَ دُونَ الخيْرِ من ستْرِ[٣]

قصد إبراهيم بن المهدى يحيى بن خالد فحجبه ، فكتب إليه إبراهيم :

إنى أتيتك للسّلام ولم أَنْقُلْ إِلَيْكَ لحاجةٍ رِجْلِي
فحُجِبتُ دُونَك مرّتين وَقد تشتدّ واحدةٌ عَلَى مِثْلِي

---

(١) عيون الأخبار ١/٨٤ ، المحاسن والمساوى ١/١٢٦ .

(٢) ب : مافى .

(٣) ا : وماتلق دون خير من مستر ، وقد أثبتنا رواية ب لموافقتها مختلف الروايات ، وانظره فى ديوانه ص ٩٥ ، التمثيل والمحاضرة ٤٧ ، زهر الآداب ٣/١٢٨ ، نهاية الأرب ٣/٩٠ ، الأمالى ١/٩١ .

وقال آخر :

سأتركُ بابًا أنت تملكُ إذنَه ... وإن كنتُ أعمى عن جميع المسالكِ

فلو كنتَ بوّابَ الجنان تركتُها ... وحوّلتُ رجلى مُسْرعًا نحو مَالِكِ(١)

وقال محمود الوراق :

سأتركُ هذا البابِ مادام إذْنُه ... كمَهْدِي به حتّى يَخفَّ قليلاَ

وما خابَ من لم يأته مُتَعَمِّدا ... ولا فازَ مَنْ قد نال منه وُصُولاَ

(٢وما جُعِلَتْ أرزاقُنا بيد امرىءٍ ... حَمَى بَابه من أن يُنالَ دُخُولاَ ٢)

إذا لم أجدْ يومًا إلى الإذنِ سُلَّمًا ... وجدتُ إلى تَرْكِ المجىءِ سَبِيلاَ(٣)

وقال آخر:

على أىِّ بابٍ أطْلُبُ الإِذْنَ بَعْدَمَا ... حُجِبتُ عن البابِ الذى أنا حاجِبُهُ(٤)

وفى معني هذا قول الفرزدق :

وكان يجيرُ النّاسَ من سيفِ مالكٍ ... فأصبح يَبْغِي نَفْسَه من يُجيرُهَا(٥)

---

(١) المحاسن والمساوىء ١/١٢٦ ، المستطرف ١/١٤ ، عيون الأخبار ١/٨٥ .

(٢) ساقط من ب .

(٣) اضطرب فى نسبة هذه الأبيات إلى صاحبها اضطرابا كبيراً ، فقد نسبها المرزبانى فى معجم الشعراء ٤٣١ أولا إلى السديرى أبى نبقة واسمه محمد بن هشام بن أبى خميصة ، ثم نسبها مرة ثانية فى ص٤٤٨ إلى محمد بن أبى عمران ، ووافقه الراغب فى المحاضرات ١/١٠٢ ، ونسبت فى المستطرف ١/١١٤ ، إلى أبى تمام ولا توجد فى ديوانه ، ونسبت فى وفيات الأعيان ٢/٢٧٦ إلى أبى العميثل عبد الله بن خليد ، وانظرها فى العقد ١/٨٦ ، ٨٩ بدون نسبة .

(٤) البيت للتوت اليمانى عبد الملك بن عبد العزيز المعروف بتويت انظر البيان ٢/٤٠٠ وانظره فى معجم الأدباء ٣/٢٥٨ ، عيون الأخبار ١/٨٥ .

(٥) ديوانه ٧٣ ، البيان ٢/٣٤٠ .

وقال آخر :

ولست بمتّخذٍ صَاحِبًا يقيمُ على بَابِهِ حَاجِبًا
ويُلْزِمُ إخوانَه حَقَّهُ وليس يَرَى حَقّهُم وَاجِبًا[١]

وقال أبو تمام :

هَشٌّ إذَا نَزَل الوفودُ ببابِهِ سَهْلُ الحجابِ مُهَذّبُ الخُدّامِ
وإذا رأيتَ صديقَهُ وشقيقَهُ لم تدرِ أيُّهما أخو الأرْحَامِ[٢]

وقال أبو العتاهية فى عمرو بن مسعدة :

مَالَكَ قد حُلْتَ عن وفائِكَ[٣] واسـ تَبْدلْتَ يا عمرُو شيمةً كَدِرَهْ
[٤]مالِىَ فى حاجةٍ إليْكَ سِوَى تسهيلُ إذْنِى فإنها عَسِرَهْ[٤]
إنّى إذا البابُ تاه صَاحِبُهُ[٣] لَمْ يَكُ عندِى لتركه نَظِرَهْ
لَسْتُمْ تُرَجّوْنَ للحِسَابِ ولا يومَ تكونُ السَّماءُ مُنفطِرَهْ
لكن لِدُنْيَا تكونُ بَهْجَتُهَا[٣] سريعةَ الإنقِضَاءِ مُنْشَمِرَهْ
قد كانَ وجْهِى لَدَيْكَ مَعْرِفَةً فاليومَ أَضْحَى بابًا[٣] من النَكِرَهْ[٥]

---

(١) عيون الاخبار ١/٨٥ .

(٢) يروى البيت الأول : سهل الغناء إذا حللت ببابه طلق اليدين مؤدب الخدام ويروى : ذوو ، مكان أخو فى البيت الثانى ، والبيتان ليسا لأبى تمام بل وردا فى حماسته فقط ، وقد نسبهما هونفسه لمحمد بن بشير الخارجى فى الحماسة ١/٢٤٠ ، ١ ٣٤١ ، ووردا مرتين فى معجم الشعراء ص ٢٤٥ ، ٤١٢ ، ونسبا فى الأولى لأبى البلهاء عمير بن عامر مولى يزيد بن مزيد الشيبانى ، وفى الثانية لمحمد بن بشير الخارجى ، وقد نسبا فى البيان والتبيين ١/١٧٩ ، والعقد الفريد ٢/٣١٥ عيون الأخبار ١/٨٩ إلى ابن هرمة ، وانظرهما فى : محاضرات الأدباء ٢/٢ المحاسن والمساوئ ١/١٢٤ من غير نسبة .

(٣) رواية الديوان للكلمات التى عليها نفس الرقم بالترتيب : إخائك ... حاجبه ... كالظل ... حرفا .

(٤) ساقط من ب .

(٥) الديوان ٣٢٦ .

كتب أبو مِسْهَر إلى أبى جعفر محمد بن عَبْدِكَان ، وكان قد حُجِب على بابه :

إنى أتيتُكَ للسَّلاَمِ أَمْسِ فَلَمْ تأذنْ عَلَيْكَ لِيَ الأَسْتَارُ والحُجُبُ

وقد علمتَ بأنى لَمْ أُرِدَّ وَلاَ والله ماردّ إلاّ الحديثُ والأدَبُ(١)

فأجابه محمد بن عبدكان :

لو كنتَ كافأتَ بالحسنى لقلتَ كَمَا قال ابنُ أَوْسٍ ففى أشعاره أُدَبُهْ

لَيْسَ الحجَابُ بِمُقْصٍ عَنْكَ لِي أَمَلاً إِنّ السَّماءَ تُرَجّى حينَ تُحْتَجَبُ

وقال منصور الفقيه :

إن الحِجَابَ عَذَابٌ ولَيْسَ لِي بالعَذَابِ

كَلاَّ(٢) فلا تَعْذِلُونى عَلَى اتّصَالِ اجْتِنَابِى

وله أيضاً :

إذا كان لابدَّ من حَجْبَةٍ ومِنْ حَاجِبٍ فاجْعَلُوه رَفِيقًا

يخاطبُ من جَاءهُ بالجميلِ فيأتِى صديقًا ويَمْضِى صَدِيقًا

---

(١) فى العقد/١٨٠ ، للتسليم مكان السلام ، وفيه : ولا والله ماردّ إلا : الحديث والعلم والأدب .

(٢) ب : إذاً .

بابُ المصافحةِ وتقبيلُ اليدِ والفمِ

قال رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم : « تَصافَحُوا يذهب الغِلّ[1] » .

وقال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « إذا الْتَقى المُسلِمَان وتَصَافحا تحاتَتْ ذنوبهما كما يَتَحاتُّ[2] الشّجر » .

كان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، إذا صافح رجلاً لم ينزَعْ يَدَه من يده حتى يكونَ الرّجلُ هو الذى ينزَعُ يَدَه من يده .

قال أبو مخلد : المصافَحة تجلبُ المحبة .

كان يقال : تحيةُ المؤمنين المصافحةُ والسّلام .

قال الشّاعر :

قد يَمكُثُ النّاسُ دَهرًا لَيسَ بَينَهُمُ ... وُدٌّ فيزرَعُهُ التّسليمُ واللُّطفُ

لما حضر رسول الله صلّى اللهُ عليه وسلم بنى قريظة ، وأرادوا النزول على حكم سعد بن معاذ ، وكان قد تخلف بالمدينة لجرحٍ أصابه بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قدم عليه ، قال للأنصار : « قوموا إلى سيّدكم » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سرّهُ أن يمثُلَ له الرجالُ قياماً فليتبوأ مقعده من النار » .

ومذهب الحديثين أنه جائز للرجل أن يكرمَ القاصد إليه إذا كان كريم قوم ، أو عالمهم ، أو من يستحقّ البرّ منهم بالقيام إليه أو يرضى بذلك منهم .

---

(١) الغل بالكسر : الحقد والضغن .

(٢) حته : فركه وقشره ، وتحات الشجر : سقط ورقه .

قال ابن المُسَيِّب البغدادى ، جار[١] ابن الرومى :

أقومُ ومَا بِي أنْ أقومَ مَذَلّةٌ عَلَيّ وإنّى للكرامِ مُذَلّلُ

على أنَّها مِنّى لغيرِكَ هُجْنَةٌ ولـكنّها بَيْنِي وَبَيْنَكَ تجَمُّلُ[٢]

كان يقال : تقبيل[٣] اليد إحدى السجدتين .

تناول أبوعبيدة بن الجراح يد عمر ليقبِّلها ، فقبضها ، فتناول رجله ، فقال : ما رضيت منك بتلك فكيف بهذه ! !

دخل عَقّالُ بنُ شَبَّةَ على هِشَامِ بن عبد الملك ، فأراد أن يُقَبِّل يده فقبضها ، وقال : مه . فإنه لم يفعل هذا من العرب إلا هَلُوع ، ومن العجم إلا خَضُوع .

قال الحَسَن : قُبْلة يدِ الإمام العَدْل طاعة .

كان يقال : قبلةُ الرّجل زوجتَه الفَمُ ، وقبلةُ الوالد ولدَه الرأس ، وقبلة الأمِّ الولدَ الخدُّ ، وقبلةُ الأختِ الأخَ العُنُق .

قال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : قبلة الوالد عبادة ، وقبلة الولد رحمة ، وقبلة المرأة شهوة ، وقبلة الرجل أخاه دِين .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « العينان تزنيان ، وزناؤهما النظر ، والفم

(١) ب قال ، ا : خال .

(٢) محاضرات الأدباء ٢/١٧ ، ولم ينسبه ، وقد بحثت فى ديوان ابن الرومى لاحتمال كونهما له ، فلم أعثر عليهما فيه وقد سبقا فى ص ٤٤ .

(٣) ساقط فى ب.

بزنى ، وزناؤه القبل[١] ، واليد تزنى ، وزناؤها اللمس ، ويُصَدِّق ذلك كله الفرج أو يكذبه » .

قال الهَيْثَمُ بن عَدِىّ ، قال لى صالحُ بنُ حَيّان : مَنْ أفقهُ الشّعراء ؟ فقلت : اختلف فى ذلك . فقال : أفقهُ الشعراء وَضَّاحَ اليمن[٢] ، حيث يقول :

إذا قلتُ هاتِى ناولينى تَبَسَّمَتْ   وقالت: معاذَ الله مِنْ فِعْل ماحَرُمْ

فما نَوَّلَتْ حتّى تَضَرَّعتُ عِنْدَها   وأعلمتُها ماأرخَصَ اللهُ فى اللَّمَمْ[٣]

---

(١) ا : القول .

(٢) هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال ، شاعر رقيق الغزل ، قتله الوليد بن عبد الملك ، لتغزله فى زوجته أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، انظر الأغانى ٦/٣٠ — ٤٤ .

(٣) البيتان فى محاضرات الأدباء ١/٢١٠ ، وفيات الأعيان ٦/٦٦ .

بابُ الرَّسُول

ذكر ابن الأنبارى ، عن ثعلب ، عن ابن الأعرابى ، قال : الرَّسُول والرَّسِيل والرِّسالة سواء .

وينشد هذا البيت على وجهين :

لقد كَذَبَ الواشُونَ مابُحْتُ عندهُم ... بسرٍّ ولا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ[1]

[2]ويروى برسيل[2].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أبردتم[3] إلىّ بريداً ، أو بعثتم رسولا ، فليكن حَسَن الوجه ، حَسَن الاسم ، وإذا سألتم الحوائج فاسألوا حسان الوجوه » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الرجل الصّالح يجىء بالخبر الصالح ، والرجل السّوء يأتى بالخبر السّوء » .

أنشد أبو حازم القاضى ببغداد :

وأتانا عن النبىِّ حديثا ... ن[4] إليهِ كِلاهُما يُسْنَدَانْ[4]

واحِدٌ فى الحاجاتِ يأمُرُنا أنْ ... نَبْتَغِي مِنْ ذَوى الوُجُوهِ الحِسَانِ

ثم فى الفَألِ حُبُّهُ حُسْنَ الاسْـ ... ـمِ وهٰذان فيك مُجْتَمِعانِ

ومعاذَ الإلٰهِ أن يُلْفَيا فيـ ... ـكَ كما جَاءَ عنه[5] لا يَصْدُقانِ

---

(١) البيت لـكثير ديوانه ٩٢ ، الأمالى ٢/٦٣ ، وفيهما : بليلى ... برسيل .

(٢) ساقط من ب .

(٣) ب : أبردتم .

(٤) ساقط من ب ، وفى ا : كلاهما عن النبي يسندان ولا يستقيم معها الوزن .

(٥) فى ا : عدلا .

كان عبدَ الملك بن مروان إذا وَلَّى رجلاً البريدَ ، سأل عن صدقه وعفته وأمانته، وقال : إن كذبه يشكك فى صدقه ، وشرّه يحمله على كتمان الحق ، وعجلته تهجم به على ما يندمه ويؤثمه .

قالوا : الرسول قطعة من المرسل .

قال عمرُو بنُ العاص : ثلاثةٌ دالّة على صاحبها : الرسول على المرسل ، والهدية على المهدى ، والكتاب على الكاتب .

لما قال عمر بن أبى ربيعة :

مَنْ رسولى إلى الثُّرَيَّا فإنِّى ... ضقتُ ذَرْعاً بهجرِهَا[1] والكِتَابِ

هى مكنونةٌ تحَيَّرَ منها ... فى أديم الخدَّيْن ماء الشّبابِ

أَبْرَزُوها مِثْلَ المَهاةِ تهَادَى ... بَيْنَ خمسٍ كواعبٍ أَتْرابِ

ثم قالوا : تحبها ؟ قلتُ : بَهْرًا ... عَدَدَ القَطْرِ والحَصَى والتّرابِ[2]

قال له ابن أبى عتيق : والله لا كان المبلغ لهذا الشعر غيري . فارتحل من المدينة حتى أتى مكة ، فصادف الثريا فى الطواف . فقالت له : يا ابن أبى عتيق ! ما جاء بك، وليس هذا أوان الحج ؟ فقال : أبيات لعمر . فقالت : أنشدنى . فأنشدها الأبيات حتى أتى على آخرها . فقالت : أدى الله أمانتك ، فقد أديت . قال : فضرب راحلته ورجع .

قال صالح بن عبد القدوس:

إذا كنتَ فى حاجةٍ مُرْسِلاً ... فأرسلْ حَكِيمًا ولا تُوصِهِ

(١) ب : بحبها .
(٢) ديوانه ٢٦ .

وإن بابُ أمرٍ عَلَيْكَ الْتَوى   فشاوِرْ لبيباً ولا تَعْصِهِ[١]

سمع الخليلُ بنُ أحمد رجلاً يُنْشد بيت صالح هذا :

إذا كنتَ فى حاجةٍ مُرْسِلاً   فأَرْسِلْ حَكِيمًا ولا تُوصِهِ

فقال : هو الدِّرهم .

[[٢] وقال آخر :

وما أَرْسَلَ الأقوامُ فِي حاجةٍ   أَمْضَى ولا أَنْفَعُ مِنْ دِرْهَمِ

يأتيك عَفْوًا بالّذِى تشتهِى   نِعْمَ رَسُولُ الرَّجُلِ المُسْلِمِ[٣]

ولبعض المتأخرين من أهل عصرنا :

إذا ما كنتَ متّخذًا رسولاً   فلا تُرْسِل سِوَى حُرٍّ نبيلِ

فإن النُّجْحَ فى الحاجاتِ يأْتِى   لِطَالبها على قَدْرِ الرَّسُولِ

وقال الراجز :

ما مُرْسَلٌ أنجحُ فيما نَعْلَمُ   مِنْ طَبَقٍ يُهدَى وهذا الدِّرْهَمُ[٤]

وقال منصور الفقيه :

أرسلتُ فى حاجةٍ رسولاً   يُكْنَى أَبَا دِرْهَمٍ فَتَمَّتْ

ولو سِوَاهُ بَعَثْتُ فِيهاَ   لم تَحْظَ نَفْسِى بِمَا تَمَنَّتْ

---

(١) انظرهما فى الموشح للمرزبانى ١٦ ، وقد ورد البيت الأول فى حماسة البحترى ١٩٨ منسوبا إلى عبدالله بن معاوية الجعفرى .

(٢) يبدأ من هنا سقط كبير فى نسخة ب .

(٣) محاضرات الأدباء ١/٢٤٠ . عيون الأخبار ٣/١٢٣ .

(٤) البيت فى عيون الأخبار ٣/١٢٣ .

بابُ الهَدِيّة

قال رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسَلّم : « الهديةُ رزقٌ من رزق الله ، فمن أهدى إليه شيء فليقبلْه ولا يردّه ، وليكافئْ عليه » .

وقال صلى اللهُ عليه وسلّم : تهادوا فإنّ الهدية تُذْهِبُ السّخيمة[1] ، وتزيل وَحَرَ[2] الصدور ، ولا تحقرن جارة لجارتها ، ولوفِرْسِنْ شاة[3] » ، وكان رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم ، يقبل الهدية ، ويثيب عليها أفضل منها .

وقال صلى اللهُ عليه وسلم : « لو أُهْدِى إلىّ ذراع لقبلت ، ولو دُعيتُ لِكُرَاع لأجبت » .

قال رجل لأبى ذر : فلان يقرئك السلام . فقال : هدية حسنة ، وحمل خفيف .

وقال علىُّ بن أبى طالب رضى اللهُ عنه : نعم الشىء الهديةُ أمام الحاجة .

وقد حدثنا ابنُ صاعد،قال : حدثنا زياد بن يحيى أبو الخطاب ، حدثنا أبو عتّاب الدّلاّل ، حدثنا عثمانُ بنُ عبد الرحمن ، حدثنى الزُّهْرى ، عن عبد الله بن وَهْب بن زَمْعَه عن أم سلمة ، عن النبى صلّى اللهُ عليه وسلم، قال: « الهدية تُذْهِب السّخيمَة». قيل : وما السّخيمة ؟ قال : « الإحْنَة تكون فى الصُّدُور » .

وعن الهيثمُ بن عَدِىّ ، قال : كان يقالُ : ما ارتُضِىَ الغَضْبَان ، ولا استُعطف السّلطان ، ولا سُلّبت الشَّحْناء ، ولا دُفِعَت المغارم، ولا تُوُقّىَ المحذور،ولا اسْتُعمل المهجورُ ، بمثل الهَدِية والبرّ .

---

(١) السخيمة : الحقد والعداوة .

(٢) الوحر : الحقد .

(٣) فى الأصل : فرث وفرسن شاة : ظلفها . النهاية ٣/٤٢٩ .

قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلّم : « من أهْدِيَتْ إليه هَدية فجلساؤُه شركاؤُه فيها » .

قال أبو إسحاق الصَّابى :

رويت فِي السُّنَّةِ المشْهُورةِ البَرَكَهْ   أنّ الهدِيَّةَ فِي الجُلاَّسِ مُشْتَرَكَهْ(١)

كان يزيدُ بنُ قيس الأرْحَبيّ ، والياً لعلى رضى الله عنه ، فأهدى إلى الحسن والحسين رضى الله عنهما وترك ابن الحنفية ، فضرب علىّ رحمه الله على جنب ابن الحنفيه ،وقال :

وما شَرُّ الثّلاثَةِ أمَّ عَمْرٍو   بِصَاحِبِكِ الّذى لَمْ تُصْبِحِينَا(٢)

روى عن النبي صلى اللهُ عليه وسلّم أنه قال للقرابات:« تزاوَرُوا ولا تجَاوَرُوا، وَتَهَادَوْا فإن الهدّية تثبت المروءة ، وتَسُلُّ السّخيمة » .

أصبح عند علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه بالكوفة يوم نيروز هدايا كثيرة وتحف ، فأنكر ذلك . فقالوا له : إنه يوم النيروز . قال : فنيرزوا لنا إذاً كل يوم .

قال أبو عمر : كان هذا منه رضىالله عنه — إن صَحّ —قبل أن يدخل الكوفة، وأن يكون خليفة ، لأن المحفوظَ عنه من رواية الثقات أنه كان لايقبلهديةَنيروز ولا مهرجان ، وأنه كان يأخُذ ما أهدىَ إليه عمالُه فيضعُهُ فى بيت المال — مال المسلمين .

---

(١) التمثيل والمحاضرة ٤٦٨ ، وقد نسبه الثعالبي فيها الى الصاحب بن عباد .

(٢) البيت لعمرو بن كلثوم من معلقته المشهورة ، انظره فى جمهرة أشعار العرب ١٥٨ ، التمثيل والمحاضرة ٥٤ ، نهاية الأرب ٦٤/٣ .

قال يونُسُ بن عبيد : أتيت ابن][1] سيرين يوماً ، ومعى خبيص[2] ، فقلت : قولوا له: يونس بالباب . فقال — وأنا أسمع — : قولوا له : قد نام . فقلت : إن معى خبيصاً . قال : كما أنت حتى أخرج إليك .

قال الشاعر :

هَدايا النّاسِ بَعْضُهُمُ لِبَعْضٍ تُوَلِّدُ فى قُلُوبِهِمُ الوِصَالاَ
وتَزْرَعُ فى الضّميرِ هَوىً ووُدّاً ويَكْسُوهُمْ إذَا حَضَرُوا جَمالاَ[3]

قال أبو عَوَانة : قلت للأعمش : يا أبا محمد ! إن عندى بطة سمينة ، أفتكون عندى فى الدار ؟ قال : وما تصنع بعنائى ؟ ! ابعثْ بها إلى الدار .

قال الشاعر :

إنّ الهَدَايا لَهاَ حَظٌّ إذا وَرَدَتْ أَحْظَى مِنَ الإبْنِ[4] عِنْدَ الوَالِدِ الحَدِبِ

وقال آخر :

ما مِنْ صَدِيقٍ وإنْ أَبْدَى مَوَدّتَه يَوْماً بأَنْجَحَ فى الحَاجَاتِ مِنْ طَبَقِ
إذا تَلَثّمَ بالمِنْدِيلِ مُنْطَلِقاً لَمْ يَخْشَ صولةَ[5] بَوابٍ ولا غَلَقِ
لا تكذبَنّ فإنّ النّاسَ قد خُلِقُوا لرغبةٍ يُكرِمُونَ النّاسَ أو فَرَقِ

---

(١) إلى هنا ينتهى النقص من نسخة ب .
(٢) نوع من الأطعمة يصنع من التمر والسمن .
(٣) نسب البيتان لابن قم الزبيدى الحسين بن على المتوفى سنة ٥٨١ هـ ، فى معجم الأدباء ١٠/١٤٧ ، وقد وردا فى ديوان أبى العتاهية ٣٤٢ .
(٤) ب : الأمن .
(٥) ب : سطوة .

أمّا الفَعَالُ فعِنْدَ النَّجْمِ مَطْلَعُهُ   والقَوْلُ يُوجَدُ مَطْرُوحاً عَلَى الطُّرُقِ[(١)]

وقال آخر :

أهدى إليه حَبِيبُه أُتْرُجّةً   فبَكَى وأشْفَقَ مِنْ عِيَافَةِ زَاجِرِ

خَوْفَ التّبَدُّلِ والتّلَوُّنِ إنّها   لَوْنَان باطِنُها خِلافُ الظّاهِرِ[(٢)]

بعث أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع بنعل ، وكتب معها :

نعلٌ بعثتُ بها لِتَلْبَسَها   تَمْشِي بها قَدَمٌ إلى المَجْدِ

لو كان يَحْسُن أن أُشَرِّكَهَا   خَدّى جَعَلْتُ شِرَاكَهَا خَدِّى[(٣)]

أهدى الطائى إلى الحسن بن وهب قلماً ، وكتب إليه :

قد بَعَثْنَا إليكَ أكْرَمَكَ الـلَّـــهُ بِشَىْءٍ فكُنْ لَهُ ذا قَبُولِ

لا تَقِسْهُ إلى نَدَى كَفِّكَ الغَمْـ   ـرِ ولا نَيْلِكَ الكَثِيرِ الجَزِيلِ

واغْتَفِرْ قِلّةَ الهَدِيّةِ مِنِّى   إنّ جَهْدَ المُقِلِّ غَيْرُ قَلِيلِ[(٤)]

أو لم إسحاق بن إبراهيم الموصلى وليمة ، فأهدى إليه إخوانه هدايا ، وأهدى إليه إبراهيم بن المهدى جراب ملح وجراب أشنان[(٥)] مطيب ، وكتب إليه رقعة :

---

(١) الأبيات فى محاضرات الأدباء ١/١٩٩ ، عيون الأخبار ٣/١٢٣ .

(٢) البيتان لكلثوم بن عمرو العتابى ، انظر زهر الآداب ٤/٨٧ ، وفيه : أهدى له أحبابه ، وانظر العقد الفريد ٢/٣٠٢ محاضرات الأدباء ٢/٢٥٩ .

(٣) البيتان فى الديوان ٨٠ ، عيون الأخبار ٣/٣٩ ، البيان ٣/١٢٢ ، العقد الفريد ٦/٢٨٣ وشراك النعل : سيوره التى يشدبها .

(٤) لم أعثر على هذه الأبيات و الديوان ، وقد وردت منسوبة إليه أيضا فى العقد الفريد ٦/٢٨٥ ، عيون الأخبار ٣/٣٩ .

(٥) الأشنان بضم الهمزة وكسرها : نبات جلاء منق تغسل به الأيدى والأسنان .

فداك أخوك عنده ، لولا أن البضاعة تقصر لجُزْتُ السَّابقين إلى برِّك ، وكَرِهْتُ أن تطوى صحيفة البرّ ولاحظّ لى فيها ، فوجّهتُ إليك بالمبتدأ به ليمنه وبركته ، والمختوم به لطيبه ونظافته ، جرابُ ملح وجراب أشنان ، هدية من يحتشم (١) إلى من لا يغتنم ، وكتب أسفل الرقعة :

هَدِيَّتِي تَقْصُرُ عن هِمَّتِي وهِمَّتِي تَعْلُو عَلَى مَالِي
وخَالِصُ الوُدِّ ومَحْضُ الهَوَى أَحْسَنُ مَا يُهدِيهِ أَمْثَالِي (٢)

بعث رجل إلى دعبل بأضحية ، فكتب إليه دعبل (٣) :

بعثت إِلَيْنَا بأُضْحِيَّةٍ وكنتَ حرِيًّا بأنْ تَفْعَلَا
ولكنَّهَا خَرَجَتْ غَثَّةً كأنكَ أرْعَيْتَهَا حَرْمَلَا (٤)
فإنْ قَبِلَ اللهُ قُرْبَانَها فَسُبْحَانَ رَبِّكَ ما أعْدَلَا

قال قَتَادَة : يُعرف سخف الرجل فى سخف هديته . قال ذلك فى نعل أهديت إليه .

ولى فى هذا :

سَخَافَةُ المَرْءِ تُدْرَى فِي هَدِيَّتِهِ والنَّوكُ واللُّؤْمُ فيها (٥) يَظْهَرانِ مَعَا
إِنَّ اللئيمَ إذا أهدى هَدِيَّتَهُ أَبْدَى نَذَالَتَهُ فيها لمن سَمِعَا

---

(١) ب : من لا يحتشم .

(٢) ورد البيتان منسوبين لأبى محمد بن مهدى العكبرى فى معجم الشعراء ٤٣٠ ، وانظر هذه القصة مع اختلاف فى بعض ألفاظها فى العقد الفريد ٢/٢٨٤ .

(٣) الأبيات له فى عيون الأخبار ٣/٤٣ .

(٤) الحرمل : نبات مر صغير كالسمسم ، لا تأكله إلا المعزى .

(٥) زيادة من ا .

ولخلف الأحمر :

سَقَى حُجَّاجَنَا نَوْءُ الثُّرَيَّا عَلَى مَا كَانَ مِنْ بُخْلٍ ومَطْلِ(١)

هُمُ(٢) جَمَعُوا النِّعَالَ وأَحْرَزُوها . وسَدُّوا دُونَهَا(٢) بابًا بِقُفْلِ

إذا أهديتُ فاكِهَةً وشَاةً وعَشْرَ دَجَائِجٍ بَعَثُوا بِنَعْلِ

ومِسْوَاكَيْنِ طُولُهُمَا ذِرَاعٌ وعَشْرٍ من ردِىءِ الْمُقْلِ خَشْلِ(٣)

فإن أهديتُ ذاك لِتَحْمِلُونِي على نعل فدَقّ اللهُ رِجْلِي

أُناسٌ يَأنَفُونَ(٢) لهم رُوَاءٌ تَغيمُ(٢) سماؤُهم من غير وَبْلِ

إذا انْتَسَبُوا ففرعٌ من قريشٍ ولكنّ الفِعَالَ فَعَالُ عُكْلِ(٤)

وقال آخر فى جار له أتى من الحج لم يهد إليه شيئاً :

عَبّاسُ ما وَجْهُك بالهشّ ولا أُبَرِّئُكَ من الغِشّ

لم تُهْدِلِي نَعْلاً ولا مُقْلَةً كأنّما جئتَ من الحُشِّ(٥)

ولمنصور الفقيه — يداعب صديقاً يكنى أبا نصر ، ويسمى فتحاً، قدم من الحج — شعرٌ حسنُ النظم مليح المعنى ، رأيت إيراده لحسنه :

سألتُ الحجيجَ وقد أقبلُوا يَؤُمُّونَ مصرَ مِنَ أرضِ الْحَرَمْ

فقلتُ لهم — بعد إينَاسِهِمْ — : أفتحٌ بمكّةَ .أَمْ قد قَدِمْ ؟

---

(١) ا : من مطل وبخل .

(٢) ب : تائهون .

(٣) المقل : ثمر شجر الدوم ، والخشل منه : رديئه أو يابسه .

(٤) وردت الأبيات الأربعة الأولى فى البيان ٣/١١٢ ، محاضرات الأدباء ١/١٦٣ ، وانظرها جميعاً فى عيون الأخبار ٣/٣٨ ، الشعر والشعراء ٧٦٤ .

(٥) الحش مثلثة الحاء: المخرج الذى يقضون حوائجهم فيه .

فقالوا : ترحَّــلَ من قبلِنا   لعشرِ ليالٍ توالتْ حُرُمْ

فقلت : بحُرمةِ من زرْتمُ ؟   أحقًّا تقولون ؟ قالوا : نعَمْ

فأقبلتُ فى صَرْخةٍ منهمُ   وقلبى مِمّا به يضطرِمْ

أُعَــدِّدُ آلاءهُ والجفونُ   مَسَافيحُ بالدّمعِ والدّمعُ دَمْ

فصادفنى صَالِحٌ عَبْدُهُ(١)   فقال(٢) فديتُكَ لِمْ تلتَدِمْ ؟

وماذا دعَاكَ إلى ما أرى   فقلتُ : الحِذَارُ عَلَى ذِى الكرمْ

أبى(٣) نَصْرِ البَحْرُ من جُودِهِ   إذا المُزْنُ ضَنَّتْ بصوبِ الدِّيَمْ

فقال : أَلَمْ يَأْتِ من جُمعةٍ   فقلتُ : كَذبتَ فأينَ الأَدَمْ ؟

وأين القِفَافُ الحِسَانُ القُدُودِ   وأقداحُ جَيْشَانَ تلك السَّلَمْ(٤)

(٥وأينَ النِّعَالُ وأين الفِرَاءُ   وأين البُرُودُ وأين البُرَمْ٥)

وأينَ القدِيدُ قَدِيدُ الظِّبَاءِ   وأين المُلَوَّزُ مِثْلُ العَنَمْ(٦)

فقال : وحقِّكَ ما جاءنا   بشىءٍ سِوَى نفسه فاغتنِمْ

قدومَ صديقكِ واسْتَهْدِه   حديثَ الوُفُودِ وفودِ الأُمَمْ

إلى البيتِ يُشْهِدْكَ أخْبارَهُ   عجائبَ عُرْبِهِمُ والعَجَمْ

فقلتُ : ألا ليتَ أخْبارَه   وناقِلَها خَلْفَ قافٍ ولَمْ

---

(١) ب : عنده .

(٢) ب : فقلت .

(٣) ساقط من ب

(٤) ب : وأتراح حسان تلك الشيم ، وأقداح جيشان أقداح منتظمة دقيقة تصنع فى بلدة جيشان باليمن .

(٥) زيادة فى م .

(٦) ب : الملون مثل النعم .

وخَلَدَ بن خليفة الأقْطَع من بنى قَيْس بنِ ثَعْلبة فى جار له غاب ثم قدم، ولم يُهدْ له، وكانت بينهما مصافاة :

أتانا أخٌ من غيبةٍ غابَ أشْهُرًا وكنتُ إذا ماغابَ أنْشُدُهُ الرَّكْبا
فجاء بمعروفٍ كثيرٍ فذَمَّهُ كمادَسَّ راعِى السُّوء فِى حِضْنِه الوَطْبا(١)
فقلتُ له : هل جئتنى بهدِيَّةٍ فقال : بِنَفْسى. قلتُ : آثِرْ بها الكَلْبا
هى النَّفْسُ لا آسَى عليها وإنْ نأتْ ولا أَتَمَنّى الدَّهْر يوماً لها قُرْبا
إذا هِىَ أَوْفَتْ من ثمانِينَ قامةً فلا السَّهلَ لَقَّاها الإلٰه ولا الرَّحْبا(٢)

أهدى أبو أسامة الكاتب إلى بعض إخوانه فى يوم نيروز وردة وسهما وديناراً ودرهماً، وكتب إليه :

لازلت كالوَرْدِ نَضِيرَ المِيسَمِ ونافِذًا مِثْلَ نُفُوذِ الأَسْهُمِ
فى عِزِّ دِينارٍ ونُجْحِ درْهَمِ(٣)

أهدى أبو إسحاق بن هلال الصابى إلى عضد الدولة فى يوم مهرجان اصطرلاباً على قدر الدرهم محكم الصنعة وكتب إليه :

أهدى إليك بنُو الحاجاتِ واحتَشَدُوا فى مِهْرَجَانٍ عظيمٍ أَنْتَ تُعْليهِ
لكنّ عبدَكَ إبراهيمَ حين رأى سُمُوَّ قدرِكَ عن شيءٍ تُسامِيهِ

---

(١) ى ، : الرطبا ، وهو تصحيف ، والوطب : سقاء اللبن يصنع من جلد الجذع فما فوقه .
(٢) عيون الأخبار ٣/٣٦ ، محاضرات الأدباء ١/١٩٩ مع خلاف فى ألفاظ الرواية .
(٣) محاضرات الأدباء ١/١٩٤ .

[(١) لم يَرْضَ بالأرضِ يُهْدِيها إليكَ فقدْ أهْدَى لك الفَلَكَ الأعْلَى بما فِيهِ (٢)]

وأهدى شمس المعالى إلى عضد الدولة سبعةَ أقلام ، وكتب إليه :

قد بَعَثْنَا إليكَ سَبْعَةَ أقلا مٍ لها فِي البَهَاءِ حَظٌّ عَظِيمُ

مرهفاتٍ كأنّها ألسُنُ الحَيَّـــاتِ قَدْ جَازَ حدَّها التّقويمُ

وتفاءلتُ أن سَتَحْوِى الأقالي مَ بها كلُّ واحدٍ إقليمُ (٣)

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : كانت الهدية فيما مضى هدية ، أما اليوم فهى رشوة .

وقال كعب الأحبار : قرأت فى ما أنزل الله على بعض أنبيائه : الهدية تفقأ عين الحكيم .

وقال الشاعر :

إذا أتتِ الهَدِيةُ بابَ قومٍ تطايَرَتِ الأمانةُ من كُوَاهَا

---

(١) من هنا يبدأ سقط من نسخة ب .

(٢) يروى : واختلفوا بدل واحتشدوا ، ومبليه بدل تمليه ، وعلو مكان سمو ، انظرها فى : المتطرف ٦٨/٢ ، معجم الأدباء ٣٤/٢ ، زهر الآداب ٦٣/٢ .

(٣) الأبيات لشمس المعالى واسمه قابوس بن وشمكير ، انظر ترجمته والأبيات فى معجم الأدباء ٢٢٥/١٦ ،

بَابُ الجَارِ

قالت عائشة : يارسولَ اللهِ ! إن لى جارين فإلى أيِّهِماَ أُهْدِى؟ قال:«إلى أقربهما إليك باباً» .

وقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلّم : « لا يؤمنُ جارٌ حتى يأمن جارُه بوائِقَهُ »

وقال رسولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم :« مازالَ جبريلُ يوُصِينى بالجارحتى ظننتُ أنه سيُوَرِّثُهُ».

كان داودُ عليه السلام يقول : اللّهم إنى أعوذ بك من جار سوءٍ ، عينهُ ترعانى ، وقلبُه لا ينسانى .

مكتوب فى التوراة : إنّ أحسدَ النّاس لعالمٍ وأنعاه عليه قرابتُه وجيرانه .

وقال عِكْرمة : أزهدُ النّاسِ فى عالم جيرانُه .

قال رجل لسعيدِ بن العَاص : واللهِ إنّى لأحبُّك . فقال له : ولم لا تحبّنى ولستَ بجار لى ولا ابن عم .

كان يقال : الحسدُ فى الجيران ، والعداوةُ فى الأقارب .

روى يحي بن زكريا بن يحي الباجى ، قال : حدثنى محمد بنُ الفضل المكّى ، قال : حدثنى أبى عن إبراهيم عن عبد الله ، قال : مَرَّ مالك بن أنسٍ بقَينة تغنى شعر مسلم :

أنت أختِي وأنتِ حُرْمَةُ جارِي ... وحقيقٌ عليَّ حفظ الجِوَارِ
إنَّ للجارِ إنْ تغيبَ غيبًا ... حافظًا لِلمَغيبِ والأسْرَارِ
ما أُبالي أكانَ للبابِ سترٌ ... مسبل أم بَقِي بغيرِ سِتَارِ

فقال مالك: علموا أهليكم هذا ونحوه.

وعن مالك، أيضاً، قال مالك بن أنس، قال أبو حازم: كان أهل الجاهلية أحسن جواراً منكم، فإن قلتم: لا. فبيننا وبينكم قولُ شاعرهم:

ناري ونارُ الجارِ واحدةٌ ... وإليه قَبلي تنزِلُ القِدْرُ
ما ضرَّ جارًا لي أُجاوِرُهُ ... ألاّ يكونَ لِبيتِهِ سِتْرُ
أعمى إذا ما جارَتِي بَرَزَتْ ... حتّى يُوارِيَ جارَتِي الخِدْرُ[1]

قال أبو عُمر: هذا الشاعرُ مسكين الدارميّ[2].

وقال آخر:

أقولُ لجاري إذْ أتاني معاتبًا ... مُدِلاّ بحقٍّ أو مُدِلا بباطلِ
إذا لم يَصِلْ خَيْري وأنتَ مُجاوِري ... إليك فما شرِّي إليك بواصِلِ[3]

قال الأصمعي: ومن أحسن ماقيل في حسن الجِوار:

جاورتُ شيْبَانَ فأحْلَوْلَى جِوارُهُمُ ... إن الكرامَ خيارُ النّاسِ للجارِ

---

(١) الأبيات لمسكين الدارمي في معجم الأدباء ١١/١٣٢، محاضرات الأدباء ٢/١٠٢، الشعر والشعراء ٥٣٠، لباب الآداب ٢٧٥ وفيها: ألايكون لبابه.

(٢) يفهم من هذا أن مسكينا كان من شعراء الجاهلية، ولكن الواقع أنه شاعر إسلامي توفي سنة ٨٩ هـ وله أخبار مع معاوية وكان مقربا الى زياد بن أبيه، انظر معجم الأدباء ٤/٢٠٤، الشعر والشعراء ٢١٥.

(٣) العقد الفريد ٢/٣٦٥ من غير نسبة، وفيه: إن بدل إذا، ويدل مكان مدلا.

من كلام عليّ رحمه الله : الجارُ قبل الدار ، والرفيق قبل الطريق ، أخذه الشاعر فقال :

يقولونَ قبلَ الدّار جارٌ مجاورٌ ... وقبل الطَّريق النَّهْجِ أُنْسُ رفيقِ(١)

وقال آخر :

اطلبْ لنَفسِكَ جيرانًا تُجاوِرُهمُ ... لا تَصلُحُ الدّارُ حتّى يصلُحَ الجارُ

(٢)وقال آخر :

يلومونَنِي أنْ بعتُ بالرُّخْصِ مَنْزِلِي ... ولمْ يعرفُوا جارًا هناكَ يُنَغِّصُ(٣)

فقلْتُ لهم كُفُّوا المَلامَ فإنَّها ... بجيرانها تغلُو الدِّيَار وتَرْخُصُ(٢)

قال الحسنُ البَصْرى رحمه اللهُ : إلى جنبِ كلِّ مؤمن ، منافقٌ يؤذيه .

وقال بَشّارُ بن بِشر المجاشعي :

وإنِّي لعفٌّ عن زيارةِ جارَتِي ... وإنِّي لَمَشْنُوءٌ(٤) لدىَّ اغتِيَابُها

إذا غابَ عنِّي بعلها(٥) لم أكن لها(٥) ... زَؤورًا ولم تأنسْ إليَّ كِلابُها

ولم أكُ(٦) طلاَّبًا أحاديث سِرِّها ... ولا عَالمًا(٧) من أي جنسٍ ثيابُها(٨)

---

(١) فصل المقال ٣١١ ، محاضرات الأدباء ١/٢٣٠ .

(٢) ساقط من ب .

(٣) البيتان فى فصل المقال ٣١٠ ، ٣١١ .

(٤) ا : مسرور ، وهو تصحيف واضح .

(٥) ساقط من ب .

(٦) ب : أر .

(٧) ب : عايا .

(٨) انظر الأبيات فى عيون الأخبار ٣/١٨٣ مع اختلاف فى بعض الألفاظ .

قال عمرُ بن الخطّاب رضى الله عنه: من حق الجار أن تبسط له معروفك وتكف عنه أذاك.

قال علّى للعباس رضى الله عنهما: ما بقى من كرم أخلاقك؟ قال: الإفضال على الإخوان، وترك أذى الجيران.

كان يقال: ليس من حسن الجوار ترك[١] الأذى، ولكنه الصبر على[٢] الأذى..

قال منصور الفقيه يمدح بعض إخوانه من جيرانه:

يا سائلى عن حُسَيْنٍ[٣] وقد مضى أَشْكالُهْ
أقل ما فى حُسَيْنٍ[٣] كفُّ الأذى واحتمالُهْ

قال الحطيئة[٤]:

لَعَمْرُكَ ما المجاورُ فى كليبٍ بمُقْصًى فِى الجوارِ ولا مُضَاعِ
هُمُ صَنَعُوا لجارِهِمُ وليستْ يدُ الْخَرْقاءِ مثلَ يَدِ الصَّنَاعِ
ويَحْرُمُ سِرُّ جَارَتِهِمْ عَلَيْهِمْ ويَأْكُلُ جَارُهُمْ أَنْفَ القِصَاعِ[٥]

وقال الحسن بن عرفطة:

ولم أرَ مثلَ الجَهْلِ يدعو إلى الرّدَى ولا مثلَ جارِ السُّوءِ يُكره جانِبُهْ

---

(١) ب: كف.

(٢) ب: احتمال.

(٣) ب: حسن.

(٤) ديوانه ٦٢، وقد ورد الشطر الأول فيه: وليس الجار جار بنى كليب، وانظر الأبيات فى الكامل ٢/٦٩.

(٥) قال فى الكامل: أنف القصاع: يريد المستأنف الذى لم يؤكل قبل منه شىء، يقال: روضة أنف إذا لم ترع، وكأس أنف إذا لم يشرب منها شىء قبل.

وقال آخر :

لا يأمنُ الجارُ شَرًّا فى جِوَارِهُمُ ... ولا محالةَ من شَتْمٍ وألْقابِ [1]

ومثل هذا قول الآخر :

أُجِلُّ العَشِيرَةَ إمّا حَضَرْتُ ... ولا أتَعَلَّمُ أَلْقابَها [2]

وقال حاتم الطائى ، ويروى لغيره :

أيا ابنةَ عَبْدِ اللهِ وابنةَ مالكٍ ... ويا ابنةَ ذِى البُرْدَيْنِ والفَرَسِ الوَرْدِ

إذا ما عملتِ الزَّادَ فاتَّخِذِى لَهُ ... أكيلاً فإنِّى لَسْتُ آكِلَهُ وَحْدِى

بعيدًا قَصِيًّا أو قَرِيبًا فإنِّنى ... أخافُ مَذَمّاتِ الأحاديثِ من بَعْدِى

وكيف يُسيغُ المرءُ زادًا وجارُهُ ... خَمِيفُ المِعَى بادِى الخَصَاصَةِ والجَهْدِ [3]

وقال غيره :

سُقيًا ورَعْيًا لأقوامٍ نزلتُ بهم ... كأنّ دارَ اغْتِرَابِى عندَهُمْ وَطَنِى

إذا تأملتُ منْ أخْلاقِهِمْ خُلُقًا ... علمتُ أنَّهُمُ من حِلْيَةِ الزَّمَنِ

وقال ابن حبناء :

إذا مارفيقى لم يكُنْ خلفَ ناقتِى ... له مركبٌ فَضْلٌ فلا حَمَلتْ رِجْلِى

---

(١) ورد البيت فى الحماسة لأبى تمام ١٩٩/٢ منسوبا إلى حريث بن عناب وفيها الشطر الأول : لا يرتجى الجار خيرا فى بيوتهم .

(٢) ورد البيت فى معجم الشعراء ٣٥٣ لكناز بن صريم الجرمى ، وفيه الشطر الأول : ولكن أطاوع ساداتها .

(٣) يروى : صنعت مكان عملت ، ويروى الشطر الأول من البيت الثالث : أخا طارقا أو جار بيت فإننى ، وقد وردت الأبيات ماعدا الأخير فى ديوان حاتم ٩ ، ونسبت له فى عيون الأخبار ٢٦٣/٣ ، وفى حماسة أبى تمام ٢٩٢/١ لم تنسب ، وعقب عليها التبريزى بأنها لحاتم يخاطب بها امرأته ، ووردت منسوبة لقيس بن عاصم المنقرى فى الأغانى ١٢/ ١٠٠ ، الكامل ١/ ٣٤٥ .

ولم يكُ من زادِى له نصفُ مِزوَدِى   فلا كنتُ ذَا زادٍ ولا كنتُ ذا رَحْلِ
شريكَيْنِ فيما نَحْنُ فيه وقد أَرَى   علىَّ له فَضْلاً بما نَال مِنْ فَضْلى

ويروى لحاتم الطائى .

تذاكر أهل البصْرة من ذوى الآداب والأحساب فى أحسن ما قاله المولدون فى حسن الجوار من غير تعسف ولا تعجرف ، فأجمعوا على بيتى أبى الهندى[1] وهما :

نزلتُ على آلِ المهلَّبِ شاتِياً   غريباً عن الأوطانِ فى زمنٍ مَحْلِ
فما زالَ بى إكرامُهُمْ وافتقادُهُمْ   وبِرُّهُمُ حتّى حَسِبْتُهُمُ أهْلِى[2]

(١) أبو الهندى ورد اسمه فى الأغانى ٢١/١٧٧ ، وفى فوات الوفيات ٢/٢٤٠ ، غالب بن عبد القدوس ابن شبث بن ربعى الرياحى اليربوعى ، وسماه فى الكامل عبد المؤمن بن عبد القدوس ، انظر رغبة الآمل ٦/١٦٢ ، وهو شاعر مطبوع أقام عمره فى سجستان وخراسان ، فلم يشتهر ذكره لبعده عن بلاد العرب ، مات سنة ١٨٠ هـ تقريباً .

(٢) ورد البيتان فى البيان ٢/٢٢٢ ، عيون الأخبار ١/٢٦١ ، منسوبين إلى بكير بن الأخنس ، ووردا فى الأمالى ١/٤١ ، لباب الآداب ٣٦٦ ، وفيات الأعيان ٤/٤٣٩ ، الحماسة ١/١٣٥ ، ١٧٦ بغير نسبة ، ويروى : والطافهم بدل برهم .

بابُ الضَّيْف

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليلةُ الضَّيف حقٌّ واجب » .

وقد أوضحنا فى كتاب « التمهيد » معنى هذا الحديث وغيره فى الضيافة، وذكرنا قول من أوجبها ومن ندب إليها ؛ ووجوه أقوالهم واعتلالهم والحمد لله وحده .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، جائزته يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام ، وما زاد فهو صدقة ، ولا يحل أن يثوى عنده حتى يحرجه » .

قيل للأوزاعى : رجل قدَّم إلى ضيفه الكامخ والزيتون ، وعنده اللحم والعسل والسمن ؟ فقال : هذا لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر .

قال أبو ذؤيب :

لا دَرَّ دَرِّىَ إن أطعَمْتُ نَازِلَهُم ... خُبْزَ الشَّعِير وعِندى البُرُّ مَكْنُوزُ[1]

قال نافع : كان ابن عمر إذا نزل على قوم لا يأكل لهم شيئاً فوق ثلاث، ويقول بعد الثلاث : أمسكوا عنا صدقتكم ، ويقول لى : أنفق من عندك .

ذكر أبو عبيدة أن معاوية قال يوماً لجلسائه : أى أبيات العرب فى الضيافة أحسن ؟ فاختلفوا وأكثروا ، فقال معاوية : قاتل الله أبا النجم حيث يقول :

لقد علمتْ عِرْسِى فلانَةَ أنَّنِى ... طويلٌ سَنَا نَارِى بعيدٌ خُمُودُهَا

---

(١) نسب فى البيان ١ / ٣٤ وفى ديوان الهذليين ٢/١٥ المتنخل الهذلى (مالك بن عويمر) وفيهما : قرف الحتى بدلا من خبز الشعير ؛ وقرف الحتى : سويق قشر الدوم .

إذا حلَّ ضيفى بالفَلاَةِ ولم أجد   سوى مَنْبَتِ الأطنابِ شَبَّ وَقودُها[١]

وقالوا : أحسن شىء فى الضيافة قول مسكين الدارمىّ :

طعامى طعامُ الضَّيْفِ والرَّحْلُ رَحْلُهُ   ولم يُلْهِنِي عنه غَزَالٌ مُقَنَّعُ

أُحدِّثُه إنَّ الحديثَ من القِرَى   وتعلمُ نَفسى أنَّه سوف يَهْجَعُ[٢]

[٣]وقال العلوى صاحب الزنج[٣] :

يستأنسُ الضَّيْفُ فى أبياتنا أبدًا   فلَيْسَ يَعْلَمُ خلقٌ أيُّنا الضَّيْفُ

ولخالد عَيْنَيْن ، وإنما قيل له خالد عينين[٤] لأنه كان ينزل أرضا بالبحرين : يقال لها عَيْنَيْن :

أيهـا الموقدان شُبَّا سَنَاهَا   إنَّ للضَّيْفِ طَارِفى وتِلاَدِى

وقال عوف بن الأحوص[٥] .

ومستنبحٌ يغْشَى الغَدَاةَ وَدُونَه   من اللَّيْل بَابَا ظُلْمةٍ وسُتُورُهَا

رفعتُ له نارى فلمّـا اهتدى لها   زجرتُ كلابى أن يَهِرَّ عَقُورُهَا

فلا تسأَليني واسألى عن خليقتى   إذا رَدَّ عَافِى القدْرِ من يَسْتَعِيرُهَا

---

(١) انظرها فى الحماسة ٤٦٠ ، معجم الشعراء ٣٠٧ .

(٢) ورد البيتان فى ديوان عروة بن الورد ٢٢ ، والشطر الأول هناك : فراشى فراش الضيف والبيت بيته ، ووردا فى الحماسة لأبى تمام ٢/٣١٤ وتردد فى نسبتهما بين مسكين الدارمى ، وعتبة بن بجير ، والرواية هناك لحاف لحاف الضيف والبيت بيته .. الخ ، وانظرهما فى عيون الأخبار ٢/١٩٣ .

(٣) ساقط من ا .

(٤) انظر ترجمته والبيت التالى فى الشعر والشعراء ٤٣٤ .

(٥) انظر ترجمته فى معجم الشعراء ٢٧٥ وقد ورد اسم أبيه هناك الأحوم وهو خطأ ، انظر حماسة أبى تمام ٢/٣٠٩ ، وانظر الأبيات كلها فى المرجع الأول ، والبيتين الأولين فى الثانى والرواية هناك : يغشى المبيت مكان يغشى الغداة ، وسجفا ظلمة بدل بابا ظلمة ، واهتدى بها بدل لها ، هذا وقد وردت الأبيات فى الأغانى ١٢/٢٧٨ منسوبة إلى شبيب بن البرصاء .

تَرَىْ أن قِدْرِى لا تزَالُ كأنَّهَا ... لذى الغَرثِ المَقْرُورِ أمٌّ يَزُورُهَا

وقال حسان بن ثابت :

يُغْشَوْنَ حتّى ما تَهِرُّ كلابُهُمْ ... لايسأَلون عن السَّوَادِ المُقْبِلِ[١]

وقال أبو الطمحان القيني :

وقد عَرَفتْ كلابُهُمُ ثِيَابِى ... كأنّى منهمُ ونسيتُ أَهْلِى[٢]

وقال المَرَّارُ الحملى[٣] :

ألِفَ النَّاسَ فما يَهجُمُهُمْ[٤] ... من عَسِيفٍ[٥] يَبْتَغِى الخيرَ وَحُرّ

وقال امرؤ القيس :

أعرفُ الحقّ ولا أجهَلُهُ ... وكلابى أُنُسٌ غيرُ عُقُرْ

ما يُرَى كَلْبِىَ إلا آيِسًا ... إن رأى خابطَ ليلٍ لم يَهِرْ[٦]

وقال حاتم الطائى :

إذا ما بخيلُ النّاسِ هَرَّتْ كِلابُهُ ... وشقّ على الضّيْفِ الغَرِيب عَقُورُهَا

فإنّ كلابى قد أُقرّتْ وعُوِّدَت ... قليلٌ على من يعتريها هَرِيرُهَا[٧]

---

(١) ديوانه ٢٤٧ .

(٢) البيان والتبيين ٢/٢٢٤.

(٣) زيادة من ب ، ولم أعثر له على ترجمة ، وقد جاء فى سمط اللآلى ٢٣٩ أن المرارين من الشعراء سبعة ثم أورد أسماءهم ، ولم يرد فيهم هذا .

(٤) ب : هجيم ، م : يهيج ، والصواب ما أثبتناه .

(٥) العسيف : الأجير والعبد يستعان به .

(٦) ديوانه ٣٢ .

(٧) ديوانه ٢٧ ، وفيه : الصيف الضعيف بدل الغريب ، وقد أهرت مكان أقرت ، ويعتريى بدل يعتريها .

وقال أبو يعقوب الخريمي :

أُضاحكُ ضيفي قبل إنزالِ رَحْلِهِ ويُخْصِبُ عندي والمَحَلُّ جديبُ

وما الخِصْبُ للأضيافِ أن يكثُرَ(١) القِرَى

ولكنَّما وجهُ الكريم خصيبُ(٢)

وللشماخ في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب(٣) :

إنك يا ابْنَ جعفرٍ خيرُ الفتَى وخيرُهُمْ لِطَارِقٍ إذا أَتَى

وربَّ نِضْوٍ طَرَقَ الحيَّ سُرَى صَادَفَ زادًا وحديثًا ما اشْتَهَى

إنَّ الحديثَ جانبٌ من القِرَى(٤)

وقال سهل الوراق :

وضيفَكَ قابِلْهُ ببِرِّكَ(٥) وليَكُن له منك أبكارُ الحديثِ وعُونُه(٥)

وقال آخر :

سلي الطارقَ المُعْتَرَّ يا أمَّ مالكٍ إذا ما أتاني بين نارِي ومَجْزَرِي

أأَبْسُطُ وَجْهِي ؟ إنه أولُ القِرَى وأَبْذُلُ مَعْرُوفي لَهُ دُونَ مُنكَرِي(٦)

---

(١) ب : يكثروا .

(٢) البيتان في البيان ١/٢٨ مجموعة المعاني ٢٨ ، المختار من شعر بشار ١٩٣ ، عيون الأخبار ٣/٢٣٩ .

(٣) أول من ولد بالمسلمين بأرض الحبشة لما هاجر أبواه إليها، عاش في البصرة والكوفة والشام، وكان كريما يسمى بحر الجود ، توفي سنة ٨٠ هـ ، انظر الإصابة الترجمة ٤٥٨٢ ، فوات الوفيات ١/٢٠٩ (الأعلام ٤/٢٠٤) .

(٤) رواية البيان والتبيين ١/٢٦ : لنعم الفتى .. ونعم مأوى طارق، وجار ضيف طرق .. الخ ، وفي حماسة أبي تمام ٢/٣٢٨ : ورب ضيف مكان نضو ، ورواية الشطرة الأخيرة فيها : ثم الحاف بعد ذاك في الذرى . أي في الكنف والجانب ، وانظر محاضرات الأدباء ١/٣١٢ .

(٥) ب : ببشرك ، م : عوانه .

(٦) يروى الشطر الأول : سلي الجائع الغرثان يا أم منذر ، ويروى : قدري بدل ناري ، وأسفر مكان أأبسط ، والبيتان لعروة بن الورد ، ديوانه ١٩ ، الحماسة ٢/٢٤٦ ، ونسبا في البيان والتبيين ١/٢٦ إلى حاتم الطائي .

تمثل بهذين البيتين عبد الله بن جعفر بن أبى طالب فى جوابه معاوية .

أما قول الشاعر :

بئسَ عَمْرُ اللهِ قَوْمًا طُرِقُوا فقَرَوا أَضْيافَهُمْ لَحْمًا وَحِرْ

فإنه أراد لحمًا دبت عليه الوَحَرَةُ ، وهى دُوَيبَّةٌ كالعَظَايَةِ خضراء إذا اجتمعت تلتصق بالأرض : الجمع : وَحَر، ومنه قيل وَحَرُ الصدر ، كما قيل للحقد ضبّ ، ذهبوا به إلى لزوقه بالصّدر التزاق الوَحَرَة بالأرض ، يقال : لحم وَحِر ، إذا دبّت عليه الوَحرة . ولبن قَـئِر إذا وقعت فيه الفأرة .

وقال رجل من بنى فَقْعَس ، وهو الحارث بن يَزيد ، يمتدح نفسه بخدمة الضيف :

لَعَمْرُ أبيك الخير إنى لخادمٌ لضيفى وإنى إن ركبتُ لفارسُ[1]

وقال المُقَنَّع الـكِنْدِى[2] :

وإنى لعبدُ الضَّيفِ ما دام نازلاً وما شِيمَةٌ لِى غَيْرَهَا تُشْبِهُ العَبْدَا[3]

وما امتدح به ذم بضده ، قال الشاعر :

تَراهُمْ خَشْيَةَ الأَضْيَافِ خُرْسًا يُصلُّونَ الصَّلَاةَ بِلَا أَذَانِ[4]

---

(١) ورد البيت فى حماسة أبى تمام ١/٢٩٦ منسوبا الى الهذلول بن كعب العنبرى ، وكان قد تزوج امرأة من بنى بهدلة فرأته يوما يطحن للأضياف فضربت صدرها وقالت : أهذا زوجى ، وقال فى الهامش : قال المبرد إنها لأعرابى سعدى ، وأول الأبيات التى منها هذا :

تقول وصكت نحرها بيمينها أبعلى هـذا بالرحى المتقاعس

(٢) محمد بن ظفر بن عمير ، أو محمد بن عمير بن أبى شمر الكندى ، شاعر من حضرموت ، اشتهر فى العصر الأموى ، وكان مقنعا طول حياته ، وزعموا أنه كان جميلا فكانت تصيبه العين ولهذا تقنع ، وشعره عذب رصين ، توفى حوالى سنة ٧٠ هـ ، انظر فى ترجمته الشعر والشعراء ٢٨٤ ، الوافى بالوفيات ٣/١٧٩ (الأعلام ٧/٢١١) .

(٣) يروى ثاويا مكان نازلا ، وانظر البيت فيما سبق ، وفى عيون الأخبار ١/٢٦٦ ، حماسة أبى تمام ٢/٣٤ الأمالى ١/٢٨١ .

(٤) العقد الفريد ٦/١٨٨ بدون نسبة .

وقال حَمّادُ عَجْرَد :

وجدتُ أَبَا الصَّلْتِ ذَا خِبْرَةٍ ... بِما يُصْلِحُ المِعْدَةَ الفَاسِدَهْ

تَخوَّف تخمة أضـــيافِهِ ... فعلّمهم أَكلة وَاحِـــدَهْ[1]

وقال عَمْرُو بن الأَهْتَم التَّميمى المِنْقرى من أشرافهم ، وكان شاعراً محسناً ، يقال : كأن شعره حللٌ منشَّرة ، وله صحبة[2] :

ذرينى فإنَّ الشُّحَّ يا أُم مالِكٍ ... لِصالِحِ أَخْلاَقِ الرِّجَالِ سَرُوقُ

ذرينى وحَظِّى فى هواىَ فإنَّنى ... على الحسب العالى الرفيع شفيقُ

ومُسْتَنْبحٍ[3] بعد الهدوء أجبتُهُ ... وقد حانَ من سارِى الشتاء طُرُوقُ

فقلت له : أهلاً وسهلاً ومرحباً ... فهذَا مَبِيتٌ صَالِحٌ وصَدِيقُ

أضفت ولم أُفْحِشْ عليه ، ولم أقل : ... — لِأَحْرِمَهُ — إنَّ الفناء[4] يضيقُ

لَعَمْرُكَ ما ضاقت بِلَادٌ بِأَهْلِهَا ... ولــكن أخْلاَقَ الرجال تَضيقُ[5]

وقال آخر :

وَطَرِيدِ ليل سَاقَهُ سَغَبٌ ... وَهْنًا إِلَىَّ وَقَادَهُ بَرْدُ

(١) يروى : حريث ، وحبيش أبو الصلت ، انظر البيان والتبيين ٢/٢٧٣ ، الشعر والشعراء ٧٧٥ ، العقد الفريد ٦/١٨٨ .

(٢) انظر ترجمته فى الإصابة الترجمة ٥٧٧٢ ، الشعر والشعراء ٢٤٠ .

(٢) ب : ومستفتح .

(٤) ب : إن الفتى .

(٥) انظر عيون الأخبار ١/٣٤٢ ، البيان ١/٢٧ معجم الشعراء ٢١٢ ، وانظر الأولين فى الشعر والشعراء ٦١٦ ، وفيه : يا أم هيثم بدل مالك ، وانظر الأول والخامس فى محاضرات الأدباء ١/٢٧٤ ، ٣١٠ والأخير فى المستطرف ١/٤٠ وقد سبق فى حملة أبيات منسوبة لبشار بن برد .

أَوْسعتُ جُهْدَ بشَاشَةٍ وقِرًى ... وعلى الكريمِ لضيفهِ الجَهْدُ

ثُمَّ اغْتَدَى ورداؤه نِعَمٌ ... أَسْدَيْتُهَا ورِدَائِىَ الحَمْدُ

وقال القاسم بن أُمَيَّة بن أبى الصَّلْت :

قَوْمٌ إذا نَزَلَ الغَرِيبُ بِأَرْضِهِمْ ... رَدُّوهُ رَبَّ صَوَاهِلٍ وَقِيانِ (٩)

(٩) نسب البيت فى لباب الآداب ٣٦٦ إلى كعب بن جميل ، وانظره فى الشعر والشعراء ٢٥٧ ، عيون الأخبار ١٥٢/١ ، المستطرف ٢٧٣/١ بدون نسبة .

بابُ المَعْرُوف

قال رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم : « كُـلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَة » .

قال أبو جُرَى الهُجَيْمِي[1] : يا رسولَ الله أوْصِني . فقال : « لَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ المَعْرُوفِ أَنْ تَأْتِيَهُ ، وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ المُسْتَسْقِي ، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَوَجْهُكَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ » .

قال رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم : « أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا ، هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَة » .

قال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلّم : «إذا طَلَبْتُمُ الْمَعْرُوفَ فَاطْلُبُوهُ عِنْدَ حِسَانِ الْوُجُوه » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُه ؟ » قالوا : بلى ، يا رسول الله . قال : « الْمَعْرُوفُ وَالتَّغَابُنُ لِلضَّعِيف » .

قال عيسى عليه السلام : استكثروا من شيء لا تمسّه النار . قالوا : وما هو يا روح الله ؟ قال : المعروف .

قال عبد الله بن عباس : ما رأيت رجلا أوليته معروفا إلا أضاء ما بيني وبينه ، [2]ولا رأيت رجلا فرط إليه مني شيء إلا أظلم ما بيني وبينه[2] .

قال زيد بن علي بن حسين : ما شيء أفضل من المعروف ولا ثوابه . ولا كلّ

---

(١) ا : اللخمى ، وما أثبتناه هو الصحيح فهو أبو جرى جابر بن سليم الهجيمى من بنى أنمار بن الهجيم ، روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ١٢/٥٤ .

(٢) ساقط من ا .

من رَغِبَ فيه يقْدِرُ عليه ، ولا كلّ من قدر عليه يؤذن له فيه ، فإذا اجتمعت الرغبة والقدرة والإذن ، تمت السعادة للطالب والمطلوب منه .

قال ابن عباس : المعروف أيمن زَرْع ، وأفضل كنز[١] ، ولا يتم إلا بثلاث خصال : بتعجيله ، وتصغيره ، وستره . فإذا عُجّل فقد هَنِئ ، وإذا صُغّر فقد عَظُم ، وإذا سُتِر فقد تُمِّم .

قال زهير :

وَمَنْ يجْعَلِ الْمعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ … يَفِرْهُ[٢] وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ[٣]

وقال آخر :

إنَّ ابْتِدَاءَ العرفِ مَجْدٌ بَاسِقٌ … والْمَجْدُ كُلُّ الْمَجْدِ فِى اسْتِتْمَامِهِ
إنَّ الهِلَالَ يَرُوقُ أَبْصَارَ الْوَرَى … حُسْنًا وليْسَ كَحُسْنِهِ لِتَمامِهِ[٤]

أنشد الزبير بن بكّار :

أُبْلُ مَنْ شِئْتَ تَقِلْهُ … عَنْ قَلِيـــلٍ لِفِعْلِهِ
ضَاعَ مَعْرُوفُ وَاضِـعِ الـ … ـمُرْفِ فِى غير أَهْلِهِ[٥]

قال القاسم بن معن ، قال رجل لعون بن عبد الله بن عتبة : ما السخاء ؟ قال : التأنى للمعروف . قال : فما البخل ؟ قال : الاستقصاء على الملهوف .

---

(١) ا : أمتن ورع ، و ا كبر كنز .
(٢) ب : يقيه ، وهما بمعنى ، وما أثبتناه هو الرواية المشهورة .
(٣) شرح الديوان ٣٠ .
(٤) البيتان لأبى تمام انظر شرح ديوانه للتبريزى ٢/٢٦٧ .
(٥) البيتان لأبى العتاهية ديوانه ١١٧ ، فصل المقال ٣١٠ .

قال ابن عباس : لا يُزَهِّدَنك فى المعروف كُفْرُ من كَفَر ، فإنه يشكرك عليه من لم يصنعه .

كان يقال : فى كل شىء سَرَفٌ إلّا فى المعروف .

قال حبيب :

وَإِذَا امْرُؤٌ أَهْدَى إِلَيْكَ صَنِيعَةً مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّهَا مِنْ مَالِهِ[1]

كان يقال : لا يُزَهِّدنك فى المعروف دمامةُ من يسديه إليك ، ولا ينبو بصرك عنه ، فإن حاجتك فى شكره ووفائه لا منظرِه ، وإن لم يكن أهلَه فكن أنت أهله .

قال الشاعر :

وَلَمْ أَرَ كَالْمَعْرُوفِ ، أَمَّا مَذَاقُهُ فَحُلْوٌ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ[2]

تمثل رجل عند عبد الله بن جعفر بقول الشاعر :

إِنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَكُونُ صَنِيعَةً حَتَّى يُصَابَ بِهَا طَرِيقُ الْمَصْنَعِ

فَإِذَا أَصَبْتَ صَنِيعَةً فَاعْمِدْ بِهَا لِلّٰهِ أَوْ لِذَوِي الْقَرَابَةِ أَوْدَعِ[3]

فقال عبد الله بن جعفر : هذان البيتان يبخّلان الناس ، لا . ولكن أَمْطِرِ المعروفَ إمطاراً ، فإن أصاب الكرام كانوا له أهلا ، وإن أصاب اللئام كنت له أهلا .

---

(١) ديوانه ٢٤٠ ، محاضرات الأدباء ١/٢٧٢ ، نهاية الأرب ٣/٩١ ، التمثيل والمحاضرة ٩٥ .

(٢) محاضرات الأدباء ١/٤١ غير منسوب ، ونسبه فى معجم الأدباء ١٨/٣٠٦ ، إلى أبى العيناء ، ونسب فى البيان والتبيين ٢/٢٢٩ ، إلى مالك بن حمار الشمخى الفزارى ، وفى حماسة أبى تمام ٢/٣٥ إلى رجل من بنى فزارة .

(٣) البيتان للهذيل الأشجعى (هذيل بن عبدالله بن سالم) انظر معجم الشعراء ٤٨٢ .

كان يقال : من أسلف المعروف كان ربحه الحمد .

قال عمرو بن العاص : فى كل شيء سَرَفٌ إلا فى ابتناء المكارم أو اصطناع معروف ، أو إظهار مروءة .

وكان يقال : كما يُتَوَخَّى للوديعة أهل الأمانة والثقة ، كذلك ينبغى أن يُتَوَخَّى بالمعروف أهلُ الوفاء والشكر .

كان يقال : إعطاء الفاجر يقوّيه على فجوره ، ومسألة اللئيم إهانة للعرض ، وتعليم الجاهل زيادة فى الجهل ، والصّنيعة عند الكَفُور إضاعة النعمة ، فإذا هممت بشىء من هذا ، فارْتَد الموضع قبل الإقدام على الفعل .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا فِى ذِى حَسَبٍ أَوْ دِينٍ ، كما أَنَّ الرِّيَاضَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا فِى نَجِيبٍ » .

مكتوب فى التوراة : افعل إلى امْرِىءِ السُّوءِ خَيْرًا يَجْزِكَ شَرًّا

كان يقال : صاحب المعروف لا يقع ، فإذا وقع أصاب متكئًا .

قال الشاعر :

وَدُونَ النَّدَى فِى كُلِّ قَلْبٍ ثَنِيَّةٌ لَهَا مَنْجَدٌ[1] حَزْنٌ وَمُنْحَدَرٌ سَهْلُ

يَوَدُّ الفَتَى فِى كُلِّ نَيْلٍ يُنِيلُهُ[2] إِذَا ما انقَضَى لَوْ أَنَّ نَائِلَهُ جَزْلُ[3]

كان الحجاج بن يوسف يقول : خير المعروف ما أنعشت به الكرام .

---

(١) ب : مصعد .

(٢) ب : يناله .

(٣) البيتان لأبى يعقوب الحريمى ، انظر البيان ٢/٣٩٣ ، التمثيل والمحاضرة ٨٤ ، زهر الآداب ٤/٢ ، معجم الأدباء ١٦/٢٦٤ ، نهاية الأرب ٣/٨٤ ، الشعر والشعراء ٨٣٣ .

كان يقال : من لم يُرْبِ معروفه فكأنه لم يصطنعه .

وكان يقال : أحْيِ معروفك بإماتته .

كتب أرسطوطاليس إلى الإسكندر : املك الرعية بالإحسان إليها تظفر بالمحبة منها ، وطلبك ذلك منها بالإحسان أدوم بقاء لإحسانك منه باعتسافك[١] ، واعلم أنك إنما تملك الأبدان فتخطَّها إلى القلوب بالمعروف ، واعلم أن الرعية إذا قدرت على أن تقول ، قدرت على أن تفعل ؛ فاجهد ألاّ تقول تسلم من أن تفعل .

كان يقال : اتق أن يُسَدّ عنك طريق المعروف بالكفر أو بالمنّ ، فإن المنّ يفسد الصنيعة والكفر يمحوها ، والشكر يجلب النعمة[٢] .

قال الشاعر :

أفْسَدْتَ بِالْمَنِّ [٣]ما أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنٍ ... لَيْسَ الكَرِيمُ بِمَا أَسْدَى بِمَنَّانِ[٤]

وقال الحسن بن هانئ :

فَامْضِ لَا تَمْنُنْ عَلَيَّ يَدًا ... مَنُّكَ المَعْرُوفَ مِنْ كَدَرِهْ[٥]

قال معاوية ليزيد : يا بنيّ ! اتخذ المعروف منالا عند ذوى الأحساب تستمل به مودتهم ، وتعظم فى أعينهم ، وتكف به عاديهم ، وإياك والمنع ، فإنه ضد المعروف .

كان يقال : حصاد من يزرع المعروف فى الدنيا ، اغتباط فى الآخرة .

---

(١) ا : باعتقاقك .

(٢) ب : والكفر يسلب النعمة .

(٣) ساقط من ب .

(٤) عيون الأخبار ١/١٧٧ ، محاضرات الأدباء ١/٢٩٠ .

(٥) ديوانه ٢٥ ، الكامل ١/٢٤٣ .

ذم أعرابى رجلا ، فقال : كان سمين المال ، مهزول المعروف .

قال الزهيرى : من زرع معروفاً حصد خيراً ، ومن زرع شراً حصد ندامة .

قال الشاعر :

مَنْ يَزْرَعِ الْخَيْرَ يَحْصُدْ مَا يُسَرُّ بِهِ ‏ ‏ ‏ وَزَارِعُ الشَّرِّ مَنْكُوسٌ عَلَى الرَّاسِ

وقال الراجز :

مَنْ يَزْرَعِ الخَيْرَ يَحْصُدْ حَصَادَهْ ‏ ‏ ‏ مُوَفَّرًا يَوْمًا إِذَا مَا أَرَادَهْ

قال بشر بن أبى خازم :

وَأَيْدِي النَّدَى فِى الصَّالِحِينَ فُضُولُ[1]

وقال الحطيئة :

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ ‏ ‏ ‏ لَا يَذْهَبُ العُرْفُ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ[2]

وقال عبد الله بن المبارك رضى الله عنه :

يَدُ الْمَعْرُوفِ غُنْمٌ حَيْثُ كَانَتْ ‏ ‏ ‏ تَحَمَّلَهَا شَكُورٌ أَوْ كَفُورُ

فَفِى شُكْرِ الشَّكُورِ لَهَا جَزَاءٌ ‏ ‏ ‏ وَعِنْدَ اللهِ مَا كَفَرَ الْكَفُورُ

قال الأصمعى . سمعت أعرابيًّا يقول : أسرعُ الذنوب عقوبة كُفْر المعروف .

ولابن دريد وقيل إنه أنشدها :

---

(١) عجز بيت ، وصدره : يكن لك فى قومى يد يشكرونها . الديوان ١٠٧ ، وليس فى كافية اللام بل فى نافية الصاد إذ أن الرواية هناك : قروض مكان فضول .

(٢) ديوانه ٥٣

وَما هَـــذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا مُعَارَةٌ فَمَا اسْطَعْتَ مِنْ مَعْرُوفِهَا فَتَزَوَّدِ
فَإِنَّكَ لَا تَدْرِى بِأَيَّةِ بَلْدَةٍ تَمُوتُ وَلَا مَا يُحْدِثُ اللهُ فِي غَدِ(١)

قال بزرجمهر : خير أيام المرء ما أغاث فيه المضطر ، واحتسب فيه الأجر ، وارتهن فيه الشكر ، واسترقّ فيه الحرّ .

جمع كسرى مَرَازِبَتَه وعيونَ أصحابه ، فقال لهم : على أى شيء أنتم أشد ندامة ؟ قالوا : على وضع المعروف فى غير أهله ، وطلب الشكر ممن لا يشكره .

قال الشاعر :

وَزَهَّدَنِى فِى كُلِّ خَيْرٍ صَنَعْتُهُ إِلَى النَّاسِ مَاجَرَّبْتُ مِنْ قِلَّةِ الشُّكْرِ(٢)

وقال آخر :

النَّاسُ مِنْ شَاكِرٍ لِلعُرْفِ مُحْتَمِلٍ وَمِنْ كَفُورٍ لِمَا أَوْلَيْتَهُ زَمِرٍ(٣)
فَابْسُطْ يَدَ الْجُودِ تَحْمِلْ بَعْضَ نَائِلِهَا وَإِنَّمَا النَّاسُ وَالْمَعْرُوفُ كَالْغُرَرِ

وقال آخر :

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ فِى غَيْرِ أَهْلِهِ يُلَاقِ الَّذِى لَاقَى مُجِيرُ أُمِّ عَامِرٍ(٤)

قال المهلب : عجبت لمن يشترى المماليك بماله ، ولا يشترى الأحرار بمعروفه .

وقال : ليس للأحرار ثمن إلا الإكرام ، فأكرم حرًّا تملكه .

---

(١) البيتان من غير نسبة فى عيون الأخبار ١/١٨١ ، العقد الفريد ٣/٤٦٩ .
(٢) البيت فى عيون الأخبار ٣/١٦٢ ، الأمالى ١/١٢٣ ، العقد الفريد ١/١٩٩ .
(٣) الزمر : قليل المروءة والوفاء .
(٤) محاضرات الأدباء ١/٢٨٣ ، المستطرف ١/٢٤٩ ، مجموعة المعانى ٥٧ ، وأم عامر ، كنية الضبع .

قال المتنبي :

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكْتَهُ ... وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا[1]

قال عبد مناف : دواء من لم يصلحه الإكرام الهوان .

قال الشاعر :

مَنْ لَمْ يُؤَدِّبْهُ الْجَمِيـ ... لُ فَفِي عُقُوبَتِهِ صَلَاحُهْ

وقال محمود الوراق :

فَكَّرْتُ فِي الْمَالِ وَفِي جَمْعِهِ ... فَكَانَ مَا يَبْقَى هُوَ الْفَانِي

وَكَانَ مَا أَنْفَقْتُ فِي أَوْجُهِ الْـ ... بِرِّ بِمَعْرُوفٍ وَإِحْسَانِ

هُوَ الَّذِي يَبْقَى وَأُجْزَى بِهِ ... يَوْمَ يُجَازَى كُلُّ إِنْسَانِ

وَمِنْ فَسَادِ الْعُرْفِ إِحْصَاؤُهُ ... وَذِكْرُهُ فِي كُلِّ إِبَّانِ

فَانْشُرْ إِذَا أُولِيتَ عُرْفًا وَإِنْ ... أَوْلَيْتَهُ فَاسْتُرْ بِنِسْيَانِ

بابُ الشُّكرِ[1]

قال رسول الله صلّى الله عليه وَسلّم : « مَنْ أوْلَى معروفاً فلَم يَجدْ إلا الثَّنا فقد شكَره ، وَمَنْ كَتَمَهُ فقد كَفَرَه » .

وَقال صلّى الله عليه وَسلّم : « من أُهْدِيَ إليه معروف ، فقال لفاعله : جزاكَ الله خيْراً فقد أبلغ في الثناء » .

سمع رسول الله صلّى الله عليه وَسلَّم عائشة رضِيَ اللهُ عنها تنشد لليهودى :

ارْفَعْ ضَعِيفَكَ لا يَحُرْ بِكَ ضَعْفُهُ ... يَوْماً فَتُدْرِكَهُ الْعَوَاقِبُ قَدْ نَمَا

يَجْزِيكَ أوْ يُثْنِي عَلَيْكَ وَإنَّ مَنْ ... أثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ فَقَدْ جَزَى

فقال : « قاتله الله ! ما أحسن ما قال ! ، من لم يجد إلا الدعاء وَالثناء فقد كافأ » .

وَفى رِوَايةٍ أخرى لهذا الخبر عن عائشة أنها قالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه وَسلّم : « أنشدى شعر ابن الغريض اليهودى[2] حيث قال : إن الكريم » . فأنشدته :

إنَّ الْكَرِيمَ إذَا أرَادَ وِصَالَنَا ... لَمْ يُلْفِ حَبْلِي وَاهِيًا رَثَّ الْقُوَى

---

(١) يبدأ من هنا سقط قدره ورقة من نسخة ب .

(٢) سيذكر المصنف بعد إيراد الأبيات أن اسمه الغريض لا ابن الغريض كما ورد فى الحديث ، والواقع أن الاختلاف كبير فى اسم هذا اليهودى الشاعر ، والشهير أن اسمه السموءل بن الغريض بن عادياء هكذا ورد فى سمط اللآلى ٥٩٥ ، والتبريزى ١/٥٥ ، وطبقات الشعراء ٢٣٥ ، ومن مترجميه من يسميه السموءل بن عادياء ، وهو فى المحبر ٣٤٩ : السموءل بن حيا بن عاديا الغسانى ، وكما اختلف فى اسمه اختلف فى وجوده أصلا ، انظر تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد على ٣/٢٦٩ ، ولعل هذا هو السبب فى اضطراب نسبة هذه الأبيات إليه أو إلى غيره ، وانظرها مع النص الذى ساقه المصنف فى الأغانى ٣/١١٧ ، ١١٨ ، حماسة البحترى ٣٩٨ ، والأولين فى فصل المقال ١٧٤ ، والثانى منهما فى عيون الأخبار ٣/١٦٢ .

أَرْعَى أَمَانَتَهُ وَأَحْفَظُ غَيْبَهُ ... جَهْدِي فَيَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ مَا أَتَى

أَجْزِيهِ أَوْ أُثْنِي عَلَيْهِ فَإِنَّ مَنْ ... أَثْنَى عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ فَقَدْ جَزَى

وهذا الشعر لا يصح فيه إلا ما روى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة : أنه للغريض اليهودى ، وهو الغريض بن السموءل بن عادياء اليهودى ، من ولد الكاهن هرون بن عامر بن ساعر ؛ وأما أهل الأخبار ، فاختلفوا فى قائله ، فقيل : هو لورقة بن نوفل، وقيل: هو لزهير بن جناب الكلبي، وقيل : لعامر بن المجنون[١] وقيل : ليزيد بن عمرو بن نفيل ، ومنهم من قال : إنه ليزيد بن عمرو أو ورقة بن نوفل البيتان الأولان ، والصحيح فيها وفى الأبيات غيرها أنهما للغريض اليهودى ، والله أعلم .

قال ابن أبى الدنيا : أنشدنى الحسين بن عبد الرحمن :

لَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ فَوْقَ الشُّكْرِ مَنْزِلَةً ... أَعْلَى مِنَ الشُّكْرِ عِنْدَ اللهِ فِي الثَّمَنِ

إِذًا مَنَحْتُكَهَا مِنِّي مُهَذَّبَةً ... شُكْرًا عَلَى صُنْعِ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ[٢]

وقال آخر فى يحيى بن خالد البرمكى :

طَلَبْتُ ابْتِغَاءَ الشُّكْرِ فِيمَا فَعَلْتَ بِي ... فَقَصَّرْتُ مَغْلُوبًا وَإِنِّي لَشَاكِرُ

لَقَدْ كُنْتَ تُعْطِينِي الْجَزِيلَ بَدِيهَةً ... وَأَنْتَ لِمَا اسْتَكْثَرْتَ مِنْ ذَاكَ حَاقِرُ

---

(١) كذا بالأصول ولعل صحته : مجنون بنى عامر .

(٢) البيتان فى معجم الأدباء ٨٧/١٠ ، وقد نسبا فيه إلى الحسين بن على المغربى ، وورد الشطر الأول فيه : إذاً منحتكما منى مهذبة شكراً . ونسبت فى نهاية الأرب ٢٤٩/٣ إلى أبى عيينة المهلبى ، وورد فيه البيت الثانى :

أخلصتها لك من قلبى مهذبة ... حذواً على مثل ما أوليت من حسن

فَأَرْجِعُ مَقْنُوطًا وَتَرْجِعُ بِالَّتِي لَهَا أَوَّلٌ فِي الْمَكْرُمَاتِ وَآخِرُ[1]

وَمما أنشده الرياشي :

شُكْرِي لِفِعْلِكَ فَانْظُرْ فِي عَوَاقِبِهِ تَعْرِفْ بِفَضْلِكَ مَا عِنْدِي مِنَ الشُّكْرِ

قال رسول الله صلى الله عليه وَسلّم : «ما أنعمَ الله على عبد نعمة فعلم أنها من عندالله إلا كتب الله له شكرها ، وماعلم الله منعبد ندامة على ذنب إلا غفر له إن يستغفر ، وإن الرجل ليلبس الثوب فيحمد الله فما يبلغ ركبته حتى يُغفر له » .

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل » .

وقال : « أشكرُ الناس لله عز وجل أشكرهم لعباده ، ومن لم يشكر القليل لم يشكر الكثير » .

وفى التفسير : « اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا »[2] ، قالوا : الطاعات كلها شكر ، وأفضل الشكر الحمد .

وفى قوله فى نوح عليه السلام : « إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا »[3] ، وقالوا : كان لا يقوم ولا يقعد ، ولا يلبس ثوبًا ، ولا يأكل ولا يشرب إلا حمد الله ، فأثنى عليه الله بذلك .

مكتوب فى التوراة : اشكر لمن أنعم عليك ، وأنعم على من شكرك ، فإنه لا زوال للنعم إذا شُكرت ، ولا مقام لها إذا كُفرت ، والشكر زيادة فى النعم ، وأمان من الغِيَر .

---

(١) نسب البيت الأول إلى طريح بن إسماعيل الثقفى ، ونسب الثانى إلى أبى يعقوب الخريمى فى عيون الأخبار ١٦٠/٣ . ونسبت كلها إلى طريح فى نهاية الأرب ٢٤٩/٣ ، البيان ٢٠٣/٢ .

(٢) سورة سبأ آية ١٣ .

(٣) سورة الإسراء آية ٣ .

قال أبو نخيلة :

شَكَرْتُكَ إِنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ التُّقَى وَمَا كُلُّ مَنْ أَوْلَيْتَهُ نِعْمَةً يَقْضِى

وَأَحْيَيْتَ مِنْ ذِكْرِى وَمَا كُنْتُ خَامِلاً وَلَكِنْ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ (1)

قال حذيفة بن اليمان : ماعَظُمَتْ نعمة الله على أحد إلاّ ازداد حقّ الله عليه عِظَمًا .

قال عروة بن الزّبير : من لم يعرف سوء ما يُبلَى لم يعرف خير ما يُولَى .

قال جعفر بن محمد : ما أنعم الله على عبد نعمة فعرفها بقلبه وشكرها بلسانه فما يبرح حتى يزداد .

(2)قال ابن عباس : لو قال لى فرعون خيراً لرددتُ عليه مثله(2)

قيل لسعيد بن جبير : المجوسىّ يولينى خيراً أفأشكره ؟ قال : نعم .

قال أوس بن حجر ، وقيل : إنه لأبى يعقوب الخُرَيمى :

سَأَجْزِيكِ أَوْ يَجْزِيكِ عَنِّى رَبُّنَا وَحَسْبُكِ مِنِّى أَنْ أَوَدَّ وَأَحْمَدَا(3)

ولأبى المعافى(4) (5)يعقوب بن(5) إسماعيل بن رافع ، مولى مزينة فى بكار بن عبد الله الزبيرى :

إِنَّنِى أُثْنِى بِمَا أَوْلَيْتَنِى لَمْ يُضِعْ حُسْنَ بَلَاءٍ مَنْ شَكَرْ

إِنَّنِى وَاللهِ لَا أَكْفُرُكُمْ أَبَدًا مَا صَاحَ دِيكٌ فِى السَّحَرْ

---

(1) انظر البيتين فى عيون الأخبار ١٦٥/١ ، معجم الشعراء ١٩٣ ، وأبو نخيلة هو حزن بن زائدة بن لقيط السعدى ، انظر معجم الشعراء بالرقم السابق ، زهر الآداب ٦٧/٤ ، الأمالى ٣٠/١ .

(2) ساقط من ب .

(3) ورد البيت فى الأغانى ٧/١٠ ، وعيون الأخبار ١٦٥/٣ هكذا :

سأجزيك أو يجزيك عنى مثوب وقصدك أن يثنى عليك وتحمدى

(4) ورد الاسم فى الأصل : أبو المعالى ، والتصحيح من معجم الشعراء ٥٠٤ .

(5) ساقط من ب .

وقال آخر :

فَلَوْ كانَ يَسْتَغْنِي عَنِ الشُّكْرِ مَاجِدٌ   لِعِزَّةِ مُلْكٍ أَوْ عُلُوِّ مَكانِهِ
لَمَا نَدَبَ اللهُ الْعِبَادَ لِشُكْرِهِ   فَقَالَ : اشْكُرُونِي أَيُّها الثَّقَلانِ (١)

وقال آخر :

سَأَشْكُرُ عَمْرًا ما تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي   أَيَادِيَ لَمْ تُمْنَنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ
فَتًى غَيْرُ مَحْجُوبِ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ   وَلَامُظْهِرُ الشَّكْوَى إِذَا النَّعْلُ زَلَّتِ (٢)

وقال آخر :

رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُها   فَكَانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتِ (٣)

وقال آخر :

لَئِنْ طِبْتَ نَفْسًا عَنْ ثَنَائِي فَإِنَّنِي   لَأَطْيَبُ نَفْسًا مِنْ نَدَاكَ عَلَى عُسْرِي
فَلَسْتُ إِلَى جَدْوَاكَ أَعْظَمَ حَاجَةً   عَلَى شِدَّةِ الْإِعْسَارِ مِنْكَ إِلَى شُكْرِي (٤)

قال عمر بن عبد العزيز : ذكر النعمة شكر .

---

(١) البيتان لكلثوم بن عمرو العتابي كما في زهر الآداب ٢/٣٣ ، وانظرهما في العقد الفريد ٢/١٣٧ ، معجم الأدباء ١٧/٢٩ ، محاضرات الأدباء ١/١٨٣ .

(٢) البيتان في أمالي القالي ١/٤٠ ، عيون الأخبار ٣/١٦١ من غير نسبة ، وقد نسبا في معجم الشعراء ٤١٢ إلى محمد بن سعد الكاتب التميمي ، وفي سمط اللآلىء ١٦٦ نسبا إلى أبي الأسود ، وكان عند عمرو بن سعيد بن العاص ، وبينما هو يحدثه إذ ظهر كم قميصه من تحت جبته وبه خرق ، فلما انصرف بعث إليه بعشرة آلاف درهم ومائة ثوب ، وفي الحماسة ٢/٢٥٣ ورد البيتان بلا نسبة وعقب التبريزي عليهما بأنهما لعمرو بن كميل ، وقد نظر إليه عمرو بن ذكوان وعليه جبة بلا قميص . فجعل يسعى له ويتشفع حتى ولي البصرة .

(٣) أورد المصنف هذا البيت مفرداً ، وهو تابع للبيتين قبله ، انظر المراجع السابقة ، وبالإضافة إلى ما سبق فيها فقد ورد البيت في معجم الأدباء ١٣/١١٢ منسوباً إلى إبراهيم بن العباس الصولي ، ووردت الأبيات الثلاثة لإبراهيم أيضاً في وفيات الأعيان ٣/١٤٧ .

(٤) عيون الأخبار ٣/١٦٦ .

قال جعفر بن محمد : من لم يشكُ الجفوة لم يشكر النعمة .

قال الشاعر :

إذَا أنَا لَمْ أعْرِفْ[١] لِذِى الفَضْلِ فَضْلَهُ وَلَمْ أَلُمِ الخِبَّ اللَّئِيمَ المُذَمَّمَا
فَفِيمَ عَرَفْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ بِاسْمِهِ وَشَقَّ لِىَ اللهُ الْمَسَامِعَ وَالْفَمَا[٢]

وقال آخر :

وَالْكُفْرُ مَخْبَثَةٌ لِنَفْسِ المُنْعِمِ[٣]

وقال آخر :

وَمَا تَخْفَى الصَّنِيعَةُ حَيْثُ كَانَتْ وَلَا الشُّكْرُ الصَّحِيحُ مِنَ السَّقِيمِ

وقال العتابى :

فَلَوْ كَانَ لِلشُّكْرِ شَخْصٌ يُرَى إذَا مَا تَأَمَّلَهُ النَّاظِرُ
لَمَثَّلْتُهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ فَتَعْلَمَ أَنِّى امْرُؤٌ شَاكِرُ[٤]

وقال آخر :

وَإِنَّكَ إنْ ذَوَّقْتَنِى ثَمَرَ الْغِنَى حَمِدْتَ الَّذِى تَجْنِيهِ[٥] مِنْ ثَمَرِ الشُّكْرِ

---

(١) ب : تعرف .

(٢) نسب البيتان فى الأمالى ٢/١٥٩ إلى أبى العالية الرياحى ، وورد البيت الأول منه : إذا أنا لم أشكر على الخير أهله ... ولم أذمم الجبس ... الخ ، وورد فى معجم الشعراء ٤٩٧ منسوبين إلى أبى عمران الضرير ، وفى محاضرات الأدباء ١/١٨٤ نسبا إلى أبى العيناء ، وورد فيها الشطر الأول : إذا أنا بالمعروف لم أثن صادقا ، وانظرهما فى زهر الآداب ١/٨٦ ، معجم الأدباء ١٨/٢٨٨ .

(٣) صدره : * نبئت عمراً غير شاكر نعمتى * وهو لعنترة العبسى ، ديوانه ٢٨ .

(٤) عيون الأخبار ٣/١٦١

(٥) ب : أجنيك .

وَإنْ يفْنَ ما أَعْطَيْتَنِي اليَوْمَ أوْ غَدًا فَإنَّ الَّذِي أُعْطِيكَ يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ

وقال آخر :

لَأَشْكُرَنَّكَ مَعْرُوفًا هَمَمْتَ بِهِ إنَّ اهْتِمَامَكَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرُوفُ

ولَا أَلُومُكَ إنْ لَمْ يُمْضِهِ قَدَرٌ فالرِّزْقُ بِالْقَدَرِ الْمَحْتُومِ مَصْرُوفُ(١)

قال سليمان التيمىّ : إن الله عز وجل أنعم على عباده بقدر طاقته ، وكلفهم من الشكر بقدر طاقتهم .

قالوا : كلّ شكر وإن قلّ ، ثمن لكل نوال وإن جل .

كانت هند بنت المهلب تقول : إذا رأيتم النعمة مستبدرة فبادروها بالشكر قبل حلول الزوال .

وقال أبو نواس :

أَنْتَ امْرُؤٌ أَوْلَيْتَنِي نِعَمًا أَوْهَتْ قُوَى شُكْرِي فَقَدْ ضَعُفَا

لَا تُحْدِثَنَّ إلَيَّ عَارِفَةً حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا(٢)

وقال البحترى :

مَنْ لَا يَقُومُ بِشُكْرِ نِعْمَةِ حِبِّهِ(٣) فَمَتَى يَقُومُ بِشُكْرِ نِعْمَةِ رَبِّهِ(٤)

---

(١) عيون الأخبار ٣/١٦٥ ، نهاية الأرب ٣/٢٤٥ ، وانظر جذوة المقتبس ١٢٩ ، وقد نسبهما فيه لابن عائشة .

(٢) ديوانه ٧٠ ، زهر الآداب / ٩٣ ، محاضرات الأدباء ١/١٧٨ ، معجم الأدباء ١٧ / ١٧٤ ، الشعر والشعراء ٨٠ .

(٣) ا : خله .

(٤) ديوانه ١/٦٧ .

أنشد المبرد لمحمود الوراق :

إذا كانَ شُكْرِى نِعْمَةَ اللهِ نِعْمَةً ... عَلَىَّ لَهُ فِي مِثْلِها يَجِبُ الشُّكْرُ
فَكَيْفَ بُلُوغُ الشُّكْرِ إلاَّ بِفَضْلِهِ ... وَإنْ طَالَتِ الْأَيَّامُ وَاتَّصَلَ الْعُمْرُ
إذا سَرَّ بِالسَّرَّاءِ عَمَّ سُرُورُهَا ... وَإنْ مَسَّ بالضَّرَّاءِ أعْقَبَهَا الْأَجْرُ
وَمَا مِنْهُمَا إلاَّ لَهُ فِيهِ نِعْمَةٌ ... تَضِيقُ بِهَا الْأَوْهَامُ وَالبَرُّ وَالبَحْرُ[1]

قال أبو العباس المبرد : هذا معنى لطيف ، يقول : إن الله عز وجل لا يحمد إلا بتوفيقه ، فيجب أن يحمد على التوفيق ، ثم يجب فى الحمد الثانى ما يجب فى الحمد الأول أبداً إلى حيث لا نهاية ، ولقد أحسن أبو العتاهية فى قوله :

إذا أَنْتَ لَمْ تَزْدَدْ عَلَى كلِّ نِعْمَةٍ ... قَدْ آتَاكَهَا شُكْرًا فَلَسْتَ بِشاكِرِ[2]

ومن أبيات ليزيد بن محمد المهلبي فى هذا المعنى :

فكَيْفَ بِشُكْرِ ذى نِعَمٍ إذا ما ... شَكرتُ لَهُ فَشُكْرِى مِنْهُ نِعْمَه

قال رجل من قريش لأشعب الطمع : يا أشعب ! أحسنتُ إليك فلم تشكر ! فقال : إن معروفك خرج من غير محتسب إلى غير شاكر .

قالوا : لا تثق بشكر من تعطيه حتى تمنعه .

قال الشاعر :

إذا الشَّافِعُ استَقْصَى لَكَ الْجُهْدَ كُلَّهُ ... وَإنْ لَمْ تَنَلْ نُجْحًا فَقَدْ وَجَبَ الشُّكْرُ[3]

---

(١) المستطرف ١/٢٧٨ ، زهر الآداب ١/٨٩ .
(٢) ديوانه ٣٤ .
(٣) محاضرات الأدباء ١/٢٧٣ ، عيون الأخبار ١/١٣٥ .

وقال آخر :

وَالْحمْدُ شَهْدٌ[١] لايُرَى مُشْتَارُهُ ... يَجْنِيهِ إلاّ مِنْ نقيع الْحَنْظَلِ[٢]

وقال آخر :

دَنَوْتَ للمَجْدِ وَالسَّاعُونَ قَدْ بَلَغُوا ... جَهْدَ النُّفُوسِ وَشَدُّوا دُونَهُ الأُزُرَا

وَسَاوَرُوا الْمَجْدَ حَتَّى مَلَّ أَكْثَرُهُمْ ... وَعَانَقَ الْمَجْدَ مَنْ وَفَّى وَمَنْ صَبَرَا

لَاتَحْسَبِ الْمَجْدَ تَمرًا أَنْتَ آكِلُهُ ... لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبِرَا[٣]

قال جعفر بن محمد : مامن شيء أَسَرُّ إليَّ من يدٍ أُتبِعُها أخرى ، لأنَّ مع الأواخر يُقْطَعُ لسانُ شكر الأوائل .

---

(١) ساقط من ب .

(٢) البيت لأبي تمام ، انظر شرح ديوانه ٢/٤١ ، زهر الآداب ٤/١١٣ .

(٣) الأبيات والأمالي ١/١١٣ ، وفيه : دنيت بدل دنوت ، وألقوا بدل شدوا . وكابدوا بدل ساوروا ، وانظر البيتين الاولين في فصل المقال ٢٠٧ ، الحماسة لأبي تمام ٢/٢١٥ ، ٢١٦ ، وقد نسبهما هناك إلى رجل من بني أسد ولم يسمه .

بابٌ فى طَلَبِ الحَاجاتِ

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا ، ويَقْضِي الله عَلَى لِسَانِ نبيِّهِ ما شَاء » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : « اسْتَعِينُوا على قَضاء حَوَائِجِكُمْ بِالكِتْمانِ ، فإنّ كلّ ذى نعمة محسود » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ للهِ عِباداً خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَّاسِ ، هُمُ الآمِنُونَ يَوْمَ القِيامَة » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اطْلُبُوا الخَيْرَ عِنْدَ حِسَانِ الوُجُوهِ »

قال الشاعر :

أَنتَ وَصْفُ النَّبِيِّ إِذْ قَالَ يَوْماً اطْلُبُوا الْخَيْرَ مِنْ حِسانِ الْوُجُوهِ

وقال محمد بن واسع لقتيبة بن مسلم : إنِّى أتيتك فى حاجة رفعتها الى الله قبلك ، فإن أذن الله فيها قضيتها وحمدناك ، وإن لم يأذن الله فيها لم تقضها وعذرناك .

قال يونسُ رحمه الله :

أَنْزَلْتُ بالحُرِّ إبْرَاهِيمَ مَسْأَلَةً أَنْزَلْتُهَا قَبْلَ إبْرَاهِيمَ بِاللهِ

فإنْ قَضَى حَاجَتِي فَاللهُ يَسَّرَهَا هُوَ المُقَدِّرُهَا والآمِرُ النَّاهِي

إذا أَبَى اللهُ شَيْئاً ضَاقَ مَذْهَبُهُ عَلَى الكَبِيرِ (١) العَرِيضِ القَدْرِ وَالجَاهِ

---

(١) ب : عن الكبير .

وقال أبو العتاهية :

خَيْرُ الْمَذَاهِبِ فِي الْحَاجَاتِ أَنْجَحُهَا وَأَضْيَقُ الأَمْرِ أَدْنَاهُ الَى الفَرَجِ(١)

كتب سوار بن عبد الله بن سوار القاضي الى محمد بن عبد الله بن طاهر :

لَنَا حَاجَةٌ وَالْعُذْرُ فِيهَا مُقَدَّمٌ خَفِيفٌ مُعَنَّاهَا مُضَاعَفَةُ الأَجْرِ

فَإِنْ تَقْضِهَا فَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّنَا وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى فَفِي أَوْسَعِ الْعُذْرِ

عَلَى أَنَّهُ الرَّحْمَنُ مُعْطٍ وَمَانِعٌ وَلِلرِّزْقِ أَسْبَابٌ الى قَدَرٍ تَجْرِي

فأجابه محمد بن عبد الله بن طاهر :

فَسَلْهَا تَجِدْنِي مُوجِبًا لِقَضَائِهَا سَرِيعًا إِلَيْهَا لَا يُخَالِطُنِي فِكْرُ

شَكُورٌ بِإِفْضَالِي عَلَيْكَ بِمِثْلِهَا وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِيمَا حَوَتْهُ يَدِي شُكْرُ

فَهَذَا قَلِيلٌ لِلَّذِي قَدْ رَأَيْتُهُ لِحَقِّكَ لَا مَنٌّ لَدَيَّ(٢) وَلَا فَخْرُ

قال معاوية يوماً لعمرو بن العاص : لى إليك حاجة . قال : ولى إليك حاجة يا أمير المؤمنين . قال : تهب لى الوهط(٣) . قال : هو لك يا أمير المؤمنين . قال معاوية : اذكر حاجتك . قال : ترده عليّ .

قال جعفر بن محمد : حاجة الرجل إلى أخيه فتنة لهما ، إن أعطاه شكر من لم يعطه ، وإن منعه ذم من لم يمنعه .

قال خالد بن صفوان : لا تطلبوا الحوائج عند غير أهلها ، ولا تطلبوها فى غير حينها، ولا تطلبوا مالا تستحقون منها، فإن من طلب مالا يستحق استوجب الحرمان.

---

(١) الديوان ٦١ .

(٢) ا : على .

(٣) قرية بالطائف ، زرعها عمرو كروماً ، وكانت له قيمة جليلة ، انظر معجم ياقوت ٧/١١١ .

كان يقال : اذا طلب عاقل الى كريم حاجة انقضت ، لأن العاقل لا يطلب إلا ما يمكن ، والكريم إذا سئل ما يمكن لم يمنع .

كان يقال : إذا أحببت أن تطاع ، فلا تسل(١) مالا يستطاع .

قال عامر بن خالد بن جعفر ليزيد بن الصَّعِق :

إِنَّكَ إِنْ كَلَّفْتَنِي مَا لَمْ أُطِقْ سَاءَكَ مَا سَرَّكَ مِنِّي مِنْ خُلُقْ(٢)

قال رجل للأحنف : أتيتك فى حاجة لا ترزؤك ولا تنكؤك . قال : إذاً لا تقضى ، أمثلى يؤتى فيما لا يَرْزَأُ ولا يَنْكَأُ .

قال رجل للعباس بن محمد ، أو لعبد الله بن عباس : أتيتك فى حاجة صغيرة ، قال : فاطلب لها رجلا صغيرًا .

قيل لآخر : أتيتك فى حاجة . قال : اذكرها ، فإن الحرّ يقوم بصغير الحاجات وكبيرها .

كان يقال : لا تستعن على حاجة بمن هى طعمته ، ولا تستعن بكذاب ، فإنه يقرب البعيد ويباعد القريب ، ولا تستعن على رجل بمن له إليه حاجة .

قال ابن المقفع : الحاجة يعترى صاحبها الخيفة من مكانين : الاستقبال بها قبل وقتها ، والثانى حتى تفوت ، وأنشد :

وَقَدْ يَفُوتُ أُنَاسًا بَعْضُ مَا طَلَبُوا عِنْدَ التَّأَنِّى فَكَانَ الْحَزْمُ لَوْ عَجِلُوا(٣)

---

(١) ب : تحمل .
(٢) محاضرات الأدباء ١/٢٦١ ، معجم الأدباء ٢/١٨٧ ، العقد الفريد ٣/٢١٢ .
(٣) البيت للقطامى ، ديوانه ١٣٦ ، العقد الفريد ١/٧٥ ، نهاية الأرب ٣/٣٩٠ ، المستطرف ١/٣٩ .

قال أبو فزارة الغاضِرِىّ : أصل العبادة ألا تسأل سوى الله حاجة ، فلكل أحد في الله عوض من كل أحد ، وليس لأحد من الله عوض بأحد .

سأل رجل مطرّف بن عبد الله بن الشِّخّير حاجة ، فقال : من كانت له إلى حاجة فليكتبها في رقعة ، فإني أرغب بوجوهكم عن مكروه السؤال .

كان يقال : لا تصرف حوائجك إلى من معيشته فى رءوس المكاييل والموازين .

قال العَرْزَمى(١) ، وروى لأبى الأسود الدؤلى :

وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى كَرِيمٍ حَاجَةً فَلِقَاؤُهُ يَكْفِيكَ وَالتَّسْلِيمُ
وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى لَئِيمٍ حَاجَةً فَأَلِحَّ فِي رِفْقٍ وَأَنْتَ مُدِيمُ(٢)

وقال آخر :

لَا تَطْلُبَنَّ إِلَى لَئِيمٍ حَاجَةً وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ قَائِمًا كَالْقَاعِدِ
يَا خَادِعَ الْبُخَلَاءِ عَنْ أَمْوَالِهِمْ هَيْهَاتَ تَضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدِ(٣)

وقال أمية بن أبى الصلت يمدح عبد الله بن جدعان :

أَأَطْلُبُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ إِنَّ شِيمَتَكَ الْحَيَاءُ
كَرِيمٌ لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ عَنِ الْفِعْلِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ
إِذَا أَثْنَى عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ(٤)

---

(١) ب : العرجى .

(٢) البيتان فى ديوان أبى الأسود ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، محاضرات الأدباء ١/٣٦٣ من غير نسبة .

(٣) عيون الأخبار ٣/١٣٥ .

(٤) ديوانه ٦ ، وفيه أأذكر ، وخليل مكان كريم ، وانظر الأبيات فى حماسة أبى تمام ٢/٣٤٦ ، لباب الآداب ٢٨٥ ، نهاية الأرب ٥/٣٨ .

وقال جرير يخاطب عمر بن عبد العزيز :

أَأَذْكُرُ الضُّرَّ وَالبَلْوَى التِي نَزَلَتْ   أَمْ أَكْتَفِي بِالَّذِي بُلِّغْتَ مِنْ خَبَرِي [1]

وقال آخر :

كَفَاكَ مُذَكِّرًا وَجْهِي بِأَمْرِي   وَحَسْبِي أَنْ أَرَاكَ وَأَنْ تَرَانِي [2]

وقال آخر :

أَرُوحُ بِتَسْلِيمٍ عَلَيْكَ وَأَغْتَدِي   وَحَسْبُكَ بِالتَّسْلِيمِ مِنِّي تَقَاضِيَا

كَفَى بِطِلَابِ الْمَرْءِ مَا لَا يَنَالُهُ   عَنَاءً وَبِالْيَأْسِ الْمُصَرِّحِ نَاهِيَا [3]

وقال آخر :

تَخَلَّ لِحَاجَتِي وَاشْدُدْ قُوَاهَا   فَقَدْ أَمْسَتْ بِمَنْزِلَةِ الضَّيَاعِ

إِذَا أَرْضَعْتَهَا بِلِبَانِ أُخْرَى   أَضَرَّ بِهَا مُشَارَكَةُ الرَّضَاعِ [4]

وقال آخر :

وَلَا تَسْتَعِينَنَّ فِي حَاجَةٍ   بِمَنْ يَبْتَغِي حَاجَةً مِثْلَهَا

فَيَنْسَى الَّذِي كُنْتَ كَلَّفْتَهُ   وَيَبْدَأُ بِحَاجَتِهِ قَبْلَهَا

وقال آخر :

" وَإِذَا يُصِيبُكَ وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ   حَدَثٌ حَدَاكَ إِلَى أَخِيكَ الْأَوْثَقِ [5]

---

(١) ديوانه ٩٦ ، وفيه : الجهد بدل الضر ، وانظره فى المحاسن والمساوىء ١/١٩٤ ، عيون الأخبار ٣/١٥٠ ، المستطرف ١/١٢٨ .

(٢) عيون الأخبار ٣/١٤٩ ، العقد الفريد ١/٢٩٠ وفيه : كفاك مخبرا وجهى بشأنى ... وحسبك .

(٣) انظر البيتين فى عيون الأخبار ٣/١٥٠ ، العقد الفريد ١/٢٩٠ .

(٤) البيتان لطريح بن إسماعيل الثقفى كما فى أمالى القالى ٢/٧١ ، وانظرهما فى المستطرف ١/١٣٨ .

(٥) ساقط من ب ، وهو للقطامى ، ديوانه ٧٢ وانظره فى عيون الأخبار ٣/٢ ، معجم الأدباء ٢/٦٢ .

وقال أبو العتاهية :

اقْضِ الحَوَائِجَ مَا اسْتَطَعْـ ـتَ وَكُنْ لِهَمِّ أَخِيكَ فَارِجْ

فَلَخَـيْرُ أَيَّامِ الفَتَى يَوْمٌ قَضَى فِيهِ الْحَوَائِجْ[1]

وقال الحارثي :

وَمَا رَوْضَةٌ عُلْوِيَّةٌ أَسَدِيَّةٌ[2] مُنَمْنَمَةٌ زَهْرَاءُ ذَاتُ ثَرًى جَعْدِ

سَقَاهَا النَّدَى فِي غَفْلَةِ الدَّهْرِ نَوْءُهَا فَنُوَّارُهَا يَهْتَزُّ كَالْكَوْكَبِ السَّعْدِ

بِأَحْسَنَ مِنْ حُرٍّ تَضَمَّنَ حَاجَةً لِحُرٍّ فَأَوْفَى بِالنَّجَاحِ وَبِالرِّفْدِ[3]

قال عمر بن أبي ربيعة :

إِنَّ لِي حَاجَةً إِلَيْكِ فَقَالَتْ بَيْنَ أُذْنِي وَعَاتِقِي مَا تُرِيدُ[4]

كان يقال : من بكر يوم السبت في حاجة ، كان حقًّا على الله قضاؤها .

قال بشار بن برد :

بَكِّرَا صَاحِبَيَّ قَبْلَ السُّحُورْ إِنَّ نُجْحَ[5] النَّجَاحِ فِي التَّبْكِيرِ

قالوا : من صبر على حاجة ظفر بها ، ومن أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له .

---

(١) ديوان أبي العتاهية ٦٢ ، ونسبا في وفيات الأعيان ٢/٣٠٥ إلى عبيدالله بن عبدالله بن طاهر الخراعي.

(٢) ب : أردية دلوية .

(٣) نسبت الأبيات في العقد الفريد ٥/١٩ : إلى ابن أبي الحارثي ، وفيه البيت الثاني :

سقاها الندى في عقب جنح من الدجى فنوارها يهتز بالكوكب السعد

وفيه أيضاً : مع الوعد مكان بالرفد .

(٤) ديوانه ٥٢ .

(٥) ب : حد ، ولا يوجد البيت فيما طبع من ديوانه .

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه :

اصْبِرْ عَلَى مَضَضِ الإِدْلَاجِ فِي السَّفَرِ ... وَفِي الرَّوَاحِ إِلَى الحَاجَاتِ وَالْبُكَرِ
لَا تَضْجَرَنَّ وَلَا يُعْجِزْكَ مَطْلَبُهَا ... فَالنُّجْحُ يَتْلَفُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالْقَصَرِ
إِنِّى رَأَيْتُ وَفِي الْأَيَّامِ تَجْرِبَةٌ ... لِلصَّبْرِ عَاقِبَةً مَحْمُودَةَ الْأَثَرِ
وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي شَيْءٍ يُطَالِبُهُ(١) ... وَاسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلَّا فَازَ بِالظَّفَرِ(٢)

وقال محمد بن بشير :

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مَسَالِكُهَا ... فَالصَّبْرُ يَفْتُقُ مِنْهَا كُلَّ مَا ارْتُتِجَا
لَا تَيْأَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ ... إِذَا اسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَا
أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ ... وَمُدْمِنِ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا(٣)

سأل عبد الرحمن بن حسان بن ثابت رجلا حاجة فلم يقضها له ، وسألها غيره فقضاها إليه ، فكتب هذه الأبيات :

ذُمِمْتَ وَلَمْ تُحْمَدْ وَأَدْرَكْتُ حَاجَتِي ... تَوَلَّى سِوَاكُمْ أَجْرَهَا وَاصْطِنَاعَهَا
أَبَى لَكَ كَسْبَ الْحَمْدِ رَأْيٌ مُقَصِّرٌ ... وَنَفْسٌ أَضَاقَ اللهُ فِي الْخَيْرِ بَاعَهَا
إِذَا هِيَ حَثَّتْهُ عَلَى الْخَيْرِ مَرَّةً ... عَصَاهَا وَإِنْ هَمَّتْ بِسُوءٍ أَطَاعَهَا(٤)

---

(١) ب : يحاوله .

(٢) انظر الثالث والرابع فى عيون الأخبار ٣/١٢٠ ، المستطرف ٢/٦٩ .

(٣) نسبت الأبيات لمحمد بن يسير الرياشى فى البيان ٢/٤٠٠ ، الشعر والشعراء ٨٥٥ ، ونسبت فى المستطرف ٢/٧٨ إلى محمد بن بشير الخارجى وكذلك فى حماسة أبى تمام ٢/٢٨ ، ٢٩ ، ووردت فى عيون الأخبار ٣/١٢٠ ، العقد الفريد ١/٨١ من غير نسبة .

(٤) وردت الأبيات منسوبة إلى عبد الرحمن كما هنا فى عيون الأخبار ٣/١٧٢ ، الأمالى ٢/٢٢٢ ، ووردت منسوبة لابنه سعيد فى البيان ٣/١٨٤ ، زهر الآداب ٤/٩٩ ، محاضرات الأدباء ١/٢٨٦ .

الإلحاح لا يصلح ولا يحمل إلا على الله عز وجل. قال مؤرق العجلى: سألت ربى حاجة عشرين سنة، فما انقضت لى ولا يئستُ منها.

قال أبو العتاهية:

فِي النَّاسِ مَنْ تَسْهُلُ الْمَطَالِبُ أَحْـ ... يَانًا عَلَيْهِ وَرُبَّمَا صَعُبَتْ

مَا كُلُّ ذِي حَاجَةٍ بِمُدْرِكِهَا ... كَمْ مِنْ يَدٍ لَا تَنَالُ مَا طَلَبَتْ

مَنْ لَمْ يَسَعْهُ الْـكَفَافُ مُعْتَدِلًا ... ضَاقَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا بِمَا رَحُبَتْ(١)

وقال القطامى:

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّى بَعْضَ حَاجَتِهِ ... وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ(٢)

كان بنو يربوع يوصون أولادهم، فيقولون: استعينوا على الناس فى حوائجكم بالتثقيل فذلك أنجح لكم.

قال أبو نواس:

وَلَنْ يُدْرِكَ الْحَاجَاتِ مِنْ حَيْثُ يَبْتَغِى ... مِنَ النَّاسِ إِلَّا الْمُصْبِحُونَ عَلَى رِجْلِ(٣)

وقال أشجع السامى:

لَيْسَ لِلْحَاجَاتِ إِلَّا ... مَنْ لَهُ وَجْهٌ وَقَاحْ

---

(١) الديوان ٣٨.

(٢) ديوانه ١٣٥، شرح الحماسة للتبريزى ١/٣٢٨، عيون الأخبار ٣/١٢١، المستطرف ١/٣٩، ٢/٧٢، الشعر والشعراء ٧٠٤.

(٣) لم أعثر عليه فى ديوانه، وقد نسب إليه أيضا فى عيون الأخبار ٣/١٢٠ ورواية الشطر الأول: وما طالب الحاجات ممن يرومها، ونسب فى حماسة البحترى ١٨٧ إلى أبى عطاء السندى، والرواية فيه: من حيث تبتغى.

وابتكارٌ ودوامٌ وغـدوٌّ ورواحْ
إنْ تكنْ أبطأتِ الحا جةُ عنّى والسّراحْ
فعلىَّ الجُهـدُ فيها وعلى الله النّجاحْ[١]

[٣] وقال آخر :

هَيْبَةُ الإخوانِ قاطِعَةٌ لأخِي الحاجاتِ عَنْ طَلَبِهْ
فإذا ما هِبْتَ ذا أملٍ ماتَ ما أمّلْتَ مِنْ سَبَبِهْ[٢]

وقال آخر :

طَلَبُ الحَوائِجِ كُلُّها تغريرُ لا ترضَ مَعْجَزَةً وأنتَ قديرُ[٣]

وقال دعبل بن على الخزاعى :

جئتُكَ مُسْتَشْفِعًا بِلا سَبَبِ إليْكَ إلّا بحُرْمَةِ الأدَبِ
فاقْضِ ذِمامِي فإنّنِي رجلٌ غيرُ مُلِحٍّ عليْكَ فِي الطّلَبِ[٤]

وقال آخر :

مَنْ عَفَّ خَفَّ عَلَى الصّدِيقِ لِقاؤُهُ وأخُو الحَوائِجِ وَجْهُهُ مَمْلُولُ[٥]

---

(١) الشعر والشعراء ٨٥٨ ، المستطرف ٢/٢٧٢ .

(٢) يروى مقطعة مكان قاطعة ، وانظرهما فى عيون الأخبار ٣/١٢٠ ، محاضرات الأدباء ١/٢٦٢ .

(٣) ساقط من ا ، وهذا البيت ملفق من بيتين مع اختلاف فى بعض الألفاظ وهما :

لا ترض منزلة الذليل ولا تقم فى دار معجزة وأنت خبير
وإذا هممت فأمض همك إنما طلب الحوائج كله تغرير

انظر عيون الأخبار ٣/١٢٢ وسوف يرد البيت الأخير فيما يلى .

(٤) العقد الفريد ١/٢٨٠ ، عيون الأخبار ٣/١٣٣ .

(٥) المستطرف ٢/٦٦ .

وقال آخر :

وَإِذَا هَمَمْتَ فَأَمْضِ هَمَّكَ إِنَّمَا صَلَبُ الْحَوَائِجِ كُلِّهَا تَغْرِيرُ[1]

اختلف أبو العتاهيـة إلى الفضل بن الربيع فى حاجة زمانا فلم يقضها له ، فكتب إليه :

أَكُلَّ طُولِ الزَّمَانِ أَنْتَ إِذَا مَا جِئْتُ فِي حَاجَةٍ تَقُولُ غَدَا

لَا جَعَلَ اللَّهُ لِي إِلَيْكَ وَلَا عِنْدَكَ مَا عِشْتُ حَاجَةً أَبَدَا[2]

وقال آخر وأظنه محمود الوراق :

وَذِي ثِقَةٍ تَبَدَّلَ حِينَ أَثْرَى وَمَا شِيَمِي مُوَافَقَةُ الثِّقَاتِ[3]

فَقُلْتُ لَهُ عَتَبْتَ[4] عَلَيَّ ظُلْمًا فِرَارًا مِنْ مُؤُونَاتِ الْعِدَاتِ

فَعُـدْ لِمَوَدَّتِي وَعَلَيَّ نَذْرٌ سُؤَالُكَ حَاجَةً حَتَّى[5] الْمَمَاتِ

كتب أبو العتاهية إلى أحمد بن يوسف :

لَئِنْ عُدْتُ بَعْدَ الْيَوْمِ إِنِّي لَظَالِمٌ سَأَصْرِفُ نَفْسِي حِينَ تَبْغِي الْمَكَارِمُ

مَتَى يَنْجَحُ الْغَادِي إِلَيْكَ لِحَاجَةٍ وَنِصْفُكَ مَحْجُوبٌ وَنِصْفُكَ نَائِمُ[6]

وقال الصلتان العبدى :

نَرُوحُ وَنَغْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةُ مَنْ عَاشَ لَا تَنْقَضِي

---

(١) انظر التعليق رقم ٣ فى الصفحة السابقة .

(٢) الديوان ٣٣٣ . (٣) فى عيون الأخبار : ومن شيمى مراقبة الثقات .

(٤) ب : عبثت .

(٥) وردت الأبيات فى عيون الأخبار ٣/١٤٨ غير منسوبة لقائل .

(٦) الديوان ٣٣٣ .

تَمُوتُ مَعَ المَرْءِ حاجَاتُهُ ... وَتَبْقَى لَهُ حاجَةٌ مَا بَقِي[1]

وقال أبو العتاهية :

مَتَى تَنْقَضِي حاجَاتُ مَنْ لَيْسَ وَاصِلًا ... إِلَى حاجَةٍ حَتَّى تَكُونَ لَهُ أُخْرَى[2]

وقال آخر :

إِنَّمَا تَنْجَحُ الْمَقَالَةُ فِي الْمَرْ ... ءِ إِذَا صَادَفَتْ هَوًى فِي الْفُؤَادِ[3]

سئل بعض الحكماء حاجة فامتنع ، فعوتب فى ذلك ، فقال : لأن يحمر وجهى مرة خير من أن يصفر وجهى مراراً .

قال منصور الفقيه :

مَنْ قَالَ لَا فِي حَاجَةٍ ... مَطْلُوبَةٍ فَمَا ظَلَمْ

وَإِنَّمَا الظَّالِمُ مَنْ ... يَقُولُ لَا بَعْدَ نَعَمْ[4]

وقال آخر :

إِذَا قلتَ فِي شَيْءٍ نَعَمْ فَأَتِمَّهُ ... فَإِنْ نَعَمْ دَيْنٌ عَلَى الْحُرِّ وَاجِبُ

وَإِلاَّ فَقُلْ لَا . تَسْتَرِحْ وَتُرِحْ بِهَا ... لِئَلَّا يَقُولَ النَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبُ[5]

وقال أبو العتاهية :

لَا يَزَالُ الْمَرْءُ مَا عَاشَ لَهُ ... حاجَةٌ فِي الصَّدْرِ مِنْهُ تَعْتَلِجُ

---

(١) البيتان فى نهاية الأرب ١٩١/٨ ، عيون الأخبار ١٣٢/٣ ، معجم الشعراء ٢٣٠ .

(٢) زيادة فى ب ، والبيت فى ديوانه ٥٢ ، العقد الفريد ١٣٨/٣ ، وفيه : من ليس صابرا ... على .

(٣) البيت لأبى فراس الحمدانى ، انظر اليتيمة ١٧٤/١ .

(٤) التمثيل والمحاضرة ١٠٦ .

(٥) انظر البيتين فى حماسة البحترى ٢٢٠ ، لهرم بن غنام السلولى ، والرواية هناك : واسترح وأرح بها بها لكيلا ، وانظرهما فى المستطرف : ٢٣٤/١ .

رُبَّ أَمْرٍ قَدْ تَضَايَقْتَ بِهِ ... ثُمَّ يَأْتِي اللهُ مِنْهُ بِالْفَرَجْ (١)

وقال آخر :

لَئِنْ أَخْطَأْتُ فِي مَدْحِيـ ... ـكَ مَا أَخْطَأْتَ فِي مَنْعِي
لَقَـــدْ أَحْلَلْتُ آمَالِي ... بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعِ (٢)

وقال آخر :

قَدْ تُخْرِجُ الْحَاجَاتُ يَا أُمَّ مَالِكٍ ... كَرَائِمَ مِنْ رَبٍّ بِهِنَّ ضَنِينُ (٣)

وقال أشجع السلمى :

قَدْ خَرَجَتْ حَاجَاتُ أَهْلِ الْحِجَا ... بِنُجْحِهَـــا وَامْتَنَعَ الْمَنْهَجُ
وَلَيْسَ فِيهِمْ رَجُـــلٌ وَاحِدٌ ... مِنِّي إِلَى حَاجَتِـــهِ أَحْوَجُ
يُرِيبُنِي أَنِّي أَرَى حَاجَـــتِي ... تَدْخُلُ فِي الْحَاجِ وَلَا تَخْرُجُ
أَقُولُ إِذَا أَقْلَقَنِي عَاذِلٌ ... بِكُلِّ مَا أَكْرَهُـــهُ مُلْهِجُ
قَدْ يُدْرِكُ الْأَمْرَ أَنَاةُ الْفَتَى ... وَيَسْبِقُ فِي الْحَاجَةِ مَنْ يُدْلِجُ (٤)

---

(١) ديوانه ٦٢ .

(٢) البيتان لإسماعيل القراطيسى فى الفضل بن الربيع ، انظر محاضرات الأدباء ٢٨٦/١ ، عيون الأخبار ١٤٣/١ ، الأغانى ٨٨/٢٠ .

(٣) محاضرات الأدباء ٢٢٥/١ ، ٢٨٤/٢ ، معجم الأدباء ٢٢٩/١٢ ، العقد الفريد ٤٦٩/٣ وفيه : يا أم عامر .

(٤) ب : ويسبق الحاجات الخ .

باب السُّلْطان والسِّياسة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رعيَّتِهِ ، فَالإِمَامُ الّذِى عَلَى النَّاسِ رَاعٍ عَلَيْهِمْ وَمَسْئُولٌ عَنْهُمْ ، والْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى مَالِ زَوْجِها وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُ » .

وقال عليه السلام : « الإمامُ العَدْل لَا تَكَادُ تُرَدُّ دَعْوَتُهُ » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْمُقْسِطُونَ يومَ القيامةِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمٰن — وكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِين — لَا يَفْزَعُونَ إِذَا فَزِعَ النَّاس» .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ أميرٍ لم يُحِطْ رَعِيَّتَهُ بالنَّصِيحَةِ لم يَرُحْ رائحةَ الْجنة » .

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : لا يُصْلِحُ هذا الأمر إلاّ شدّةٌ فى غير عُنف ، ولين فى غير ضعف .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لن يقيم[1] أمر الناس إلا امرؤ حصيف العقدة ، بعيد الغور ، لا يطّلعُ الناس منه على غوره ، ولا يخاف فى الله لومة لائم .

وعن عمر رضى الله عنه ، قال أيضاً : لا يقيم أمر الله فى الناس إلّا رجلٌ يتكلم بلسانه كله ، يخاف الله فى الناس ، ولا يخاف الناس فى الله .

لعليّ بن أبى طالب فى أول كتاب كتبه : أمّا بعد ، فإنه أهلك من كان قبلكم أنهم منعوا الحق حتى اشتُرِى ، وبسطوا الجور حتى افتُدِىَ[2] .

---

(١) ب : لم يقم .
(٢) ا : ابتدى .

قال مجّاعة بن مرارة الحنفي لأبى بكر الصديق رضى الله عنهما : إذا كان الرأى عند من لا يُقبل منه ، والسلاح عند من لا يستعمله ، والمال عند من لا ينفقه ، ضاعت الأمور .

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه : المُلْك والدين أخَوَان ، لا غنى بأحدهما عن الآخر ، فالدّين أسّ(١) ، والمُلْك حارس ، فما لم يكن له أس فمهدوم ، وما لم يكن لَهُ حارس فضائع .

قال عبد الله بن المبارك :

إنَّ الجَمَاعَةَ حَبْلُ اللهِ فَاعْتَصِمُوا ... مِنْهُ بِعُرْوَتِهِ الوُثْقَى لِمَنْ دَانَا
كم يدفعُ الله بالسُّلْطَانِ مُعضِلَةً ... فِى دِينِنَا رَحْمَةً مِنْهُ وَدنْيانا
لَوْلَا الخلافةُ لم تأمَنْ لنا سُبُلٌ ... وكانَ أضعفنا نهباً لأقوانا(٢)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا يؤمّ أحد على سلطانه ، ولا يجلس على تكرمة إلا بإذنه» .

كان يقال : شرّ الأمراء أبعدهم من العلماء ، وشر العلماء أقربهم من الأمراء .

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : مِنَ الملوكِ مَنْ إذَا ملك زهّده الله فيما فى يديه ، ورغبه فيما فى يد غيره ، وأشرب قلبه الإشفاق على ما عنده ، فهو يحسُدُ على القليل ، ويتسخّط على الكثير .

---

(١) ب : رأس .
(٢) ب : نحتا لأقوانا .

ولّى علىُّ بن أبى طالب عمَّ المختارِ بن أبى عبيد عُـكْبَرا[١] ، وقال له بين يدى أهلها : استوف منهم خراجهم ، ولا تجدن عندك ضعيفاً ولا رخصة . ثم قال له : رح إلىَّ. قال : فرحتُ إليه ، فقال لى : قد قلتُ لك بين أيديهم ما قلت ، وهم قومٌ خُدَعٌ ، وأنا الآن آمرك بما إن قبلتَهُ وإلا أخذك الله به دونى ، وإن بلغنى خلافُ ما أمرْتك به عزلتُك ، لا تتبعنّ لهم رزقاً يأكلونه ، ولا كسوة شتاء ولا صيف ، ولا تضربن رجلا منهم سوطاً فى طلب درهم ، ولا تُقمه[٢] فى السجن فى طلب درهم ، فإنا لم نؤمر بذلك ، ولا تستعرْ لهم دابّة[٣] يعملون عليها ، فإنا أمرنا أن نأخذ منهم العفو .

قال عمرو بن العاص لابنه : يا بنىّ ! ! احفظ عنى ما أوصيك به ، إمام عَدْل خير من مطر وَبْل ، وأسدٌ حَطُوم خير من إمام ظلوم ، وإمام ظلوم غشوم خير من فتنة تدوم .

رسالة أَرْدَشير بن بَابك الى الملوك بعده

من أردشير ملك الملوك ، الى الملوك الكائنين بعده : الخراج عمود المملكة بكنفه تعيش الرعية ، وتحفظُ الأطراف والبيْضة ، فاختاروا للعمل عليه أولى الطينة الحرة ، من ذوى العقـــل والحُنكة ، وكفّوهم بسَنِىّ[٤] الأرزاق يحسموا أنفسهم عن الارتفاق ، فما استغزر بمثل العدل ، ولا استنزر بمثل الجور .

---

(١) بليدة بينها وبين بغداد عشرة فراسخ . معجم البلدان ٤/١٤٢ .
(٢) ب : ولا تريد .
(٣) ب : ولا تتبعن لهم حالة ... الخ .
(٤) ا : بيسير .

ومن كلام الفرس فى هذا الباب : لا مُلْكَ إلا برجال ، ولا رجال إلا بمال ، ولا مال إلا بعمارة ، ولا عمارة إلا بعدل .

ومن قولهم أيضاً : مَثَلُ المَلِكِ الذى يأخذ أموال رعيته ويُجْحف بهم ، مثلُ من يأخذ الطّين من أصول حيطانه ، فيطيّنُ به سُطوحَه فيوشك أن تقع عليه البيوت .

ومن كلامهم أيضاً ، وينسب الى أرسطاطاليس : العَالَمُ بستانٌ سياجُهُ الدولة ، الدولة سلطان تحيا به السُّنة ، السُّنة [(١)] سياسة يسوسها المَلِك ، المَلِكُ راعٍ يعضّده الجيش ، الجيشُ أعوان يكنفهم المال ، المالُ رزقٌ تجمعه الرعية ، الرعيةُ عبيدٌ يتعبّدهم العدل ، العدلُ مألوفٌ وهو صلاحُ العَالَم .

قال عبد الملك بن عُمَيْر : كان مكتوباً فى مجلس زياد الذى يجلس فيه للناس بالكوفة ، فى أربع زوايا بقلم جليل : الوالى شديدٌ فى غير عُنْف ، لَيِّنٌ فى غير ضَعْف ، المعطيةُ لأربابها[(٢)] والأرزاقُ لأوقاتها ، البعوثُ لا تُجَمَّر[(٣)] ، المحسنُ يجازى بإحسانه ، والمسىء يؤخذ على يديه . فكان كلّما رفع رأسه قرأه .

قال قتيبةُ بن مُسْلِم : مِلَاكُ الأمر فى السلطان : الشِّدة على المذنب ، واللِّين للمحسن ، وصدق القول .

قال أشجع بن عمرو السلمى :

لَا يُصْلِحُ السُّلْطَانَ إِلَّا شِـدَّةٌ تغْشَى البَرِىءَ بِفَضْلِ ذَنْبِ المُجْرِمِ [(٤)]

---

(١) ساقط من ا .

(٢) ا : لأحيانها .

(٣) ب : المبعوث لا يحمد ، تحريف ، وتجمير البعث : حبسه فى أرض العدو .

(٤) البيت فى الأمالى ١٢/١ ، زهر الآداب ١٤٢/٢ ، وفيه تخشى مكان تغشى .

قال الوليد بن عبد الملك لأبيه عبد الملك : يا أمير المؤمنين ! ما السياسة ؟ فقال : هيبة الخاصة[١] مع شدة عفتها[٢] ، واقتياد قلوب العامة بالإنصاف[٣] منها .

قال مسلمة بن عبد الملك : ما حمدتُ نَفْسى على ظفر ابتدأته بعجز ، ولا ذممتها على مكروه ابتدأته بحزم .

قال معاوية لابنه يزيد : أَعْطِ من أتاك صادقاً بما تكره ، كما تعطى من أتاك بما تحب ، واعلم أنه إذا أَعْطَى الأمير على الهوى لا على الغنى فسد ملكه .

قيل لأنو شروان : إنك اصطنعت فلاناً ولا نسب له . فقال : اصطناعنا له نسبه .

قال أبو جعفر المنصور : الذى علىّ للرعية أن أحفظ سُبُلَهم ، فينصرفون آمنين فى سبيلهم ، ولا يُصَدّون عن حجهم ، وقضاء نسكهم ، وأن أضبط ثغورهم ، وأحصنها من عدوهم ، وأن أختار قضاتهم ، وأعزم بالحق[٤] كيلا يصل ظلم بعضهم الى بعض، وأن أرفع أقدار فقهائهم وعلمائهم ، وأكف جهالهم عن حكمائهم .

كتب عبد الملك بن مروان الى الحجّاج : صف لى الفتنة حتى كأنى أراها رأى العين . فكتب اليه : لو كنت شاعراً لوصفتها لك[٤] فى شعرى ، ولكنى أصفها لك بمبلغ[٥] رأيى وعلمى ، الفتنة تلقحُ بالنجوى ، وتَنْتِج[٦] بالشكوى ، فلما

---

(١) ب : الرعية .
(٢) ب : محبتها .
(٣) ب : بالانصراف .
(٤) ساقط من ا .
(٥) ا : ببليغ .
(٦) ب : وتفتح .

قرأ كتابه ، قال : إن ذلك لكما وصفت ، فخذ من قبلك بالجماعة ، وأعطهم عطايا الفُرقة ، واستعن عليهم بالفاقة ، فإنها نعم العون على الطاعة ، فأخبر بذلك أبو جعفر المنصور فلم يزل عليه حتى مضى لسبيله .

قال بعض الحكماء من ملوك الفرس ، لحكيم من حكماء مملكته : أى الملوك أحزم ؟ قال : من غلب جِدُّه هزلَه ، وقهر لبُّه هواه ، وأعرب عن ضميره فعلُه ، ولم يختدعه رضاه عن خطئه ، ولا غضبه عن كيده .

لما أراد عمرو بن العاص المسير الى مصر ، قال له معاوية[1] : إنى أريد أن أوصيك . قال : أجل . فأوْصِ . قال : انظر فاقة الأحرار فاعمل فى سدها ، وطغيان السفلة فاعمل فى قمعها ، واستوحش من الكريم الجائع ، واللئيم الشبعان ، فإنما يصول الكريم إذا جاع ، واللئيم إذا شبع .

قال بعض الحكماء : الرعية للملك كالروح للجسد ،فإذا ذهب الروح فنى الجسد .

وروى الهيْثَم بن عَدِىّ ، عن مجالد ، عن الشعبى ، قال عمر بن الخطاب : دلّونى عن رجل أستعمله ، فقد أعيانى أمر المسلمين . قالوا له : عبدالرحمن بن عوف ، قال لهم : ضعيف . قالوا له : فلان . قال : لا حاجة لى به . قالوا : فمن تريد ؟ قال : رجل إذا كان أميرَهم كان كأنّه رجل منهم ، واذا لم يكن أميرهم كان كأنه أميرهم . قالوا : ما نعلمه إلا الرّبيع بن زياد الحارثى . قال : صدقتم .

قال أبو عمر : والربيع بن زياد هذا ، كان فاضلا جليلا فى قومه ، ولاّه معاوية خراسان ، فاستكتب الحسن بن أبى الحسن فكان كاتبه ، فلما بلغه قتلُ معاوية

(١) ب : قال لمعاوية يا أمير المؤمنين .

حُجْر بن عدى[1] ، قال : اللّهم إن كان للربيع عندك خير فاقبضه إليك وعجّل ، فزعموا أنه لم يبرح من مجلسه حتى مات .

كتب بعض ملوك العجم إلى ملك آخر منهم : قلوب الرعية خزائن ملوكها ؛ فما أودعوها فليعلموا أنه فيها .

قال الإسكندر لأرسطاطاليس : أوصنى. قال : فانظر من كان له عبيد فأحسنَ سياستهم فولّه الجند ، ومن كانت له ضَيْعَةٌ فأحسن تدبيرها فولّه الخراج .

وقال بعض الحكماء : لا تصغّر أمر من جاء يحاربك ، فإنك إن ظفرت لم تُحمد ، وإن عجزت لم تُعذر .

قيل لكسرى ذى الأكتاف[2] ، وكان ضابطًا لملكته : بمَ ضبطتَ المُلك ؟ قال : بثمان خصال : لم أهزل فى أمر ولا نهى ، ولم أخلف وعداً ولا وعيداً ، ووليّت للغنى لا للهوى ، وعاقبت للأدب لا للغضب ، وأوطأت قلوب الرعية الهيبة من غير ضغينة ، وملأتها محبة من غير جرأة ، وأعطيتها القوت ، ومنعتها الفضول .

قال عبد الملك بن عُمَيْر : سمعت زياداً وهو يخطبُ ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه : إنا أصبحنا لكم سَاسَة وعنكم ذَادَة ، نسوسكم بسلطان الله الذى ملّكنا ، ونذود عنكم بفيء الله الذى خوّلنا ، فلنا عليكم الطاعة فيما أحسنّا[3] ، ولكم العدل فيما ولينا ، فاستوجبوا عدلنا بطاعتكم ، ومَحْض وُدّنا بمناصحتكم ، ومهما قصَّرت فيه

---

(١) انظر خبر حجر وأصحابه فى تاريخ : الطبرى ٦/١٤١ ، الكامل لابن الأثير ٣/١٨٧ ، سير أعلام النبلاء ٣/٣٠٥ .

(٢) ساقط من أ .

(٣) ب . أحببنا .

من أداء حقكم فلن أقصر في ثلاث : لست محتجباً عن ذى حاجة ولو أتانى طارقاً بليل ، ولا مُجَمِّرًا لكم جيشاً[١] ، ولا حابساً عنكم عطاء ولا رزقاً لإبّانه ، فادعوا الله لأئتكم بالصلاح ، فإنهم ساستكم المُذَبُّون[٢] ، وكهفكم الذى إليه تأوون ، فإن تصلحوا يصلحوا ، ولا تشعروا قلوبكم بغضتهم فيشتدَّ غيظكم ، ويطول حزنكم ، ولا تدركوا حاجتكم ، فإنه لو استجيب لكم فيهم كان شرًّا لكم ، نسأل الله أن يعين كلاً على كلّ .

كان يقال : ينبغى للمَلِكِ أن يعمل بثلاث خصال : تأخير العقوبة عند الغضب ، وتعجيل مكافأة المحسن بإحسانه ، والعمل بالأناة فيما يحدُث له ، فإن له فى تأخير العقوبة إمكان العفو ، وفى تعجيل المكافأة بالإحسان : المسارعة إلى الطاعة ، وفى الأناة : انفساح الرأى وإيضاح الصواب .

كان يقال : من سعى بدليل فى التدبير لم يقعد به إلاّ سابق قضاء لا يُملك .

ذكر المبرّد ، قال : كان بعض عقلاء ملوك الفرس إذا شاور من فد رتّبهم لمشورته فقصّروا فى الرأى . دعا الذين قد وكّلهم فى أرزاقهم فعاقبهم ، فيقولون : يخطىء أهل مشورتك فتعاقبنا نحن . فيقول : نعم . إنهم لم يخطئوا إلاّ بتعلق قلوبهم بأرزاقهم ، فإذا اهتمّوا لحاجاتهم أخطأوا .

قال بعض الحكماء لبعض الملوك : أُوصيك بأربع خصال تُرضى بهن ربّك ، وتَصْلُح معهن رعيتك : لا يغرّنك ارتقاء السهل[٣] إذا كان المنحدر وعراً ، ولا تعدن

---

(١) تجمير الجيش : حبسه فى أرض العدو .
(٢) ب : المؤدبون .
(٣) ب : السير .

وعدًا ليس فى يديك وفاؤه ، واعلم أن الأمور بَغَتَاتٌ(١) فبادر ، واعلم أن الأعمال جزاء ، فاتّق العذاب .

قال زياد : كمال الرأى شدةٌ فى غير إفراط ، ولين فى غير إهمال .

ضرب مصعب بن الزبير وجه الأسقف بالقضيب ، فقال : إنى أجد فى الإنجيل : لا ينبغى للإمام أن يكون سفيهاً ومنه يُلتمس الحلم ، ولا ينبغى له أن يكون جائرًا ومن عنده يُلتمس العدل .

سألتْ بنو إسرائيل موسى عليه السلام ، أن يعرّفهم الزمان الذى يرضى فيه الله عن الناس ، فقال : إذا استُعْمِلَ منهم الهَيِّن البَرّ الخيّر(٢) .

وفى خبر آخر : علامة رضا الله عن عباده أن يستعمل عليهم خيارهم ، وأن ينزل الغيث فى أوانه ، وعلامة سخطه عليهم أن يولى عليهم شرارهم ، وينزل عليهم الغيث فى غير أوانه .

قال معاوية لابن الكوّاء(٣) : صف لىَ الزمان ، فقال : أنت الزمان إن تَصْلُح يَصْلُح ، وإن تَفْسد يَفْسد .

خير من هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي إذا صَلحا صَلح الناس : الأمراء والعلماء » .

قال الأحنف بن قيس : كلّ ملك غدور ، وكلّ دابة شرود ، وكل امرأة خئون !

---

(١) ب : تفتات .

(٢) ب : الان الحى .

(٣) ب : ابن الكر ، والصحيح ما ذكرناه ، فهو عبد الله بن عمرو (ابن الكواء) اليشكرى ، كان من النسابين العلماء بالأخبار والآثار ، خرج على على بعد التحكيم ، ثم كان من رءوس الخوارج الشراة الذين حاربهم المهلب . انظر تهذيب التهذيب ٤/٧٢ ، شذور الذهب ٦/٩٧ .

قال الأعور السلمى : يا معشر بنى سليم ! أنذركم السلطان فإنه أصبح صَعْباً حَنُوطاً[١] يغضب كما يغضب الصبى ، ويفترس كما يفترس الأسد .

قال عبد الملك بن مروان : لقد كنت أمشى فى الزرع فأتقى الجُنْدُبَ أن أقتله ، وإن الحجاج اليوم ليكتب إلىّ بقتل فِئَامٍ[٢] من النّاس فما أحفل بذلك .

قال بعض الولاة لأعرابى : قل الحق وإلا أوجعتك ضرباً[٣] . فقال : وأنتَ فاعمل به ، فما تَوَعَّدكَ اللهُ به أشدُّ مما توعدنى به .

قيل لمَلِكٍ زال عنه ملكه : لِمَ زال عنك ملكُك ؟ قال : لمدافعتى عمل اليوم إلى غد .

قال ابن شُبْرُمة : من أكل من حَلْوائهم انحطّ فى أهوائهم .

قال كسرى لوزيره : إياك أن تدخل علىّ كثيرًا فأملّك ، فتثقُلَ علىّ حوائجك ، ولا تُطِل الغيبة عنى فأنساك .

قال بعضُ الحكماء : من زال عن أبصار الملوك زال عن قلوبهم .

قال ابن المعتز : أشقى النّاسِ بالسُّلطان صاحبُه ، كما أن أقربَ الأشياء إلى النار أسرعُها احتراقاً .

قال الشاعر :

إِنَّ الْمُلُوكَ بَلَاءٌ حَيْثُمَا حَلُّوا ... فَلا يَكُنْ لَكَ فِي أَفْنَائِهِمْ ظِلُّ

---

(١) الحنوط : الميال إلى الشر .

(٢) ا : قيام ، وهو تحريف ، وفئام ككتاب : الجماعة من الناس .

(٣) ساقط من ا .

وَمَا تُرِيدُ بِقَوْمٍ إِنْ هُمُ سَخِطُوا ... جَارُوا عَلَيْكَ وَإِنْ أَرْضَيْتَهُمْ مَلُّوا

وَإِنْ مَدَحْتَهُمُ ظَنُّوكَ تَخْدَعُهُمْ ... وَاسْتَثْقَلُوكَ كَمَا يُسْتَثْقَلُ الكَلُّ

فاستغن بالله عن أَبْوَابِهِمْ أَبَدًا ... إِنَّ الْوُقُوفَ عَلَى أَبْوَابِهِمْ ذُلُّ[١]

قالوا : السلطان كالنار ، من تباعد منها لم ينل من دفئها[٢] شيئاً ، ومن تقرب منها أحرقته .

ذكر أعرابى الملوك فقال : الملك أقرب ما تكون إليه أخوف ما تكون منه شاهده يظهر حبك ، وغائبه يبتنى غيرك .

قال المأمون : لو كنتُ مع العامة لم أصحب السلطان .

قال أبو قَرْدُودَة :

إِنِّى نَهَيْتُ ابنَ عَمَّارٍ وَقُلْتُ لَه : ... لا تَأْمَنَنْ أَحْمَرَ العَيْنَينِ وَالشَّعْرَهْ

إِنَّ الْمُلوكَ مَتَى تَنْزِلْ بِسَاحَتِهِمْ ... يَطِرْ بِثَوْبِكَ مِنْ نِيرانِهِمْ شَرَرَهْ[٣]

وقال آخر :

إِذَا صَحِكَ الْأَمِيرُ إِلَيْكَ فَاعْلَمْ ... بِأَنَّ ضَمِيرَهُ لَكَ مُسْتَقِيمُ

وَلَا تَحْفِلْ بِضِحْكِ مِنْ كَفِيٍّ[٤] ... فَكُلُّ النَّاسِ ضِحْكُهُمُ سَقِيمُ

---

(١) انظر الأبيات فى العقد الفريد ٣/٢٠٠ ، محاضرات الادباء ١/٩٢ .

(٢) ب : حرها .

(٣) كان ابن عمار الطائى خطيب مذحج كلها ، فبلغ النعمان حسن حديثه فحمله على منادمته ، وكان النعمان شديد العربدة قتالا للندماء ، فنهاه أبو قردودة الطائى عن منادمته ، فلم يستمع إليه ، فلما قتل رثاه ، انظر البيان ١/٢٢٨ ، ٢/٣٤٩ ، وانظر محاضرات الأدباء ١/ ٩٢ .

(٤) الكفى : النظير والمثيل .

قال العباس بن محمد للمنصور : يا أمير المؤمنين ! إنما هو سيفك ودرعك ، فادْرَعْ بدرعك من شكرك ، واحصد بسيفك من كفرك .

قالوا : لا تنتر بالأمير إذا غشك الوزير .

(١ ومنهم من قال : لا تثق بالأمير إذا خانك الوزير ١) .

جلس معاوية يأخذ البيعة على الناس بالبراءة من علىّ . فقال رجل : يا أمير المؤمنين ! إنا نطيع أحياءكم ، ولا نبرأ من موتاكم . فالتفت معاوية إلى المغيرة بن شعبة ، فقال : رَجل فاستوص به خيرًا .

كان يقال : إذا نزلْتَ من الوالى بمنزلة الثّقة فاعزل عنه كلام الخنا والملَق ، ولا تكثرنّ له الدعاء فى كل كلمة ، فإن ذلك يشبه الوحشة ، وعظّمه ووقّره فى الناس .

قال الشعبىّ : أخطأت عند عبد الملك بن مروان فى أربع : حدثنى بحديث يومًا فقلت : أعده علىّ فقال : أما علمت أن أمير المؤمنين لا يُستعاد . وقلت له حين أذن لى عليه : أنا الشعبى . فقال : ما أدخلناك حتى عرفناك . وكنيت عنده رجلا ، فقال : أما علمت أنه لا يكنى أحد عند أمير المؤمنين . وحدثنى بحديث فسألته أن يكتبه[٢] . فقال : إنا نُكتِّبُ ولا نُكتَّب[٣] .

وهذا الخبر عندى غير صحيح ، لان المحفوظ عن الشّعبى أنه قال : ما استعدتُ حديثًا قط . ولا تشبه سائر الحكاية أخلاق الشعبى .

---

(١) ساقط من ا .

(٢) ب : يكتبنيه .

(٣) ب : لا نكتب .

قال الشعبي : قال لي عبد الملك : جنبني ثلاثاً وأورد عليّ ما شئت : لا تُطْرِني في وجهي ، فأنا أعلم بنفسي ، وإياك أن تغتاب عندي أحداً ، واحذر أن أجِدَ عليك كذبة فلا أسكن إلى قولك أبداً . وهذا مأخوذ من قول العباس لابنه عبد الله رضي الله عنهما . قال عبد الله بن عباس ، قال لي أبي : إني أرى أمير المؤمنين — يعني عمر بن الخطاب — يدنيك دون أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فاحفظ عني ثلاثاً : لا يجدنّ عليك كذباً ، ولا تغتابن عنده مسلماً ، ولا تفشين له سرًّا . فقيل له : يا ابن عباس[١] كل واحدة خير من ألف ، فقال : كل واحدة خير من عشرة آلاف .

قال عمر بن الخطاب لهُنَيّ إذ ولاه الحمى[٢] : يا هُنَي ! اضمم جناحك ، واتق دعوة المظلوم .

قال الفرزدق :

قُلْ لِنَصْرٍ وَالْمَرْءُ فِي دَوْلَةِ السُّلْـ ... ـطَانِ أَعْمَى مَا دَامَ يُدْعَى أَمِيرَا

فَإِذَا زَالَتِ الْوِلَايَةُ عَنْــهُ ... واستوى بالرجالِ كانَ بَصِيرَا[٣]

قال المهلب لابنه : يا بني : اخفض جناحك واشتد[٤] في سلطانك ، فإن الناس للسلطان أهيب منهم للقرآن .

---

(١) ب : يا عباس .
(٢) هني : مولى كان لعمر رضي الله عنه ولاه حمى النقيع التى حماها عمر لإبل الصدقة وخيل الجهاد انظر تهذيب التهذيب ١١/٧٣ ، وانظر معجم البلدان قسم ٢/٣٠٨ .
(٣) ديوانه ٩٢ ، نهاية الأرب ٣/٧٣ وفيها : قل لنصر ، التمثيل والمحاضرة ٧٠ .
(٤) ب : واشدد .

كان يقال : ثلاثة من عازّهم رجعت عزّته ذلاً ، السّلطانُ وَالوالدُ والعالِم .

كان يقال : أربعة تشتد معاشرتهم : المتوانى ، والفرس الجموح ، والسلطان الشديد الملكة ، والعالم .

بصق عبد الملك يوماً فقصر بُصَاقُه ، فوقع فوق البساط ، فقام رجل من المجلس يمسحه بثوبه . فقال عبد الملك : أربعة لا يُستحيا من خدمتهم : السلطان ، والوالد ، والضيف ، والدابة . وأمر للرجل بصلة .

كتب إلى عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه عامل له : إنّ مدينتنا قد احتاجت إلى مرَمّة . فكتب إليه عمر : حصّنْ مدينتك بالعدل ، ونقّ طريقها من الظلم .

قال معاوية بن أبى سفيان : من وليناه من أمورنا شيئاً فليجعل الرفق بين الأمانة والعدل[1] .

قال محمد بن كعب القُرَظى : قال لى عمر بن عبد العزيز : صف لى العدل يا ابن كعب . قلت : بخٍ بخٍ ، سألتَ عن أمر عظيم . كن لصغير الناس أباً ، ولكبيرهم ابناً ، وللمِثْل منهم أخاً ، وللنساء كذلك ، وعاقب الناس بقدر ذنوبهم على قدر احتمالهم ، ولا تضربن لغضبك سوطاً واحداً فتكون من العادِين .

كان يقال : ليس شىء أحسن عند الله من حلم إمام ورأفته .

قال زياد لابنه عبيد الله : يا بنىّ ! إذا دخلتَ على أمير المؤمنين فادْعُ له ، واصفح صفحاً جميلا ، ولا تُرَيَنّ متهالكا عليه ، ولا منقبضاً عنه .

---

(١) ا : والرذل .

قال مالك : قيل لأبى الدرداء : يَرُدُّكَ معاوية ، وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال اللّهُمَّ غفرًا . من يأت أبواب السلطان يقم ويقعد .

قال معاوية : لا أضع سوطى حيث يكفينى لسانى ، ولا أضع سيفى حيث يكفينى سوطى .

قال معاوية يوماً ، وقد ذكر من كان قبله : أما أبو بكر فهرب عن الدنيا ، وهربتْ عنه . وأما عمر فأقبلت إليه وهرب منها ، وأما عثمان فأصاب من الدنيا وأصابت منه[1] ، وأما أنا فقد داستنى الدنيا ودستها .

قال أبو عمر رضى الله عنه : سكت عن علىّ ، وأنا أقول : وأما علىّ فأصابت الدنيا منه ولم يصب منها .

وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : إنى لأستعمل الرجل ، وأدع خيرًا منه ، وذلك أنى أستعمله لأن يكون أنقص عيباً وأوسع رأيًا ، وأشد جرأة ، وأصبر على الجوع والعطش . وقد روى هذا مرفوعاً إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

كان يقال : يوم من أيام إمام عادل أفضل من مطر أربعين صباحاً أحوج ما تكون الأرض إليه .

قال المهلب : خير الولاة من كان فى رعيته كأنه غائب عنها ، وهو شاهد فيها ، وكان المحسن فى أيامه آمناً والمسىء خائفاً .

---

(١) ا : أصابته .

وقال بعض الحكماء: الناس يحبّون سلطانَهم على الدِّين، والتواضع ولين الجانب، وينقادون لشدة الطّيش.

قال أبو العتاهية:

رَضِيتُ ببعضِ الذُّلِّ خَوْفَ جميعِهِ وَلَيسَ لمثلِي بالملوكِ يَدَانِ
وكُنْتُ امْرءًا أَخْشَى الْعِتَابَ وَأَتَّقِي مَغَبَّةَ مَا تَجْنِي يَدِي وَلِسَانِي
وَلو أَنَّنِي عَانَدْتُ[1] صَاحِبَ قُدْرَةٍ لَعَرَّضْتُ نَفْسِي صَوْلَةَ الْحَدَثَانِ
فهلْ مِنْ شَفِيعٍ مِنْكَ يَقْبَلُ تَوْبَتِي فإنِّي امْرُؤٌ أُوفِي بكلِّ ضَمَانِ[2]

وقال الحسن بن سهل:

فرضَتْ عَلَيَّ زكاةُ مَا مَلَكَتْ يَدِي وَزكاةُ جَاهِي أَنْ أُعِينَ[3] وَأَشْفَعَا
فإذا مَلَكْتَ فَجُدْ وَإِنْ لم تستطعْ فاجْهَدْ بجَهْدِكَ[4] كلّه أَنْ تَنْفَعَا[5]

وقال آخر:

لَيْسَ فِي كلِّ سَاعَةٍ وَأَوَانِ تَتَهَيَّا صَنَائِعُ الإِحْسَانِ
فإذا أَمْكَنَتْ فَبَادِرْ إِلَيْهَا حَذَرًا مِنْ تعذُّرِ الإِمْكَانِ[6]

---

(١) ا، م: ولو قد كنت، ب: ولو أنى عاينت، والمثبت من الديوان.
(٢) ديوانه ٣٢٤.
(٣) ا: أعيش.
(٤) ب: بجهدك.
(٥) البيتان فى محاضرات الأدباء ١/٢٧٢.
(٦) المستطرف ٢/٦٢، التمثيل والمحاضرة ٤٣٢، وفيها: وهلة، بدل: ساعة، المحاسن والمساوئ ١/١٩٥.

كان زياد إذا أُتِيَ بصاحب زلة ، أخّر عقوبتـه أياماً يسـأل عن قضيته مخافة الزيادة فى العقوبة .

صعد عبدالملك المنبر ، فقال فى خطبته : يا معشر رعيتنا ! سألتمونا سيرة أبى بكر وعمر ، ولم تسيروا فينا ولا فى أنفسكم سيرة رعية[1] أبى بكر وعمر ، ولـكن نسأل الله أن يعين كلاًّ على كلٍّ .

تعرّض رجل للحسن بن سهل ، فقال : من أنت ؟ فقال : أنا الذى أحسنت إلىّ عام كذا ، فقال الحسن : مرحباً بمن توسل إلينا بنا .

وهذا عندى مأخوذ من قول معاوية : أحب الناس إلى ، من له عندى يد ، ثم أحبهم إلىّ بعده من لى عنده يد .

قال الشعبى : دخلت يوماً على ابن هُبيرة وبين يديه رجل يريد قتله . فقلت : أصلح الله الأمير ، أنت على فعل ما لم تفعل أقدر منك على ما فعلت ، ولَأن تندم على العفو خير من أن تندم على العقوبة . قال : صدقت يا شعبى . وأمر بالرجل إلى السجن .

قال المأمون : تَحْتَمِلُ الملوك لأصحابهم كل شىء إلا ثلاث خصال : القدح فى الملك ، وإفشاء الأسرار ، والتعرض للحُرَم .

روى ابن دريد ، عن ابن أخى الأصمعى ، عن عمه ، عن أبى[2] عمرو بن العلاء ، أنه دخل على سليمان بن على ، فسأله عن شىء فصدقه عنه[3] ، فغضب سليمان بن على فخرج أبو عمرو وهو يقول :

---

(١) الـكلمة ساقطة من ا .
(٢) ساقطة من ب .
(٣) ا : فصدقه فصده .

أنفتُ مِنَ الْعَارِ عند الْملوكِ ... وَإِنْ أكْرَمُونِى وَإِنْ قرَّبُوا
إِذَا مَا صَــــدَقْتُهُمْ خِفْتُهُمْ ... ويَرْضَوْنَ مِنِّى بِأَنْ يُكْذَبُوا(١)

قيل للعتابى : لم لا تخدم الأمير(٢) ؟ أو لا تكتب الأمير(٢) ؟ فقال : لأنى رأيته يعطى رجلا ألف مثقال بلا خصلة ، ويرمى آخر من أعلى السور على الرأس بلا ذنب ، فلا أدرى أى الرجلين أكون عنده ، مع أن الذى أُعْطى فى ذلك ، أكثر من الذى آخُذُ — يريد مهجته — وركوبُ الغرر(٣) فيها معه ، والعتابى هو القائل :

تَلُومُ عَلَى تَرْكِ الغِنَى باهِلِيَّةٌ ... زَوَى الدَّهْرُ عنها كُلَّ طِرْفٍ وَتَالِدِ
رَأَتْ حَوْلَهاَ النِّسْوَانَ يَرْفُلْنَ فِي الكُسَى ... مُقَلَّدَةً أَجْيَــادُهاَ بِالْقَلاَئِدِ
يَسُرُّكِ أَنِّى نِلتُ مَا نَالَ جعفرٌ ... مِنَ الْمُلْكِ أَوْ مَا نَالَ يحيى بنُ خَالِدِ
وأَنَّ أَميرَ الْمُؤْمنِينَ أَغَصَّنِي ... مُغَصَّصُهُمَا(٤) بِالْمُرْهَفَاتِ الْبَوَارِدِ
ذرِينى تجِئْنِى مِيتَتِى مُطْمَئِنَّةً ... ولم أَتجَشَّمْ هَوْلَ تِلْكَ الْمَوَارِدِ
وَإِنَّ كَرِيمَاتِ الْمَعَالِي مَشُوبَةٌ ... بِمُسْتَوْدَعاتٍ فِي بُطُونِ الأَسَاوِدِ(٥)

وقال الغَزَّالُ :

وَإِنْ أُعْطِيتَ سُلْطَانًا ... فَحَاذِرْ صَوْلَةَ الزَّمَنِ

---

(١) انظر البيتين والقصة فى وفيات الأعيان ٣/١٢٨ .

(٢) ب : الأمين .

(٣) ب : العذر .

(٤) ب : أعصه مغتصما .

(٥) يروى : لوى الدهر، مكان: زوى ، وفى العقد : أعضنى معضهما ، ورواية الشطر الثانى للبيت الثالث فيه : (وما نال يحيى فى الحياة ابن خالد) ، وفى التمثيل والمحاضرة يروى شطر البيت الأخير : (فإن عظيمات الأمور مشوبة) ، وانظر : محاضرات الأدباء ١/٩٢ ، ١٦٣ ، نهاية الأرب ٣/٨٣ ، العقد الفريد ٣/٢٠٨ ، التمثيل والمحاضرة ٨٣ ، زهر الآداب ٣/٣٩ .

أَخُو السُّلْطَانِ مَوْصُوفٌ بحسن الرَّأْى والفِطَنِ
فَسَاعَـــةَ مَا يُزاوله[1] رَمَاهُ النَّاسُ باللَّعَنِ
ويُصْبِحُ رَأْيُهُ الْمَحْمُو دُ[2] مَنْسُوباً إِلَى الأَفَنِ
وتبصرُ فِي مَطِيَّـــتِهِ سُقُوطَ الْعَيْنِ وَالأُذُنِ
وَتَسْترخى مفاصـــلُه وتـكسى كِسْوَةَ الحَزَنِ
كَأَنَّ بَشَاشَةَ السُّلْطَا نِ حِينَ تَزُولُ لم تـكُنِ

وقال إدريسُ بنُ مُتَيم الإشبيلى

قَالُوا تَقَرَّبْ من السُّلْطَانِ قلتُ لهم : يُعِيذُنى اللهَ مِنْ قُرْبِ السَّلَاطِينِ
إِنْ قُلْتَ دنيا فلَا دُنْيَا لِمُمْتَحَنٍ أَوْ قلتَ دِينٌ فلاَ دِيناً لِمفْتُونِ

قيل لأعرابى : من أنعم الناس عيشاً ؟ قال : من لم يعرف السلطان ، ولم يعرفه السلطان ، وكان فى كفاف وغنى .

وأما أهل الآخرة فطريقتهم الإعراض عنهم ، وترك معاشرتهم .

قال إسحق بن إبراهيم الموصلى : حدثونا أن الحسن البصرى نظر إلى قوم صحبوا السلطان واتسعت دنياهم ، فقال : ما تنظرون إليهم ، فوالله لئن كانوا من أهل الجنة لقد عجل لهم قليل من كثير [3] ذخر لهم [3] ، ولئن كانوا من أهل النار لقد أعطوا قليلا من كثير صرف عنهم فأتاهم ، فارحموا ولا تغبطوا[4] .

---

(١) ا : ما يرى وله .
(٢) ا : المحسود .
(٣) ساقط من ب .
(٤) ب : ولا تقنطوا .

أنشدنى عبد الله بن محمد بن يوسف لنفسه :

مَا يَشْتَهِى قُرْبَ السَّلَاطِينِ غَيْرُ ضَعِيفِ العقل مَجْنُونِ
لَا تَكْذِبَنْ عَنْهُمْ فَمَا صَحْبُهُمْ مِنْهُمْ عَلَى دُنْيَا وَلَا دِينِ
دُنْيَاهُمُ بِالْخِزْيِ مَوْصُولَةٌ وَلَا تَسَلْ عَنْ دِينٍ مَفْتُونِ
خَيْرُهُمُ فَاعْلَمْهُ لَا يُرْتَجَى وَشَرُّهُمْ لَيْسَ بِمَأْمُونِ
لَا رَأْيَ لِي فِي نَيْلِ دُنْيَاهُمُ حَسْبِي بِأَنْ يَسْلَمَ لِي دِينِي

شكت الرعية بعض العمال ، فارتضى العامل بسهل بن عاصم ، فسأله الأمير ، فقال : مافى عاملك ما يُشتكى إلا أن الله أمر بأمرين ، امتثل فينا أحدهما [١] وترك الآخر ، قال الله عز وجل [١] : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾[٢] ، فعدل فينا ولم يحسن إلينا ، وفى العدل بغير إحسان عطب[٣] الرعيـة ، فقال له الأمير : صدقت ، قد وليتك مكانه .

ومن كلام ابن المعتز فى هـذا الباب : لا يدرك الغنى بالسلطان إلا نفس خاشعة ، وجسم متعب ، ودين منثلم .

من شارك السلطان فى عز الدنيا ، شركه فى ذل الآخرة .

فساد الرعية بلا ملك ، كفساد الجسم بلا روح .

إذا زادك المَلِكُ إيناساً فزده إجلالا .

---

(١) ساقط من ب .
(٢) سورة النحل آية ٩٠ .
(٣) ا : غضب .

لا تلبسن بالسلطان فى وقت التباس الأمور عليه واضطرابها ، فإن البحر لا يكاد يسلم راكبه فى حال سكونه ، فكيف عند اختلاف رياحه واضطراب أمواجه .

ريح السلطان على قوم سموم ، وعلى قوم نسيم .

المَلِكُ يَحقُّ المَـلِك ، من نشر أنواع الفضل ، وبسط أنواع العدل ، وجانب المطامع الرديئة ، والمطاعم الدنيئة .

قال مُطَرِّف : لا تنظر إلى خفض عيش الملوك ، ولكن انظر إلى سرعة ظعنهم ، وسوء منقلبهم .

سئل رجل من بنى أمية عاقل ، فقيل له : أخبرنا عن أول شىء ، كان بدء زوال ملككم ، فقال : سألتَ فاسمع ، وإذا سمعت فافهم . تشاغلنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا ، ووثقنا بوزراء آثروا مرافقهم على منافعنا ، وأبرموا[١] أموراً أسروها[٢] عنا ، فظُلمت رعيتنا ، ففسدت نياتهم لنا ، وجدب معاشنا فخلت بيوت أموالنا ، وقل جندنا فزالت هيبتنا[٣] ، واستدعاهم أعداؤنا فظاهروهم[٤] علينا ، وكان أكثر الأسباب فى ذلك استتار الأخبار عنا .

أنشدنى أبو القاسم محمد بن نصير[٥] الكاتب لنفسه :

إِذَا مَا اللهُ شَاءَ صَلاحَ قَومٍ أَتَاحَ لَهُمْ أَكَابِرَ مُصْلِحِينَا

---

(١) ب : وأرموا .
(٢) ا : أبرموها .
(٣) ب : فزادت هيبتهم
(٤) فظافروهم .
(٥) ب : بصير .

(١ ذَوِى رأْيٍ ومَعْرِفَةٍ وَفَهْمٍ ... وإعداد لما قد يحذرونا ١)

فَلمْ يَسْتأْثِرُوا بكثيرِ جَمْعٍ ... وكانوا للمصالح مؤثِرِينا

وَيَسُرُّهُمْ لِفِعْلِ الخيرِ فيما ... إليهِمْ من أُمور المُسْلِمِينا

(٢ وَإنْ يشأ الإلهُ فَسادَ قَوْمٍ ... أتاحَ لَهُمْ أَكابِرَ مُعتَدِينا ٢)

ذَوِى كِبْرٍ وَمَجْهَلَةٍ وَجُبْنٍ ... وَإهمالٍ لما يَتَوَقَّعُونا

فَظَلُّوا يَشْرَهُونَ وَيَجْمَعُونا ... وَلَيْسُوا فِي العَوَاقِبِ يفكرُونا

وَجارُوا حَيْثُما أُمِرُوا بِعدلٍ ... كأَنْ قَدْ قِيلَ كُونُوا جائِرِينا

وقال الأفوه الأودى :

لَا يَصْلُحُ القومُ فوضَى لا سَراةَ لَهُمْ ... ولا سَراةَ إذَا جُهَّالُهم سَادوا

إذَا تولَّى سَرَاةُ القَوْمِ أمْرَهُمُ ... نَمَا عَلَى ذَاكَ أَمْرُ القَوْمِ وَازْدَادُوا

تُلْفَى الأمُورُ بأهلِ الرأْى قد صَلُحَتْ ... وَإنْ تَوَلَّتْ(٣) فبالأَشْرَارِ تَنْقَادُ(٤)

(٥ وقال محمد بن نصر :

لَا تَحقِرَنَّ امرءًا إنْ كانَ ذَا ضعة ... فكم وضيعٍ من الأقْوَامِ قَدْ رَأَسَا

فربَّ قومٍ حَقَرْنَاهُم فلم نَرَهم ... أهلا لخدمتنا صاروا لَنا رُؤَساَ ٥)

---

(١) ساقط من ب .

(٢) ساقط أيضاً من ب .

(٣) ا : بدلت .

(٤) نهاية الأرب ٣/٦٢ ؛ التمثيل والمحاضرة ٥١ ، مجموعة المعانى ١٦ ، العقد الفريد ١/١٠ .

(٥) ساقط من ب .

من الأمثال في السُّلطَانِ وَصُحْبَته

إذا رغب الملكُ عن العدل رغبت الرعية عن الطاعة .

لا صلاحَ للخاصَّة مع فساد العامة ، ولا نظام للدَّهْماء مع دولة الغوغاء .

الحكمُ[(١)] ميزانُ الله فى الأرض .

كلُّ الناس أحقّاء بالسجود لله عزّ وجلّ ، وأحقّهم بالسجود لله وَالتواضع له من رفعه الله عن السجود لأحد من خلقه[(٢)] .

كفارةُ عملِ السلطان الإحسانُ إلى الإخوان .

لا رَحِمَ بين الملوك وبين أحد .

للمُلُوكِ بَدَوَات[(٣)] .

المُلك عقيم .

المُلْكُ يَبْقَى على الكُفْر ، ولا يبقى على الظلم .

سُكرُ السلطان أشدُّ من سكر الشراب[(٤)] .

السلطانُ كالنار : إن باعدتها بطل نفعها ، وإن قاربتها عظم ضررها .

جَاوِرْ مَلِكاً أو بحراً .

صاحبُ السلطان كراكب الأسد ، يهابهُ الناس وهو لمركبه أهيب .

---

(١) ب : الحلم .

(٢) وردت هذه العبارة مضطربة جدا فى ب .

(٣) البدوات : الآراء التى تسنح فجأة ، ويقال : فلان ذو بدوات وأبو البدوات إذا كانت تظهر له آراء فيختار أحزمها .

(٤) ا : الشباب .

أجرأُ الناس على الأسَد أكثرهم له رؤية .

السُّلطان كالسُّوق ما نَفَق فيها جُلب إليها .

إن كان البحرُ كثير[1] الماء فإنه بعيد المهوى .

السُّلطانُ إذا قال لعماله : هاتوا ، فقد قال : خذوا .

الناس على دينِ المَلِك .

عفو المُلُوك أبقى للملوك .

من خَدَمَ السلطان خَدَمَه الإخوان .

ثلاثة لا أمان لهم : السّلطانُ والبحرُ والزمانُ .

من تَحَسَّى مرقة السُّلطانِ أحرقت شفتاه ولو بعد حين .

مثل أصحاب السلطان كقوم رقوا جبلاً ثم وقعوا منه ، فكان أبعدهم فى المرتقى أقربهم من التلف .

---

(١) ا : قليل .

باب الـكُتّاب والـكتابة [1]

قال رسـولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلم : « نحن أُمّة أُمّيةٌ لا نكتب ولا نحسب » [2]

وروى عنه عليـه السلام أنه قال : « من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، ويقبض المال ، ويكثر التجار ، ويظهر القلم » [3] . يعنى الـكتابة .

قال الحسن البصرى : لقـد أتى علينا زمان وإنما يقال : تاجر بنى فلان وكاتب بنى فلان ، ما يكون فى الحي إلا التاجر الواحـد والـكاتب الواحد ، قال الحسن : لقد كان الرجل يأتى الحى العظيم فلا يجد به كاتباً .

وفى الحديث المرفوع : « فُشُوُّ القلم ، وفشو التجار من أشراط الساعة » [3] يعنى بقوله فشو القلم : ظهور الـكتابة وكثرة الـكتّاب .

---

(١) يبدأ من هنا سقط قدره ورقتان من النسخة ب .

(٢) روى هذا الحديث الشيخان وأصحاب السنن ، ونصه عند البخارى ومسلم : « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب ، الشهر هكذا أو هكذا . يعنى مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين » . انظر فتح البارى ٥/٢٨ ، ١٩ ، صحيح مسلم ٢/٧٦١ . قال ابن حجر : وقد قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمناسبة رؤية هلال رمضان ، ورأى جمهور المحدثين على أن المراد بالأمة الأمة العربية ، والمراد من الأمية أمية القراءة والـكتابة ، وقد قيل للعرب أميون لأن الـكتابة كانت فيهم قليلة ، قال تعالى : « هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم » ، ولا يرد على ذلك أنه كان فيهم من يكتب ويحسب لأن الـكتابة كانت فيهم نادرة آنذاك ، والمراد بالحساب هنا حساب النجوم وتسييرها ولم يكونوا يعرفون من ذلك أيضا إلا اليسير ، لذلك علق الرسول حكم الصيام على رؤية هلال رمضان لرفع الحرج عنهم فى معاناة حساب حركة النجوم والـكواكب . انظر فتح البارى ٥/٢٨ ، ٢٩ .

(٣) انظر تعليقنا السابق على هذين الحديثين فى ص ١٣٢ .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أتربوا الكتب وسَجُّوها[١] من أسفلها فإنه أنجح للحاجة » .

وفى خبر آخر عنه عليه السلام : « إذا كتب أحدكم فى حاجة فليترب كتابه ، فالبركة فى التراب[٢] » .

وروى عن بعض أهل التفسير فى قول الله عز وجل حاكياً عن يوسف عليه السلام : ﴿ اجْعَلْنِى عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾[٣] . قال : كاتب حاسب .

كُتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة منهم : أُبَىّ بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وعلى ، وعثمان ، وحنظلة الأسدىّ ، ومعاوية ، وعبد الله بن الأرقم ، وكان كاتبه المواظب له فى الرسائل والأجوبة زيد بن ثابت ، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتعلم السريانية ليجيب عنه من كتب إليه بها ، فتعلمها فى ثمانية عشر يوماً .

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه لكاتبه عبيد الله بن أبى رافع : إذا كتبت فألن دواتك ، وأطل من قلمك ، وفرج بين السطور ، وقارب بين الحروف .

---

(١) سجوها أى أغلقوها .

(٢) لم أعثر على هذا الحديث والذى سبقه بنصهما ، وقد أخرج ابن ماجة فى كتاب الأدب من سننه بسنده عن أبى الزبير ما لفظه : « تربوا صحفكم فإنه أنجح لها ، لأن التراب مبارك » ، وفى سنده أبو أحمد الدمشقى وروايته منكرة ، فالحديث ضعيف كما أنكره الإمام أحمد والإمام يحيى بن معين ، انظر المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للسخاوى صفحة ٤٣ .

(٣) سورة يوسف آية ٥٥ .

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله : إذا كتبتم فأرِقّوا الأقلام ، وأقلوا الكلام واقتصروا على المعانى ، وقاربوا بين الحروف ، تكتفوا من القراطيس بالقليل .

كانت العرب تسمى كل صانع قيناً إلاّ الكاتب .

قالوا : القلم أحد اللسانين .

قالوا : الخَطّ الحسن يزيد الحق وضوحاً .

قال المأمون : الخطّ لسان اليد ، وهو أفضل أجزاء اليد .

قال بعض الملوك : للكاتب الناصح ثلاث خصال : رفع الحجاب عنه ، واتهام الوشاة عليه ، ودفع غائلة العدوّ عنه .

قال ابن القِرِّيّة : خط القلم يُقرأ بكل مكان ، وفى كل زمان ، ويترجم بكل لسان ، ولفظ الإنسان لا يجاوز الآذان .

قال أبو ساسان حَضِينُ بنُ المنذر : ما رأيت بارياً لا يقيم الخط إلا رأيته لا يقيم الشعر .

قيل لنصر بن سيار[1] : فلان لا يخطّ . قال : تلك الزّمانة الخفية .

قال بعض البلغاء : صورة الخط فى الإبصار سواد ، وفى الأبصار بياض ، وهذا عندى مأخوذ من قول ابن المعتز : القلم يخدم الإرادة ، ولا يمل الاستزادة ، على أرض بياضها مظلم ، وسوادها مضىء .

---

(١) ب : يسار .

أمر أبو جعفر المنصور بسجن طائفة من الكتاب غضب[1] عليهم ، فكتب إليه بعضهم من طريق السجن :

أَطَالَ اللهُ عُمْرَكَ فِي صَلَاحٍ ... وَعِزٍّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَا
بِعَفْوِكَ نَسْتَجِيرُ فَإِنْ تُجِرْنَا ... فَإِنَّكَ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَا
وَنَحْنُ الْكَاتِبُونَ وَقَدْ أَسَأْنَا ... فَهَبْنَا لِلْكِرَامِ الْكَاتِبِينَا[2]

وذكر هذا الخبر الحارث[3] بن أبى أسامة فى كتابه المعروف بكتاب الخلفاء ، فى أخبار[3] المنصور : أن أحزاباً من الكتاب ترددوا فى ديوان داره ، فأمر بإحضارهم وتقدم من تأديبهم ، فقال واحد منهم ، وهو يضرب : أطال الله عمرك ، وذكر الأبيات الثلاثة ، فعفا عنهم وأمر بتخليتهم .

قال ابن القاسم : سئل مالك عن النصرانى أيستكتب ؟ قال : لا أرى ذلك ، وذلك أن الكاتب يستشار ، فيستشار هذا فى أمور المسلمين ![4] ، ما يعجبنى أن يستكتب .

قال بعض الحكماء لبنيه : يا بنى تزيوا[5] بزى الكُتّاب ، فإن فيهم أدب الملوك وتواضع السوقة .

---

(١) فى الأصول : عتب .

(٢) انظر الأبيات والقصة فى الوزراء والكتاب ١٣٦ ، وانظر المستطرف ١/٢٢٩ .

(٣) ساقط من الأصول ، وقد أكملناه من كتاب « الوزراء والكتاب » للجهشيارى ص ١٣٦ .

(٤) الى هنا ينتهى السقط الذى بدأ بأول الكتاب والكتابة ، وهو الساقط من نسخة ب .

(٥) ا : تزينوا .

قدم كتاب أبي عبيدة على عمر بن الخطاب ، وعنده أبو موسى ، فقال له : يا أبا موسى ! ادعُ كاتبك حتى يقرأ كتاب أبي عبيدة بالفتح . فقال : إنه لا يدخل المسجد . قال : ولم ، أجُنُبٌ هو ؟ قال : لا . وَلكنه نصرانيّ ، فصاح عليه صيحة وانتهره ، وقال : عزمت عليك إلا عزلته ، ثم قال : لا تقرّبوهم بعد أن أبعدهم الله ، ولا تكرموهم بعد أن أهانهم الله ، ولا تشاوروهم بعد أن جهّلهم الله ، قال أبو موسى : فعزلته وطردته .

قال أبو عمر رحمه الله : كيف يؤتمن على سر أو يوثق به في أمر ، من دفع القرآن وكذب النبي عليه السلام .

استأذن على المأمون بعض شيوخ الفقهاء ، فأذن له[1] ، فلما دخل[1] عليه رأى[1] بين يديه رجلا يهوديًا كاتبًا ، كانت له عنده منزلة وقربه لقيامه بما يصرفه فيه ويتولاه من خدمته ، فلما رآه الفقيه قال — وقد كان المأمون أومأ إليه بالجلوس — : أتأذن لي يا أمير المؤمنين في إنشاد بيت حضر قبل أن أجلس ، قال : نعم . فأنشده :

إنَّ الذي شُرِّفْتَ مِنْ أَجلِهِ يَزْعُم هذا أنَّهُ كاذِبُ[2]

وأشار إلى اليهوديّ ، فخجل المأمون ووجم ، ثم أمر حاجبه بإخراج اليهودي مسحوبًا على وجهه ، وأنفذ عهداً باطّراحه وإبعاده ، وألاّ يُستعان بأحد من أهل الذمة في شيء من أعماله.

---

(١) ا : لهم ... دخلوا ... رأوا .
(٢) المستطرف ١/١١٢ .

[1][اسم الكتّاب بالفارسية ديوان ، أى شياطين ، لحذقهم بالأمور ولطفهم ، فسمى الديوان باسمهم .

قال الزبير بن أبى بكر : كتب إلىّ المغيرة بن محمد يستبطىء كتبى ، فكتبت إليه :

مَا غَيَّرَ النَّأْيُ وُدًّا كُنتَ تَعْهَدُهُ ... وَلَا تَبَدَّلْتُ بعد الذكْرِ نِسْيَانَا
وَلَا حَمِدْتُ إِخَاءَ من أَخِي ثِقَةٍ ... إلاَّ جَعَلْتُكَ فوقَ الحَمْدِ عُنْوَانَا

---

(١) يبدأ من هنا سقط كبير من نسخة ا .

بابُ الظُّلْم والجَوْر

قال الله عز وجل : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾[1] .

وقال عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾[2]

وفى صحف إبراهيم عليه السلام : اتق دعوة المظلوم ، فإنى لا أردّها ، ولو كانت من كافر ، أقول : وعزتى وجلالى لأنصرنّك ولو بعد حين .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس منّا من ظَلَم مسلماً أو ضرّه أو عَزّه أو ناكَرَه[3] » .

وروى عنه عليه السلام أنه قال : « ما تُبالى حَسَّنْت جوراً أو دخلت فيه ، وفتحت عدلا ، أو خرجت منه » . وقد روى هذا من كلام على رضى الله عنه ، فالله أعلم .

لمرة بن محكان فى الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى[4] :

أحارِ تبيَّنْ فى الأُمُورِ فإنَّهُ ... إذا الأميرُ عَدَا فى الحُكْمِ أوْ فَسَدَا

فإنَّكَ مَحْلُولٌ عليكَ وَظَاعِنٌ ... فمهما تُصِبْهُ اليَوْمَ تُدْرِكْ بِهِ غَدَا

---

(١) سورة طه ، آية ١١١ .

(٢) سورة الفرقان ، آية ١٩ . (٣) عزه : غلبه فى المخاطبة ، وناكره : تجاهله أو عاداه .

(٤) مرة بن محكان الربيعى السعدى ، سيد بنى ربيع ، كان شاعراً مقلا مجيداً ، ترجمته فى الشعر والشعراء ٦٦٧ معجم الشعراء ٣٨٣ ، أما الحارث فهو وال من التابعين ، ولى البصرة سنة واحدة أيام ابن الزبير ، وسمى بالقباع وهو الواسع الرأس القصير القاع لعمله مكيالا بهذه الصفة وإلزامه الناس باستعماله ، ترجمته فى تهذيب التهذيب ٢/١٤٤ ، الأعلام ٢/١٥٨ .

وقال آخر :

نَخَافُ عَلَى حَاكِمٍ عَادِلٍ ونرجو، فَكَيْفَ لِمَنْ يَظْلِمُ

إِذَا جارحُكُم امرِئٍ مُلْحِدٍ عَلَى مُسْلِمٍ هلكَ الْمُسْلِمُ

الظلم فى وضع كلام العرب : وضع الشىء فى غير موضعه ، وأخذ المرء ما ليس له ، ومن ذلك قولهم : من أشبه أباه فما ظلم ، أى ما وضع الشبه فى غير موضعه .

فكل مسىء ظالم ، تقول العرب للمسىء المفرط فى الإساءة : هذا أظلم من حية ، وأظلم من ذئب ، قال عمرو بن بحر : لأن الحية لا تتخذ لنفسها بيتاً ، وهى تقصد كل بيت يصلح لها من بيوت الخِشَاشِ والهَوَامِّ فيهرُبُ أهله عنه ، ويخلّونه لها خوفا منها .

قال مضرّس بن لقيط الفقعسى :

إِذَا قلتُ ماتَ الداءُ بَيْنِى وبَيْنَهُمْ أَتَى حاطِبٌ منْهم لآخر يَقْبِسُ

لعمرُك لو أَنّى أُخاصِمُ حَيّةً إِلَى فَقْعَسٍ مَا أَنْصَفَتْنِى فَقْعَسُ

فَمالكُمْ طُلْسًا إِلَىَّ كأَنّكُمْ ذئابُ الغَضَا وَالذئبُ باللّيل أَطْلَسُ(١)

ويقولون أيضاً : هو أظلم من ذئب ، وأظلم من وَرَل(٢) ، كما يقولون : أظلم

---

(١) الأبيات فى محاضرات الأدباء ١٧٤/١ ، البيان والتبيين ١٨٣/٢ ، الحيوان ٧١/٥ ، والبيتان الثانى والثالث فى حماسة البحترى ٣٨٠ ، منسوبين إلى عامر بن لقيط الفقعسى ، وذئاب الغضا : أخبث الذئاب ، والأطلس : الذئب وهو بالليل شديد الضراوة .

(٢) دابة كالضب ، أو العظيم من أشكال الوزغ ، طويل الذنب صغير الرأس .

من حية ، وذلك أن الورل يقوى عَلَى الحَيّات كلّها ، ويأ كلها أ كلا ذريعاً ، وكل شدة يلقاها ذو جُحر من الحية تلق مثل ذلك من الورل ، والورل ألطف بدنا من الضب ، ولكنه أشد من الضب وأجود سلاحا ، وله شحمة ، والأعراب يستطيبون لحم ذنبه ، والورل دابة خفيفة الرأس والحركات ذاهبًا وجائيًا ، ويمينًا وشمالاً ، وليس شيء بعد العَظاء أكثر تلفتًا منه ، وبُراشِن[1] الورل أقوى من بُراشن الضب ، حكى ذلك كله عمرو بن بحر[2].

قال : ومن أمثال العرب : من استرعى الذئب ظلم ، وأنشد لبعض بنى جعفر ابن كلاب يضرب المثل بجور الحية والذئب :

كَأَنَّنِي حِينَ أَحْبُو جَعْفَرًا مِدَحِي ... أَسْقِيهِمُ طَرْقَ[3] مَاءٍ غَيْرِ مَشْرُوبِ

وَلو أُخَاصِمُ أَفْعَى نَابُهَا لَثِقٌ[4] ... أَوِ الأَسَاوِدَ من صُمِّ الأَهَاضِيبِ[5]

لَكُنْتُمُ مَعَهَا إِلْبًا وَكَانَ لَهَا ... نَابٌ بِأَسْفَلِ سَاقٍ أَوْ بِعُرْقُوبِ

وَلو أُخَاصِمُ ذِئْبًا فِي أَكِيلَتِهِ ... لَجَاءَنِي كُلُّهُمْ يَسْعَى مع الذيبِ[6]

قال بعض الحكماء : أعجل الأمور عقوبة وأسرعها لصاحبها : سرعة ظلم مَن لا ناصر له إلا الله ، ومجاورة النعم بالتقصير ، واستطالة الغنيّ على الفقير .

روى عن مجاهد أنه قال : المعلم إذا لم يعدل بين الصبيان كتب من الظلمة[7] .

---

(١) البراشن : الذى يمد نظره ويحده .

(٢) انظر الحيوان ٤/٣١٠ .

(٣) الطرق : الماء الذى خوضته الإبل وبولت فيه .

(٤) ناب لثق : رطب من امتلائه بالسم .

(٥) الأساود : جمع أسود وهى الحية العظيمة ، صم الأهاضيب : الجبال الصلبة .

(٦) وردت الأبيات فى البيان والتبيين ٣/٢٨٥ ، الحيوان ٤/٣١٦ ، منسوبة لحريز بن نشبة العدوى الفزارى .

(٧) الى هنا ينتهى النقص من النسخة ا .

إنما شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية حرب الفِجَار ، وظهرت العرب على الفرس يوم ذي قار ، فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم كانوا فيها مظلومين .

فأما حرب الفجار فكانت بين بنى عامر بن صعصعة وبين قريش ، وذلك أن بنى عامر بن صعصعة طالبوا أهل الحرم من قريش [1] وكنانة ، بجريرة البَرَّاض بن قيس فى قتله عروة الرجال ، وكان البراض خليعاً فاتكاً ، فأقامهم إلى حربهم ، فألزموهم [2] ذنب غيرهم ظالمين لهم ، فلذلك شهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم دافعوا عن أنفسهم وديارهم وأموالهم ، ونُصروا بحضور النبى صلى الله عليه وسلم ، وكذلك نصرت العرب على فارس يوم ذى قار برسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى : كانت وقعة ذى قار قبل وقعة بدر بأشهر ، والنبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فلما بلغه ذلك ، قال : « هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم » .

قال هشام : حدثنى أبى عن أبى صالح عن ابن عباس ، قال : ذكرت وقعة ذى قار عند النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : « ذَلِكَ أَوَّلُ يَوْمٍ انْتَصَفَتْ فِيهِ الْعَرَبُ مِنَ الْعَجَم » .

خرج الأضبط بن قُرَيْع السعدى من بنى سعد ، فجاور ناساً ، فلما رأى مذهبهم وظلمهم لم يحمدهم ، ورجع إلى قومه ، وقال : بكل واد بنى سعد . فأرسلها مثلا .

---

(١) ساقط من ب .

(٢) ا : فلزموا بهم .

وقال الأشعرُ الرَّقبَان الأسدى[١] فى قصيدة له :

وَأَنتَ مَلِيخٌ كَلَحْمِ الحُوَارِ فَلَا أَنتَ حُلْوٌ وَلَا أَنتَ مُرّ

وَحَسْبُكَ فِي النَّاسِ أَنْ يَعْلَمُوا بِأَنَّكَ فِيهِم غَنِيٌّ مُضِرّ

ومن أمثالهم : من لم يكن ذئبًا أكلته الذئاب ، وكان الشعبى إذا تمثل بذلك يقول. ومن ذا الذى يرضى أن تأكله الذئاب .

ولعبيد بن أيوب[٢] وكان قد تاب فَظَلِم ، فهم بمراجعة الضلال ، فقال :

[٣] ظلمت الناس فاعترفوا بظلمى فتبتُ فأزمعوا أن يظلمونى [٣]

فلست بصابرٍ إلا قليلاً فان لم يَرعَوُوا راجعت دِينى

قال زهير :

... ومن لا يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ[٤]

أخذه ابن دُرَيد فقال :

من ظلم النَّاسَ تَحَامَوْا ظُلْمَهُ وعَزَّ عَنْهُ جانِبَاهُ وَاحْتَمَى

---

(١) اسمه عمرو بن حارثة بن ناشب ، وسمى الرقبان لأنه ورث مالا عن رقبة (كلالة) لا عن آبائه ، انظر القاموس مادة رقب ، وقد وردت له ترجمة قصيرة فى المؤتلف ٤٧ ، ومعجم الشعراء ٢١٠ ، وورد البيت الأول فقط ضمن أبيات فيهما برواية مختلفة ، فرواية المؤتلف للشطرة الأولى : مسيخ مليح كلحم الحوار ، ورواية معجم الشعراء : وأنت مليخ كلحم الحوار ، وورد البيت الثانى فى معجم الشعراء ٢٢١ ضمن الأبيات نفسها منسوبا إلى عمرو بن ثعلبة الشيبانى ، وانظرهما فى محاضرات الأدباء ١٥١/١ ، والأول فى عيون الأخبار ٢٦٩/٣ .
والمسيخ من اللحم : الذى لا دسم فيه . والمليخ الذى لا طعم له .

(٢) العنبرى : من شعراء العصر الأموى ، وكان لصاً حاذقاً أهدر السلطان دمه ، انظر الشعر والشعراء ٣٠٥ ، سمط اللآلىء ٣٨٤ (الأعلام ٣٤٠/٤) .

(٣) ساقط من ب .

(٤) جزء بيت ، تكملته : ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ... انظر شرح ديوانه ٣٠ .

وقال المتنبي :

وَالظُّلْمُ مِنْ شِيَمِ النُّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ ... ذَا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لا يَظْلِمُ[١]

وله أيضاً :

ومَنْ عَرفَ الأَيَّام مَعْرِفَتِي بِهَا ... وبالنَّاسِ رَوَّى رُمْحَهُ غَيْرَ رَاحِمِ[٢]

وهذه الأخلاق أخلاق الفسّاق ، ومن لم يتأدب بأدب القرآن ، ولا استن بسنن الإسلام فى الأخذ بالعفو والصفح والرحمة والرأفة ، وأين قول المتنبي من قول محمود الوراق :

إِنِّى وَهَبْتُ لِظَالِمِى ظُلْمِي ... وغفرْتُ ذَاكَ لَهُ عَلَى عِلْمِي

وَرَأَيْتُهُ أَسْدَى إِلَيَّ يَدًا ... فَأَبَانَ مِنْهُ بِجَهْلِهِ حِلْمِي

رَجَعَتْ إِسَاءَتُهُ عَلَيَّ لَهُ ... حُسْنًا فَعَادَ مُضَاعَفَ الْجُرْمِ

وَغَدَوْتُ ذَا أَجْرٍ وَمَحْمَدَةٍ ... وَغَدَا بِكَسْبِ الذَّمِّ وَالإِثْمِ

فَكَأَنَّمَا الإِحْسَانُ كَانَ لَه ... وَأَنَا الْمُسِيءُ إِلَيْهِ فِي الْحُكْمِ

مَا زَالَ يَظْلِمُنِي وَأَرْحَمُهُ ... حَتَّى بَكَيْتُ لَهُ مِنَ الظُّلْمِ[٣]

وله أيضاً :

اصْبِرْ عَلَى الظُّلْمِ ولا تَنْتَصِرْ ... فالظُّلْمُ مَرْدُودٌ عَلَى الظَّالِمِ

---

(١) ديوانه ٤٩٠ .

(٢) ديوانه ٣١٨ .

(٣) يروى : لما أبان بجهله ، ورجعت إساءته عليه وإحسانى فعاد ، ويروى العصم مكان الجرم ، والظلم مكان الإثم ، ويروى : حتى رثيت مكان بكيت ، انظر الأبيات فى الكامل ١/٢٣٤ ، العقد الفريد ٢/٢٨٥ .

وَكِلْ إلى اللهِ ظلوماً فَما رَبِّي عَنِ الظَّالِمِ بالنَّائِمِ[١]

وقال آخر :

نَامَتْ جُفُونُكَ وَالمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ يدْعُو عَلَيْكَ وعَيْنُ اللهِ لَمْ تَنَمِ[٢]

وقال آخر :

وَمَا مِنْ يَدٍ إِلَّا يَدُ اللهِ فَوْقَهَا وَلَا ظَالِمٌ إِلَّا سَيُبْلَى بِظَالِمِ[٣]

وقال آخر :

فَإِنْ قُلْتُمْ إِنَّا ظَلَمْنَا فَلَمْ نَكُنْ ظَلَمْنَا وَلَكِنَّا أَسَأْنَا التَّقَاضِيَا[٤]

وقال آخر :

تَأَنَّ ولا تَعْجَلْ وَكُنْ مُتَرَفِّقًا وَكُنْ رَاحِمًا بالنَّاسِ تبْلَى بِرَاحِمِ

كان يقال : إذا دَعَتْكَ الضرورةُ إلى ظُلْم من هو دُونك فاذكرْ قدرةَ اللهِ تعالى على عقوبتك ، فأنقصُ الناسِ عقلاً من ظَلَمَ مَنْ هو دونه .

قال الشاعر :

وَنَسْتَعْدِى الأَميرَ اذَا ظُلِمْنَا فمَنْ يُعْدِى إذَا ظَلَمَ الأميرُ

إذا كانَ الأميرُ عليكَ خصْماً فلا تُكْثِرْ فقد غَابَ الأميرُ[٥]

---

(١) مجموعة المعانى ٧٥ .

(٢) مجموعة المعانى ٧٥ .

(٣) التمثيل والمحاضرة ٤٥٣ .

(٤) البيت للشميذر الحارثى ، انظر المؤتلف والمختلف ١٤٠ ، حماسة أبى تمام ٤١/١ ، عيون الأخبار ٧٢/١ .

(٥) عيون الأخبار ٧٨/١ ، وقد ورد فيها البيتان متفرقين وليس كما هنا .

وقال آخر:

والخَصْمُ لا يُرْتَجى النَّجَاحُ له   يَوْمًا إذا كانَ خَصْمُهُ القَاضِى[١]

وقال آخر:

من يكن القاضى أباهُ فَلْيَبِتْ   فى رَاحةٍ مِنْ خَصْمِهِ لا يَلتفِت

قال كعب لعمر بن الخطاب رضى الله عنهما: ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء، فقال عمر: إلا من حاسب نفسه، قال كعب: والذى نفسى بيده إنها لكذلك إلا من حاسب نفسه ما بينهما حرف. يعنى فى التوراة.

خرج عمر بن عبد العزيز يوماً، فقال: ما شاء الله! كان الوليدُ بن عُتْبَة بالشام، والحجاج بالعراق، وقُرَّة بن شريك بمصر، وعثمانُ بن حَيَّان بالحجاز، ومحمدُ بنُ يوسف باليمن، امتلأت الأرض ظلمًا وجَوْرا.

ولعَون بن عُبَيْد الله بن عُتْبَة بن مَسْعود:

وَأَوَّلُ ما نُفَارِقُ غيرَ شَكٍّ   نُفارِقُ مَا يَقُولُ المارِقُونَا

وقالوا: مُؤْمنٌ دَمُهُ حَلَالٌ   وقد حَرُمَتْ دِماءُ المُؤْمِنِينَا

وقالوا: مُؤْمِنٌ مِنْ أَهْلِ جَوْرٍ   وَلَيْسَ الْمُؤْمِنُونَ بِجَائِرِينَا[٢]

وقال أبو العتاهية:

أَمَا واللهِ إنَّ الظُّلمَ لُؤْمٌ   وما زالَ الْمُسِيءُ هوَ الظَّلُومُ

---

(١) محاضرات الأدباء ١/٩٨، التمثيل والمحاضرة ١٩٣، عيون الأخبار ١/٧٨.
(٢) انظر الأبيات فى البيان والتبيين ١/٣١٥.

إلى ديّانِ يوم الدّين نَمضِي　　وعند اللهِ تجتمع الخُصُومُ
ستعلَمُ فى الحساب إذا الْتَقَيْنَا　　غداً عنْدَ الإلهِ مَنِ الْمَلُومُ[1]

وكتب بها مع يحي بن خالد بن برمك .

قال الشاعر :

إذا جارَ الأميرُ وكاتباه　　وقاضى الأرض دَاهَنَ فِي القَضَاء
[2]فوَيْلٌ ثُمَّ وَيلٌ ثُمَّ وَيلٌ　　لقَاضِى الْأَرْضِ من قاضِى السَّماء[3]

---

(١) ديوانه ٢٤٦ ، ٢٤٧ .
(٢) يبدأ من هنا سقط كبير من النسخة ب .
(٣) المستطرف ١/١١٩ .

بَابُ العَفوِ والتَّجاوُزِ وَكَظْمِ الغَيْظِ

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « مَا زَادَ اللهُ عَبداً بعفوٍ إلَّا عزًّا » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لَا يَرحَمْ لَا يُرْحَم ، إنما يرحم الله من عباده الرحماء » .

وقال عليه السلام : « ما نزِعَتِ الرَّحمة إلَّا مِنْ شَقِيٍّ » .

وقال : « ارْحَمُوا تُرْحَمُوا ، وَاغفِرُوا يَغفِرِ الله لكم » .

وعنه صلى الله عليه وسلم قال : « ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّماء » .

وفى الأثر المرفوع أنه : « يُنَادِي الْمُنَادِي فى بعض مواقف القيامة : لِيَقُمْ مَنْ لَهُ عند الله ما يُحْمَدُ له ، فلا يقوم إلّا من عفا » .

وفى الحديث أيضاً : « إن الله عفوٌ غفور يُحِبُّ العفوَ عن عباده » .

وقال صلّى الله عليه وسلّم : « أقيلوا ذَوِى الهيئات زَلّاتهم » .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنـه : أفضل العفو عند القُدْرة ، وأفضل القصد عند الجِدَة .

قال سعيد بن المسيب : لأن يخطىء الإمام فى العفو خير من أن يخطىء فى العقوبة .

قال جعفر بن محمد : لأن أندم على العفو خير من أن أندم على العقوبة .

طلب عبدُ الملك بنُ مروان رجلا فأعجزه ثم ظفر به ، فقال رجاء بن حَيْوَة : يا أمير المؤمنين ! قد صنع الله ما أحببتَ من ظفرك به ، فاصنع ما أحبَّ الله من عفوك عنه .

قال رجل للمنصور حين ظفر بأهل الشام ، وقد أجلبوا عليه وخالفوه مع عبدالله ابن على : الانتقام عدْلٌ ، والتجاوزُ فضْل ، ونحن نعيذُ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين ، ولا يبلغ أرفع الدرجتين .

كان يقال : أولى الناس بالعفو أقدرُهم على العقوبة ، وأنقصُ الناس عقلا من ظلم من هو دونه .

قال المهلب بن أبى صفرة : خيرُ مناقب الملوكِ العفوُ .

قال المأمونُ : وددتُ أن أهل الجرائم عرفوا رأيى فى العفو ، فسَلِمَتْ لى صدورهم .

قال معاويةُ رحمه الله : ما وجدتُ شيئًا ألذَّ عندى من غيْظٍ أتجرعه ، ولم يعرف قيمة الأبّهة[1] من لم يجرعه الحلم غصص الغيظ .

اعتذر رجل إلى الهادى فقال : يا أمير المؤمنين ! إقرارى بما ذكرت يوجب علىَّ ذنبًا لم أجنه ، وردِّى عليك لا أقدم عليه لما فيه من التكذيب لك ، ولكنى أقول :

---

(١) فى ا : الأبهة ، وفى ب : الأئمة .

فإنْ كنتَ ترجُو فِي العقوبةِ رَاحَةً فَلاَ تَزْهَدَنْ عند المعافاةِ فِي الأجْرِ[١]

فعفا عنه .

قال منصورٌ الفقيه :

وقال نبيُّنا فيما رَوَاهُ عن الرحمٰنِ فِي عِلْمِ الغُيُوبِ
مُحالٌ أن يَنالَ العَفْوَ من لا يَمُنُّ به على أهْلِ الذُّنُوبِ[٢]

وقال آخر :

فَهَبْنِي مُسيئاً كالذى قُلْتَ ظَالِماً فعفوٌ جَميل كى يكونَ لكَ الفَضْلُ
فإنْ لم أكُنْ للعَفوِ أهْلًا لسُوءِ ما أَتيتُ بِهِ جَهْلًا فأنْتَ لَهُ أهْلُ[٣]

سُئل ثعلب عن معنى : فهبنى مسيئًا . قال : معناه اعددنى مسيئًا .

قال محمّدبن على بن حُسين : من كظم غيظا يقدر على إمضائه حشا الله قلبه إيمانًا ، وروى هذا مرفوعاً إلى النبىّ صلّى الله عليه وسلّم .

ومما ينسب الى عمرو بن العاص :

وَبعْضُ انْتِقَامِ المرْءِ يُزْرِى بِعَقْلِه وَإن لم يَقَعْ إلاَّ بِأَهْلِ الجَرَائِمِ
وَذِكْرُ ذنوبِ الوَغْدِ تَرْفَعُ ذِكْرَهُ فدَعْهُ صَرِيعَ النَوْمِ تَحْتَ القَوَادِمِ

---

(١) البيت فى الوزراء والكتاب للجهشيارى ١٦٩ ، والعقد ٢/ ١٩ ، المستطرف ١/ ٢٢٣ .
(٢) المستطرف ١/ ٢١٢ .
(٣) البيتان للصولى ، انظر معجم الأدباء ١/ ١٨٦ ، ووردا فى العقد ٢/ ١٤٣ بغير نسبة .

وفى معنى هذا البيت الأخير ، قول ذى الرمة :

قيل لى : قد هَجَاكَ مَوْلَى زِيادٍ فَأَجِبه ، فقلت : لَيْسَ بِكُفُوِى[1]
لستُ أهجُوه إِنَّه خاملُ الذِّكْـ ـرِ لَعَلَّ الخَسِيسَ يَعْلُو بِهَجْوِى
هو كالْكَلْبِ يَنْبَحُ اللَّيْثَ رُعْبًا فَذَرُوه يهِرّ بعْدِى[2] ويَعْوِى
هو من سَطْوتى وبأسِ هِجَائى فِى أَمانٍ ما بَيْن حِلْمِى وعَفْوِى[3]

كتب على بن الجهم إلى الحسن بن وهب :

إنْ تعفُ عَنْ عبدِكَ المُسِىءِ فَفِي فَضْلِكَ مَأْوَى للصَّفْحِ وَالْمِنَنِ
أَتيتُ ما أَسْتَحِقُّ من خَطَـإٍ فَجُـدْ بِمَا تَسْتَحِقُّ مِنْ حَسَنِ[4]

فجاوبه الحسن بن وهب بأبيات منها :

أعوذُ بالوُدّ الّذِى بَينَنا أنْ يَفْسَدَ الأولُ بالآخِرِ

وله أيضاً :

أَقِلْنَى أَقَالَكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ يَقِيكَ وَيَصْرِفُ عَنْكَ الرَّدَى[5]

وقال آخر :

أَلَا إنَّ خيرَ العفو عفوٌ مُعَجَّلٌ وشَرٌّ[6] العِقَابِ مايُجازُ بِهِ القَدْرُ[7]

---

(١) إلى هنا ينتهى السقط من نسخة ب .
(٢) ب : بعد .
(٣) لم أعثر على الأبيات فى ديوانه .
(٤) إعتاب الكتاب ١٦٤ ، عيون الأخبار ٩٩/٣ .
(٥) البيت فى عيون الأخبار ١٠١/١ ، ونسبه فى نفح الطيب ١٢٦/٢ إلى الحاجب أبى جعفر المصحفى .
(٦) ب : وخير .
(٧) ا : ما يحار به العذر ، وفى عيون الأخبار ١٠١/١ : ما يجار به .

وقال أعرابي :

يا ربِّ قد حلفَ الأقوامُ واجتهدوا أيمانَهم أنني من ساكني النارِ
أيحلفونَ على عمياءَ ويحهمُ[١] جهلاً بعفوِ عظيمِ العفوِ غفّارِ[٢]

وقال آخر :

يا ربِّ عفوَكَ عن ذي توبةٍ وجلٍ كأنّهُ من حذارِ النـــارِ مجنونُ
قد كان قدّمَ أعمالاً مقاربةً[٣] أيّامَ ليسَ لهُ عقلٌ ولا دينُ[٤]،

(١) ب : ويأهم .
(٢) البيتان فى البيان ٣/٣٧٩ بدون نسبة .
(٣) ا : مقارفة .
(٤) البيتان لعبيد بن أيوب العنبرى ، انظر البيان والتبيين ٣/٣٧٩.

باب الغضب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس الشديد بالصُّرَعَة[1] ، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب » .

قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ! دُلَّني على عمل إذا عملته دخلت الجنة ، وأقلل لعلّي أحفظه . قال : « لا تغضب » .

وروى عنه عليه السلام ، أنه قال : « إذا غضبتَ قائمًا فاقعُد ، وإذا غضبتَ قاعداً فقم ، أو قال : فاضطجع » .

أوحى الله إلى موسى : اذكرني عند غضبك ، أذكرك عند غضبي ، فلا أمحقك فيمن أمحق ، وإذا ظُلِمْتَ فارضَ بنصرتي لك ، فإنها خيرٌ من نصرتك لنفسك[2] .

قال عيسى عليه السلام : يباعدُك من غضب الله ألا تغضب .

أنشد ثعلب :

مَتَى تَرِدِ الشِّفاءَ بِكلِّ غَيْظٍ تَكُنْ مِمَّا يغيظُكَ فِي ازْدِيَادِ[3]

قال سليمانُ بن داود عليهما السلام : أُعْطِينا ما أُعْطى الناسُ وما لم يعطوا ، وعُلِّمنا ما عُلِّم الناس وما لم يُعَلَّموا ، فلم نَرَ شيئًا أفضل من العدلِ في الرضا والغضب ، والقصدِ في الغنى والفقر ، وخشيةِ اللهِ في السرِّ والعلانية .

قال عليُّ بنُ أبي طالب رضى الله عنه : إنما يُعْرَف الحلمُ ساعةَ الغضب .

---

(١) الصرعة : من يصرع الناس ولا يصرعونه .

(٢) ا : وإذا طلبت فارض بتصرفي لك ، فإنه خير من تصرفك لنفسك .

(٣) محاضرات الأدباء ١/١١٠ .

وعنه أيضًا : عدوُّ العقلِ الغضب .

كان يقال : أول الغضب جنون ، وآخره ندم ، ولا يقوم عزّ [١] الغضب بذلّ الاعتذار .

وروى : كل العطب فى الغضب [٢] .

قيل للشعبي : لأى شيء يكون السّريع الغضب سريعَ الفيئة ، ويكون بطيء الغضب بطيء الفيئة ؟ قال : لأن الغضب كالنار ، فأسرعها وقودًا أسرعها خمودًا .
وهذا الخبر أصح عن عبد الله بن حسن ، حكاية عن كسرى ، ذكره ابن عائشة القرشى التيمى [٣] عنه . قال : قيل لعبد الله بن حسن : ما بال الرجل الحديد أسرع رجعةً من البطيء ؟ فقال : سئل كسرى عن ذلك ، فقال : مثلهما مثل النار فى الحطب ، أسرعها وقودًا أسرعها خمودًا .

أراد المنصورُ خراب المدينة لإطباق أهلها على حربه مع محمد بن عبد الله بن حسن ، فقال له جعفر بن محمد : يا أمير المؤمنين ! إن سليمانَ أعطى فشكر ، وإن أيوب ابتلى فصبر ، وإن يوسفَ قَدَر فغَفَر ، وقد جعلك الله من قبيل [٤] الذين يعفون ويصفحون ، فطفيء غضبه وسكت .

شهد سَوَّارُ القاضى مجلس أبى جعفر المنصور يومًا فرآه قد غضب على أهل البصرة ، فقال له : يا أمير المؤمنين ! لا تغضب لله بما [٥] يُغضِب الله .

---

(١) ساقط من ب .
(٢) ا ، ب : وربما كان العطب فى الغضب .
(٣) ب : التميمى .
(٤) ب : أهل .
(٥) ب : مما .

العرب تمدح بترك الغضب .

كان يقال : من أغضبته[١] أنكرته .

قال الشاعر :

لم أقض من صحبة زيد أربى   فتى إذا نهنهته لم يغضب
أبيض بسام وإن لم يعجب   ولا يضن[٢] بالمتاع المحقب
موكل النفس بحفظ الغيب   أقصى رفيقيه له كالأقرب[٣]

قال عبد الله بن قيس الرقيات :

ما نقموا من بني أمية إلا   أنهم يحلمون إن غضبوا
وأنهم سادة الملوك ولا   تصلح إلا عليهم العرب[٤]

قالوا : إذا غضب الرجل فليستلق ، وإذا أعيا فليرفع رجليه .

---

(١) ا : أبغضته .
(٢) ب : ولا يظن .
(٣) نهاية الأرب ٣/٢٣ وانظر عيون الأخبار ٣/٢٣ .
(٤) ديوانه ١٤ .

باب الرجاء والخوف

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعض أصحابه يَعُوده ، فقال : كيف تجدك ؟ قال : أجدنى أرجو وأخاف ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : والذى نَفْسِي بِيَدِه ، ما اجتمعتا فى قلب رَجُلٍ إلّا أعْطَاهُ الله خير [1] ما يرجو منه ، وآمنه من شر ما يخاف » .

قال أبو الدَّرْداء : من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل .

قال مُطَرِّف بن عبد الله الشِّخِّير : لو وُزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا .

قال لقمان لابنه : يا بنيّ ! ارج الله رجاء لا تأمن فيه مَكْرَه ، وخف الله مخافة لا تأيسنّ فيهامن رحمته ، فقال : كيف أستطيع ذلك ، وإنما لى قلب ؟ فقال : يا بنى ! إن المؤمن كذى [2] قلبين ، قلب يخاف به ، وقلب يرجو به .

قال عليّ بن أبى طالب : خذوا عنى هذه الكلمات ، فلو رَحَّلْتُم فيها المَطِيّ حتى أنضيتموها لم تبلغوها : لا يرجو عبد إلّا ربّه ، ولا يخاف إلّا ذنبه . وذكر كلاماً قد ذكرته بتمامه فى كتاب « بيان العلم وفضله » .

كان يقال : من خاف اللهَ ورجاه ، آمنَهُ خوفَه ، ولم يحرمه رجاءه .

وقف محمد بن سليمان على قبر أبيه ، فقال: اللهم إنى أمسيت أخافك عليه وأرجوك له ، فحقق رجائى ، وآمن خوفى عليه .

---

(١) ساقط من ب .

(٢) ساقط من ب .

قال مسلم بن يسار (١) : ما أدرى فيم (٢) خوف امرىء ورجاؤه إذا لم يمنعاه من ركوب شهوة إن عرضت له ، أو لم يصبّراه على مصيبة إن نزلت به .

كتب بعض العلماء إلى بعض إخوانه : أما بعد ، فإنه من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء .

للحسن بن هانئ (٣) وتنسب للشافعى رضى الله عنهما ، والله أعلم :

خَفِ اللهَ وَارْجُوهُ لِكلِّ عَظيمَةٍ وَلَا تُطِعِ النَّفْسَ اللَّجُوجَ فَتَنْدَمَا
وَكُنْ بَيْنَ هاَتَيْنِ مِنَ الْخَوْفِ وَالرَّجا وَأَبْشِرْ بعفوِ اللهِ إِنْ كُنْتَ مُسْلِماَ (٤)

وفيها :

فلما قسا قَلْبِي وَضاقتْ مَذَاهِبِي جعلتُ الرَّ

وَله :

قَدْ كُنْتُ خفتُكَ ثُمَّ آمَنَنِي من أنْ أ

وقال العتابى :

رَحَلَ الرَّجاءُ إِلَيْكَ مُرْتَقِياَ حُشِدَتْ

(١) ساقط من ب .
(٢) ب : ما .
(٣) ب : سهل ، ا : وهب
(٤) الأبيات فى معجم الأدباء ١٧/٢٠٣ منسوبة إلى الشافعى رضى الله
(٥) ديوانه ١٠٩ ، عيون الأخبار ١/٧٠ وذكر أنها لأبى نواس فى ا

رَدَّتْ إِلَيْكَ نَدَامَتِي أَمَلِي ... وَثَنَا إِلَيْكَ عِنَانَهُ شُكْرِي

وَجعلتُ عَتْبَكَ عَتْبَ موعظةٍ ... ورجاء عَفْوِكَ مُنْتَهَى عُذْرِي

وقال أعرابى ، وقد أدخله البعيث فى شعره :

وإنى لأرجُو اللهَ حتّى كأنما ... أرى بجميلِ[1] الظّنِّ ما اللهُ صانعُ[2]

وقال منصور الفقيه :

قَطَعْتُ رجَائى مِنْ بَنِى آدم طُرًّا ... فأصبحتُ من رقّ الرَّجاء لَهُمْ حُرَّا

وَعَدّلَ يَأسِى بينهـــم فأجَلُّهُمْ ... ـ إذا ذُكروا ـ قَدْرًا كأَدْنَاهُمُ قَدْرًا

غَنِيٌّ لَهُمْ باللهِ لا مُتَطَـــاوِلًا ... عَلَى أحدٍ منهم وَلا قائِلاً هُجْرَا

وكيف يعيُب النَّاسَ بالمنعِ مؤمنٌ ... يَرَى النَّفعَ مِمنْ يَمْلِكُ النَّفْعَ وَالضُّرَّا

عليهِ اتّـكَالِي فى الشّدَائِدِ كُلّهَا ... وَحَسْبِي به عند الشّدَائِدِ لِي ذُخْرَا

أنشدنى عبدُ اللهِ بن محمد بن يوسف رحمه اللهُ لنفسه :

أَسيرُ الخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ ... عَلَى وَجَلٍ مِمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفُ

يَخَافُ ذُنوبًا لم يَغِبْ عَنْكَ غَيْبُهَا ... ويرجوك فيها فهو راجٍ وَخَائِفُ

فَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْجُو سِوَاكَ وَيَتَّقِي ... وَمالَكَ من فصْلِ القضاء مُخالِفُ

فيا سيّدى لا تُخْزِنِى فِي صحيفتى ... إذَا نُشِرَتْ يومَ الحسابِ الصَّحائفُ

---

(١) ب : الجيل .

(٢) العقد الفريد ٢/١٨٠ ، عيون الأخبار ١/٣٦ ، التمثيل والمحاضرة ٩ ، وقد نسب البيت فى الـكامل ١/٢٣١ الى محمد بن أبى وهيب ، ونسب فى زهر الآداب ٣/٢٥٤ لمحمد بن أبى حازم الباهلى .

وكن مُؤنِسِى فى ظلمةِ القَبْرِ عندما يَصُدُّ ذَوُو وُدِّى ويجْفُو المُؤالِفُ
لئن ضاقَ عنّى عَفْوُكَ الواسِعُ الَّذى أُرَجِّى لإسْرافى فإنِّى لتالفُ(١)

وقال أبو العتاهية :

إذَا مَا اتَّقى اللهَ امرؤٌ لانَ جانِبُه(٢) وقارَبَ بالإحْسانِ مَنْ لا يُقارِبُهْ
يَقولُ الفَتى أرجُو وأرْجُو ومَا لَه نزوعٌ(٣) عن الذَّنبِ الذى هو راكِبُهْ
ألا لَيْسَ يرجُو اللهَ من لا يَخافُهُ وليس يَخافُ اللهَ مَنْ لا يُراقِبُهْ
من النّاسِ من لا يُبْصِرُ الدّهْرَ جَهْلَهُ ويَزْدادُ فيه الضَّعْفَ حتّى يُعاتِبُهْ
كفي بصروف الدهر علماً وحكمة لمن لم يخنــه علمُهُ وتجاربُهْ
ومن لم يثق باللهِ لم يَصْفُ عَيْشُهُ ومن ضاق عنه الحقّ ضاقَتْ مذاهِبُهْ(٤)

كان أبو سعيد السيرافى كثيراً ما ينشد فى مجلسه :

اسكنْ إلَى سَكَنٍ تسرُّ بِهِ ذهبَ الزَّمانُ وأنْتَ مُنفَرِدُ
تَرجُو غداً وغَدٌ كحاملةٍ فى الحَىِّ لا يَدْرُون مَا تَلِدُ(٥)

قرأت على سعيد بن نَصْر، أن (٦ قاسِمَ بنَ أصْبَغ حدثهم ٦) ، قال حدثنا عبدالله ابن زَوّاح المَدائنىّ ، قال يزيدُ بنُ هرون ، قال : حدثنا أبو موسى التميمى ، قال :

---

(١) الأبيات فى نفح الطيب ١١٢/٣ .
(٢) ا : قلبه .
(٣) ا : نزوغ . (٤) ديوانه ١٠ .
(٥) البيتان لبشار بن برد ، انظر المختار من شعره ٩٢ ، ٩٣ .
(٦) ساقط من ب .

توفيت النَّوَارُ امرأة الفرزدق فخرج فى جنازتها وجوهُ أهل البصرة ، وخرج فيها الحسنُ ، فقال للفرزدق : ما أعددتَ لهذا اليوم يا أبا فراس ؟ قال : شهادةُ ألَّا إله إلا الله منذ ثمانين سنة ، فلما دُفنت قام الفرزدقُ على قبرها فقال :

أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ — إِنْ لَمْ يُعَافِنِي — أَشَدَّ مِنَ الْقَبْرِ التهابًا وَأَضْيَقَا
إذا جاءنى يومَ القيامة قائدٌ عَنِيفٌ وسَوَّاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقَا
لَقَد خاب من أولادِ آدم من مشى إلى النار مغلولَ القِلادةِ أَزْرَقَا[1]

[2] قال : فبكى وأبكى [2] .

(١) الأبيات فى الديوان ٥٧٨ ، الكامل ١/٧١ ، ورواية الديوان : دارم مكان آدم ، ومشدود الخناقة بدلا من مغلول القلادة . وفى الكامل : إذا قادنى مكان إذا جاءنى ، وموثقاً مكان أزرقا .
(٢) ساقط من ب .

بابُ العافيَةِ والْبَلَاء

قال رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسَلم : « سلُوا اللهَ العافيةَ والمعافاةَ في الدُّنيا والآخرة ، فإنه لم يؤتَ عبدٌ بعدَ اليقين باللهِ بأفْضلَ من المُعافاة[1] » .

قال رسولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم : « مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيراً يُصِبْ منه » .

قال رسولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلم : « أشدُّ الناسِ بلاءً النبيُّون ، ثم الأمثل فالأمثل » . والأحاديثُ عنه صلّى اللهُ عليه وسلم في هذا الباب كثيرة جدًّا .

قال عيسى عليه السلام : إنما النّاس مبتلًى ومعافًى ، فإذا رأيتم أهل البلاء فارحموهم ، وسلُوا الله العافية .

قال علي بن الحسين : ما صاحبُ البلاء الذى قد طَالَ به أحقّ بالدعاءِ من المُعَافَى الذى لا[2] يأمن البَلَاء .

قال مُطَرِّفُ بن الشِّخِّير : لأن أُعَافَى فأشْكُر ، أحبّ إليّ من أن أُبْتَلَى فأصبر ، قال مطرِّف : ونظرت في النعمة التى لا يشوبها كدر فإذا هى العافية .

قال سليمانُ التّيمي : إن المؤمنَ ليبتلَى ويُعَافَى ، فيكون بلاؤه كفارةً واستعتابًا ، وإن الكافرَ ليبتلي ويعافى فيكون مثل بعيرٍ عُقل ، لا يدرى فيم عُقل ولا لم أرسل .

---

(١) ا : اليقين .
(٢) ساقط من ب .

قال منصور الفقيه :

رَأَيْتُ البَلَاءَ كَقَطْرِ السَّمَاءِ وَمَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ من نَامِيَه[1]

فلا تسألَنَّ : إذَا مَا سَأَلْتَ إِلَهكَ شَيْئًا سِوَى الْعَافِيَهْ

وله أيضًا :

حفظ الْفَتَى لسانَهُ محبةً فى العَافِيهْ

وَاقية من الْبَلَاءِ إن كانَ منه واقيـــهْ

قال أكثم بن صيفى : العافيةُ الْمُلْكُ الخفىّ .

[2] كان يقال : لا خير فى بدن لا ينكأ ، ولا فى مال لا يرزأ [2] .

كان يقال : من عمل بالعافية فيمن هو دونه رزقها ممن هو فوقه .

قال الشاعر :

بَلَاءٌ لَيْسَ يُشْبِهُهُ بَلَاءٌ عداوةُ غيرِ ذِى حَسَبٍ وَدِينِ

يُبِيحُكَ منهُ عِرْضًا لم يَصُنْهُ ويرتَعُ منكَ فِى عِرْضٍ مَصُونِ[3]

وقال آخر ، وهو أبو راسب :

فلوْ أَنّى بُليتُ بِهَاشِمِىٍّ خُؤُولَتُه بَنُو عَبْدِ الْمَدَانِ

صبرتُ عَلَى عَدَاوَتِهِ ولـكِنْ تعالوا فانظروا بِمَن ابْتَلَانِى[4]

---

(١) ا : هامية .

(٢) زيادة من ب .

(٣) البيتان لعلى بن الجهم ، انظر محاضرات الأدباء ١٢٢/١ ، ١٨٦ ، وفيات الأعيان ٤١/٣ ، العقد الفريد ٢٥٠/١ ، ٣٣٩/٢ .

(٤) نسب البيتان فى المستطرف ٢٥٠/١ إلى زياد بن عبد الله ، ونسبا فى الكامل ٦١/٢ إلى دعبل بن على الخزاعى .

قال بشار بن برد :

إنِّى وَإنْ كانَ جَمْعُ المال يعجبنى   فلَيْسَ يَعْدِلُ عندى صِحَّةَ الجَسَدِ

فى المال زَيْنٌ وفى الأولادِ مَكْرُمَةٌ   والسُّقْم يُنسيكَ ذِكْرَ المالَ والْوَلَدِ(١)

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « البلاء مُوَكَّلٌ بالقول » .

أخذه الشاعر فقال :

إنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ(٢)

وقال آخر :

فإذَا رَأَيْتَ أَخَا البليّةِ فاستعذ   باللهِ من شَرِّ البلاء النَّازِلِ

قال إبراهيمُ النَّخَعِى : كانوا يكرهون أن يسألوا اللهَ العافيةَ بحضرة المبتلى .

---

(١) لم أعثر عليهما فيما طبع من ديوانه .

(٢) صدره : احفظ لسانك أن تقول فتبتلى ، وهو لصالح بن عبد القدوس كما فى حماسة البحترى ١٦٨ ، وانظره فى المستطرف ١٠٢/١ ، معجم الأدباء ١٢٥/١٣ من غير نسبة .

بابُ المرضِ والطبِّ

قال رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وسلم : « أَنْزَلَ الدَّاء الذى أنزَلَ الأَدْوَاء » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من خير ما تداويتم به الحِجَامة » .

وقال عليه السلام : « إن كان دواءٌ يبلغ الداء فالحجامة تبلغُه » .

قال محمد بن سيرين : كنا بساباط المدائن ، فمر بى رجل ، فقيل لى : هذا حَجَّامُ[1] كسرى ، فدعوته ، فقلت له : أنت حجمت كسرى ؟ قال : نعم . قلت : وكم حجمته ؟ قال : واحدة . قلت : ولم اقتصر على واحدة ؟ قال : كان يقول : آخذ من الدواء أدناه ، فإن كان نافعًا أخذت من نفعه ، وإن كان ضارًّا لم أكن استكثرت من ضرره .

روى النَّزَّالُ بن سَبْرة[2] ، عن علىّ ، أنه قال : من ابتدأ غداءه بالملح أذهب الله عنه كل داء ، ومن أكل إحدى وعشرين زبيبة كل يوم لم ير فى جوفه شيئًا يكرهه ، واللحم ينبت اللحم ، والثريد طعام العرب ، ولحم البقر داء ، ولبنها دواء ، وسمنها شفاء ، والشحم يخرج مثله من الداء . قال النزال : أظنه يريد شحم البقر . قال علىّ رضى الله عنه : وما استشفى بأفضل من السمن ، والسمك يذيب البدن ، أو قال : الجسد ، ولم تستشف النفساء بشىء أفضل من الرطب ، والسواك وقراءة القرآن يُذْهبان البلغم ، ومن أراد البقاء — ولا بقاء — فليباكرْ الغَدَاء ، وليخفف الرِّدَاء ،

(١) ب : يحجم .
(٢) ب : شبرمة ، تحريف .

وليقلّ غِشْيَان النّساء . قيل له : يا أمير المؤمنين ! وما خفة الرِّداء ؟ قال : خفة الدَّيْن .

قال شُرَيح : امش بدائك ما حملك .

قال حَسَّانُ بنُ خُرَيم بن الأغَر : دع الدَّواء ما احتمل جسمُك الداء .

سئل الحارثُ بن كَلَدة طبيب العرب : ما الدواء الذى لا داء فيه ؟ قال : هو ألا يدخل بطنك طعام وفيه طعام .

قال غيره : هو أن يقدَّمَ الطعام إليك وأنت تشتهيه ، ويرفع عنك وأنت تشتهيه .

قالوا : ثلاثة تقتل : الحمَّام على الـكِظَّة ، والجماع على البِطْنة ، والإكثار من أكل القديد اليابس .

كانوا يقولون : لو أمات العليلَ الداء أعاشه[1] الد

قال الربيع بن خَيْثَم : ذكرت عادًا وثمو
ذلك كثيراً ، كانت فيهم الأدواء ، وكانت
ولا المُدَاوَى .

وقيل له فى علَّته : ألا ندعو لك طبيبًا ؟ فة
ما قال لك ؟ فقال : إنِّى فعال لما أريد .

وهذا نحو قول أبى الدرداء ، وقد قيل له
أمرضنى . وقد أوردنا عن العلماء فى هذا الم
« التمهيد » والحمد لله .

---

(١) ب : أقامه .

ولأبى العتاهية ، ويروى لغيره :

إنّ الطَّبيبَ بِطبِّهِ وَدَوائِهِ ... لا يَستَطِيعُ دِفَاعَ مَكْرُوهٍ أتَى

ما للطَّبِيبِ يَمُوتُ بالدَّاءِ الذى ... قد كان يبرئُ مثلَهُ فيما مَضَى (١)

كان سفيان بن عيينة ، يستحسن قول عدىّ بن زيد ، حيث يقول :

أينَ أهلُ الدِّيَارِ من قوم نُوحٍ ... ثُمَّ عَادٌ من بَعْدِهِمْ وَثَمُودُ

بَيْنَمَا هم عَلَى الأسِرَّةِ وَالأنْـ ... ـمَاطِ أفضتْ إلَى التُّرَابِ الجلودُ

ثمّ لم ينقضِ الحديثُ ولكنْ ... بعد ذَا الوَعْدُ كُلُّهُ والوعِيدُ

والأطِبَّاءُ كلُّهُمْ لَحِقُوهم ... ضَلّ (٢) عَنْهُمْ سَعُوطُهُمْ واللَّدُودُ

وصحيحٍ أضْحَى يعودُ مريضاً ... وَهْوَ أدْنَى للموتِ مِمَّنْ يعودُ (٣)

أخذه على بن الجهم ، فقال :

كَمْ مِنْ عَلِيلٍ قدْ تَخَطَّاهُ الرَّدَى ... فَنَجَا وَماتَ طَبِيبُهُ والعُوَّدُ (٤)

وقال أبو العتاهية :

نَعَى لك ظلَّ الشَّبَابِ المشيبُ ... ونَادَتْكَ باسمِ سِوَاكَ الخُطُوبُ

---

(١) ديوانه ١٠ ، ويروى البيتان أيضاً لبشار ، انظر المختار من شعره ٢٣١ وفيه : دفاع مقدور مكان مكروه .

(٢) ب .ظل .

(٣) الأبيات فى : العقد الفريد ٣/١٨٨ عدا الرابع ، وفيه : ثم عاد من بعدها ، والخدود مكان الجلود ، وانظر معجم الشعراء ٢٥٠ .

(٤) التمثيل والمحاضرة ١٨٢ من غير نسبة .

وَقَبْلَكَ داوى المريضَ الطبيبُ ... فعاشَ المريض وماتَ الطّبيبُ
يَخافُ عَلَى نَفْسِهِ من يتوبُ ... فكيف تَرَى حالَ مَنْ لايتوبُ[1]

وقال منصور الفقيه :

كَذَبْتُ إنْ أنا سَمَّيْتُ مُحْسِنًا أوْ مُصيبَا
من لا يُعاشِرُ إلَّا مُنَجِّمًا أوْ طَبِيبَا

وقال آخر ، وهو يزيد بن خذاق العبدى[2] :

هل للفَتَى منْ بنَاتِ الدَّهْرِ منْ وَاقِ ... أمْ هلْ لَهُ من حِمَامِ الْمَوْتِ من رَاقِ
هَوِّنْ عليكَ ولا تُولَعْ بإشْفاقِ ... فإنَّما مالُنــــا لِلْوارِثِ الباقِي

وقال ابن الطَّثْرِيَّة[3] :

وكنتُ كَذِي داءٍ تَبَغَّى لِدَائِهِ ... طَبِيبًا فلمَّا لَمْ يَجِدْه تَطَبَّبَا

وقال محمود الوراق :

قد قلتُ لَمَّا قال لى قائلٌ[4] ... قد صَارَ بُقْراطُ إلَى رَمْسِهِ
فأيْنَ ما دَوَّنَ مِنْ كُتْبِهِ ... وَجَمْعُهُ الأحْجار مَعْ جِسِّهِ[5]

---

(١) لم أعثر على هذه الأبيات فى ديوانه المطبوع ، وقد نسبت إلى أبى حفص الشطرنجى فى الأغانى ٧٢/١٩ ، ووردت فى عيون الأخبار ٣٢٧/٢ ، العقد الفريد ١٨٠/٣ .

(٢) انظر ترجمته والبيتين فى الشعر والشعراء ٣٤٦ ، وانظرهما فى العقد الفريد ٣٤٤/٣ .

(٣) هو يزيد بن سلمة بن سمرة ، شاعر مطبوع من شعراء بنى أمية ، نسبته إلى أمه من بنى «طثر» من عنز بن وائل ، قتل سنة ١٢٦ هـ . ترجمته فى وفيات الأعيان ٢٩٩/٢ وسمط اللآلى ١٠٣ ، وانظر البيت فى الشعر والشعراء ٣٦٣ ، معجم الشعراء ٢٨٦ ، وفيات الأعيان ٤١٢/٥ .

(٤) ب : قد قلت للقائل الذى قال لى .

(٥) ب : من جنسه .

لم يُغنِهِ إذا حُمّ مِقْدارُهُ ولم يُساوِ العُشرَ مِنْ فَلْسِهِ
هَيْهاتَ لا يَدْفَعُ عنْ غَيْرِهِ مَن كانَ لا يَدْفعُ عن نَفْسِهِ

وقال منصور الفقيه :

يا سيدًا باتَتْ القُلوبُ — لِأَنْ بَاتَ كما لا يُحِبُّ — مُحْتَرِقَهْ
إنّ ذَوِى الطّبِّ — لا أقولُ بِما لا يَعْلَمُ رَبّى خلافَه — فَسَقَهْ
فَلاَ تُشاوِرْهُمُ فَلَيْسَ لَهُمْ عَلَى شَحيحٍ بِدِينِهِ شَفَقَهْ
وَاتْلُ من الوَحْيِ ما استَطَعْتَ ولَوْ فِي كلِّ يَوْمٍ وليلةٍ وَرَقَهْ
فَمَا يُداوى العَليلُ يَرْحَمُكَ اللّــهُ بِمثلِ القُرْآنِ والصَّدَقَهْ

جاء فى الخبر : « من كان به مرض قديم فليأخذ درهماً حلالاً ، فَلْيَشْتَرِ به عسلاً ، ثم ليشرب به بماء السماء ، فإنه يبرأ بإذن الله » .

قال منصور الفقيه يخاطب بعض إخوانه :

يَاذا الّذِى أَنْزَلَنِي[١] مَنْزِلِي عِلْمِي بِما أَنْزَلَهُ مَنْزِلَهْ
إنْ كُنْتَ فِي الصِّحّةِ ذَا رَغْبَةٍ فاعْتَضْ من المَجْزَرَةِ المُبْقَلَهْ
واستَعْمِلِ المَاشَّ[٢] وأَشْبَاهَهُ وباعد المِيل عن المُكْحُلَهْ
فإنّمَا الجَـــاهِلُ كلّ امرئٍ يأكُلُ فِي الصّحّة ما عَنّ لَهْ

---

(١) ا : أ كبرلى ، ب : ألزمنى .
(٢) الماش : حب نافع للمحموم والمزكوم ، ملين .

قال أبو عمر رضى الله عنه : دخلت على الشيخ أبي الوليد بن عباد ، عائداً له من بطن كان يشكوه قد اشتد عليه ، فوجدته قد أخذ شيئا[(١] من حسو[١)] ، فقلت له : يا سيدى ما لصاحب البطن والحسو ؟ فقال : شيء تاقت نفسى إليه ، وسئمت أكل الجامد واليابس ، فانصرفت من عنده ، ثم كتبت إليه :

يَا سليلَ الكِرَامِ منْ آلَ لَخْمٍ ... وَأَخَا الرَّأْيِ والدَّهَا وَالوَفَاء

إنَّ لى من سقام جِسْمِكَ سُقْماً ... ثابتًا فى الفؤاد والأحْشَاء

وبِقَلْبِي مِمَّا بجِسْمِكَ ضِعْفٌ ... للذى تشتكي من الأدْوَاء

وَبِوُدِّى لو كنتُ عنكَ فداءً ... بَدَلاً عنـد هَجْمَةِ الضرَّاء

فاقبلِ النُّصْحَ سيِّدى وَاسْمَعِ الْقَوْ ... لَ فإِنِّى أَحْكي عنِ الحُكَمَاء

لا يُدَاوَى الإِسْهَال بالإِحْتِساءِ[(٢)] ... لاَ وَلاَ بالأمْرَاقِ وَالْبَاقِلاَء

إنَّمَا الطبُّ طَرْدُكَ الضِّدَّ بالضِّ ... دِّ ودَفْعُ الأهْوَاء بالإِحْتِمَاء

حَسْمُ ذَا الدّاء ما كانَ قُوتًا ... يَأْلَفُ الطَّبْعُ فِي قِوَامِ الغِذَاء

وعَلَيْكَ الدُّعَاءَ فَاللهُ يَشْفِي ... لَيس شافٍ سِوَاه منْ كلِّ داء

نعم عونُ العليلِ تَوبَةَ صِدْقٍ ... وَكَذَا البرُّ جالبٌ للشفاءِ

وَسَـلامٌ عليك مِنِّيَ دَأْبًا ... مَا جَرَى الدَّمع قاطِعاً للسَّمَاء

---

(١) ا : ساقط من ب.
(٢) ا : بالحسو لالا .

ولمنصور الفقيه أيضا :

يَا شَرِيفًا طَيُّ[١] أَمْثَا لِيَ عَنْهُ النُّصْحَ بِدْعَهْ
لَوْ مَطَلْتَ النَّفْسَ بِالْفَرُّو جِ[٢] بَعْدَ الْيَوْمِ جُمْعَهْ
لَمْ تَمُتْ هَمًّا وَلَمْ تَلْ زَمْ[٣] بِكَ الْحُمَّى بِسُرْعَهْ
فَاحْتَرِسْ بَعْدُ فَحَسْبُ الْ مَرْءِ أَنْ يُخْدَعَ خِدْعَهْ

(١) ب : يا شريفا طب. شر ، ا : يا شريف طبي.
(٢) ب : بالفروح.
(٣) ا : تلزمك.

بابُ الطَّاعَةِ والمَعْصِيَةِ

قال الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[1] . وقيل فى تأويل أولى الأمر قولان : أحدهما ، أمراء السرايا كان يرسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والآخر العلماء .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا طاعة إلا فى معروف ، ومن أمر بمعصية فلا طاعة له » .

قال عبد الله بن مسعود فى قول الله عزّ وجل : ﴿ اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾[2] : أن يطاع فلا يُعصى ، ويُشكر فلا يُكفر ، ويذكر فلا يُنسى .

وقال قتادة ، مثل ذلك ، وزاد عليها[3] : ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾[4] .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يقول الله عزّ وجلّ : يا ابن آدم ا ما أنصفتنى أتحبّب إليك بالنّعم ، وتتبغّض إلىّ بالمعاصى ، خيرى إليك نازلٌ ، وشرُّك إلىّ صاعدٌ ، كم[5] من ملك كريم يصعد إلىّ منك بعمل قبيح » .

---

(١) سورة النساء آية ٥٩ .
(٢) سورة آل عمران ١٠٢ .
(٣) ا : ونسختها :
(٤) سورة التغابن ١٦ .
(٥) ساقط من ب .

قال الهلالىّ : من لم يصلح على أدب الله لم يصلح على اختياره لنفسه ، ومن تعزز بمعصية الله ، أذاقه الله ذُلاًّ بحقّ .

قال على بن عبد الله بن عباس : من لم يجد نقص الجهل فى عقله ، وذل المعصية فى قلبه ، ولم يستبن موضع الخلل من لسانه عند كلال حده ، فليس ممن يَرْغب عن ذنبه ، ولا يَنْزِعُ عن حال مَعْجزةٍ ، ولا يكترث لفضل ما بين حجّة وشبهة .

قال جعفر بن محمد : من نقله الله عز وجل من ذل المعاصى إلى عزّ الطاعة أغناه بلا مال ، وآنسه بلا أنيس ، وأعزّه بلا عشيرة .

أخذه محمود الوراق ، فقال :

هَاكَ[1] الدَّليلَ لمن أرا ... دَ غِنًى يَدُومُ بِغَيْرِ مَالْ
وأَرَادَ عِزًّا لم تُوَطِّـ ... ـدْهُ العَشَائِرُ بالْقِتَالْ
ومَهَابَةً من غَيْرِ سُلْـ ... ـطَانٍ وَجَاهًا فِى الرِّجَالْ
فَلْيَعْتَصِمْ بِدُخُـــولِهِ ... فِى عزّ طَاعة ذى الجلالْ
وَخُرُوجِهِ من ذلة الْـ ... ـمَاصِى لَهُ فِى كلّ حالْ

قال الحسن : لا يغرك توطّيهم رقاب المسلمين ، وإن هملجت[2] بهم خيولهم ورفرفت[3] بهم ركابهم ، إن ذل المعصية فى قلوبهم ، أبى الله إلا أن يذل من عصاه .

---

(١) ا : فأنا ، م : ها أنا .
(٢) هملجت : ذلت وانقادت .
(٣) ا : دفترت .

كان يقال : من أحبك نهاك ، ومن أبغضك أغراك .

قال العتبي : خطب يزيد بن الوليد فأوجز ، وقال : أيها الناس ! الأمر أمر الله ، والطاعة طاعة الله ، فأطيعوني بطاعته ما أطعت الله ، يغفر الله لي ولكم .

قالت هند : الطاعة مقرونة بالمحبة ، فالمطيع محبوب ، وإن نأت داره ، وقلّت آثاره ، والمعصية مقرونةٌ بالبغضة ، فالعاصي ممقوت ، وإن مسّتك رحمته ، ونالك معروفه .

كتب ابن السّماك إلى أخ له : أفضل العبادة الإمساك عن المعصية ، والوقوف عند الشبهة ، وأقبح الرغبة أن تطلب الدنيا بعمل الآخرة ، وقاله سفيان بن عيينة .

ذكر إبليس عند أبي حاتم ، فقال : وما إبليس ! فوالله لقد عصى فما ضرّ ، وأطيع فما نفع .

قال محمود الوراق ، وتنسب إلى الشافعي :

تَعْصِي الإِلٰهَ وَأَنْتَ تظهر حُبَّه ... هَذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ
لَو كان حُبُّكَ صادِقًا لأَطَعْتَهُ ... إن الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ
في كل يوم يبتديك بنعمةٍ ... منه وأَنْتَ لِشُكْرِ ذَاكَ مُضيعُ(١)

وقال إسحاق الموصلي :

الْمُلْكُ والعِزّ والمُرُوءةُ والفِطْ ... نَةُ(٢) والنبلُ واليَسَار مَعًا

(١) التمثيل والمحاضرة ١٢ ، الكامل ١/٢٣٤ ، العقد الفريد ٣/٢١٥ ، وتنسب أيضاً لذي الرمة ، زيادات الديوان ٦٧٠ .
(٢) ساقطة من ب .

مجتمعاتٌ في طاعة العبد[١] لِلّـ ـهِ إذا العبدُ أعْمَلَ الوَرَعَا
واللُّؤْمُ والذُّلُّ والضَّرَاعة والْـ فَاقَةُ فِي أَصْلِ أُذن مَنْ طَمِعا[١]

وقال أبو العتاهية :

أرَاكَ امْرَءا ترجُو منَ الله عَفْوَهُ وأنتَ عَلَى ما لا يُحِبُّ مُقِيمُ
فحتّى متَى تَعْصِي ويعفُو[٢] إلى متَى تبَارَكَ ربِّي إنَّهُ لرَحِيمُ[٣]

وله أيضاً :

أَطِعِ اللهَ بِجَهْدِكْ صَادِقًا أَوْ بَعْض جَهْدِكْ
أَعْطِ مَوْلَاكَ كَمَا تَطْـ لُبُ مِنْ طَاعَةِ عَبْدِكْ[٤]

---

(١) انظر البيتين الأولين في المختار من شعر بشار ٢١٩ من غير نسبة .
(٢) ا : وتهفو .
(٣) ديوانه ٢٤٢ .
(٤) ديوانه ٨٦

بابُ الْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ

قال الله عزّ وجل : ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ﴾[1] ، قال مجاهد : هو الطعّان الآكل لحوم الناس .

قال الله عز وجل : ﴿ وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾[2]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر من آمن بلسانه ، ولم يدخل الإيمان قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه وهو فى بيته » .

قال عمر بن الخطاب : من أدى الأمانة ، وكف عن أعراض المسلمين ، فهو الرجل .

وقع بين سعد وخالد كلام ، فذهب رجل يقع فى خالد عند سعد ، فقال سعد : مه ، إن ما بيننا لم يبلغ دِينَنَا .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا قلتَ فى أخيك ما فيه مما يَكْرَه فقد اغْتَبْتَه ، وإن قلت فيه ما ليس فيه فذلك البُهْتَان » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كف عن أعراض المسلمين لسانه أقاله الله يوم القيامة عثرته » .

---

(١) سورة الهمزة آية ١ .
(٢) سورة الحجرات آية ١٢

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شراركم أيها الناس : المشّاؤون بالنميمة ، المفرقون بين الأحبة ، الباغون لأهل البر العثرات » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثةٌ لا غيبة فيهم : الفاسق المعلن بفسقه ، وشارب الخمر ، والسُّلطان الجائر » .

قال رجل لابن سيرين : إني وقعت فيك ، فاجعلني في حلّ ، قال : لا أحب أن أحل لك ما حرم الله عليك .

قال رجل للحسن البصري : إني اغتبت فلانًا وإني أريد أن أستحله ، فقال : لم يكفك أن اغتبته حتى تريد أن تبهته .

قال ابن عباد الصاحب :

احْذَرِ الْغِيبَةَ فهي الْ ... فِسْقُ لَا رُخْصَةَ فِيهِ
إِنَّما الْمُغْتَابُ كالآ ... كِلِ من لَحْمِ أَخِيهِ[1]

قال حُذَيْفة : كفارةُ من اغتبته أن تستغفرَ له .

قال عبد الله بن المُبَارك لسُفيان بن عيينة : التوبةُ من الغيبة أن تستغفرَ لمن اغتبته ، قال سفيان : بل تستغفره مما قلتَ فيه : قال ابن المبارك : لا تؤذِهِ مرتين .

قال عديّ بن حاتم : الغيبةُ مَرْعَى اللّئام .

قال أبو العتاهية : الصَّائِمُ في عبادةٍ ما لم يَغْتب .

---

(١) التمثيل والمحاضرة ١٢٣ .

قال ابن مُحَيْرِيز : ما مِنْ ذنبٍ أجدرُ أن تجدَه من الرجل — وإن أعجبك — من الغيبة .

قال أبو حاتم : أربحُ التّجارة ذكر الله ، وأخسرُ التجارةِ ذكر النّاس .

قال الفُضَيلُ بن عِيَاض : ذكرُ الناسِ دَاء ، وذكْرُ اللهِ شفاء .

سمع قتيبةُ بن مُسلمٍ رجلا يغتاب آخر ، فقال : لقد مضغتَ مضغة طالما لَفِظَها الكرام .

سمع أعرابيّ رجلا يقع فى الناس ، فقال : قد استدللتُ على عيوبك بكثرةِ ذكرك لعيوبِ النّاس ، لأنّ الطالبَ لها يطلبُها بقدْرِ ما فيه منها .

قال الشاعر :

وَيَأخُذُ عيبَ النَّاس من عَيْبِ نَفْسِهِ   مُرَادٌ لَعَمْرِى ما أرَادَ قَرِيبُ[1]

وقال آخر :

وَأجْرَأُ من رأيت بظهر غيبٍ   على عَيْبِ الرِّجالِ أخُو العُيُوبِ[2]

وقال آخر :

فكلّ عيّابٍ لَهُ مَنْظَرٌ   مُشْتَمِلُ الثّوب على عَيْبِ[3]

---

(١) البيت للمستورد الخارجى كما فى الكامل ٢/٢٦٧ ، وانظره فى التمثيل والمحاضرة ٤٠٦ ، زهر الآداب ٣ / ٦٠ .

(٢) معجم الأدباء ١١/٢٧ . والكامل ٢/١٥١ ، البيان والتبيين ١/٧٥ .

(٣) التمثيل والمحاضرة ٨٥ ، وفيها : رب عياب .. ، البيان والتبيين ١/٧٥ .

كان يقال : ظلم منك لأخيك أن تقول أسوأ ما تعلم فيه .

قال أبو عاصم النبيل : لا يذكر الناس بما يكرهون إلا سفلة لا دين له.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ارعَوُنَّ[1] عن ذكر الفاسق بما فيه يعرفه الناس » .

قال الحجاج بن الفُرَافِصَة[2] : قلت لمجاهد : الرجلُ يكون وقّاعاً فى الناس ، فأقع فيه ، أله غيبة ؟ قال : لا . قلتُ : من ذا الذى تحرُم غيبتُه ؟ قال : رجلٌ خفيفُ الظّهر من دماء المُسلمين ، خميص[3] البطن من أموالهم ، أخرسُ اللّسان عن أعراضهم ، فهذا حرامُ الغيبة ، ومن كان سوى ذلك فلا حرمة له ، ولا غيبةَ فيه .

قال رجل لعَمْرو بن عُبَيْد : إنّى لأرحمُك مما يقول النّاسُ فيك . قال : فما تسمعُنى أقول فيهم ؟ قال : ما سمعتُك تقول إلّا خيرا . قال : إيّاهم فارحم .

قال عُتبة بن أبى سفيان لابنه[4] عمرو : يا بُنىّ ! نزّه نفسك عن الخَنَا ، كما تنزّه لسانك عن البذَا ، فإن المستمع شريك القائل .

وهذا عندى مأخوذ من قول كَعْب بن زُهير :

إن كنتَ لا ترهبُ عن ذمّى لما ⁝ تعرف من صَفْحِى عن الجاهِلِ

(١) ا : أترغبون .
(٢) ا : يوسف ، وهو تحريف .
(٣) ب : خفيف .
(٤) ب : لأبيه .

فاخشَ سُكوتى إذ أنا مُنصِتٌ فيك لمسْمُوعٍ خنَا القائلِ

فالسَّامِعُ الذَّمَّ شريكٌ له ومُطْعِمُ المأكولِ كالآكلِ

مقالة السُّوءِ إلى أهْلِها أسْرَعُ من مُنْحَدِرٍ سائلِ

ومن دعا النَّاسَ إلى ذَمِّهِ ذَمُّوهُ بالحَقِّ وبالباطلِ

فلا تَهِجْ إنْ كنتَ ذَا رِيبةٍ حَرْبَ أخِي التَّجْرِبةِ العاقِلِ

فإنَّ ذا العَقْلِ إذا هِجْتَهُ هِجْتَ به ذَا حَبْلٍ حابِلِ

يبصرُ فى عاجِلِ شَدَّاتِهِ عليكَ غِبَّ الضَّرَرِ الآجِلِ[١]

ومن هذا المعنى قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود :

فلو شئتُ أدْلَى[٢] فيكما غيرُ واحد عَلانيةً أو قال عِنْدِىَ فى السِّرِّ

فإنْ أنا لم آمُرْ ولم أنْهَ عائِبًا ضَحِكْتُ له حتَّى يَلِجَّ ويَسْتَشْرِى[٣]

ومن هذا أيضاً قول محمود الوراق :

تحرَّ من الطُّرْقِ أوْسَاطَهَا وعَدِّ عن الجانِبِ[٤] المُشْتَبِهْ

وسَمْعَكَ صُنْ عَنْ سَمَاعِ القَبِيـ ـحِ كَصَوْنِ اللِّسانِ عن النُّطْقِ[٥] بِهْ

فإنَّكَ عِنْدَ اسْتِماعِ القبِيـ ـحِ شَرِيكٌ لِقَائِلِه فانْتَبِهْ[٦]

---

(١) ديوانه ١٢٤ ، العقد ٢/٤٤٤ .

(٢) ب : أذنى .

(٣) البيتان مع أبيات أخر فى عيون الأخبار ١/٢٧٢ ، البيان ١/١٦٨ .

(٤) ب : الموضع .

(٥) ا : القول .

(٦) نسبت هذه الأبيات فى معجم الأدباء ١٠/١٦٣ إلى الحسين بن محمد النواجى المصرى المتوفى سنة ٤٠٠ هـ .

قالت الحكماء : حسبك من شرٍّ سماعه .

قال الله عزّ وجلّ : ﴿سَمّاعُونَ لِلْكَذِبِ ، أَكّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾[١] .

قال عبدُ الله بن عبّاس رضى الله عنه ، قال لى أبى : إنى أرى أميرَ المؤمنين — يعني عُمر — يُدْنيك ويقرّبُك ، فاحفظ عنى ثلاثاً : إياك أن يجرّب عليك كِذْبَة ، وإياك أن تُفْشِىَ له سِرًّا ، وإيَّاك أن تغتابَ عنده أحداً ، ثم قال : ياعبدالله ! ثلاثاً وأىّ ثلاث . فقال له رجل : يا ابنَ عباس ! كلُّ واحدةٍ خير من ألف . فقال : بل كلُّ واحدةٍ خيرٌ من عَشْرة آلاف .

قال عبد الصمد بن المعذّل :

قدْ هَجَرْنَا مَجْلِسَ الْغِيـ ... ـبةِ هِجْرَانَ الثِّقَالِ[٢]

أَلْفَتْهُ عصبة نَوْ ... كَى لِقِيلٍ وَلِقَالِ

ربّ من يَشْجِيه ذكرى[٣] ... وهو لا يَجْرِى بِبَالِى

قَلْبُه ملآنُ من خَوْ ... فِي وقلبى منه خَالِ[٤]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان يُؤْمن بالله واليوم الآخر فلا يرفع إلينا عورة مسلم » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « لايدخل الجنة قتّات[٥] » .

---

(١) سورة المائدة ٤٢ .

(٢) ب : الثقال .

(٣) ب : أمرى .

(٤) محاضرات الأدباء ١/١٢٣ ، ١٨٨ .

(٥) القتات : النمام أو الذى يسمع حديث الناس من حيث لا يعلمون .

وقال عليه السلام : « إياك ومُهْلك الثلاثة » قيل : وما مُهْلك الثلاثة ؟ قال : « رجل سعى بأخيه المسلم فقتله ، فأهلك نفسه وأخاه وسلطانه » .

وقالوا : قبول السّعاية شرٌّ من السعاية ، لأن السعاية دلالة والقبول إجازة .

قال يحيى بن أبي كثير : يُفْسد النَّمام والكذابُ في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة[١] .

قال سابق :

إِذَ الواشِي بَغَى يوماً صديقاً فَلاَ تَدَعِ الصَّدِيقَ لقَوْلِ وَاشِ[٢]

وقول سابق هذا — والله أعلم — أخذه من قول معاذ بن جبل في قوله : إذا كان لك أخ في الله فلا تماره ، ولا تسمع فيه من أحد ، فربما قال لك ما ليس فيه فحال بينك وبينه .

تنقّص ابن عامر بن عبد الله بن الزبير عليَّ بن أبي طالب ، فقال له أبوه : مهلا يا بنيّ لا تنقّصه ، فإن بني مروان شتموه ستين سنة ، فلم يزده الله بذلك إلا رفعة ، وإن الدين لم يبنِ شيئاً فهدمته الدنيا ، وإن الدنيا لم تبن شيئاً إلا عادت على ما بنت فهدمته .

كان يقال : المعرِّض بالناس اتقى صاحبه ، ولم يتق ربه .

قال الفرزدق :

تَصَرَّمَ عَنِّي وُدَّ بكرِ بنِ وَائِلٍ وما خِلْتُ عَنِّي وُدَّهُمْ يَتَصَرَّمُ

---

(١) ب : يوم .

(٢) عيون الأخبار ٢/٢٠ ، العقد الفريد ٢/٣٢٣ .

قوارصُ تأتيني وَتحتَقِرُونَهاَ ... وقد يملأُ القَطرُ الإناءَ فيَفعُمُ[1]

وقال يزيد بن الحكم الثقفي :

تُكاشِرُ[2] من لاقيتَ لي ذا عداوة ... وأنتَ صديقي ليسَ ذاكَ بمُستوي

بَدَا منكَ غِشٌّ طالما قد كتمتَهُ ... كما كتَمتْ داءَ ابنِهاَ أمُّ مُدوِي

جمعتَ وفُحْشاً غِيبةً ونميمةً ... ثلاثَ خلالٍ لستَ عنها بمُرْعَوِي[3]

وقال زياد الأعجم :

إذا لقيتُكَ تُبدِي لي مكاشرةً ... وإنْ أغِبْ فأنتَ الهامِزُ اللُّمَزَهْ

ما كنت أخشى وإن طَالَ[4] الزمان به ... حَيْفٌ عَلَى النّاسِ أن يغتَابني غُمَزَهْ

وقال منصور الفقيه :

هَبْنِي تحرَّزتُ مِمّنْ ... يَنُمُّ بالكِتمانِ

فكيفَ لي باحتِراسٍ ... مِنْ قائلِ البهتانِ

وقال أيضاً :

لي حيلةٌ فيمَن يَنِمُّ ... وليسَ في الكذّابِ حيلَهْ

من كانَ يَخلُقُ ما يقو ... لُ فحيلَتِي فيه قليلَه[5]

(١) ديوانه ٧٥٦ ، وفيه : وما خلت باقي ودها يتصرم ، وفيه أيضاً : فتحتقرونها ، والقطر الآتي بدل الإناء ، وانظر حماسة البحتري ٢٠٧ ، وفيه : وما كاد عني ودهم .

(٢) كاشره : ضحك إليه وباسطه .

(٣) محاضرات الأدباء ٦١/١ ، عيون الأخبار ١٢/٢ ، وانظر الأغاني ٢٩٦/١٢ ، حماسة البحتري ٢٨١ ، وفيها : نصافح مكان تكاشر وستأتي الأبيات مع زيادة فيما يلي ص ٤١٠ .

(٤) ب : يطل .

(٥) نسب البيتان في المستطرف ١٠/٢ إلى محمود بن أبي الجنوب ، وهي للفقيه كما ذكر هنا ، وفي معجم الأدباء ١٩٠/١٩ .

قال موسى عليه السلام : يا ربّ إن الناس يقولون فيّ ما ليس فيّ ، (١ فاجعلهم يا ربّ يقولون فيما فيّ ١) . فأوحى اللهُ تعالى إليه : يا موسى لم أجعل ذلك لنفسى ، فكيف أجعله لك .

قال المسيحُ عليه السلام : لا يُحْزِنْكَ قولُ الناس فيك ، فإن كان كاذباً كانت حسنة لم تعملها ، وإن كان صادقاً كانت سيئة[٢] عجلت عقوبتها .

---

(١) ساقط من ب .
(٢) ب : سيئاً .

بابُ البَغْي والحَسَد

قال رسول اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم : « ما من ذنبٍ هو أجدرُ أن يعجّلَ اللهُ لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدّخره له في الآخرة ، من البَغْي وقطيعة الرحم » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا حسدتم فلا تَبْغُوا ، وإذا ظَنَنْتم فلا تُحَقِّقوا ، وإذا تطيرتم فامضوا ، وعلى اللهِ فتوكلوا » .

وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ثلاثةٌ لا يكاد يسلم منهن أحد : الطِّيَرَةُ[1] والحَسَد والظَّن » . قيل : فما المخرج منهنّ يارسولَ الله؟ قال : « إذا تطيرتَ فلا ترجع ، وإذا حسدتَ فلا تبغ ، وإذا ظننتَ فلا تحقّق » .

روى عن مجاهد ، عن ابن عبّاس أنه قال : لو بَغى جبلٌ على جبلٍ ، لدُكّ الباغي منهما .

أخذه الشاعر فقال :

وَلَوْ بَغَى جَبَلٌ يوماً عَلَى جَبَلٍ ... لَدُكَّ مِنْهُ أعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ

وقال آخر :

ذَرِ الْبَغْيَ إنَّ الْبَغْيَ مُوبِقُ أَهْلِهِ ... ولم يَعْدِمْ الْبَاغِي من النَّاسِ مَصْرَعَا

قال عمرُ بن الخطّاب : ما كانت على أحد نعمةٌ إلّا كان لها حاسد ، ولو كان الرجل أقومَ من القَدَح لوَجد له غامزاً .

---

(١) هي ما يتشاءم به من الفأل الردىء .

قال ابن مسعود : لا تعادُوا نعمَ الله عزّ وجلّ . قيل : ومن يُعادِى نعمَ الله ؟ قال : الذين يحسدُون الناسَ على ما آتاهم الله من فضله .

قال الحسنُ البَصْرى : ليس أحدٌ من خلق اللهِ إلا وقد جُعل معه الحسد ، ومن لم يجاوز ذلك إلى البغى والظّلم لم يتبعْهُ منه شيء .

وعن أنسِ بن مالك أنه مرّ على ديار خَرِبَةٍ خاوية ، قال : هذه أهلكها وأهلك أهلها البغى والحسد ، إن الحسدَ ليطفئُ نور الحسنات ، والبغى يُصَدِّق ذلك أو يُكذّبه ، فإذا حسدتُم فلا تبغوا .

قيل للحَسَن : يا أبا سعيد ! أيحسُدُ المؤمنُ ؟ قال : لا أمَّ لك ! أنسيتَ إخوةَ يوسف .

قال بعض الحكماء : البغيُ من فروع الحسد ، وأقدم الناس على البغى من جهل المعرفة بسرعة نصر الله لمن بُغى عليه .

وقالوا : ثلاثةٌ عائدة على فاعلها : البغى والمكر والنّكْثُ[1] .

قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾[2] ، وقال : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾[4] .

---

(١) النكث بالكسر : نقض العهد .

(٢) سورة يونس آية : ٢٣ .

(٣) سورة فاطر آية : ٤٣ .

(٤) سورة الفتح آية : ١٠ .

وقال يزيدُ بن الحَكَم :

إنَّ الأُمُورَ دقيقُهَا مما يَهِيجُ به[1] العَظِيمْ

وَالْبَغْىُ يصرعُ أهلَهُ والظُّلْمُ مرْتَعُه وَخِيم[2]

قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلّم : « لا حسدَ إلّا فى اثنتين : رجل آتاه اللهُ مالا فهو ينفقُه فى الحق ، ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويُعلّمها » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الحسد يأكل الحسنات ، كما تأكل النار الحطب » . وقد ذكرنا كثيرًا من الآثار المرفوعة وغيرها فى الحسد عند قوله عليه السلام : « لا تحاسدوا » فى كتاب « التمهيد » ، بما فيه كفاية والحمد لله .

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى المؤمنين أفضل ؟ قال : « المؤمن النقى[3] القلب ، ليس فيه غل ولا حسد[4] » .

كان يقال : أقبح الأشياء بالسلطان اللجاج ، وبالحكماء الضجر ، وبالفقهاء سخافة الدين ، وبالعلماء إفراط الحرص ، وبالمُقاتِلة الجبن[5] ، وبالأغنياء البخل ، وبالفقراء الكبر ، وبالشباب الكسل ، وبالشيوخ المُزاح ، وبجماعة الناس التباغض والحسد .

---

(١) ا : يهاج له .

(٢) البيتان فى حماسة أبى تمام ٢/٤٢ ، حماسة البحترى ٢٠٨ ، محاضرات الأدباء ٢/٧٦ .

(٣) ب : المحموم .

(٤) ب : لأحد .

(٥) ب : الحق .

كان يقال : كادت الفاقة تكون كفرًا ، وكاد الحسد يغلب القدر ، والهم نصف الهرم ، والفقر الموت الأكبر .

قال عليّ بن أبي طالب في خطبة خطبها على المنبر بالكوفة : ما لنا ولقريش ؟ بلى . لنا ولهم ، إن الله فضلنا فأدخلهم في فضلنا .

قال عليّ بن أبي طالب ، قال إبليس لجنوده : ألقوا بين الناس التحاسد والبغي ، فإنهما يعدلان الشرك .

كان يقال : أول ما عُصِي الله به في السماء والأرض[1] الحسد والحرص . ذهبوا إلى أن إبليس حسد آدم فلم يسجد له ، وحرص آدم على الخلود فأكل من الشجرة ، وحسد ابن آدم أخاه حين تُقُبِّل منه قربانه فقتله

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :« احذروا ثلاثًا : الحرص فإنه أخرج آدم من الجنة ، والكبر فإنه حطّ إبليس عن مرتبته ، والحسد فإنه دعا ابن آدم إلى قتل أخيه » .

قال عمر بن أبي ربيعة :

وَقَدِيمًا كَانَ فِي النَّاسِ الحَسَدْ[2]

قال سابق :

جَنَى الضَّغَائِنَ آبَاءٌ لَنَا سَلَفُوا فلن تَبِيدَ وللآبَاءِ أَبْنَاءُ[3]

---

(١) ساقطة من ب .

(٢) ديوانه ١/١١٦ . وصدر البيت :

حسد حمّله من أجلها

(٣) المستطرف ١/٢٥٠ ، وفيه سن بدل جنى ، وفي مجموعة المعاني ٦٥ : أحيا ، وقد تردد في نسبتها هناك بين قيس بن عاصم ، وسابق البربرى ، ونسب في حماسة البحتري ١٨ لطريف بن ديسق التميمي .

قال أبو الدرداء : مكتوب فى التوراة : إن أحسد الناس لعالم وأبغاهم عليه قرابته وجيرانه.

كان يقال : الحسد فى الجيران ، والعداوة فى الأقارب .

قال ثُمَامَةُ بن الأَشْرَس [1] فى أحمد بن خالد :

أفكِّرُ ما ذَنبِي لَدَيْكَ فَلا أَرَى ... عَلَيَّ سَبِيلًا غَيْرَ أَنَّكَ حاسِدُ

وَإِنا لمَوْسُومَان كلٌّ بِسِيمَةٍ ... أَقرَّ مُقِرٌّ أو أبى ذَاكَ جاحدُ

قال بكر بن عبد الله المُزَنى : حَظُّكَ من الباغى حسن المكاشرة ، وذنبك إلى الحاسد دوام النعمة .

قال الحُسَيْن الخليع :

ما لِلْحَسُودِ وَأَشْيَاعِهِ ... ومَنْ كَذَبَ الحَقَّ إلَّا الحَجَر

قال عبد الله بن المقفع : إن الحسد خُلُق دنىء ، ومن دناءته أنه موكّل بالأدنى فالأدنى .

قال يَزِيدُ بنُ الحكم الثَّقَفى :

تكاشِرُنى كُرْهًا كأنَّكَ نَاصِحٌ ... وعينُكَ تُبْدِى أنَّ قَلْبَكَ لِى دَوِى [2]

بَدَا مِنْكَ عَيْبٌ طَالمَا قَدْ كَتَمْتَهُ ... كما كَتَمَتْ داءَ ابْنِهَا أُمُّ مُدَّوِى [3]

(١) ساقطة من ب .

(٢) كاشره : ضاحكه وباسطه ، ودوى كفرح : مرض ، ويقال : إنه لداء الصدر خسب .

(٣) ادوى : أكل الدواية ، وهى جليدة رقيقة تعلو اللبن والمرق ، وأم مدوى خاطبة من الأعراب خطبت على ابنها جارية ، فجاءت أمها إلى أم الغلام لتنظر إليه ، فدخل الغلام فقال : أأدوى يا أمى ؟ فقالت : اللجام معلق بعمود البيت . أرادت بذلك كتمان زلة الابن وسوء عادته ، وأرتها أنه يقصد إلى السير فى الدو وهى الفلاة الواسعة

لِسانُكَ مَاذِيٌّ[1] وقلبك علقم ... وَشَرُّكَ مَبْسُوطٌ وَخيرُكَ مُنْطَوِى

تَملَّأْتَ مِنْ غيْظٍ عَلَيَّ فَلَمْ يَزَلْ ... بِكَ الْغَيْظُ حَتَّى كدت بالْغيظِ تشتَوِى

وما بَرِحَتْ نَفسٌ حَسُودٌ حُشِيتَهَا ... تَذِيبُكَ حَتَّى قيل : هل أنت مكتوى

وَقَالَ النِّطاسِيُّون إنكَ مُشْعَرٌ ... سُلَالًا . ألا بل أنت من حَسَدٍ جَوِى[2]

أرَاكَ إذَا لم أهْوَ أمرًا هَوِيتَهُ ... ولستَ لما أهْوَى مِنَ الأَمْرِ بالهَوِى

وكم موْطِنٍ لَوْلَاىَ طِحْتَ كما هَوَى ... بأجْرَامِهِ من قُلّة النِّيق مُنْهَوِى[3]

عَدُوُّكَ يَخْشَى صَوْلَتِي إنْ لَقِيتَهُ ... وأَنْتَ عَدُوِّى لَيسَ ذَاكَ بِمسْتَوِى[4]

وفى رواية أخرى :

تصافحُ من أَلْفَيْتَ لِي ذَا عَدَاوَةٍ ... وأَنْتَ صَدِيقِي ليْسَ ذَاكَ بِمُسْتَوِى

قال ابن المعتز :

ما عابَنِي إلاّ الحَسُو ... دُ وتلك من خير المعايبْ

والخيرُ والحسَّادُ مَقْـ ... رُونَانِ إنْ ذَهبُوا فَذَاهِبْ

وَإِذَا مَلَـكْتُ المَجْدَ لَمْ ... أَمْلِكْ مَذَمَّاتِ الأَقَارِبْ

---

(١) الماذى : عسل النحل .

(٢) جوى : مريض بصدره .

(٣) طحت : طاح يطيح ويطوح : هلك . هوى وانهوى : سقط . الأجرام : جمع جرم وهو الجسم . القلة : أعلى الجبل . النيق : أرفع موضع فى الجبل .

(٤) انظر الأبيات مع اختلاف فى روايتها فى الأغانى ١٢/٢٩٦ . وانظر بعضها فى محاضرات الأدباء ١/٦١ ، عيون الأخبار ٢/١٢ ، حماسة البحترى ٢٢٨ ، ورواية البيت الأخير فيها :

تود عدوى ثم تزعم أننى ... صديقك ليس الفعل منك بمستوى

وإذَا فَقَدْتَ الحَاسِدِينَ فَقَدْتَ فِي الدُّنْيَا المطايب[١]

وأنشد ابن عائشة :

خَلِيلَيَّ إنِّي لِلثُّرَيَّا لَحَاسِدٌ وإنِّي عَلَى رَيْبِ الزَّمانِ لَوَاجِدُ
أَيُجْمَعُ مِنْهَا شَمْلُهَا وَهْيَ سَبْعَةٌ[٢] وأَفْقِدُ من أَحْبَبْتُه وهْوَ وَاحِدُ[٣]

وقَال سُوَيْدُ بن أَبى كَاهِل :

كيف تَرجُونَ سُقُوطِى بَعْدَمَا عَمَّمَ الرَّأْسَ بَيَاضٌ وَصَلَعْ
بئسَ ما ظَنُّوا وقَد عَرَّفْتُهُمْ عند غاياتِ المَدَى كيفَ أَقَعْ
رُبَّ مَنْ أَنْضَجْتُ غيظاً صَدْرَهُ قد تَمَنَّى لِيَ مَوْتاً لَمْ يُطَعْ
وَيَرَانِى كالشَّجَا فِي حَلْقِهِ عَسِرًا مَخْرَجُهُ ما يُنْتَزَعْ
مُزْبِدًا يَخْطِرُ ما لم يَرَنِى فإذَا أَسْمَعْتُهُ صَوْتِى انْقَمَعْ
لَمْ يَضِرْنِى غيرَ أنْ يَحْسُدَنِى فَهوَ يَزْقُو مثلَ مَا يَزْقُو الضُّوَعْ
وَيُحَيِّينِى إذَا لَاقَيْتُهُ وإذَا يَخْلُو لَهُ لَحْمِى رَتَعْ
قَد كَفَانِى اللهُ ما فِي نَفْسِهِ وإذا ما يَكْفِ شيئاً لم يُضَعْ[٤]

---

(١) يروى : المناقب بدل المعايب ، والمجد بدل الخير ، ومودات بدل مذمات ، والأطايب بدل المطايب . وانظر الأبيات فى ديوانه ٢٥٦ ، المختار من شعر بشار ٦٩ ؛ محاضرات الأدباء ١/١٢٠ ، ٢١٤ .

(٢) ا : أيبقى جميعا شملها وهى ستة .

(٣) هى للمهلبى الوزير ، انظر التمثيل والمحاضرة ٢٣٤ .

(٤) يروى : سقاطى ، وجلل بدل عمم وقلبه مكان صدره ، وانقمع مكان انقمع .
المزبد الذى ملأ فمه الزبد من الحديث العالى ، يخطر : يتبختر . يزقو : يصيح ، الضوع : ذكر البوم .
وانظر الأبيات ما عدا الثاني فى عيون الأخبار ٢/١٠ ، الشعر والشعراء ٣٨٥ .

وقال أبو الأسود الدُّؤَلى ، ويقال إنها للعَرْزَمى :

تَلْقَى اللبيبَ مُحسَّدًا لَمْ يَجْتَرِمْ ... شَتْمَ الرِّجَالِ وعِرْضُهُ مَشْتُومُ

حَسَدُوا الْفَتى إذْ لَمْ يَنالُوا سَعْيَه ... فالنَّاسُ أَعْدَاءٌ لَهُ وَخُصُومُ[١]

وقال المرَّارُ الفَقْعَسِيّ :

لَا تَسْأَلِ النَّاسَ عنْ مَالِي وكَثْرَتِهِ ... قدْ يَقْتُرُ المَرْءُ يَوْمًا وهْوَ مَحْمُودُ

أَمْضِى عَلَى سُنَّةٍ من وَالِدٍ سَلَفَتْ ... وفِى أُرُومته ما ينبتُ العُودُ

مُطَالَبٌ بتِرَاتٍ غيرِ مُدْرَكَةٍ ... مُحسَّدٌ والفَتَى ذُو اللُّبِّ مَحْسُودُ

وقال أبو الطيب :

أُعَادَى عَلَى مَا يُوجِبُ الحبَّ لِلفَتَى ... وَأَهْدَأُ والأَفْكارُ فِىَّ تَجُولُ

سِوَى وَجَعِ الحُسَّاد دَاوِ فإنَّهُ ... إذَا حَلَّ فِي قلبٍ فَلَيْسَ يَزُولُ

وَلا تطمَعَنْ من حَاسِدٍ فِي مودةٍ ... وَإنْ كُنْتَ تُبْدِيهَا له وتُنِيلُ[٢]

وقال لَبِيدُ بن عُطَارِد بن حَاجِب التَّميمى :

إنْ يَحْسُدُونِي فإنِّى غيرُ لَائِمِهِمْ ... قبلى من الناسِ أَهْلُ الفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا

فدامَ لِي ولَهُمْ ما بِي وما بِهِمُ ... ومات أكْثَرُنَا غيظًا بما يَجِدُ

أَنَا الّذِي يجدُونى فِي حُلُوقِهِمُ ... لا أرْتَقِي صُعُدًا فيها ولا أَرِدُ[٣]

---

(١) ديوان أبى الأسود ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، وانظر محاضرات الأدباء ١٢٤/١ ، وفيات الأعيان ٤٥٥/٢ عيون الأخبار ٩/٢ .

(٢) ديوانه ٢٩٩ .

(٣) الأبيات فى شرح حماسة أبى تمام ٣٨١/١ ، وقد نسبت فى معجم الشعراء مرة إلى الكميت بن معروف الأسدى ص ٣٤٧ ، ومرة إلى أبى بكر العرزمى ص ٤١٧ . وانظرها فى الكامل ٩٨/٢ ؛ عيون الأخبار ١٠/٢ بدون نسبة .

وقال عِمَارَةُ بنُ عَقِيل بن بِلَال بن جَرير :

مَا ضَرَّنِي حَسَدُ اللِّئَامِ ولم يَزَلْ ذُو الفَضْلِ يَحْسُدُهُ ذَوُو النُّقْصَانِ

وَقال مروان بن أبي حفصة :

ما ضَرَّهُ(١) حَسَدُ اللئامِ ولم يَزَلْ ذوالفضْلِ يحسُدُهُ ذَوُو التَّقْصِيرِ(٢)

قال معاوية بن أبى سفيان : كل الناس أرضيته إلا حاسد نعمة ، فإنه لا يرضيه إلا زوالها

أخذه الشاعر فقال :

كلُّ العَدَاوةِ قَد تُرْجَى(٣) إماتَتُها إلّا عَدَاوَةَ مَنْ عادَاكَ من حسَدِ(٤)

قال معاوية بن أبى سفيان : ليس في خلال الشر أشر من الحسد ، لأنه قد يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود .

كان يقال : الحاسد إذا رأى نعمة بُهت ، وإذا رأى عثرة شمت .

قال الخليل بن أحمد : لا شيء أشبه بالمظلوم من الحاسد .

قال محمود الوراق :

أُعْطِيتُ كلَّ النَّاسِ مِنْ نَفْسِي الرِّضَا(٥) إلاَّ الحسُود فإنَّهُ أعْيَانِي

---

(١) ب : ما ضرني .
(٢) محاضرات الأدباء ١٢٤/١ .
(٣) ب : ترجو .
(٤) عيون الأخبار ١٠/٢
(٥) ا : الدنا .

لا أنَّ لِي ذَنبًا لَدَيْهِ عَلِمْتُهُ ... إلاَّ تظاهرَ نعمــة الرَّحْمَنِ

يَطْوِى عَلَى حَنَقٍ حَشَاهُ لِأَنْ رأى ... عندى كَمالَ غِنًى وَفَضْلَ بَيَانِ

مَا إنْ أرَى يُرْضِيهِ إلَّا ذِلَّتِي ... وذهَابُ أَمْوَالِي وقَطْعُ لِسانِي

وقال آخر :

إن[1] يُكْثِرِ اللهُ حُسَّادًا لَهُمْ فَعَلَى ... مقدارِ مَا كَثُرَتْ فِيهِمْ مِنَ النِّعَمِ

وقال محمّد بن زياد الحارثى :

إذَ ما حَمَلتَ الشُّكْرَ فِي كلِّ نِعْمَةٍ ... يحقُّ عليكَ شُكْرُهَا واحْتِمالُهَا

فدعْ لِحسُودِ بعدَ ذلك خُطَّةً ... يكونُ عليه همُّهَا ووبالُهَا

لك الأَجْرُ والمَهْنَى وللحاسد الّذِى ... يكيدُكَ فيها جُرْمُها ونكالُهَا

وقال آخر :

تَمَنَّى لِيَ الْمَوْتَ الْمُعَجَّلَ خَالِدٌ ... ولَا خَيْرَ فِيمَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ حَاسِدُه[2]

وقال نصر بن أحمد :

كَأَنَّمَا الدَّهْرُ قَدْ أَغْرَى بِنَا حُسُدًا ... ونِعْمَةُ اللهِ مَقْرُونٌ بِهَا الحَسَدُ

وقال آخر :

إنَّ العَرَانِينَ تَلْقَاهَا مُحَسَّدَةً ... ولَنْ تَرَى لِلِئَامِ النَّاسِ حُسَّادًا[3]

---

(١) ا : لئن .

(٢) البيت لأبى بن حام العبسى ، انظر المؤتلف والمختلف ٩١ ، حماسة أبى تمام ١/١٦٩ .

(٣) البيت للمغيرة بن حبناء شاعر آل المهلب ، انظر معجم الشعراء ٣٦٩ ، محاضرات الأدباء ١/١٢٤ .

وقال آخر :

مُحَسَّدُونَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ نِعَمٍ   لَا يَنْزِعُ اللهُ عَنْهُمْ مَالَهُ حُسِدُوا(١)

وقال آخر :

إِنِّى نَشَأْتُ وَحُسَّادِى ذَوُو عَدَدٍ   يَاذَ المَعَارِجِ لَا تُنْقِصْ لَهُمْ عَدَدَا(٢)

وقال بشار العقيلى :

فَاللهَ أَسْــأَلُهُ إِدْوَامَ دَائِهِمُ   وَأَنْ يُدِيمَ لَنَا مَا يُوجِبُ الحَسَدَا(٣)

وقال أيضاً :

قَدْ أَذْهَبَ الدَّاءَ حُسَّادِى بِكَثْرَتِهِمْ   وَلَوْ فَنُوا عَزَّ دَائِى مَنْ يُدَاوِينِى

لا عِشْتُ خِلْوًا مِنَ الحُسَّادِ إِنَّهُمُ   أَعَزُّ فَقْدًا مِن اللَّائِى أَحَبُّونِى

أَبْقَى لِىَ اللهُ حُسَّادِى وَغَمَّهُـــمُ   حَتَّى يَمُوتُوا بِدَاءٍ غَيْرِ مَكْنُونِ(٤)

وقال محمود الوراق :

لا تَحْسُدَنَّ أَخَاكَ وارْ   عَ لَهُ عَلَى الأَيَّامِ عَهْدَه

حَسَدُ الصَّدِيقِ صَدِيقَهُ   وَأَخَاهُ من سُقْمِ المَوَدَّه

وقال حبيب :

وَإِذَا أَرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ   طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ

---

(١) البيت لزهير بن أبى سلمى ، ديوانه ١٨٢ ، جمهرة أشعار العرب ٢٥ ، العقد الفريد ٢٣٧/١ .
(٢) البيت لنصر بن سيار ، انظر المستطرف ٢٥٤/١ .
(٣) المختار من شعر بشار ٦٦ .
(٤) المختار من شعر بشار ١١٢ .

(١ لَوْلَا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيما جَاوَرَتْ ... ما كان يُعْرَفُ فَضْلُ عَرْفِ العُودِ ١)

وقال أبو القاسم الداعية : أدنى الأعراض عرض لا يرتع فيه ذم .

ولأحد بني الطيفان(٢) :

وَمَوْلًى كَمَوْلَى الزِّبْرِقَانِ دُمِلْتُهُ ... كما دُمِلَتْ سَاقٌ يُهَاضُ بِهَا كَسْرُ

تَرَاهُ كَأَنَّ اللهُ يَجْدَعُ أَنْفَهُ ... وعينيه إِنْ مَوْلَاهُ ثَابَ لَهُ وَفْرُ

وقال ابن أبي طاهر(٣) :

يا حَاسِدًا فضْلَ امرئٍ سَيِّدٍ ... أصبح قد أحسن في فِعْلِهِ

لَا زِلْتَ إِلَّا بَاغِيًا حَاسِدًا ... لِكُلِّ ذِي نُبْلٍ عَلَى نُبْلِهِ

وزاد من تَحْسُدُهُ نعمةً ... دائمةً تبقى على مِثْلِهِ

ولم يزلْ ذُو النَّقص من نقصِهِ ... يَحْسُدُ ذَا الفضل على فَضْلِهِ

وقال أبو فراس الحمداني ، وهو الحارث بن سعيد بن حمدان :

لِمَنْ(٤) جَاهَدَ الحُسَّادَ أَجْرُ المجاهِدِ ... وَأَعجزُ ما حاولت إِرْضَاءُ حَاسِدِ

ولم أَرَ مثلَ اليَوْمِ أكثر حاسداً ... كَأَنَّ قلوبَ النَّاسِ فِي قلْبٍ واحدِ(٥)

---

(١) ساقط من ا ، وهما في ديوانه ٤٣ .

(٢) ا : أحمد بن الضيفان ، تحريف ، فالبيتان لخالد بن علقمة بن الطيفان ، انظر المؤتلف والمختلف ١٤٩ .

(٣) هو أحمد بن طيفور (أبي طاهر) الخراساني ، أحد الكتاب البلغاء ، والمؤلفين المكثرين ، والمؤرخين الرواة ، وله شعر قليل . ترجمته في تاريخ بغداد ٤/٢١١ ، معجم الأدباء ٣/٨٧ .

(٤) ب : لئن .

(٥) ديوانه ٨١ .

بَاب السِّبَاب والمُشاتَمَة

قال رسول الله صلّى اللهُ عليه وسلّم : « إيّاكم والفُحْش ، فإنّ الله لا يحبُّ الفُحْش ولا التَّفَحُّش [1] ».

قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : « المتسابّان ما قالا ، فعَلَى البَادى ما لم يَعْتَدِ المظلوم » .

قال بعضُ الحكماء : ما استبّ رَجُلان إلاّ غلب ألأَمهما[2] .

قال الزِّبْرِقانُ بنُ بَدْر : خَصْلَتان كبيرتان فى امرىء السُّوء : شدة السَّبِّ ، وكثرة اللِّطام[3] .

كان يقال : الغالبُ فى الشر مغلوب .

شتم رجلٌ أبا ذر ، فقال له : يا هذا[4] ؟ لا تُغْرِقَنّ في شتمنا ودَعْ للصلح موضعا ، فإنّا لا نكافىء من عصى الله فينا ، بأكثر من أن نطيع اللهَ فيه .

قال أبو مسلم صاحب الدعوة ، عُصْبة الأشراف تظهر بأفعالها ، وعصبة الأدنياء تظهر بألسنتها .

---

(١) ساقطة من ا .

(٢) ا ، ألسنهما .

(٣) ب اللظام ، ولم أعثر على معنى لها ، واللطام : ضرب صفحة الوجه ، ويحتمل أن تكون اللضام بالضاد : وهو العنف والإلحاح .

(٤) ب : ما هذا .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إن الله جعل الحقَّ على لسان عُمَر وقلبه » .

كان يقال : ظنُّ الحكيم كهانة . ويروى هذا لمعاوية رضى الله عنه .

سُئل بعضُ العرب عن العقل ، فقال : الإصابةُ بالظُّنُون ، ومعرفةُ ما لم يكن بما كان .

قال على بن أبى طالب : لله درّ ابن عباس ! إنه لينظر إلى (١) الغيب من ستر رقيق .

قال بَلْعَاء بنُ قَيْسٍ :

وأَبْغِي صوابَ الظَّنِّ أَعلَمُ أَنَّهُ إذَا طاشَ ظَنُّ المرْءِ طاشَتْ مَقَادِرُهْ (٢)

وقال أوسُ بن حجر :

الأَلْمَعِيُّ الذى يظنُّ بك الظنَّ (م) كأَنْ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا (٣)

كان يقال : صحة الظن أول اليقين ، أخذه سعيد بن حميد فقال :

أهَابُكَ أَنْ أَدُلَّ عليكَ ظَنًّا لأَنَّ الظَّن مفتاحُ اليَقِين (٤)

وقال آخر :

يَظُنُّ فلاَ يَعْدُو الضَّمِيرَ كأَنَّمَا له فى الأُمورِ الغَائِبَاتِ رَقِيبُ

(١) ساقطة من ا .

(٢) نسب البيت فى حماسة البحترى ٤٠٣ إلى عفرس بن جبهة الكلابى ، وانظره فى مجموعة المعانى ٢١٠ المؤتلف ١٠٦ ، فصل المقال ١٢٨ ، البيان ٢/٣١٨ ، عيون الأخبار ٢/٣٥ .

(٣) ديوانه ٨ ، البيان ١/٣٨١ ، معجم الأدباء ٦/١٨٢ ، ١٠٠/١٤٢ نوادر القالى ٢٤ ، حماسة البحترى ٤٠٣ .

(٤) عيون الأخبار ١/٣٥ . بدون نسبة ، وفيها : أصونك أن أظن .

وقال كثير بن عبد الملك :

رَأَيْتُ أَبَا الوَلِيد غَدَاةَ جَمْعٍ ... به شيْبٌ وَما فَقَدَ الشَّبَابَا

ولـكن تحت ذاك الشَّيْبِ عَزْمٌ ... إِذَا ما ظَنَّ أَمْرَضَ أَو أَصَابَا [١]

وقال آخر :

وإِنِّى لِطَرْفِ العَيْنِ بالعَيْنِ زَاجِرٌ ... فقد كِدْتُ لَا يَخْفَى عَلَىَّ ضَمِيرُ [٢]

وقال عبد الله بن محمد الأُشْبُونى [٣] :

ذَكِىٌّ يرى ما فى الضمير بظنّه ... كَأَنَّ لَهُ غَيبًا عَلَى غامِضِ السِّرِّ

وقال آخر :

أَحْسِنِ الظَّنَّ بمن قَدْ عَوَّدَكْ ... حسناً أَمسِ وسوّى أَوَدَكْ

إِنَّ رَبًّا كان يكفيك الذى ... كان بالأمسِ سيكفيك غَدَكْ [٤]

سمع أعرابى رجلا يقول : إن الله تعالى يتولى محاسبة عباده بنفسه . فقال الأعرابى : إن الكريم إذا تولى [٥] شيئاً أحسن فيه .

قال ابن عباس رضي الله عنه : الجبن والبخل والحرص غرائز سوء يجمعها كلها سوء الظن بالله عز وجل .

---

(١) نسب البيتان فى الأمالى ٢/٩٤ إلى مسعود بن بشر المازنى، وانظر البيان ٣/٢٨١ ، والرواية هناك : وقد فقد الشبابا ، وإذا ما ظن أعرض ، وأمرض معناها : قارب الصواب ، ومنه : إنه ليمرض فى القول إذا لم يصرح .

(٢) البيت لأبى نواس ، ديوانه ٩٩ .

(٣) ا : الأسنونى ، وهو تحريف ، والصحيح أنه منسوب إلى الأشبونة ، وهى مدينة غربى باجة على ساحل البحر ، انظر صفة جزيرة الأندلس من الروض المعطار ١٢ .

(٤) محاضرات الأدباء ١/٢٤٩ .

(٥) ب : ولى .

قيل لبعض العلماء : من أسوأ الناس حالا ؟ قال : من اتسعت معرفته ، وضاقت مقدرته ، و بعدت همته ، وأسوأ منه حالا : من لم يثق بأحد لسوء ظنه ، ولم يثق به أحد لسوء فعله .

قال غيره من الحكماء : حسب البعيد الهمة أن تكون غايته الجنة .

قال أبو العتاهية :

الظَّنُّ يُخْطِئُ تارَةً وَيُصِيبُ (١)

وقال آخر :

وَإِنّى بها فى كل حالٍ لواثقٌ ولكنّ سوء الظّنّ من شدّةِ الحُبِّ

قال المتنبى :

إذا ساء فعلُ المرء ساءتْ ظُنُونُه وصَدَّقَ ما يعتادُه من تَوَهُّمِ (٢)

قال ابن هَرَمة :

وحسبُكَ تهمةً لنصيح (٣) قومٍ يعدُّ على أخِي غدرٍ جَنَاحَا

قال أبو حازم : العقلُ التّجارب ، والحزمُ سوء الظن .

قال الحسن البصرى : لو كان الرجل يصيب ولا يخطىء ، ويحمد فى كل ما يأتى لدَاخله (٤) العجب .

---

(١) عجز بيت وصدره : وجميع ما هو كائن فقريب . ديوانه ٢٠ .

(٢) ديوانه ٣٩١ ، محاضرات الأدباء١/١٤١ ٢٤/١٠ ، وقد نسب فى اليتيمة ١ /٧٧ لأبى فراس الحمدانى.

(٣) ب : فى نصح ، والبيت فى الحماسة لأبى تمام ٢/٢٢٤ والرواية فيها :

وحسبك تهمة ببرىء قوم يضم على أخى سقم جناحا

(٤) ب : تداخله .

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : أفرسُ الناسِ كلّهم — فيما علمتُ — ثلاثة : العزيزُ في قوله لامرأته حين تفرّسَ فى يوسف : ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾[1] ، وصاحبةُ موسى حين قالت : ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾[2] . وأبو بكر حين تفرّسَ فى عمر رضى الله عنهما فاستخلفه .

نظر إياسُ بنُ معاوية يوماً ، وهو بواسط ، فى الرحبة إلى آجُرّة ، فقال : تحت هذه الآجرّة حيّة ، فنزعوا الآجرة فإذا تحتها حيةٌ منطوية ، فسئل عن ذلك ، فقال : إنّى رأيت ما بين الآجرتين نَدِيًّا من بين تلك الرحبة ، فعلمت أن تحتها شيئاً يتنفس .

قال عمرو بن بحر : إذا نظر الأعرابى إلى موضع منتفخ[3] فى أرضٍ مستوية ، فإذا رآه يتصدع فى تهيّل ، وكان تفتحه مستوياً علم أنها كمأة ، وإن خلط فى التصدع والحركة علم أنها دابّة ، فاتقى مكانها .

نظر إياسُ بن معاوية يوماً إلى صَدْع فى الأرض ، فقال : فى هذا الصدع دابة . فنظروا فإذا فيه دابة ، فقال : إن الأرض لا تنصدع إلا عن دابة أو نبات .

قال معن بن زائدة : ما رأيت قفا رجل قطّ إلا عرفت عقله ، فقال له الفضل بن شهاب : فإنْ رأيتَ وجهه ؟ قال : فذلك[4] حينئذ فى كتاب أقرأه .

---

(١) سورة يوسف ٢١ .

(٢) سورة القصص ٢٦ .

(٣) ب : منفتح .

(٤) ساقطة من أ .

ومر إياسُ بنُ معاوية ذات يوم بماء ، فقال : أسمع صوتَ كلب غريب ، قيل له : كيف عرفت ذلك ؟ قال ، بخضوع صوته وشدة نُباح غيره من الكلاب . قالوا : فإذا كلب[1] غريب مربوط ، والكلابُ تنبحه .

وأما قول العمانى[2] :

وَيَفْهَمُ قولَ الحُكْلِ لَوْ أَنّ ذَرَّةً ... تُساوِدُ أُخْرَى لم يَفُتْهُ سِوَادُهَا

فالحُكْلُ : كل من لم يكن له صوت تستبان مخارجه ، أو كلام يفهم من الجواب كله . وأما قوله : تُساوِدُ فمعناه تُسَارّ ، والسِّوَادُ : السِّرار ، ومنه قولُ ابنةِ الخُسّ :[3]

حملنى على هذا قربُ الوِساد ، وطول السِّواد .

وفى حديث ابن مسعود : تعالى أُسَاوِدْكَ ، أى أسارّك .

قال وَهْبُ بنُ مُنَبِّه : خصلتان إذا كانتا فى الغلامِ رُجيت نجابته : الرَّهبةُ والحَيَاء .

قال غيره : إذا استثقل[4] الصبي الأدب، وضج من الحصر إلا أنه إذا حفظ وعَى ، وإذا فهم أدّى ، كان ذلك ممن يُرجى .

قال غيره : إذا كان الغلامُ حازماً[5] فى الخَلاء ، فَظِيعَ اللسان فى المَلاء ، يبغضُ التعليم ، ويواربُ المعلم ، ويقدم أباه على أمه ، ويؤخّر خاله على عمه ، وكنيته أحبُّ إليه من اسمه ، فإنه يُرجى خيرُه ويُنتظر عِزّه .

---

(١) ساقط من ا .

(٢) العمانى : محمد بن ذؤيب العمانى البصرى ، كان شاعراً راجزاً ، وكان لطيفا داهية مقبولا لدى العظماء أوصله عبدالملك بن صالح إلى الرشيد ، فأفاد منه مالا جزيلا . انظر ترجمته والبيت فى البيان ١/٥٦ .

(٣) اسمها هند وهى امرأة من إياد ورد عنها كثير من الأمثال ، وكانت معروفة بالفصاحة . وقد قيل إنها اتصلت بعبد لها ، فلما سئلت عما حملها على ذلك أجابت بذلك القول .

(٤) ب : استقل .

(٥) ب : عازبا .

وقال ابن الزيّات : إذا رأيتَ الصبي يُحب[١] عاجل المكروه من غير أن يعرف عاجل المنفعة[٢] فهو مضعوف . قاله إذ رأى ابنه[٣] عمر يحب الكتاب فاغتمّ له ، فسئل عن ذلك ، فقال ما ذكرنا ، قال أبو عمر رضى الله عنه : قوله عندى هذا ليس بشىء .

وقال غيره : يُستدل على نجابة الصبي بشيئين : الحياء ، وحبّ الكرامة ؛ أما الحياء فهو خير كله ، وأما حب الكرامة فيدعو إلى اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل .

قال عمرو بن العاص : أنا للبديهة ، ومعاويةُ للأناة ، والمغيرةُ للمعضلات ، وزيادٌ لصغار الأمورِ وكبارِها .

أراد يوسفُ بنُ عمر بن هبيرة أن يولّىَ بكر بن عبد الله المُزَنِيّ القضاء ، فاستعفاه ، فأبى أن يعفيَه ، فقال : أصلح الله الأمير ، ما أُحسن القضاء ، فإن كنتُ كاذباً فلا يحلّ لك أن تولّى الكاذبين ، وإن كنت صادقاً ، فلا يحل أن تولّى من لا يحسن .

قال رجل من الأعراب ضرير النظر[٤] لابنته ، وهى تقوده فى المرعى : يا بنية انظرى كيف ترين السماء ؟ قالت : كأنها قرونُ المِعْزى . قال : ارْعَىْ . فرعت ساعة ، فقال : انظرى كيف ترين السماء ؟ قالت : كأنها خيل دهم تجرّ جِلَالَهَا[٥] . قال :

---

(١) ب : يحب .

(٢) ب : المعرفة .

(٣) ب : أباه .

(٤) ب : البصر .

(٥) الجلال : ما تلبسه الدابة لتصان به .

ارعى . فرعت ساعة ، ثم قال : انظرى كيف ترين السماء ؟ قالت : كأن الرباب نعام تعلق بالأرجاء[١] من السماء ، قال : ارعى . ثم قال : انظرى كيف ترين السماء ؟ قالت . ابيضت واسودت ودنت [١] فكأنها عينُ نفسٍ تطرف [١] . قال : أنجى ولا أراكِ ناجية .

قال الشاعر :

أَكُلُّ وَمِيضٍ بارِقةٍ كذوبُ   أمَا فى الدَّهرِ شَىْءٌ لا يُرِيبُ[٢]

أشار ضيف لقوم إلى بنت لهم لتقبله[٣] ، فقالت والله إنى إذاً لطويل العنق . فسمعها الشيخ ، فقال : أشار والله إليها لتقبلهُ[٤] .

للبيد أو للبعيث :

لَعَمْرُكَ ما تدرى الطَّوارِقُ بالحَصَى   ولا زاجراتُ الطَّيْرِ ما اللهُ صانِعُ[٥]

---

(١) الرباب : السحاب الأبيض ، واحده ربابة ، وفى ب : تعليق بأرجله .

(٢) ساقط من ب .

(٣) البيت لأبى الفرج الببغاء ، انظر التمثيل والمحاضرة ١١٧ ، نهاية الأرب ٣/١٠٦ .

(٢) ب : بقبلة .

(٥) يروى : الضوارب بالحصى ، وهو للبيد ، ديوانه ٥٨ ، وقد نسب لطرفة فى جمهرة أشعار العرب .